بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد وآله أجمعين

ذكر سرد النسب الزكيّ

من محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى آدم عليه السلام

نسبه صلى الله عليه وسلم إلى آدم عليه السلام

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام [النحويّ][1] :

هذا كتاب سيرة رسول الله – صلّى اللّه عليه وآله وسلّم – محمدِ بن عبد الله ابن عبد المطلب ، واسم عبد المطلب : شَيْبة[2] بن هاشم ، واسم هاشم : عَمْرو بن عبد مَناف، واسم عبد مناف : المُغيرة بن قُصَيّ، [واسم قُصَيّ: زيد][1] بن كِلاب ابن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر[3] بن مالك بن النَّضْر[4] بن كِنانة

(1) زيادة عن ا .

(2) وقيل إن اسم عبد المطلب : عامر (كما فى المعارف لابن قتيبة ، وشرح المواهب اللدنية ج ١ ص ٧١ طبع المطبعة الأزهرية) . والصحيح أن اسمه : « شيبة » كما أشار إلى ذلك السهيلى فى «الروض الأنف» . وسمى كذلك لأنه ولد وفى رأسه شيبة . وأما غيره من العرب ممن اسمه شيبة فإنما قصد بتسميته بهذا الاسم التفاؤل . وقد عاش عبد المطلب مئة وأربعين سنة ، وكان لدة عبيد بن الأبرص الشاعر .

(3) واسمه قريش وإليه تنسب القبيلة، وقيل: بل فهر اسمه، وقريش لقب له. وقد روى عن نسابى العرب أنهم قالوا : من جاوز فهراً فليس من قريش (انظر شرح المواهب اللدنية ج ١ ص ٧٥) .

(4) واسمه قيس ، ولقب بالنضر لنضارة وجهه ، وأمه برّة بنت أدّ بن طابخة ، تزوجها أبو كنانة بعد أبيه خزيمة، فولدت له النضر على ما كانت الجاهلية تفعل: إذا مات الرجل خلف =

ابن خُزَيْمة بن مُدْرِكة ، واسم مدركة : عامر[1] بن إلياس بن مُضَر بن نِزار بن مَعَدّ بن عدْنان[2] بن [أُدّ ، ويقال][3] : أُدَد[4] بن مُقَوّم[5] ابن ناحور بن تَيْرَح بن يَعْرُب بن يَشْجُبَ بن نابت[6] بن إسماعيل بن إبراهيم - خليل الرحمن - بن تارح[7] ، وهو آزر[8] بن ناحور بن ساروغ[9]

= على زوجته أكبر بنيه من غيرها. وقد ذكر الجاحظ أن هذا غلط نشأ من اشتباه ، إذأن كنانة خلف على زوجة أبيه ، فماتت ولم تلد له ذكراً ولا أنثى ، فنكح ابنة أخيها ، وهى برة بنت مرة بن أدّ بن طابخة ، فولدت النضر . (راجع شرح المواهب اللدنية) .

(١) هذا قول ابن إسحاق . والصحيح عند الجمهور أن اسمه : عمرو .

(٢) اضطربت كلمة النسابين فيما بعد عدنان، حتى نراهم لايكادون يجمعون على جد حتى يختلفوا فيمن فوقه ، وقد حكى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا انتسب لم يتجاوز فى نسبه عدنان ابن أدد ، ثم يمسك ويقول : كذب النسابون . وقال عمر بن الخطاب : إنى لأنتسب إلى معد ابن عدنان ، ولاأدرى ما هو . وعن سليمان بن أبى خيثمة قال : ما وجدنا فى علم عالم ولا شعر شاعر أحداً يعرف ماوراء معد بن عدنان ويعرب بن قحطان .

(٣) زيادة عن ا .

(٤) يذهب بعض النسابين إلى أن أدّ هو ابن أدد وليسا شخصاً واحداً ، ويقولون : إن أم أدّ هى النعجاء بنت عمرو بن تبّع ، وأم أدد حية، وهى من قحطان (راجع أصول الأحساب وفصول الأنساب للجوّانى المخطوط والمحفوظ بدار الكتب المصرية برقم ٢٠١٥ تاريخ) . وقد ذهب ابن قتيبة فى كتابه « المعارف » إلى أن أد هو ابن يحشوم بن مقوم ، فيكون مقوم جدّاً لأد وليس أباه .

(٥) ضبطه السهيلى فى كتابه «الروض الأنف» بالعبارة فقال: «...وأما مقوم بكسر الواو» ، والظاهر أنها مشددة كما ضبطت بالقلم فى المعارف لابن قتيبة .

(٦) ويقال له : نبت أيضاً (راجع كتاب أنساب العرب للصحارى المخطوط والمحفوظ بدار الكتب المصرية برقم ٢٤٦١ تاريخ) .

(٧) كذا بالأصل هنا وفيما سيأتى ، ومروج الذهب للمسعودى (ج ١ ص ٢٠ طبع بلاق) . وفى الطبرى ، والمعارف لابن قتيبة ، ومروج الذهب (ج ١ ص ٣٠٣) . وروضة الألباب للإمام محمد الزبيدى (المخطوط والمحفوظ بدار الكتب المصريه برقم ٩٤٥ تاريخ) : « تارخ » بالخاء المعجمة .

(٨) وقيل هو عم إبراهيم لا أبوه ، إذ لوكان أباه الحقيق لم يقل تعالى : (لأبيه آزر) لأن العرب لاتقول أبى فلان إلا للعم دون الأب الحقيقى . (راجع روضة الألباب) .

(٩) كذا فى الطبرى ، ومروج الذهب . وفى المعارف : « شاروغ » وفيه : أن اسمه «أشرغ» أيضاً ، وهذا ماذكره ابن هشام بعد قليل نقلا عن قتادة ، وفى روضة الألباب : « شاروخ » (بالخاء المعجمة) . وفى الأصل هنا : «ساروح» (بالحاء المهملة) .

ابن راعو[1] بن فالخ[2] بن عَيْبَرَ[3] بن شالخ[4] بن أرْفَخْشَذ[5] بن سام بن نوح ابن لَمْك[6] بن مَتُّوشَلَخ[7] بن أخنوخ ، وهو إدريس النبي - فيما يزعمون ، والله أعلم ، وكان أول بنى آدم أُعطى النبوّة ، وخطّ بالقلم - ابن يَرْد بن مهْليل[8] ابن قَيْنَن[9] بن يانَش بن شِيثَ بن آدم صلى الله عليه وسلم .

٥ قال أبو محمد عبد الملك بن هشام : حدّثنا زِياد[10] بن عبد الله البَكَّائِىّ عن محمد بن إسحاقَ[11] المطّلبى بهذا الذى ذكرتُ من نَسَب محمّد رسول الله صلّى

---

(١) كذا فى الأصل هنا . وفيما سيأتى بعد قليل : «أرغو» . وفى الطبرى وروضة الألباب «أرغوا» . وفى المعارف لابن قتيبة ومروج الذهب (ج ١ ص ٣٠٣) : «أرعوا» بالعين المهملة ، وفى مروج الذهب (ج ١ ص ٢٠) : «رعو» .

١٠ (٢) كذا بالأصل هنا وفيما سيأتى . وفى الطبرى ، والمعارف ، ومروج الذهب ، وأصول الأحساب ، والروض الأنف ، وروضة الألباب ، وأنساب العرب : «فالغ» (بالغين المعجمة) . وهو «فالخ» كما نص على ذلك فى أنساب العرب ، ويقال إن معناه القسام .

(٣) كذا بالأصل هنا . وفيما سيأتى : «عابر» ، وهى رواية جميع المراجع التى بين أيدينا غير روضة الألباب ، فإنه فيها بالغين المعجمة .

١٥ (٤) كذا بالأصل ، والمعارف ، والطبرى ، والروض الأنف ، وروضة الألباب . وشالخ معناه الرسول أو الوكيل ، وفى مروج الذهب : «شالح» (بالحاء المهملة) .

(٥) كذا فى م ، ومروج الذهب ، والروض الأنف ، وأصول الأحساب ، وأنساب العرب . ومعنى أرفخشذ : مصباح مضىء . وفى ا والطبرى ، والمعارف : «أرفخشد» (بالدال المهملة) .

٢٠ (٦) كذا فى شرح القصيدة الحميرية (المخطوط والمحفوظ بدار الكتب المصرية برقم ١٣٥٩ تاريخ) ، وروضة الألباب ، ومروج الذهب ، وقد ضبط فى هامش الأخير بالعبارة بفتح اللام وسكون الميم . وفى الأصل هنا وفيما سيأتى : «لامك»

(٧) متوشلخ معناه : مات الرسول . (عن الروض الأنف) .

(٨) فيما سيأتى : «مهلائيل» وهى رواية أكثر المراجع التى بين أيدينا .

٢٥ (٩) كذا بالأصل هنا . وفيما سيأتى : «قاين» . وفى الطبرى ، ومروج الذهب : «قينان» .

(١٠) هو أبو محمد زياد بن عبد الله بن الطفيل البكائى الكوفى ، نسب إلى البكاء بن عمرو ابن ربيعة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، وهو من أصحاب الحديث ، أخرج له البخارى ومسلم (عن شرح السيرة وتهذيب التهذيب) .

(١١) هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن يسار مولى قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبدمناف ،

٣٠ ولذلك يقال فى نسبه : المطلبى ، وهو من كبار المحدثين لاسيما فى المغازى والسير . وكان الزهرى يثنى عليه بذلك ، ويفضله على غيره ، وهو مدنى توفى ببغداد سنة إحدى وخمسين ومئة .

الله عليه وآله وسلّم إلى آدم عليه السلام ، وما فيه من حديث إدريس وغيره .

قال ابن هشام : وحدّثني خَلّاد بن قُرّة بن خالد السَّدُوسيّ عن شَيْبان ابن زُهَيْر بن شقيق بن ثَوْر عن قَتادة بن دِعامة أنه قال :

إسماعيل بن إبراهيم ـ خليلِ الرحمن ـ ابْن تارح ، وهو آزر بن ناحور بن أسرغ[1] بن أرغو بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرْفَخْشَذ[2] بن سام بن نوح بن ٥
لَمْك بن مَتُّوشَلَخ بن أخنوخ بن يَرْد بن مهْلائِيل بن قاين[3] بن أَنُوش بن شيث ابن آدم صلّى الله عليه وسلم .

نهج ابن هشام في هذا الكتاب

قال ابن هشام :

وأنا إن شاء الله مبتدئ هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم ، ومَن وَلَدَ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله وسلم مِن وِلدِه ، وأولادَهم لأصلابهم ، الأولَ ١٠
فالأول ، من إسماعيل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وما يَعْرِض من حديثهم ، وتاركٌ ذِكْرَ غيرهم مِنْ ولد إسماعيل ، على هذه الجهة للاختصار ، إلى حديث سيرة رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وتاركٌ بعضَ ما ذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب ، مما ليس لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه ذكر ، ولا نزل فيه من القرآن شيء ، وليس سبباً لشيء من هذا الكتاب ، ولا تفسيراً له ، ١٥
ولا شاهداً عليه ، لما ذكرت من الاختصار ، وأشعارًا ذكرها لم أر أحداً من أهل العلم بالشِّعر يعرفها ، وأشياء بعضُها يَشْنُعُ الحديث به ، وبعضٌ يسوء بعضَ الناس ذِكْرُه ، وبعضٌ لم يُقِرّ لنا البَكّائيّ بروايته ؛ ومستقصٍ إن شاء الله تعالى ما سوى ذلك منه بمبلغ الرواية له ، والعلم به .

---

(١) كذا في ا . وفي م : « استرغ » . (راجع الحاشية رقم ٩ ص٢ من هذا الجزء) . ٢٠
(٢) في ا هنا : « الفخشذ » . (راجع الحاشية رقم ٥ ص ٣ من هذا الجزء) .
(٣) (راجع الحاشية رقم ٦ ص ٣ من هذا الجزء) .

سياقة النسب من ولد إسماعيل عليه السلام

أولاد إسماعيل عليه السلام ونسب أمهم

قال ابن هشام : حدّثنا زياد بن عبد الله البَكّائى عن محمد بن إسحاق المطّلبى قال :

وَلَد إسماعيلُ بن إبراهيم عليهما السلام اثنى عشر رجلاً : نابتاً ، وكان أكبرَهم ، وَقَيْذَر [1] ، وأَذْبُل [2] ، ومبشاَ [3] ، ومِسْمَعاً، وماشى [4] ، ودِمّا [5] وأذر [6] ، وطيما [7] ، ويَطُور [8] ، ونَبِش [9] ، وقَيْذُما [10] . وأمهم [رَعْلَة] [11] بنت مُضاض بن عمرو الجُرْهُمِىّ ـ قال ابن هشام: ويقال : مِضاض . وجُرْهُم ابن قَحْطان ، وقحطان أبو اليمن كلها ، وإليه يجتمع نسبُها ـ ابن عابر بن شالخ

(١) كذا فى ا ، ويقال فيه : « قيذار » أيضاً (راجع أنساب العرب ، وأصول الأحساب) وفى م : « قيدر » . وفى الطبرى ، والمعارف : « قيدار » (بالدال المهملة فى الروايتين) .

(٢) فى الطبرى وأنساب العرب : « أدبيل » . ويقال فيه : « أدبال » أيضاً .

(٣) كذا فى ا والطبرى، وأنساب العرب . وفى م : « منشا » . وفى أصول الأحساب : « مشا » .

(٤) فى الطبرى : « ماسى » بالسين المهملة .

(٥) ويقال فيه : « دمار » (راجع أنساب العرب) .

(٦) فى أنساب العرب : « أدر » (بالدال المهملة) .

(٧) كذا فى ا ، وهو بكسر الطاء المهملة وفتحها وإسكان الياء . وفى أصول الأحساب : « تيما» (بفتح التاء وسكون الياء) . وقيده الدارقطنى : « ظمياء » (بالظاء المعجمة وتقديم الميم ممدوداً) . وفى الطبرى . « طما » . وفى م . « ظيا » .

(٨) كذا فى ا وأصول الأحساب. وفى م : « تطورا » (بالتاء المثناة الفوقية). وفى الطبرى : « طور » . وفى أنساب العرب : « نطور » .

(٩) كذا فى ا . وفى م ، ر : « نبش » (بالياء المثناة التحتيـة) . وفى الطبرى : « نفيس» . وفى أصول الأحساب : « يافيش » . وفى أنساب العرب : « فنس » .

(١٠) فى الطبرى وأنساب العرب : « قيدمان » .

(١١) زيادة عن ا . والذى فى الروض الأنف أن أمهم اسمها السيدة ، وأنه كان لإسماعيل امرأة سواها من جرهم اسمها جداء بنت سعد ، وهى التى أمره أبوه بتطليقها ، ثم تزوج أخرى اسمها: سامة بنت مهلهل ، وقيل عاتكة .

ابن أرفخشذ بن سام بن نوح . قال ابن إسحاق : جُرْهم بن يَقْطَن بن عَيْبَر ابن شالخ و[يقطن هو [1]] قحطان بن عَيْبَر بن شالخ .

عمر إسماعيل عليه السلام ومدفنه

قال ابن إسحاق :

وكان عُمْر إسماعيل فيما يذكرون مِئَةَ سنة وثلاثين سنة ، ثم مات رحمة الله وبركاته عليه ، ودُفن فى الحِجْر [2] مع أمه هاجَر ، رحمهم الله تعالى .

موطن هاجر

قال ابن هشام :

تقول العرب : هاجر وآجر ، فيبدلون الألف من الهاء ، كما قالوا : هراق الماء ، وأراق الماء وغيره . وهاجر من أهل مصر .

وصاة الرسول صلى الله عليه وسلم بأهل مصر وسبب ذلك

قال ابن هشام : حدثنا عبد الله بن وَهْب عن عبد الله بن لَهِيعة [3] عن عمر مولى غُفْرة [4] أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :

اللهَ اللهَ فى أهل الذمّة ، أهل المَدَرَة السوداء السُّحْم الجِعاد [5] ، فإن لهم نسباً وصهراً .

---

(1) زيادة يقتضيها السياق .

(2) الحجر (بالكسر ثم السكون وراء) : حجر الكعبة ، وهو ماتركت قريش فى بنائها من أساس إبراهيم عليه السلام ، وحجرت على المواضع ليعلم أنه من الكعبة فسمى حجراً لذلك ، لكن فيه زيادة على مافى البيت ، وقد كان ابن الزبير أدخله فى الكعبة حين بناها ، فلما هدم الحجاج بناءه رده إلى ما كان عليه فى الجاهلية . (راجع معجم البلدان) .

(3) ابن لهيعة (بفتح اللام وكسر الهاء وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح العين المهملة وبعدها هاء ساكنة) : هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن لهيعة بن عقبة بن لهيعة الحضرمى الغافقى المصرى ، وكان مكثراً من الحديث والأخبار والرواية ، وكان أبو جعفر المنصور قد ولاه القضاء بمصر فى مستهل سنة خمس وخمسين ومئة ، وهو أوّل قاض ولى بمصر من قبل الخليفة ، وصرف عن القضاء فى شهر ربيع الأوّل سنة أربع وستين ومئة ، وكان أوّل قاض حضر لنظر الهلال فى شهر رمضان . توفى بمصر سنة سبعين ومئة ، وقيل أربع وسبعين ، وكان عمره إحدى وثمانين سنة ، وكان مولده سنة سبع وتسعين (راجع ابن خلكان) .

(4) هى غفرة بنت بلال ــ وقيل أخته ــ مولى أبى بكر الصديق رضى الله عنه .(راجع شرح السيرة ، والروض الأنف) .

(5) المدرة (هنا): البلدة . والسحم : السود، واحدهم: أسحم وسحماء . والجعاد : الذين فى شعرهم تكسير .

قال عمر مولى غُفْرة :

نسبهم ، أنّ أم إسماعيل النبيّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ منهم . وصِهْرِهم ، أن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ تَسرَّر [1] فيهم .

قال ابن لَهِيعَة :

٥ أم إسماعيل : هاجَرُ ، من أمّ العَرَب [2] ، قريةٍ كانت أمام الفَرَما [3] من مصر . وأم إبراهيم : مارية [4] سُرِّيّة النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم التى أهداها له المُقَوْقِس من حَفْن [5] من كُورة أنْصِنا [6] .

قال ابن إسحاق حدثنى محمد بن مُسْلِم بن عُبَيد الله بن شهاب الزُّهرىّ أنّ عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصارى ، ثم السُّلَمى حدّثه أن ١٠ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال :

---

(١) يقال : تسرر الرجل وتسرى : إذا اتخذ أمة لفراشه .

(٢) ويقال فيها « أم العريك » كما يقال إنها من قرية يقال لها « ياق » عند أم دنين . (راجع معجم البلدان) .

(٣) الفرما أو الطينة (Péluse ou Avaris) مدينة بمصر من شرق ، تبعد عن ١٥ ساحل بحر الروم بقدر ميلين ، كان لها ميناء عامر ، ويصل إليها فرع من النيل مسمى باسمها اليونانى (بيلوزة) أى الطينة ، وكانت فى زمن الفراعنة حصن مصر من جهة الشرق ، ولذلك وقعت بها جملة وقائع حربية فى جميع أزمنة التاريخ المصرى ، وتعرف الآن بتل الفرما ، ويقال إن فيها قبر أم إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وقبر جالينوس الحكيم. وفيها ولد بطليموس القلوذى (Claude Ptolemee) الفلكى المشهور ، صاحب كتاب المجسطى، من أهل ٢٠ القرن الثانى من الميلاد . (راجع فهرست المعجم الجغرافى لأمين بك واصف) .

(٤) هى مارية بنت شمعون (والمارية بتخفيف الياء: البقرة الفتية . وبالتشديد: الملساء فيقال: قطاة مارية، أى ملساء). وسبب إهدائها إلى النبى أنه صلى الله عليه وسلم أرسل إلى المقوقس (واسمه جريج بن ميناء) حاطب بن أبى بلتعة، وجبرا مولى أبى رهم الغفارى، فقارب المقوقس الإسلام ، وأهدى معهما إلى النبى صلى الله عليه وسلم بغلته ، التى يقال لها دلدل، ومارية ، كما أهدى إليه ٢٥ أيضا قدحا من قوارير، فكان النبى صلى الله عليه وسلم يشرب فيه (عن الروض الأنف) .

(٥) حفن : قرية من قرى الصعيد ، وقيل : ناحية من نواحى مصر ، وفى الحديث : أهدى المقوقس إلى النبى صلى الله عليه وسلم مارية من حفن من رستاق أنصنا ، وكلم الحسن بن على رضى الله عنه معاوية لأهل حفن ، فوضع عنهم خراج الأرض.

(٦) أنصنا (بالفتح ثم السكون وكسر الصاد المهملة وبعدها النون مقصورا) : مدينة من نواحى ٣٠ الصعيد على شرق النيل ، ويقال إنها كانت مدينة السحرة ، ينسب إليها كثير من أهل العلم ، منهم : أبو طاهر الحسين بن أحمد بن سليمان بن هاشم الأنصناوى المعروف بالطبرى .

إذا افتتحتم مصر فاستوصُوا بأهلها خيراً ، فإنّ لهم ذمةً ورحماً . فقلت لمحمد ابن مسلم الزهرى : ما الرحم التى ذكر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لهم ؟ فقال : كانت هاجَر أمّ إسماعيل منهم .

أصل العرب

قال ابن هشام :

فالعرب كلها من ولد إسماعيل وقحطان . و بعض أهل اليمن يقول : قحطان من ولد إسماعيل ، ويقول : إسماعيل أبو العرب كلها .

قال ابن إسحاق :

عادُ بن عَوْص بن إرَم بن سام بن نوح ، وثمود وجَدِيس ابنا عابر[1] بن إرم بن سام بن نوح ، وطَسْم وَعِمْلاق وأُمَيْم بنو لاوِذ بن سام بن نوح : عربٌ كلهم . فولَدَ نابتُ بن إسماعيل : يَشْجُبَ بن نابت ، فولَدَ يشجب : يَعْرُب بن يشجب ، فولَدَ يعرب : تَيْرَح بن يعرب ، فولد تيرح : ناحُورَ بن تيرح ، فولَدَ ناحور : مُقَوّم بن ناحور ، فولَدَ مُقَوّم : أُدَد بن مقوّم ، فوَلَدَ أدد : عدنان ابن أُدَد[2] . قال ابن هشام : و يقال : عدنان بن أُدّ .

أولاد عدنان

قال ابن إسحاق :

فمن عدنان تفرّقت القبائل من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، فولَدَ عدنانُ رجلَيْن : معدّ بن عدنان ، وعكّ بن عدنان .

موطن عكّ

قال ابن هشام :

فصارت عكّ فى دار اليمن ، وذلك أن عكًّا تزوّج فى الأشعريّين ، فأقام فيهم ، فصارت الدار واللغة واحدةً ، والأشعريون بنو أشعر بن نَبْت بن أُدَد بن

---

(١) فى ا : « عاثر » .

(٢) بعد ماساق ابن قتيبة فى كتابه « المعارف » هذه السلسلة ، متفقا فيها مع ما هنا إلا فى القليل ، ساق رأيا آخر فى نسب عدنان يختلف عن هذا وينتهى إلى قيدار بن إسماعيل بدلا من نابت ، وهذا ما ذهب إليه الجوانى فى كتابه « أصول الأحساب » ، والامام محمد الزبيدى فى كتابه « روضة الألباب » .

زيد[1] بن هَمَيْسَع[2] بن عمرو بن عَرِيب[3] بن يَشْجُب بن زَيْد بن كَهْلان بن سَبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان؛ ويقال: أشعر[4]: نَبْت بن أدد؛ ويقال: أشعر ابنُ مالك. ومالكٌ: مَذْحِجُ بن أُدد بن زيد بن هَمَيْسع. ويقال: أشعر ابنُ[5] سبأ بن يَشْجُب.

وأنشدني أبو مُحْرِزٍ خَلفٌ الأحمر وأبو عُبَيْدة، لعبّاس بن مِرْداس، أحدِ بني سُلَيْم بن منصور بن عِكْرِمة بن خَصَفة بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر بن نزار ابن معدّ بن عدنان، يفخر بعكّ:

وعكُّ بن عدنان الذين تلقّبوا[6] ... بغَسّان حتى طُرِّدوا كل مَطْرَدِ

وهذا البيت في قصيدة له. وغسّان: ماء بِسَدِّ مارِب[7] باليمن، كان شِرْباً لولد

(١) ويقال فيه: زند (بالنون) كما يقال إنه هو الهميسع. (راجع الروض الأنف).

(٢) كذا في ا وهي الرواية التي اتفقت عليها المراجع التي بين أيدينا، وفي م: مهسع ولم نجد مرجعاً يؤيد هذه الرواية. والهميسع بفتح الهاء على وزن السميدع، وبعض النسابين يرويه بالضم والصواب الفتح. (راجع أصول الأحساب).

(٣) الذي في أصول الأحساب: «يشجب بن عريب».

(٤) كذا في ا. وهذا ما ذهب إليه الجواني في كتابه أصول الأحساب، وقد ذكر أن أولاد أدد هم: مالك (مذحج) وأشعر (نبت) وطين (جلهمة) ومرة. وفي م، ر: أشعر ابن نبت، والظاهر أن كلمة «بن» مقحمة.

(٥) في أصول الأحساب: أن هذا رأي الصحاح، وأنه رأي خاطئ.

(٦) كذا في أصول الأحساب. وفي الأصل: «تلعبوا».

(٧) قال المرحوم أمين بك واصف في كتابه فهرست المعجم الجغرافي: «سبأ» أو مأرب، أو مارب من غير همز، (وهو الصحيح فيه): مدينة كانت بقرب موقع صنعاء باليمن، بناها عبد شمس بن يشجب من ملوك حمير، وهو الذي بنى أيضاً السد الكبير لتخزين مياه الأمطار. وانفجر يوما فكان الغرق الشهير المعروف بسيل العرم، وتفرقت على أثره قبائل بني قحطان فكان منهم أهل الحيرة على الفرات، وأهل غسان ببادية الشام، ولا تزال آثار السد باقية.

وقال في موضع آخر:

«لما تفرق بنو قحطان بعد سيل العرم رحل آل جفنة من اليمن، والأزد من بني كهلان، إلى الشام ونزلوا بماء يقال له غسان، فسموا به، وأقاموا ببادية الشام، وتزاحموا مع شليح، فغلبوهم على أمرهم، وأخرجوهم من ديارهم، وبقي الغساسنة ملوكا بالشام أكثر من أربعمائة سنة، وأولهم جفنة بن عمرو بن ثعلبة، وآخرهم جبلة السادس ابن الأيهم، صاحب الحديث المشهور مع عمر بن الخطاب في إسلامه وتنصره وفراره إلى الروم، وقد سقنا الرأيين هنا لما بينهما من خلاف.

مازن بن الأَسْد بن الغَوْث فسمّوا به ؛ و يقال : غَسان : ماء بالمُشَلَّل[1] قريب من الجُحْفة[2] ، والذين شربوا منه[3] فسمّوا به قبائلُ من وَلَدِ مازن بن الأَسْد[4] ابن الغَوْث بن نَبْت بن مالك بن زَيْد بن كَهْلان بن سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب ابن قَحْطان . قال حسّان بن ثابت الأنصاريّ ــ والأنصار بنو الأوس والخزرج ، ابنَىْ حارثة بن ثَعْلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن أُمرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأَسْد بن الغوث ــ :

إمّا سألتِ فإنّا معشرٌ نُجُب الأَسْد نِسْبتنا والماء غَسّانُ[5]

وهذا البيت فى أبيات له .

فقالت اليمن : و بعض علكّ ، وهم الذين بخراسان منهم ، علكّ بن عدنان بن عبد الله بن الأَسْد بن الغوث[6] ؛ و يقال : عُدْثان[7] بن عبد الله[8] بن الأَسْد بن الغَوْث .

---

(١) المشلل (بالضم ثم الفتح وفتح اللام أيضاً) : جبل وراء عزور (واد قريب من المدينة) يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر . قال العرجى :

ألا قل لمن أمسى بمكة قاطنا ومن جاء من عمق ونقب المشلل
دعوا الحج لاتستهلكوا نفقاتكم فما حج هــذا العام بالمتقبل

(راجع معجم البلدان ومعجم ما استعجم) .

(٢) الجحفة (بالضم ثم السكون والفاء) : قرية كانت كبيرة ذات منبر على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل ، وهى ميقات أهل مصر والشام إن لم يمروا على المدينة ، فان مروا بالمدينة فيقاتهم ذو الحليفة ، وكان اسمها مهيعة ، وإنما سميت الجحفة لأن السيل اجتحفها وحمل أهلها فى بعض الأعوام ، وهى الآن خراب . (عن معجم البلدان) .

(٣) كذا فى ا . وفى م ، ر : « . . . شربوا منه تحزبوا فسموا به . . . الخ » والظاهر أن كلمة تحزبوا مقحمة .

(٤) ويقال فيه الأزد أيضاً .

(٥) وقبل هذا البيت :

يا أخت آل فراس إنى رجــل من معشر لهــم فى المجد بنيان

(٦) وبهذا قال ابن قتيبة فى كتابه المعارف ، وابن دريد : فى الاشتقاق ، والجوانى : فى أصول الأحساب .

(٧) كذا فى ا . وقد نقله الجوانى أيضاً فى أصول الأحساب عن الأفطس الطرابلسى النسابة عدا ماساق الرأى الأوّل ، وفى م ، ر « عدنان » بالنون .

(٨) فى الأصل : « عدثان (عدنان) بن الديث بن عبد الله . . . الخ » . والظاهر أن كلمة «بن الديث» مقحمة ، فكل الذين عرضوا لعك بن عدنان الذين فى الأزد من النسابة لم يذكروا فى نسبهم غير الرأيين السابقين .

أولاد معد

قال ابن إسحاق :

فولَدَ معدّ بن عدنان[١] أربعةَ نفر : نزار بن معدّ ، وقضاعة بن معدّ ، وكان قضاعة بكرَ[٢] معدّ الذي به يكنى فيما يزعمون، وقُنُص بن معدّ، و إياد بن معدّ.

فأمّا قُضاعة فتيامنت إلى حِمْير بن سَبأ ـ وكان اسم سبأ عبدَ شمس ، و إنما سمّى سبأ ، لأنه أول مَنْ سبَى فى العرب ـ ابنِ يشجب[٣] بن يعرب بن قحطان .

قضاعة

قال ابن هشام :

فقالت اليمن : وقُضاعة: قضاعة بن مالك بن حمير[٤] . وقال عمرو بن مرّة[٥] الجُهَنىّ ، وجُهَينة ابن زيد بن ليث بن سود بن أسْلُم بن الحاف[٦] بن قضاعة :

---

(١) لا خلاف بين النسابين فى أن نزارا هو ابن معد ، وأما سائر ولد معد فمختلف فيهم ، وفى عددهم .

(٢) البكر : أوّل ولد الرجل ، وأبوه بكر ، والثنى : ولده الثانى ، وأبوه ثنى ، والثالث : ولده الثالث ، ولا يقال للأب ثلث ، كما لا يقال بعد الثالث شىء من هذا .

(٣) فى الأصل : « ابن يعرب بن يشجب » . والتصويب عن شرح السيرة .

(٤) يختلف النسابون ـ كما رأيت ـ فى نسب قضاعة ، فنهم من جعله فى معد ، ومنهم من نسبه إلى مالك بن حمير ، وقد ساق المؤلف قول ابن مرة سندا للرأى الثانى ، ومما يحتج به أصحاب الرأى الأوّل قول زهير :

قضاعيــة أوأختها مضرية يحرق فى حافاتها الحطب الجزل

ففيه أن قضاعة ومضر أخوان ، كما يحتجون بأشعار كثيرة للبيد وغيره . وللكميت يعاتب قضاعة على انتسابهم إلى اليمن :

علام نزلتم من غير فقر ولا ضراء منزلة الحميل

(والحميل : المسبى ، لأنه يحمل من بلد إلى بلد) .

وإذا عرفنا أن امرأة مالك بن حمير ـ واسمها عكبرة ـ آمت منه وهى ترضع قضاعة ، فتزوجها معد ، فتبناه وتكنى به ، وهذا كثير فى العرب ـ فقد نسب بنو عبد مناة بن كنانة إلى على بن مسعود بن مازن بن الذئب الأسدى لأنه كان حاضن أبيهم وزوج أمهم ـ إذا عرفنا هذا استطعنا أن نعرف السر فى اختلاف النسابين وأن للرأيين نصيبا من الصحة .

(٥) ويكنى أبا مرة ، وهو من أصحاب رسول الله صلى الله وسلم ، وله عنه حديثان أحدهما فى أعلام النبوة والآخر : « من ولى أمر الناس فسد بابه دون ذوى الحاجة والخلة والمسكنة سد الله بابه دون حاجته وخلته ومسكنته يوم القيامة » .

(٦) يجوز فى « الحاف » قطع الهمزة وكسرها ، كأنه سمى بمصدر ألحف ، ويجوز أن يكون اسم الفاعل من حفى يحفى .

نحن بنو الشيخ الهِجان الأزْهَر[1] قضاعةَ بن مالك بن حِمْيرِ[2]
النسب المعروف غير المُنكَر في الحَجَر المنقوش تحت المِنْبر[3]

قنص بن معد ونسب النعمان ابن المنذر

قال ابن إسحاق :

وأمّا قُنُص بن معدّ فهلكت بقيّتهم ـ فيما يزعم نُسّاب معدّ ـ وكان منهم النُّعمان بن المنذر ملك الحِيرة . ٥

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن مسلم بن عبد الله بن شِهاب الزُّهْرىّ : أن النعمان بن المنذر كان من ولد قُنُص بن معدّ . قال ابن هشام : ويقال: قَنَص.

قال ابن إسحاق : وحدّثني يعقوب بن عُتْبة بن المُغِيرَة بن الأَخْنَس ، عن شيخ من الأنصار من بَنِي زُرَيق أنه حدّثه :

أن عمرَ بن الخطاب رضى الله عنه حين أُتى بسَيْف النعمان[4] بنُ المنذر ، دعا جُبَير بن مَطْعِم بن عَدِىّ بن نَوْفل بن عبد مناف بن قُصَىّ ـ وكان جُبَير من أنسب قريش لقريش وللعرب قاطبة ، وكان يقول : إنما أخذتُ النسبَ من أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه ، وكان أبو بكر الصدّيق أنسبَ العرب ـ فسلّحه[5] إياه ـ ثم قال : ممّن كان ـ يا جُبير ، النعمانُ بن المنذر ؟ فقال : كان من أشْلاء[6] قُنُص بن[7] معدّ . ١٠ ١٥

---

(١) الهجان : الكريم ، والأزهر : المشهور .

(٢) أوّل هذا الرجز :

يأيها الداعى ادعنا وأبشر وكن قضاعيا ولا تنزر

(٣) هذا الشطر الأخير ساقط فى ا . ويقال إن هذا الشعر لأفلح بن اليعبوب . (راجع الروض الأنف للسهيلى) . ٢٠

(٤) وكان ذلك حين افتتحت المدائن ، وكانت بها حرائب كسرى وذخائره فأخذت ، وكان فيها خمسة أسياف لم ير مثلها ، أحدها هذا السيف. (راجع الطبرى) .

(٥) سلحه إياه : قلده إياه ، وجعله سلاحا له .

(٦) الأشلاء: البقايا . وكان السبب فى هلاك أولاد قنص أنهم لما كثروا وانتشروا بالحجاز وقعت بينهم وبين بنى أبيهم حرب ، وتضايقوا فى البلاد ، وأجدبت بهم الأرض ، فساروا نحو سواد العراق ، وذلك أيام ملوك الطوائف ، فقاتلهم الأردانيون وبعض ملوك الطوائف ، وأجلوهم عن السواد ، وقتلوهم إلا أشلاء لحقت بقبائل العرب ، ودخلوا فيهم ، وانتسبوا إليهم . ٢٥

(٧) وقيل إن النعمان بن المنذر كان من ولد عجم بن قنص، إلا أن الناس لم يدروا ما عجم، فجعلوا مكانه لخما ، فقالوا هو من لخم . (راجع الطبرى) .

قال ابن إسحاق :

فأما سائر العرب فيزعمون أنه كان رجلاً من لَخْم، من ولد ربيعة بن نصر، فالله أعلم أىّ ذلك كان .

قال ابن هشام :

نسب لخم بن عدى

٥ لخم ابنُ عدىّ بن الحارث بن مرّة بن أُدَد بن زَيْد بن هَمَيْسع بن عمرو بن عَرِيب بن يشجب بن زَيْد بن كهلان بن سبأ ؛ ويقال : لَخْم ابن عدىّ بن عمرو بن سبأ ؛ ويقال : ربيعة ابن نصر[1] بن أبى حارثة بن عمرو بن عامر ، وكان تخلّف باليمن بعد خروج عمرو بن عامر من اليمن .

أمر عمرو بن عامر فى خروجه من اليمن

١٠ وقصة سد مارب

وكان سبب خروج عَمْرو بن عامر من اليمن - فيما حدّثنى أبو زَيْد الأنصارىّ - أنه رأى جُرَذاً[2] يحْفِر فى سدّ مارب ، الذى كان يَحْبِس عليهم الماء ، فيُصَرّفونه حيث شاءوا من أرضهم ، فعلم أنه لا بقاء للسدّ على ذلك ، فاعتزم على النُّقلة من اليمن ، فكاد قومَه ، فأمر أصغرَ ولده إذا أغلظ له
١٥ ولطمه أن يقوم إليه فيلطِمه ، ففعل ابنُه ما أمره به ؛ فقال عمرو : لا أقيم ببلد لَطَم وجهى فيه أصغرُ ولدى ، وعرض أموالَه . فقال أشراف من أشراف اليمن: اغتنموا غضبةَ عمرو ، فاشتروا منه أمواله . وانتقل فى ولده وولد ولده . وقالت الأزد : لا نتخلّف عن عمرو بن عامر ، فباعوا أموالهم ، وخرجوا معه ، فساروا حتى نزلوا بلاد عكّ مجتازين يرتادون البُلدان ، فحاربتهم عكّ ، فكانت حربهم

---

٢٠ (١) ويقال : هو نصر بن مالك بن شعوذ بن مالك بن عجم بن عمرو بن نمارة من لخم . (راجع الروض الأنف) .

(٢) الجرذ : الذكر من الفئران .

سِجالا[1] . ففى ذلك قال عبّاس بن مِرداس البيت الذى كتبنا[2] . ثم ارتحلوا عنهم فتفرّقوا فى البُلدان ، فنزل آلُ جَفْنة بن عمرو بن عامر الشام ، ونزلت الأوسُ والخزرج يثربَ ، ونزلت خُزاعة مَرًّا[3] ، ونزلت أزدُ السَّراةِ السراةَ[4] ، ونزلت أزدُ عُمانَ عُمانَ ؛ ثم أرسل الله تعالى على السدّ السيلَ فهدمه ، ففيه أنزل الله تبارك وتعالى على رسوله محمد صلّى اللهُ عليه وسلّم : « لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ » .

والعَرِم : السدّ ، واحدته : عَرِمة ، فيما حدثنى أبو عُبيدة .

قال الأعْشَى: أعشى بنى قَيْس بن ثعلبة بن عُكابة بن صَعْب بن علىّ بن بكر ابن وائل بن هِنْب بن أَفْصَى بن جَديلة بن أَسَد بن ربيعة بن نِزار بن معدّ . ـ قال ابن هشام : ويقال : أفصى بن دُعْمِىّ بن[5] جَديلة ـ واسم الأعشى مَيْمون ابن قيس بن جَنْدل بن شَراحيل بن عَوْف بن سَعْد بن ضُبَيْعة بن قيس بن ثعلبة :

وفى ذاك للمُؤْتَسِى أُسْوةٌ[6] ... ومَارِب عَفّى[7] عليها العَرِمْ

رُخامٌ بَنَتْه لهم حِمْيَرٌ ... إذا جاء[8] مَوّاره لم يَرِم

فأروى الزروعَ وأعنابَها ... على سَعةٍ ماؤهم إذ قُسِم

فصاروا أيادىَ[9] ما يقدِرو ... ن منه على شُرْب[10] طِفْلٍ فُطِم

---

(1) السجال : أن يغلب هؤلاء مرة وهؤلاء مرة ، وأصله من المساجلة فى الاستقاء ، وهو أن يخرج المستقى من الماء مثل مايخرج صاحبه .

(2) راجع هذا البيت والتعليق عليه (ص ٩ من هذا الجزء) .

(3) مر : هو الذى يقال له مر الظهران، ومر ظهران ، وهو موضع على مرحلة من مكة.

(4) قال الأصمعى : الطود : جبل مشرف على عرفة ينقاد إلى صنعاء يقال له السراة ، وإنما سمى بذلك لعلوه ، يقال له سراة ثقيف ، ثم سراة فهم وعدوان ، ثم سراة الأزد . (راجع معجم البلدان) .

(5) وعلى هذا الرأى ابن دريد فى كتابه «الاشتقاق» .

(6) المؤتسى : المقتدى . والإسوة (بالكسر والضم) : الاقتداء .

(7) ويروى : « نفى » ومعناها : محى .

(8) مواره (بضم الميم وفتحها) : تلاطم مائه وتموجه .

(9) أيادى : متفرقين .

(10) الشرب (بالضم) : المصدر . و (بالكسر) : الحظ والنصيب من الماء .

وهذه الأبيات فى قصيدة له .

وقال أُمَيّة بن أبى الصّلْت الثّقفى – واسم ثقيف قَسِىّ بن مُنَبِّه بن بكر بن هوازن بن مَنْصور بن عِكْرِمة بن خَصَفة بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر بن نِزار بن معدّ بن عدنان :

مِنْ سبأ الحاضرين مارب إذ ... يَبْنون من دون سَيْله العَرِمَا [1]

وهذا البيت فى قصيدة له . وتُروى للنابغة الجَعْدىّ ، واسمه قَيْس بن عبد الله أحد بنى جَعْدة بن كعب بن رَبِيعة بن عامر بن صَعْصعة بن معاوية بن بكر ابن هَوازن .

وهو حديث طويل ، منعنى من استقصائه ما ذكرت من الاختصار .

أمر ربيعة بن نصر ملك اليمن وقصة شق وسطيح الكاهنين معه

قال ابن إسحاق :

رؤيا ربيعة ابن نصر

وكان ربيعة بن نَصْر ملك اليمن بين أضعاف ملوك التبابعة ، فرأى رؤيا هالته وفَظِعَ[2] بها ، فلم يَدَعْ كاهناً ، ولا ساحرًا ، ولا عائفاً[3] ، ولا منجّماً من أهل مملكته إلا جمعه إليه ، فقال لهم : إنى قد رأيتُ رُؤْيا هالتنى ، وفَظِعْتُ بها ، فأَخْبرونى بها وبتأويلها ؛ قالوا له : اقصصها علينا نخبرك بتأويلها ؛ قال : إنى إن أخبرتكم بها لم أطمئنّ إلى خبركم عن تأويلها ، فإنه لايعرف تأويلها إلا مَنْ عرفها قبل أن أخبره بها . فقال له رجل منهم : فإن كان الملك يريد هذا فليبعث إلى

(١) فى هذا البيت شاهد على أن العرم هو السد .
(٢) يقال فظع بالأمر (كعلم) : إذا اشتد عليه .
(٣) العائف : الذى يزجر الطير .

سَطِيحٍ[1] وشِقّ[2] ، فإنه ليس أحدٌ أعلمَ منهما ، فهمايخبرانه بما سأل عنه .

نسب سطيح وشق

وأسم سَطِيح رَبيع بن رَبيعة بن مَسْعود بن مازن بن ذئب بن عدىّ بن مازن غسّان .

وشِقّ ابن صَعْب بن يَشْكر بن رُهْم بن أفْرَك بن قَسْر[3] بن عَبْقَر بن أنمار ابن نزار[4] ، وأنمار أبو بَجيلة وخثعم .

نسب بجيلة

٥

قال ابن هشام :

وقالت اليمن : وبَجيلة : [بنو][5] أنمار بن إراش بن لِحْيان[6] بن عمرو ابن الغَوْث بن نَبْت[7] بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ ؛ ويقال : إراش ابن عمرو بن لِحْيان بن الغوث[8] . ودار بجيلة وخثعم يمانية .

ربيعة بن نصر وسطيح

قال ابن إسحاق :

١٠

فبعث إليهما ، فقدم عليه سَطِيح قبلَ شِقّ ، فقال له : إنى رأيت رؤيا هالتنى وفَظِعتُ بها ، فأخبرنى بها ، فإنك إن أصبتَها أصبتَ تأويلَها . قال : أفعلُ ، رأيتَ حُمَمَة[9] خرجت من ظُلُمَة[10] ، فوقعت بأرض تَهَمَة[11] ،

---

(١) يقال : إنما سمى سطيح سطيحا لأنه كان كالبضعة الملقاة على الأرض ، فكأنه سطح عليها ، ويروى عن وهب بن منبه أنه قال : قيل لسطيح : أنى لك هذا العلم ؟ فقال : لى صاحب من الجن استمع أخبار السماء من طور سيناء حين كلم الله تعالى منه موسى عليه السلام ، فهو يؤدى إلى من ذلك مايؤديه ، وقد ولد هو وشق فى اليوم الذى ماتت فيه طريفة الكاهنة امرأة عمرو بن عامر .

١٥

(٢) يقال إنه سمى كذلك لأنه كان كشق إنسان ، كما يقال إن خالد بن عبد الله القسرى كان من ولده .

(٣) كذا فى ا . وفى م ، ر : «قيس» .

(٤) كذا فى م ، ر : وهى إحدى روايات المعارف لابن قتيبة . وفى ا : « أنمار بن أراش » .

٢٠

(٥) زيادة يقتضيها السياق .

(٦) ساق ابن دريد هذا الرأى إلا أنه لم يذكر فيه « لحيان » .

(٧) كذا فى ا والاشتقاق لابن دريد . وفى م ، ر : « نابت » .

(٨) ويقال أيضا فى نسب بجيلة وخثعم إنهما ليسا لأنمار ، وإنما هما حليفان لولده . (راجع المعارف لابن قتيبة) .

٢٥

(٩) الحمة : الفحمة ، وإنما أراد فحمة فيها نار .

(١٠) من ظلمة : أى من ظلام ، يعنى من جهة البحر ؛ يريد خروج عسكر الحبشة من أرض السودان .

(١١) التهمة : الأرض المتصوّبة نحو البحر .

فأكلتْ منها كلَّ ذات [1] جُمْجُمه ؛ فقال له الملك : ما أخطأتَ منها شيئاً يا سَطيح ، فما عندكَ فى تأويلها ؟ فقال : أَحْلف بما بين الْحَرّتين [2] من حَنَش ، لتهبطنّ أرضَكم الحَبَش [3] ، فليَملكُنّ مابين أَبْيَن [4] إلى جُرَش [5] ؛ فقال له الملك : وأبيك يا سَطِيح ، إن هذا لنا لغائظ مُوجِع ، فمتى هو كائن ؟ أفى زمانى هذا أم بعده ؟ قال : لا ، بل بعده بحين، أكثر من ستّين أو سبعين ، يمضين من السنين ؛ قال : أَفيدوم ذلك من مُلْكهم أم ينقطع ؟ قال : لا ، بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين ، ثم يُقتَلون ويُخرجون منها هاربين ؛ قال : ومَنْ يَلِي ذلك مِنْ قَتْلهم وإخراجهم ؟ قال : يليه إرَم [بن] [6] ذى يَزَن [7] ، يخرج عليهم من

---

(1) قال «كل ذات» لأن القصد إلى النفس والنسمة ، ويدخل فيه جميع ذوات الأرواح . (عن الروض الأنف) .

(2) الحرة : أرض فيها حجارة سود .

(3) يقال إنهم بنو حبش بن كوش بن حام بن نوح ، وبه سميت الحبشة .

(4) أبين (بفتح أوله ويكسر ، ويقال : يبين ، وذكره سيبويه فى الأمثلة بكسر الهمزة ، ولا يعرف أهل اليمن غير الفتح ، وحكى أبو حاتم قال : سألنا أبا عبيدة : كيف تقول : عدن أبين أو إبين ؟ فقال : أبين وإبين جميعا) : مخلاف باليمن منه عدن ، يقال إنه سمى بأبين ابن زهير بن أيمن . وقال الطبرى : عدن وأبين ابنا عدنان بن أدد ، وأنشد الفراء :

ما من أناس بين مصر وعالج وأبين إلا قد تركنا لهم وترا

ونحن قتلنا الأزد أزد شنوءة فما شربوا بعدا على لذة خمرا

وقال عمارة بن الحسن اليمنى الشاعر : أبين : موضع فى جبل عدن . (عن معجم البلدان) .

(5) جرش (بالضم ثم الفتح وشين معجمة) : من مخاليف اليمن من جهة مكة ، وقيل : هى مدينة عظيمة باليمن ، وولاية واسعة ، وذكر بعض أهل السير : أن تبعاً أسعد بن كلى كرب خرج من اليمن غازيا ، حتى إذا كان بجرش ، وهى إذ ذاك خربة ومعد حالّة حواليها ، خلف جمعا ممن كان صحبه رأى فيهم ضعفا ، وقال : اجرشوا هاهنا ، أى أثيروا ؛ فسميت جرش بذلك ، ولم أجد فى اللغويين من قال إن الجرش المقام .

وقال أبو المنذر هشام : جرش : أرض سكنها بنو منبه بن أسلم ، فغلبت على اسمهم ، هوجرش ، واسمه منبه بن أسلم بن زيد ، وإلى هذه القبيلة ينسب الغاز بن ربيعة . وفتحت جرش فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم فى سنة عشر للهجرة .

(6) زيادة يقتضيها السياق .

(7) المعروف : سيف بن ذى يزن ، ولكنه جعله إرما إما لأن الأرم هو العلم، فمدحه بذلك ، وإما أن يكون أراد تشبيهه بعاد إرم فى عظم الخلق والقوة . (راجع الروض الأنف) .

عدَن ، فلا يترك أحـداً منهم ببالين ؛ قال : أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع ؟ قال : لا ، بل ينقطع ؛ قال : ومَنْ يقطعه ؟ قال : نبيّ [1] زكيّ ، يأتيه الوحي من قِبَل العليّ ؛ قال وممن هذا النبيّ ؟ قال : رجل من ولد غالب بن فِهْر بن مالك ابن النَّضْر ، يكون المُلك فى قومه إلى آخر الدهر ؛ قال : وهل للدهر من آخِر ؟ قال : نعم ، يومٌ يُجمع فيه الأولون والآخِرون ، يَسعد فيه المُحسِنون ، ويَشقَى فيه المُسيئون ؛ قال : أحقٌّ ما تخبرنى ؟ قال : نعم ، والشَّفقِ والغسق ، والفَلَق إذا اتَّسق ، إنّ ما أنبأتُك به لحقّ .

ربيعة بن نصر وشق

ثم قدم عليـه شِقّ ، فقال له كقوله لسَطيح ، وكَتمه ما قال سطيح ، لينظر أيتفقان أم يختلفان ؛ فقال : نعم ، رأيتَ حُمَمه ، خرجت من ظُلُمه ، فوقعت بين روضة وأكمه ، فأكلتْ منها كلّ ذات نسمه .

قال : فلما قال له ذلك عرف أنهما قد اتفقا ، وأن قولهما واحـد ، إلا أن سَطيحاً قال : « وقعت بأرض تهَمه ، فأكلتْ منها كل ذات جُمْجمه » . وقال شق : « وقعت بين روضة وأكمه ، فأكلت منها كلّ ذات نسمه » .

فقال له الملك : ما أخطأت ياشِقّ منها شيئاً ، فـما عندك فى تأويلها ؟ قال : أحلف بما بين الحَرّتين من إنسان ، لينزلَن أرضَكم السودان ، فليغلبُنّ على كل طَفْلَة [2] البَنان ، وليملِـكُنّ ما بين أبْيَن إلى نجْران .

فقال له الملك : وأبيك يا شِق ، إن هذا لنا لغائظ مُوجِـع ، فمتى هو كائن ؟ أفى زمانى أم بعده ؟ قال : لا ، بل بعده بزمان ، ثم يَسْتنقذكم منهم عظيم ذو شان ، ويُذيقهم أشدّ الهوان ؛ قال : ومَنْ هـذا العظيم الشان ؟ قال : غلام

(١) قد عمر سطيح زمانا طويلا بعد هذا الحديث ، حتى أدرك مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، وحتى رأى كسرى أنوشروان ما رأى من ارتجاس الإيوان ، وخمود النيران ، فأرسل كسرى عبد المسيح بن عمرو ــ وكان سطيح من أخوال عبد المسيح ــ فقدم عبد المسيح على سطيح ، وقد أشفى على الموت ، وله معه حديث تراه مبسوطاً فى كتب التاريخ .

(٢) الطفلة : الناعمة الرخصة .

يس بَدَنِىّ ، ولا مُدَنّ [1] ، يخرج عليهم من بيت ذى يَزَن ، [فلا يترك أحداً منهم باليمن] [2] ؛ قال : أفيدوم سلطانه أم ينقطع ؟ قال : بل ينقطع برسول مُرسَل ، يأتى بالحق والعدل ، بين أهل الدِّين والفضل ، يكون المُلك فى قومه إلى يوم الفَصْل ؛ قال : وما يوم الفصل ؟ قال : يَوْمٌ تُجزى فيه الوُلاةْ ، ويدعى فيه من السماء بدَعَوات ، يسمع منها الأحياء والأموات ، ويُجمع فيه بين الناس للميقات ، يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات؛ قال أحق ماتقول ؟ قال : إى وربِّ السماء والأرض، وما بينهما من رَفْع وخَفْض، إن ما أنبأتك به لحق ما فيه أَمْض.

قال ابن هشام : أمض : يعنى شكاً ، هذا بلغة حمير ، وقال أبو عمرو : أمض ، أى باطل .

هجرة ربيعة ابن نصر إلى العراق

فوقع فى نفس رَبيعة بن نَصْر ما قالا . فجهّز بَنِيه وأهلَ بيته إلى العراق بما يُصْلِحهم ، وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خُرَّزاذ ، فأسكنهم الحِيرة .

نسب النعمان ابن المنذر

فمن بقيّة ولد ربيعة بن نصر النعمانُ بن المنذر ، فهو فى نسب اليمن وعِلْمِهم [3] : النعمان بن المُنْذر بن النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدىّ بن ربيعة ابن نصر ، ذلك الملك .

قال ابن هشام : النعمان ابن المنذر بن المنذر ، فيما أخبرنى خلف الأحمر .

استيلاء أبى كرب تبان أسعد على ملك اليمن وغزوه إلى يثرب

قال ابن إسحاق :

نسب تبان

فلما هلك ربيعة بن نصر رجع مُلْك اليمن كلّه إلى حسّان بن تُبان أسعد [4]

---

(١) المدنى : « بصيغة اسم الفاعل » المقصر فى الأمور أو الذى يتبع خسيسها . وفى ابن الأثير : «مزن» من أزننته بكذا : أى اتهمته به .

(٢) زيادة عن ا .

(٣) كذا فى ا . وفى م ، ر ، ط : « غلبهم » ولا معنى لها .

(٤) تبان أسعد : اسمان جعلا اسما واحداً، كما هى الحال فى معدى كرب . وتبان من التبانة ، وهى الذكاء والفطنة .

أبى كرب ـ وتِبَان أسعدهو تُبّع الآخِر ـ ابن كُلِى كَرِب [1] بن زيد ، وزيد هو تُبّع الأولُ بن عمرو ذى [2] الأذْعار [3] بن أُبرهة ذى المنار بن [4] الرّيش ـ قال ابن هشام : ويقال الرائش ـ قال ابن إسحاق : ابن عدىّ [5] بن صيفىّ بن سبأ الأصغر بن كَعْب ، كَهْف الظُّلْم [6] ، بن زَيْد بن سَهْل بن عمرو بن قَيْس بن معاوية بن جُشَم بن عبد شَمْس بن وائل بن الغَوْثِ بن قطَن بن عَرِيب بن زُهَير بن أيمَن بن الهَمَيْسع بن العَرَنْجَج ، والعَرَنْجَج [7] : حِمْير بن سبأ الأكبر ابن يَعْرُب بن يَشْجُب بن قَحْطان .

قال ابن هشام : يَشْجُب [8] : أبن يعرب بن قَحْطان .

شىء من سيرة تبان

قال ابن إسحاق :

وتُبان أسعد أبوكَرِب الذى قدم المدينة ، وساق الحَبْرَيْن من يهود [المدينة] [9] إلى اليمن ، وعمّر البيت الحرام وكساه ، وكان ملكه قبل مُلْك ربيعة بن نَصْر [10] .

---

(١) كذا فى جميع المراجع التى بين أيدينا ، وفى الأصل « كليككرب » وهو تحريف .

(٢) اتفق أبو الفداء وابن جرير مع ابن إسحاق على أن ذا الأذعار هو عمرو ، وخالفهما المسعودى فى « مروج الذهب » فقال إن اسمه العبد بن أبرهة ، كما ذهب ابن دريد فى كتابه « الاشتقاق » إلى أن ذاالأذعار هو تبع ، ولم يقف الخلاف فى المراجع التى بين أيدينا عند هذا فى ملوك اليمن ، بل تجاوزه إلى كثير غيره رأينا عدم إثباته إذ لاطائل تحته .

(٣) سمى ذا الأذعار لأنه ــ كما زعم ابن الكلبي ــ جلب النسناس إلى اليمن فذعر الناس ، وهو قول يحتاج إلى تمحيص . (راجع الاشتقاق ، وشرح السيرة لأبى ذر) .

(٤) قيل سمى ذا المنار لأنه غزا غزوا بعيدا ، وكان يبنى على طريقه المنار ليستدل به إذا رجع . (عن شرح السيرة) .

(٥) فى الطبرى « قيس »

(٦) يريد أن الظالم كان يلجأ إليه ، ويعتمد عليه ، فينصره .

(٧) ليست النون فى العرنجج زائدة، بل هو من قولهم : اعرنجج الرجل فى أمره : إذا جد فيه . (عن الاشتقاق) .

(٨) وعلى هذا الرأى جميع المراجع التى بين أيدينا .

(٩) زيادة عن : ا .

(١٠) الذى فى مروج الذهب : أن تبع بن حسان بن كلى كرب هو صاحب هذه الحادثة .

قال ابن هشام : وهو الذى يقال له :

ليتَ حظّى من أبى كَرِب أن يَسُدّ خَـــيْرُه خَبَله [(١)]

قال ابن إسحاق :

غضب تبان على أهل المدينة وسبب ذلك

وكان قد جعل طريقه ـ حين أقبل من المشرق ـ على المدينة ، وكان قد مرّ بها فى بَدْأته فلم يَهِج أهلَها ، وخلّف بين أظهرهم ابناً له ، فقُتل غِيلة ، فقدمها وهو مُجمِع لإخرابها ، واستئصال أهلها ، وقطع نخلها [(٢)] ؛ فجمع له هذا الحىّ من الأنصار ، ورئيسهم عَمْرو بن طَلّة أخو بنى النجّار ، ثم أحد بنى عمرو بن مَبْذول . واسم مَبْذول : عامر بن مالك بن النجّار ، واسم النجّار : تيم الله بن ثعلبة ابن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر .

قال ابن هشام :

نسب عمرو ابن طلة

عمرو بن طَلّةَ : عمرو بن معاوية بن عمرو بن عامر بن مالك بن النجّار ، وطَلّةُ أمه ، وهى بنت عامر بن زُرَيق [(٣)] بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب ابن جُشَم بن الخزرج .

قال ابن إسحاق :

سبب قتال تبان لأهل المدينة

وقد كان رجل من بنى عدىّ بن النجار ، يقال له أحمر ، عدا على رجل من أصحاب تبّع حين نزل بهم فقتله ، وذلك أنه وجده فى عَذْق [(٤)] له يَجُدّه [(٥)]

---

(١) الخبل : الفساد ، وقد نسب هـذا البيت إلى الأعشى خطأ ، وإنما هو لعجوز من بنى سالم يقال إن اسمها جميلة ، قالته حين جاء مالك بن العجلان بخبر تبع .

(٢) وقيل إن تبعا لم يقصد غزوها ، وإنما قصد قتل اليهود الذين كانوا فيها ، وذلك أن الأوس والخزرج كانوا نزلوها معهم حين خرجوا من اليمن على شروط وعهود كانت بينهم، فلم يف لهم بذلك اليهود واستضاموهم، فاستغاثوا بتبع، فعند ذلك قدمها . كما قيل إن هذا الخبر كان لأبى جبلة الغسانى . (راجع شرح السيرة لأبى ذر) .

(٣) كذا فى ا . وفى م ، ر ، ط : « زريق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة » .

(٤) العذق (بفتح العين) : النخلة . (وبكسرها) : الكباسة بما عليها من الثمر .

(٥) يجده : يقطعه .

فضرب به بِمنْجَله فقتله ، وقال : إنمـا التمر لمن أبَّرَهُ[1] . فزاد ذلك تُبَّعاً حَنقاً عليهم، فاقتتلوا . فتزعُم الأنصار أنهـم كانوا يقاتلونه بالنهار ، ويَقْرونه[2] بالليل ، فيعجبه ذلك منهم ، ويقول : والله إن قومنا لـكرام .

انصراف تبان عن إهـلاك المدينة وشعر خالد فى ذلك

فبينا تُبَّع على ذلك من قتالهم إذ جاءه حَبْران من أحبار اليهود ، من بنى قُرَيظة ـ وقُرَيظة والنَّضير والنَّجّام[3] وعمرو ، وهو هَدَل[4] ، بنو الخزرج بن الصريح بن التَّوْءمان[5] بن السِّبط بن اليَسَع بن سعد بن لاوىّ بن خَيْر بن النَّجّام ابن تَنْحوم بن عازَر بن عِزْرَى بن هارون بن عمران بن يَصْهر بن قاهث[6] ابن لاوى بن يعقوب ، وهو إسرائيل بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن ، صلّى الله عليهم ـ عالمـان راسخان فى العلم ، حين سمعا بما يريد من إهلاك المدينة وأهلها ، فقالا له : أيها الملك ، لا تفعل ، فإنك إن أبيتَ إلاّ ما تريد حِيل بينك وبينها ، ولم نأمن عليك عاجلَ العقوبة ؛ فقال لهما : ولِمَ ذلك ؟ فقالا : هى مهاجَرُ ، نبىّ يخرج من هذا الحرَم من قريش فى آخر الزمان ، تكون دارَه وقراره ؛ فتناهَى عن ذلك ، ورأى أنَّ لهما علماً ، وأعجبه ماسمع منهما ، فانصرف عن المدينة ، واتبعهما على دينهما . فقال خالد بن عبد العُزَّى بن غَزِيَّة بن عمرو [ابن عبد][7] بن عَوْف بن غُنْم بن مالك بن النجّار يفخر بعمرو بن طَلّة :

أَصَحا أم قد نهَى ذُكَرَه[8] ... أم قَضى من لذّة وَطَرَهْ
أم تذكَّرتَ الشبابَ وما ... ذِكْرُك الشباب أو عُصُرَه ![9]

(١) آبره : أصلحه .
(٢) يقرونه : يضيفونه ، وذلك لأنه كان نازلا بهم .
(٣) كذا فى ا ، وفى سائر الأصول : « النحام » بالحاء المهملة .
(٤) هو بفتح الهاء والدال ، كأنه مصدر هدل، إذا استرخت شفته. وعن ابن ماكولا عن أبى عبدة النسابة أنه بسكون الدال . (عن الروض الأنف) .
(٥) كذا فى ا ، وفى سائر الأصول : « التومان » .
(٦) وفى رواية : « قاهت » بالتاء المثناة .
(٧) زيادة عن الطبرى .
(٨) الذكر : جمع ذكرة (كغرفة) ، وهى بمعنى الذكرى نقيض النسيان . ورواية هذا الشطر فى الطبرى : * أصحا أم انتهى ذكره *
(٩) أراد : « أوعصره » (بالضم) . والعصر (بفتح العين وضمها) بمعنى، وحرك الصاد بالضم . قال ابن جنى : وليس شئ على وزن فعل (بسكون العين) يمتنع فيه فعل .

إنها حَرْب رَباعِيَــةٌ[1] مثلها أتى الفــتى عِبَرَهْ

فاسألا عِمْران أو أســداً إذ أتت عَدْوًا[2] معالزُّهَره[3]

فَيَلْقٌ فيها أبو كَرِبٍ سُـــبَّغ أبدانُهـا ذَفِره[4]

ثم قالوا : من نَؤُمّ بهـا أبَنى عَوْفٍ أم النَّجَره[5]

٥ بل بنى النجّار إنّ لنا فيهمُ قتـــلى و إنّ تِرَه[6]

فتلقّتهـــــم مُسايِفة[7] مدُّها كالغَبْيَة النَّثِرِه[8]

فيهمُ عَمْرو بن طَلّةَ مَــلّـى الإلهُ[9] قومَه عُمُرَه

سيّدٌ سامَى[10] الملوكَ ومَنْ رامَ عَمْراً لايكن قَدَرَه

---

(١) يريد : أى ليست بصغيرة ولا جذعة ، بل هى فوق ذلك ، وضرب سن الرباعية مثلا ،

١٠ كما يقال حرب عوان ، لأن العوان أقوى من الفتية وأدرب .

(٢) ويروى : « غدوا » (بالغين المعجمة) ، وهو الغدوة .

(٣) أى صبحهم بغلس قبل مغيب الزهرة، والزهرة : الكوكب المعلوم. ورواية هذا البيت فى الطبرى :

فسلا عمران أو فسلا أسدا إذ يغدو مع الزهره

١٥ (٤) سبغ : كاملة . والأبدان هنا : الدروع . وذفرة : من الذفر ، وهو سطوع الرائحة طيبة كانت أو كريهة ، وأما الدفر (بالدال المهملة) فهو فيما كره من الروائح .

(٥) يريد بنى النجار ، وهذا كما قيل المناذرة فى بنى المنذر . والنجرة : جمع ناجر ، والناجر والنجار بمعنى واحد ، والنجار : هم تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج ، وسمى النجار لأنه — فيما ذكر — نجر وجه رجل بقدوم .

٢٠ (٦) الترة : طلب الثأر . أراد : إن لنا قتلى وترة ، فأظهر المضمر ، وهذا البيت شاهد على حروف العطف يضمر بعدها العامل المتقدم ، نحو قولك : إن زيداً وعمراً فى الدار . فالتقدير : إن زيدا ، وإن عمراً فى الدار ، فقد دلت الواو على ما أردت ، وإن احتجت إلى الإظهار أظهرت ، كما فى هذا البيت ، إلا أن تكون الواو الجامعة ، نحو اختصم زيد وعمرو ، فليس ثم إضمار ، لقيام الواو مقام صفة التثنية . وعلى هذا تقول : طلع الشمس والقمر ، فتغلب المذكر ، كأنك قلت :

٢٥ طلع هذان النيران ، فإن جعلت الواو هى التى تضمر بعدها الفعل . قلت طلعت الشمس والقمر ، وتقول فى نفى المسألة الأولى : ماطلع الشمس والقمر ، وفى نفى المسألة الثانية : ماطلعت الشمس ولا القمر ، تعيد حرف النفى ليتنفى به الفعل المضمر (عن الروض الأنف) .

(٧) مسايفة (بكسر الياء) : يتقاتلون بالسيوف ، ومن رواه بفتح الياء جعله حالا .

(٨) الغبية : الدفعة من المطر . والنثرة : المنتثرة ، وهى التى لاتمسك ماء .

٣٠ (٩) ملى الإله قومه : أمتعهم به .

(١٠) سامى : ساوى . ويروى : « سام » ، أى كلفهم أن يكونوا مثله، فلم يقدروا على ذلك .

وهذا الحىّ من الأنصار يزعمون أنه إنما كان حنقُ تُبَّع على هذا الحىّ مِنْ يهود الذين كانوا بين أظْهُرِهم ، و إنما أراد هلاكهم فمنعوهم منه ، حتى انصرف عنهم ، ولذلك قال فى شعره :

حنقاً على سِبْطَيْن حَلاَّ يثر باً ... أَوْلى لهم بعقاب يوم ٍ مُفْسِدِ

قال ابن هشام :

الشعر الذى فيه هذا البيت مصنوع ، فذلك الذى منعنا من إثباته .

اعتناق تبان للنصرانية وكسوته البيت وتعظيمه وشعر سبيعة فى ذلك

قال ابن إسحاق :

وكان تُبَّع وقومه أصحابَ أوثان يعبدونها ، فتوجّه إلى مكة ، وهى طريقه إلى اليمن ، حتى إذا كان بين عُسْفَان [1] ، وأَمَج [2] أتاه نفر من هُذَيل بن مُدْركة ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معدّ ، فقالوا له : أيها الملك ، ألا ندلك على بيت مال داثر أغفلته الملوك قبلك ، فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة ؟ قال : بلى ؛ قالوا : بيت بمكة يعبده أهلُه ، و يصلون عنده . و إنما أراد الهذليون هلاكه بذلك ، لما عرفوا من هلاك مَنْ أراده من الملوك وبَغَى عنده . فلما أَجْمَع لما قالوا أرسل إلى الحَبْرين ، فسألهما عن ذلك ، فقالا له : ما أراد القومُ إلا

---

(١) عسفان (بضم أوله وسكون ثانيه ثم فاء وآخره نون) : فعلان من عسفت المفازة ، وهو يعسفها ، وهو قطعها بلا هداية ولا قصد ، وكذلك كل أمر يركب بغير روية . قيل: سميت عسفان لتعسف الليل فيها ، كما سميت الأبواء لتبوؤ السيل بها . قال أبو منصور: عسفان: منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة . وقال غيره : عسفان : بين المسجدين ، وهى من مكة على مرحلتين، وقيل: عسفان: قرية جامعة بها منبر ونخيل ومزارع على ستة وثلاثين ميلا من مكة ، وهى حد تهامة ، ومن عسفان إلى ملل يقال له الساحل ، وملل على ليلة من المدينة . وقال السكرى : عسفان: على مرحلتين من مكة على طريق المدينة ، والجحفة : على ثلاث مراحل وقد غزا النبى صلى الله عليه وسلم بنى لحيان بعسفان ، وقد مضى لهجرته خمس سنين وشهران وأحد عشر يوما .

(٢) أمج (بالجيم وفتح أوله وثانيه، والأمج فى اللغة: العطش): بلد من أعراض المدينة . وقال أبو المنذر هشام بن محمد : أمج وغران : واديان يأخذان من حرّة بنى سليم ويفرغان فى البحر .

هلاكَك وهلاكَ جندك ، مانعلم بيتاً لله اتخذه فى الأرض لنفسه غيرَه ، ولئن فعلت ماَدعَوْكَ إليه لتهلِكن وليهلِكن من معك جميعا ؛ قال : فماذا تأمرانني أن أصنع إذا أنا قدمت عليه ؟ قالا : تصنع عنده ما يصنع أهله : تطوف به ، وتعظّمه وتكرمه ، وتحلِق رأسك عنده ، وتذِلّ له . حتى تخرج من عنده ؛ قال : فما يمنعكما أنتما من ذلك ؟ قالا : أما والله إنه لبيت أبينا إبراهيم ، وإنه لكما أخبرناك ، ولكنّ أهلَه حالوا بيننا وبينه بالأوثان التى نصبوها حولَه ، وبالدماء التى يُهْرِيقون عنده ، وهم نَجَس أهل شرك ــ أو كما قالا له ــ فعرف نصحَهما وصِدْقَ حديثهما ، فقرّب النفرَ من هُذَيل، فقطع أيديهم وأرجلَهم ، ثم مضى حتى قدم مكة ، فطاف بالبيت ، ونحر عنده ، وحلق رأسه ، وأقام بمكة ستة أيام ــ فيما يذكرون ــ ينحر بها للناس، ويُطعم أهلها ويسقيهم العسل ، وأُرِى فى المنام أن يكسو البيت ، فكساه الخَصَف [1] ؛ ثم أُرى أن يكسوه أحسن من ذلك ، فكساه المَعافر [2] ؛ ثم أُرى أن يكسوه أحسن من ذلك ، فكساه المُلاء [3] والوصائل، فكان تبَّع ــ فيما يزعمون ــ أولَ من كسا البيت [4]، وأوصى به وُلاتَه من جُرْهم ، وأمرهم بتطهيره، وألاّ يُقرّبوه دماً ولا ميتة ولا مِثلاة [5]، وهى المحائض [6]، وجعل له بابا ومفتاحا [7]

---

(١) الخصف: حصر تنسج من خوص النخل ومن الليف، فيسوى منها شقق تلبس بيوت الأعراب.
(٢) المعافر : ثياب تنسب إلى قبيلة من اليمن . وأصله المعافرىّ ، ثم صار اسما لها بغير نسبة.
(٣) الملاء : جمع ملاءة، وهى الملحفة. والوصائل: ثياب مخططة يمنية، يوصل بعضها إلى بعض.
(٤) كانت قريش فى زمن الجاهلية تشترك فى كسوة الكعبة، حتى نشأ أبو ربيعة بن المغيرة فقال: أنا أكسو الكعبة سنة وحدى، وجميع قريش سنة، واستمر يفعل ذلك إلى أن مات. ثم كساها النبى صلى الله عليه وسلم الثياب اليمانية ، وكساها أبو بكر وعمر وعثمان وعلى . وكسيت فى زمن المأمون والمتوكل والعباس ، ثم فى زمن الناصر العباسى كسيت السواد من الحرير ، ثم هى تكسى إلى الآن فى كل سنة ، ويقال إن أول من كسا الكعبة الديباج الحجاج ، وقيل : بل عبد الله بن الزبير .
(٥) كذا فى ط ، والطبرى ، والمثلاة : خرقة الحيض ، وجمعها : مآلٍ ، وفى سائر الأصول : « مثلاثاً » بالثاء المثلثة ، ولا معنى لها .
(٦) لعله يريد : المحيضة (واحدة المحائض) ، وهى خرقة الحيض ، إذ السياق يقتضى الإفراد.
(٧) ويروون لتبع هذا شعراً حين كسا البيت ، وهو :

وكسونا البيت الذى حرم الله ملاء منضدا وبرودا
فأقمنا به من الشهر عشرا وجعلنا لبابه إقليدا

وقالت سُبَيعة بنت الأحَبِّ[1] بن زَبِينة[2] بن جذيمة بن عوف بن نصر بن معاوية ابن بكر بن هَوازِن بن منصور بن عِكْرِمة بن خَصَفة بن قيس بن عيلان ، وكانت عند عبد مناف بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرّة بن كعب بن لؤىّ ابن غالب بن فِهْر بن مالك بن النضر بن كنانة ، لابن لها منه يقال له خالد : تعظّم عليه حُرْمة مكة ، وتنهاه عن البغى فيها ، وتذكر تُبَّعاً وتذلله لها ، وما صنع بها[3] :

أَبُنىّ لا تظلِمْ بمكّةَ لا الصغيرَ ولا الكبيرْ
واحفظ مَحارِمَها بُنَىّ ولا يغرّنْك الغَرورْ
أبُنى من يظلم بمكّة يلق أطْرافَ الشُّرورْ
أبُنى يُضربْ وجهُه وَيلُحْ بخدّيه السعيرْ
أبُنى قد جرّبتها فوجدتُ ظالمها يبورْ[4]
الله آمنها وما بُنيت بعَرْصتها قُصورْ
والله آمن طيرَها والعُصْم[5] تأمن فى ثَبيرْ[6]
ولقد غزاها تُبَّع فكَسا بَنِيَّتها الحَبِيرْ[7]
وأذلّ ربى مُلْكه فيها فأَوْفى بالنُّذُورْ

=
ونحرنا بالشعب ستة ألف فترى الناس نحوهن ورودا
ثم سرنا عنه نؤم مهيلا فرفعنا لواءنا معقودا

(١) وتروى بالجيم بدل الحاء .

(٢) زبينة (بالزاى والباء الموحدة ثم الياء والنون) : فعيلة من الزبن ، والنسب إليها زبانى على غير قياس . ولو سمى به رجل لقيل فى النسب إليه زبنى على القياس .

(٣) وقيل إنما قالت بنت الأحب هذا الشعر فى حرب كانت بين بنى السباق بن عبد الدار وبين بنى على بن سعد بن تيم حين تفانوا ولحقت طائفة من بنى السباق بعك فهم فيهم ، ويقال إنه أول بغى كان فى قريش . (عن الروض الأنف) .

(٤) يبور : يهلك .

(٥) العصم : الوعول ، لأنها تعتصم بالجبال .

(٦) ثبير : جبل بمكة .

(٧) بنيتها : يعنى الكعبة . والحبير : ضرب من ثياب اليمن موشى .

يَمْشى إليها حافياً بفنائها ألفا بعـــيرْ
وَيظلّ يُطعِم أهلَهـا لحمَ المَهارى[1] والجَزورْ
يَسْقيهمُ العسلَ المُصَـفّـى والرَّحِيضَ[2] من الشعيرْ
والفيل أهلك جيشــه يُرْمَوْن فيها بالصُّخُورْ
والملْك فى أقصى البلا د وفى الأعاجم والخزيرْ[3]
فاسمعِ إذا حُدِّثتَ وافـــهم كيف عاقبة الأمورْ

قال ابن هشام : يوقف على قوافيها لا تعرب[4].

دعوة تبان قومه إلى النصرانية وتحكيمهم النار بينهم وبينه

ثم خرج منها متوجهاً إلى اليمن بمن معه من جنوده وبالحبْرين ، حتى إذا دخل اليمن دعا قومه إلى الدخول فيما دخل فيه ، فأبَوْا عليه ، حتى يحاكموه إلى النار التى كانت باليمن

قال ابن إسحاق : حدّثنى أبو مالك بن ثعْلَبة بن أبى مالك القُرَظِىّ ، قال سمعت إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله يحدث :

أن تبعاً لمّـا دنا من اليمن ليدخلها حالت حِمْير بينه و بين ذلك : وقالوا : لا تدخلها علينا ، وقد فارقت دينَنا ؛ فدعاهم إلى دينه وقال : إنه خير من دينكم ؛ فقالوا : فحاكِمْنا إلى النار ؛ قال : نعم . قال : وكانت باليمن — فيما يزعم أهل اليمن — نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه ، تأكل الظالمَ ولا تضرّ المظلوم ، فخرج قومه بأوثانهم وما يتقرّبون به فى دينهم ، وخرج الحَبْران بمصاحفهما فى أعناقهما متقلّدَيْها ، حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذى تخرج منه ، فخرجت النار إليهم ، فلما أقبلت نحوهم حادوا عنها وهابوها ، فذَمَرَهم[5] مَنْ حضرهم من الناس، وأمروهم بالصبر لها،

---

(1) المهارى : الابل العراب النجيبة .
(2) الرحيض : المنقى ، والمصفى .
(3) كذا فى شرح السيرة . والخزير : أمة من العجم ، ويقال لهم الخزر أيضاً . وفى ا : « الجزير » . قال أبو ذر : « ويحتمل أن يكون جمع جزيرة بيلاد العرب » . وفى م ، ر : « الخذير » ولا معنى لها
(4) كذا فى أكثر الأصول . وفى ا : « قال ابن هشام : وهذا الشعر مقيد ، والمقيد : الذى لا يرفع ولا ينصب ولا يخفض » .
(5) ذمرهم : حضهم وشجعهم .

فصبروا حتى غَشِيَتْهم ، فأكلت الأوثان وما قرّبوا معها ، ومَنْ حمل ذلك من رجال حِمْير ، وخرج الحَبْران بمصاحفهما فى أعناقهما تَعْرَق جباههما لم تضرّها ، فأصفقت[1] عند ذلك حمير على دينه ؛ فمن هنالك وعن ذلك كان أصل اليهودية باليمن..

قال ابن إسحاق : ٥

وقد حدثنى محدّث أن الحَبْرين ، ومَنْ خرج من حمير ، إنما اتبعوا النار ليردّوها ، وقالوا : من ردّها فهو أولى بالحق . فدنا منها رجال من حِمْير بأوثانهم ليردّوها ، فدنت منهم لتأكلهم ، فحادوا عنها ولم يستطيعوا ردّها ، ودنا منها الحَبْران بعد ذلك ، وجعلا يتلوان التوراة وتنكُص عنهما ، حتى ردّاها إلى مخرجها الذى خرجت منه ، فأصفقت عند ذلك حمير على دينهما ، والله أعلم أى ذلك كان . ١٠

رئام وما صار إليه

قال ابن إسحاق :

وكان رئام[2] بيتاً لهم يعظّمونه ، و ينحرون عنده، ويُكلَّمون [منه][3] إذ كانوا على شركهم ؟ فقال الحَبْران لتُبَّع : إنما هو شيطان يفتنهم بذلك ، فخلّ بيننا و بينه ؛ قال : فشأنكما به ، فاستخرجا منه ــ فيما يزعم أهل اليمن ــ كلباً أسود فذبحاه ، ثم هدما ذلك البيت ، فبقاياه اليوم ــ كما ذُكر لى ــ بها آثار الدماء التى كانت تُهْراق عليه . ١٥

ملك ابنه حسان بن تبان وقتل عمرو أخيه [له] [4]

سبب قتله

فلما ملك ابنه حسان بن تبان أسعد أبى كَرِب سار بأهل اليمن يريد أن يطأ بهم أرضَ العرب وأرضَ الأعاجم ، حتى إذا كانوا ببعض أرض العراق ــ

---

(١) يقال : أصفقوا على الأمر ، إذا اجتمعوا عليه .

(٢) بيت رئام : اسم لموضع الرحمة التى كانوا يلتمسونها منه . مأخوذ من رأم الأنثى ولدها ، وذلك إذا عطفت عليه ورحمته . ٢٠

(٣) زيادة عن ا .

(٤) زيادة يقتضيها السياق .

قال ابن هشام : بالبَحْرين ، فيما ذَكر لى بعضُ أهل العلم ـ كرهتْ حِمْير وقبائلُ اليمن المسيرَ معه ، وأرادوا الرّجعة إلى بلادهم وأهلهم ، فكلّموا أخاً له يقال له عمرو ، وكان معه فى جيشه ، فقالوا له : اُقتل أخاك حسّان ونملّكك علينا ، وترجع بنا إلى بلادنا ، فأجابهم . فاجتمعوا على ذلك إلا ذا رُعَين[1] الحميرىّ ، فإنه نهاه عن ذلك ، فلم يقبل منه ، فقال ذو رُعَين :

ألاَ مَنْ يشترى سَهَرًا بنوم ... سَعيدٌ من يبيت قريرَ عَيْنِ[2]

فإمّا حِمْيرٌ غدرتْ وخانت ... فمعــذرةُ الإله لذى رُعَين

ثم كتبهما فى رقعة ، وختم عليها ، ثم أتى بها عَمْراً ، فقال له : ضع لى هذا الكتاب عندك ، ففعل ، ثم قتل عمرو أخاه حسّان ، ورجع بمن معه إلى اليمن ؛ فقال رجل من حمير :

لاهِ[3] عَينا الذى رأى مثل حسّا ... ن قتيلاً فى سالف الأحْقابِ

قتلتْه مَقاوِلٌ[4] خشيةَ الحَبْـــس غداةً قالوا : لَبَابِ لَبابِ

مَيْتكم خيرنا وحَيّـكمُ ربٌّ ... علينا وكلكم أربابى

قال ابن إسحاق : وقوله لباب لباب : لابأس لابأس ، بلغة حمير[5] . قال ابن هشام : ويروى : لِبَاب لِبَاب .

قال ابن إسحاق :

ندم عمرو وهلاكه

فلما نزل عمرو بن تِبان اليمنَ مُنع منه النوم ، وسُلّط عليه السهر ، فلما جَهَده

---

(١) رعين : تصغير رعن . والرعن : أنف الجبل . وقيل : رعين : جبل باليمن ، وإليه ينسب ذو رعين هذا .

(٢) فى البيت حذف تقديره : من يشترى سهراً بنوم غير سعيدبل من يبيت قرير عين هو السعيد ، لحذف الخبر لدلالة أول الكلام عليه .

(٣) أراد : لله ، وحذف لام الجر واللام الأخرى مع ألف الوصل ، وهذا حذف كثير ، ولكنه جار فى هذا الاسم خاصة لكثرة وروده على الألسنة .

(٤) يريد الأقيال ، وهم الذين دون التبابعة ، واحدهم قيل (مثل سيد ، ثم خفف) . وقال أبو ذر : المقاول : الذين يخلفون الملوك إذا غابوا .

(٥) وقيل : هى كلمة فارسية معناها : القفل ، والقفل : الرجوع .

ذلك سأل الأطباء والحُزاة[1] من الـكهّان والعرّافين[2] عما به ؛ فقال له قائل منهم : إنه والله ما قتل رجل قطُّ أخاه ، أو ذا رَحِمه بغياً على مثل ما قتلتَ أخاكَ عليه ، إلا ذهب نومُهُ ، وسُلِّط عليه السهر . فلما قِيل له ذلك حمل بقتل كل من أمره بقتل أخيه حسّان من أشراف اليمن ، حتى خلَص إلى ذى رُعَين ، فقال له ذو رُعَين : إن لى عندك براءةً ؛ فقال : وما هى ؟ قال : الـكتاب الذى دفعتُ إليك ؛ فأخرجه فإذا فيه البيتان ، فتركه ورأى أنه قد نصحه وهلك عمرو ، فمرج[3] أمرُ حِمْير عند ذلك وتفرّقوا .

وثوب لخنيعة ذى شناتر على ملك اليمن

توليه الملك وشيء من سيرته ثم قتله

فوثب عليهم رجل من حِمْير لم يكن من بيوت المملكة ، يقال له لَخْنيعة[4] ينوف ذو شَنَاتر[5] ، فقتل خِيارَهم ، وعبِث ببيوت أهل المملكة منهم ؛ فقال قائل من حِمْير للخنيعة :

تقتِّل أبناها وتَنْفى سَراتَها ... وتبنى بأيديها لها الذلَّ حِمْيرُ
تُدَمِّر دُنياها بطَيْش حُلُومِها ... وما ضيَّعت من دينها فهو أكثر
كذاكَ القُرون قبل ذاكَ بظلمها ... وإسرافها تأتى الشرورَ فتخسَر

وكان لَخْنيعة امرأً فاسقاً يعمل عملَ قوم لوط ، فكان يُرسل إلى الغلام من أبناء الملوك فيقع عليه فى مَشْرُبة[6] له قد صنعها لذلك ، لئلاً يَمْلِك بعد ذلك . ثم يطلُع من مشربته تلك إلى حَرَسه ومَنْ حضر من جنده ، قد أخذ مِسْواكاً

(1) الحزاة : الذين ينظرون فى النجوم ويقضون بها ، واحدهم حاز .
(2) العرافون : ضرب من الـكهان يزعمون أنهم يعرفون من الغيب مالايعرف الناس .
(3) اختلط والتبس ، وفى ا : « هرج » ، وفى م ، ر : « مرج » .
(4) قال ابن دريد: المعروف فيه:لخيعة (بغير نون) . مأخوذ من اللخع ، وهواسترخاء اللحم .
(5) الشناتر : الأصابع ، بلغة حمير .
(6) المشربة : الغرفة المرتفعة .

فجعله فى فيه ، أى ليُعْلمهم أنه قد فرغ منه . حتى بعث إلى زُرْعَةَ ذى[1] نُواس ابن تِبان أسعد أخى حسّان ، وكان صبيًا صغيرًا حين قُتل حسّان ، ثم شبّ غلامًا جميلا وسيما[2] . ذا هيئة وعقل ؛ فلما أتاه رسولُه عرف مايريد منه ، فأخذ سكّيناً حديداً لطيفاً ، فخبّأه بين قدمه ونعله ، ثم أتاه. فلما خلا معه وثب إليه، فواثبه ذو نواس، فوجأه[3] حتى قتله ، ثم حزّ رأسه ، فوضعه فى الكُوّة التى كان يُشرف منها ، ووضع مِسْواكَه فى فيه ، ثم خرج على الناس ، فقالوا له : ذا نواس ، أرَطْب أمْ يَبَاس[4] ؟ فقال : سَلْ نَخْماس[5] استرطبان[6] ذو نواس . استرطبان لا باس[7] ــ قال ابن هشام : هذا كلام حِمْير . ونخماس : الرأس[8] ــ فنظروا إلى الكوة فإذا رأس لَخْنيعة مقطوع ، فخرجوا فى إثر ذى نواس حتى أدركوه ، فقالوا : ما ينبغى أن يملكنا غيرك : إذ أرَحْتنا من هذا الخبيث .

---

(١) زرعة : هو من قولهم : زرعك الله : أى أنبتك ، وسموا بزارع كما سموا بنابت ، وسمى ذا نواس ، لأنه كان له غديرتان من شعر كانتا تنوسان : أى تتحركان وتضطربان .

(٢) وسيما : حسنا .

(٣) وجأه : ضربه .

(٤) يباس : يبيس .

(٥) كذا فى ا وشرح السيرة ، وقد نبه السهيلى : فى كتابه «الروض الأنف» على أن هذا هو الصحيح ، ويروى بالنون (أو بالتاء) مع حاء مهملة ، وبهذه الرواية الأخيرة ورد فى م، ر.

(٦) يقال : إن هذه كلمة فارسية ومعناها : أخذته النار .

(٧) كذا وردت هذه العبارة بالأصل ، وهى غير واضحة . وسياقها فى الأغانى : « كان الغلام إذا خرج من عند لخنيعة ، وقد لاط به قطعوا مشافر ناقته وذنبها وصاحوا به . أرطب أم يباس ، فلما خرج ذو نواس من عنده ، وركب ناقة له يقال لها السراب . قالوا : ذونواس، أرطب أم يباس ؟ فقال : ستعلم الأحراس ، است ذى نواس ، است رطبان أم يباس » . فلعل مافى الأصل هنا محرف عن هذا .

(٨) وقيل : نخماس : رجل كان منهم ثم تاب ، يعنى أنه كان يعمل عمل لخنيعة .

ملك ذى نواس

فملكوه، واجتمعت عليه حمير وقبائل اليمن ، فكان آخرَ ملوك حمير ، وهو صاحب الأخدود[1] ، وتَسَمَّى يوسف ، فأقام فى ملكه زماناً .

النصرانية بنجران

وبنَجْران بقايا من أهل دين عيسى بن مريم عليه السلام على الإنجيل ، أهل فضل ، واستقامة من أهل دينهم ، لهم رأس يقال له عبد الله بن الثامر ، ٥ وكان موقع أصل ذلك الدين بنجران ، وهى بأوسط أرض العرب فى ذلك الزمان، وأهلها وسائر العرب كلها أهل أوثان يعبدونها ، وذلك أنّ رجلاً من بقايا أهل ذلك الدين ــ يقال له فَيْمِيُون[2] ــ وقع بين أظهرهم ، فحملهم عليه ، فدانوا به .

ابتداء وقوع النصرانية بنجران

فيمون وصالح ونشر النصرانية بنجران

قال ابن إسحاق : حدثنى المغيرة بن أبى لبيد مولى الأَخْنس عن وهب ١٠ ابن مُنبّه اليمانى أنه حدّثهم :

أن موقع ذلك الدين بِنَجْران كان أنّ رجلاً من بقايا أهل دين عيسى ابن مريم يقال له فَيْمِيُون . وكان رجلاً صالحاً مجتهداً زاهداً فى الدنيا ، مجاب الدعوة ، وكان سائحاً ينزل بين القرى ، لا يُعْرَف بقرية إلا خرج منها إلى قرية لا يُعرف بها ، وكان لا يأكل إلا من كَسْب يديه ، وكان بنّاء يعمل الطين ١٥

---

(١) ويقال إن الذين خدوا الأخدود ثلاثة : تبع صاحب اليمن ، وقسطنطين بن هلانى (وهلانى أمه) حين صرف النصارى عن التوحيد إلى عبادة الصليب ، وبختنصر من أهل بابل ، حين أمر الناس أن يسجدوا له فامتنع دانيال وأصحابه ، فألقاهم فى النار .

(٢) فى الروض الأنف : « فيمؤن » وفى الطبرى : « قيمؤن » بالقاف ، وقيل إن اسمه ٢٠ يحيى ، وكان أبوه ملكا فتوفى ، وأراد قومه أن يملكوه بعد أبيه، ففر من الملك ولزم السياحة.

وكان يعظّم الأحد ، فإذا كان يوم الأحد لم يعمل فيه شيئاً ، وخرج إلى فَلَاة من الأرض فصلّى بها حتى يُمسى . قال : وكان فى قرية من قرى الشام يعمل عمله ذلك مستخفياً ، ففَطِن لشأنه رجلٌ من أهلها يقال له صالح ، فأحبّه صالح حبًّا لم يحبّه شيئاً كان قبلَه ، فكان يتبعه حيث ذهب ، ولا يفطُن له فَيْمِيون ؛ حتى خرج مرّة فى يوم الأحد إلى فلاة من الأرض ، كما كان يصنع ، وقد أتبعه صالح وفَيْمِيُون لا يدرى ، فجلس صالح منه منظر العين مستخفياً منه ، لا يحب أن يعلم بمكانه . وقام فيميون يصلى ، فبينما هو يصلى إذ أقبل نحوه التِّنّين ـ الحية ذات الرءوس السبعة[1] ـ فلما رآها فيميون دعا عليها فماتت ، ورآها صالح ولم يدر ما أصابها ، فخافها عليه ، فعِيلَ عَوْلُه[2] ، فصرخ : يا فيميون ، التنين قد أقبل نحوك ؛ فلم يلتفت إليه ، وأقبل على صلاته حتى فرغ منها ، وأمسى فانصرف . وعَرَف أنه قد عُرِف ، وعرف صالح أنه قد رآى مكانه ؛ فقال [له : يا][3] فيميون ، تعلم والله أنى ما أحببتُ شيئا قطُّ حبَّكَ ، وقد أردت صحبتك ، والكينونة معك حيث كنت ؛ فقال : ما شئتَ ، أمرى كما ترى ، فإن علمتَ أنك تقوى عليه فنعم ؛ فلزمه صالح . وقد كاد أهل القرية يفطُنون لشأنه ، وكان إذا فاجأه[4] العبدُ به الضُّرُّ دعا له فشُفِي ، وإذا دُعِى إلى أحد به ضر لم يأته ؛ وكان لرجل من أهل القرية ابنٌ ضرير ، فسأل عن شأن فَيْمِيون فقيل له : إنه لا يأتى أحداً دعاه ، ولكنه رجل يعمل للناس البنيان بالأَجْر . فعمد الرجل إلى ابنه ذلك فوضعه فى حجرته وألقى عليه ثوبًا ، ثم جاءه فقال له : يا فيميون ، إنى قد أردت أن أعمل فى بيتى عملاً فانطلق معى إليه حتى تنظر إليه ، فأشارِطك عليه . فانطلق معه ، حتى دخل

---

(١) يعنى بالرءوس هنا : القرون . (عن شرح السيرة) .

(٢) عيل عوله : أى غلب على صبره ، يقال : عاله الأمر ، إذا غلبه .

(٣) زيادة عن ا .

(٤) كذا فى م ، ر ، ط ، والطبرى . وفى ا ، ومعجم البلدان لياقوت (ج ٤ ص ٧٥٢ طبع أوربا) : « فاء جاءه » .

حجرته ، ثم قال له : ما تريد أن تعمل فى[1] بيتك هذا ؟ قال : كذا وكذا ؛ ثم انتَشَطَ[2] الرجلُ الثوب عن الصبى ، ثم قال له : يا فيميون ، عبد من عباد الله أصابه ما ترى فادع الله له . فدعا له فيميون ، فقام الصبى ليس به بأس . وعرف فيميون أنه قد عُرف فخرج من القرية وأتبعه صالح ، فبينما هو يمشى فى بعض الشام إذ مرّ بشجرة عظيمة . فناداه منها رجل فقال : يا فيميون ؛ قال : نعم ؛ ٥
قال : مازلتُ أنظرك[3] وأقول متى هوجاء، حتى سمعتُ صوتكَ، فعرفت أنك هو، لاتبرحْ حتى تقوم علىّ، فإنى ميّت الآن ؛ قال : فمات وقام عليه حتى واراه ، ثم انصرف . وتبعه صالح، حتى وطئا بعضَ أرض العرب ، فعدَوْا عليهما . فاختبطتهما سيّارة من بعض العرب ، فخرجوا بهما حتى باعوهما بِنَجْران ، وأهل نجران يومئذ على دين العرب ، يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم ، لها عيد فى كل سنة ، إذا ١٠
كان ذلك العيد علقوا عليها كل ثوب حسن وجدوه ، وحلىّ النساء ، ثم خرجوا إليها فعكفوا عليها يوماً . فابتاع فيميونَ رجلٌ من أشرافهم ، وابتاع صالحاً آخرُ . فكان فيميون إذا قام من الليل يتهجّد فى بيت له ــ أسكنه إياه سيّده ــ يصلّى، استسرج له البيتُ نوراً حتى يصبح من غير مصباح ؛ فرأى ذلك سيّده فأعجبه مايرى منه ، فسأله عن دينه فأخبره به ، وقال له فيميون : إنما أنتم فى باطل ، إن هذه النخلة ١٥
لا تضرّ ولا تنفع ، ولو دعوت عليها إلٰهى الذى أعبده لأهلكها ، وهو الله وحده لا شريك له . قال : فقال له سيده : فافعل ، فإنك إن فعلت دخلنا فى دينك ، وتركنا ما نحن عليه . قال : فقام فيميون، فتطهّر وصلّى ركعتين، ثم دعا الله عليها، فأرسل الله عليها ريحاً َجَعَفَتْها[4] من أصلها فألقتها ، فاتبعه عند ذلك أهل نَجْران على دينه ، فحملهم على الشريعة من دين عيسى بن مريم عليه السلام ، ثم ٢٠

---

(١) كذا فى الطبرى . وفى جميع الأصول : « من » .

(٢) انتشط الثوب : كشفه بسرعة .

(٣) فى الطبرى : أنتظرك . والنظر والانتظار بمعنى .

(٤) جعفتها : قلعتها وأسقطتها .

دخلت عليهم الأحداث التى دخلت على أهل دينهم بكل أرض ، فمن هنالك كانت النصرانية بِنَجْران فى أرض العرب .

قال ابن إسحاق : فهذا حديث وَهْب بن مُنَبِّه عن أهل نجران .

أمر عبد الله بن الثامر وقصة أصحاب الأخدود

فيميون وابن الثامر واسم الله الأعظم

٥ قال ابن إسحاق : وحدّثنى يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القُرَظىّ ، وحدّثنى أيضاً بعض أهل نَجْران عن أهلها :

أن أهل نَجْران كانوا أهلَ شِرْك يعبدون الأوثان ، وكان فى قرية من قُراها قريباً من نَجْران — ونجران : القرية العُظْمى التى إليها جماع أهل تلك البلاد — ساحرٌ يعلِّم غلمان أهل نجران السحرَ . فلما نزلها فَيْمِيُون — ولم يسمُّوه لى باسمه

١٠ الذى سمّاه به وَهْب بن مُنَبِّه ، قالوا : رجل نزلها — ابتنى خيمةً بين نجران و بين تلك القرية التى بها الساحر ، فجعل أهل نجران يُرْسِلون غلمانهم إلى ذلك الساحر يعلّمهم السحر ، فبعث إليه الثّامرُ ابنَه عبدَ الله بن الثامر، مع غلمان أهل نجران ؛ فكان إذا مرّ بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى منه من صلاته وعبادته ، فجعل يجلس إليه ، ويسمع منه ، حتى أسلم ، فوحّد الله وعبده وجعل يسأله عن شرائع

١٥ الإِسلام ، حتى إذا فَقُهَ فيه جعل يسأله عن الاُسم الأعظم ، وكان يعلمه ، فكتمه إياه ، وقال [له] [1] : يابن أخى ، إنك لن تحملَه ، أخشَى عليك ضعفَك عنه . والثامر أبو عبد الله لايظنّ إلا أنّ ابنَه يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان ، فلما رأى عبدُ الله أنّ صاحبَه قد ضنّ به عنه ، وتخوّف ضعفَه فيه ، عَمَد إلى قداح فجمعها ، ثم لم يُبْقِ لله اسماً يعلمه إلا كتبه فى قِدْح [1] ، لكلّ اسمٍ قِدْحٌ ، حتى إذا أحصاها

٢٠ (١) القدح : السهم .

أوقد لها ناراً ، ثم جعل يقذفها فيها قِدْحاً قِدْحاً ، حتى إذا مرّ بالاسم الأعظم قذف فيها بقِدْحه ، فوثب القِدْح حتى خرج منها لم تضرّه شيئاً ، فأخذه ثم أتى صاحبَه فأخبره بأنّه قد علِم الأسمَ الذى كتمه ؛ فقال : وما هو ؟ قال : هو كذا وكذا ؛ قال : وكيف علِمْتَه ؟ فأخبره بما صنع ؛ قال : أيِ أبنَ أخى ، قد أصبته فأمْسِك على نفسك ، وما أظنّ أن تفعل . ٥

ابن الثامر ودعوته إلى النصرانية بنجران

فجعل عبد الله بن الثّامر إذا دخل نَجْرَان لم يَلْقَ أحَدًا به ضرٌّ إلا قال [له][1] : يا عبد الله ، أتوحّد الله وتدخل فى دينى وأدعو الله فيعافيك ممّا أنت فيه من البلاء ؟ فيقول : نعم ؛ فيوحّد الله و يُسلم ، و يدعو له فيُشفَى . حتى لم يبق بِنَجْران أحدٌ به ضرّ إلا أتاه ، فاتّبعه على أمره ، ودعا له فعُوفى ؛ حتى رُفع شأنه إلى ملك نجران فدعاه فقال [له][1] : أفسدتَ علَيَّ أهلَ قَرْيتى ، وخالفتَ دينى ودين آبائى ، لأُمثلنّ بك ؛ قال : لا تقدر على ذلك . ١٠ قال : فجعل يُرسل به إلى الجبل الطويل فيُطْرَح على رأسه فيقع إلى الأرض ليس به بأس ؛ وجعل يبعث به إلى مياه بِنَجْران ، بُحورٍ لايقع فيها شىء إلا هلك ، فيُلْقَى فيها فيخرج ليس به بأس . فلما غلبه قال له عبد الله بن الثامر : إنك والله لن تقدر على قتلى حتى توحّد الله فتؤمن بما آمنتُ به ، فإنك إن فعلت ١٥ ذلك سُلِّطْت على فقتلتنى . قال : فوحّد الله تعالى ذلك الملكُ ، وشهد شهادةَ عبد الله بن الثامر ، ثم ضربه بعصاً فى يده فشجّه شجّة غيرَ كبيرة فقتله ، ثم هلك الملك مكانَه ؛ واستجمع أهلُ نَجْران على دين عبد الله بن الثّامر ، وكان على ما جاء به عيسى بن مريم من الإنجيل وحُكْمِه ، ثم أصابهم مثلُ ما أصاب أهلَ دينهم من الأحداث ، فمن هنالك كان أصل النصرانية بِنَجْران ، ٢٠ والله أعلم بذلك .

قال ابن إسحاق : فهذا حديث محمد بن كعب القُرَظِىّ ، وبعضِ أهلِ نَجْران عن عبد الله بن الثامر ، والله أعلم أىّ ذلك كان .

---

(١) زيادة عن ا والطبرى .

ذونواس وخد الأخدود

فسار إليهم ذو نُواس بجنوده فدعاهم إلى اليهوديّة ، وخيّرهم بين ذلك والقتل ، فاختاروا القتل ، فخدّ لهم الأخدودَ ، فحرق من حرق بالنار ، وقتل بالسيف ، ومثّل بهم ، حتى قتل منهم قريباً من عشرين ألفاً . ففي ذي نواس وجنده تلك أنزل اللهُ تعالى على رسوله سيّدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم : « قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ » .

الأخدود لغة

قال ابن هشام :

الْأُخْدُودِ : الحفر المستطيل فى الأرض ، كالخندق والجدول ونحوه ، وجمعه أخاديد . قال ذو الرمّة ، واسمهُ غَيْلان بن عُقْبة ، أحد بنى عدىّ بن عبد مناف ابن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مُضَر :

مِنَ العراقيّة اللاتى يُحيل لها[1] بين الفلاة و بين النخل أُخْدودُ

يعنى جدولاً . وهذا البيت فى قصيدة له . قال : و يقال لأثر السيف والسكين فى الجلد وأَثَر السوط ونحوه : أُخدود ، وجمعه أخاديد .

مقتل ابن الثامر

قال ابن إسحاق : و يقال : كان فيمن قَتَل ذو نُوَاس عبدُ الله بن الثامر ، رأسُهم و إمامُهم[2] .

مايروى عن ابن الثامر فى قبره

قال ابن إسحاق حدّثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم[3] أنه حُدّث :

أن رجلاً من أهل نَجْران كان فى زمان عمر بن الخطّاب رضى الله عنه حفر خَرِبَةً من خَرِب نَجْران لبعض حاجته ، فوجدوا عبد الله بن الثامر تحتَ دَفْن منها قاعدًا ، واضعاً يده على ضَرْبة فى رأسه ، ممسكاً عليها بيده ، فإذا أُخرتْ يده

(١) يحيل لها : يصب لها ، يقال : أحال الماء فى الحوض ، إذا صبه .
(٢) ويقال : إنما قتل عبد الله بن الثامر قبل ذلك ، قتله ملك كان قبل ذى نواس هو أصل ذلك الدين ، وإنما قتل ذو نواس من كان بعده من أهل دينه . (راجع الطبرى) .
(٣) قال ابن سعد : كان ثقة كثير العلم عالما ، توفى سنة ١٣٥ هـ ، وقيل سنة ١٣٣ هـ . وكان عمره سبعين سنة .

عنها تنبعث[1] دمًا ، و إذا أُرْسِلت يده ردّها عليها، فأمسكت دمَها، وفى يده خاتم مكتوب فيه : «ربى الله» فكُتِب فيه إلى عمرَ بنِ الخطّاب يُخبَر بأمره ، فكتب إليهم عمرُ رضى الله عنه : أن أَقِرُّوهُ على حاله ، وردُّوا عليه الدفنَ الذى كان عليه ، ففعلوا[2] .

امر دوس ذى ثعلبان وابتداء ملك الحبشة وذكر أرياط المستولى على اليمن

٥

فرار دوس واستنصاره بقيصر

قال ابن إسحاق :

وأفلت منهم رجلٌ من سبأ ، يقال له : دَوْس ذو ثَعْلبان[3] ، على فرس له ، فسلك الرملَ فأعجزهم ؛ فمضى على وجهه ذلك ، حتى أتى قيصرَ ملكَ الروم ، فاستنصره على ذى نواس وجنوده ، وأخبره بما بلغ منهم ؛ فقال له : بَعُدَتْ بلادُكَ منّا ، ولكنى سأكتب لك إلى ملك الحبشة فإنه على هذا الدين ، وهو أقرب إلى بلادك ، وكتب إليه يأمره بنصره والطلب بثأره . ١٠

انتصار أرياط وهزيمة ذى نواس وموته

فقدم دَوْس على النّجاشىّ بكتاب قيصر ، فبعث معه سبعين ألفاً من الحبشة وأمّر عليهم رجلاً منهم يقال له أرياط، ومعه فى جنده أبْرَهة الأشرم ؛ فركب أرياط البحرَ حتي نزل بساحل اليمن ، ومعه دوس ذوثَعْلبان ، وسار إليه ذونُواس ١٥

---

(١) فى ا : « تثبت » . وتثعب : سالت .

(٢) ومن ذلك مايروى من أن حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه وجده معاوية حين حفر العين صحيحاً لم يتغير ، وأن الفأس أصابت إصبعه فدميت ، وكذلك مايروى عن أبى جابر عبد الله بن حرام ، وعمرو بن الجموح ، وطلحة بن عبيد الله رضى الله عنهم ، وقد أفاض المفسرون فى ذلك عند الكلام على تفسير قوله تعالى : ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا » . (الآية) . ٢٠

(٣) ويقال : إن الذى أفلت هو جبار بن فيض ، من أهل نجران ، والأصح مارواه ابن إسحاق . (راجع الطبرى) .

فى حِمْير ، ومَنْ أطاعه من قبائل اليمن ، فلما التقوا انهزم ذو نواس وأصحابُه .
فلما رأى ذو نواس ما نزل به و بقومه وجّه فرسَه فى البحرِ ، ثم ضربه فدخل به ، فخاض به ضَحْضاحَ[1] البحر ، حتى أفضى به إلى غَمْره ، فأدخله فيه ، وكان آخرَ العهد به . ودخل أرْياطُ اليمنَ فملَكها[2] .

شعر فى دوس وما كان منه

٥ فقال رجل من أهل اليمن – وهو يذكر ما ساق إليهم دَوْس من أمر الحبشة:

« لا كدَوْسٍ ولا كأعلاقِ رَحْلِهْ » [3]

فهى مثل باليمن إلى هذا اليوم . وقال ذو جَدَن الحميرىّ :

هونكِ[4] ليس يردّ الدمعُ مافاتا لاتَهْلِكى أسفاً فى إثْرِ مَنْ ماتا

أبعد بَيْنون لا عينٌ ولا أثر و بعد سِلْحين يبنى الناسُ أبياتا

١٠ بَيْنون وسِلْحِين و غُمْدان[5] : من حصون اليمن التى هدمها أرياط ، ولم يكن فى الناس مثلها . وقال ذو جدن أيضاً :

---

(١) الضحضاح من الماء : الذى يظهر منه القعر .

(٢) هـذه رواية ابن إسحاق فى مقتل ذى نواس ، ودخول الحبشة اليمن، ساقها عنه ابن هشام . وأما غير ابن إسحاق فيقولون : إن ذا نواس أدخل الحبشة صنعاء اليمن حين رأى
١٥ أن لا قبل له بهم بعد أن استنفر جميع المقاول ليكونوا معه يداً واحـدة عليهم ، فأبوا إلا أن يحمى كل واحد منهم حوزته على حدته ، فخرج إليهم ، ومعه مفاتيح خزائنه وأمواله ، على أن يسالموه ومن معه ولا يقتلوا أحداً ، فكتبوا إلى النجاشى بذلك ، فأمرهم أن يقبلوا ذلك منه ، فدخلوا صنعاء ودفع إليهم المفاتيح، وأمرهم أن يقبضوا ما فى بلاده من خزائن أمواله ، ثم كتب ذو نواس إلى كل موضع من أرضه أن اقتلوا كل ثور أسود ، فقتل أكثر الحبشة ، فلما بلغ
٢٠ ذلك النجاشى وجه إليهم جيشاً ، وعليه أرياط ، وأمره أن يقتل ذا نواس ، ويخرب ثلث بلاده ويقتل ثلث الرجال ويسبى ثلث النساء والذرية ففعلوا ذلك ، ثم كان ما كان من اقتحام ذى نواس البحر ، وقيام ذى جدن بعده . (راجع الطبرى والروض الأنف) .

(٣) الأعلاق : جمع علق ، وهو النفيس من كل شىء : يريد ما حمله دوس إلى الحبشة من النجدة .

٢٥ (٤) كذا فى أكثر الأصول والطبرى . يريد ترفقى وليهن عليك هذا الأمر . وفى ا ، وتواريخ مكة للأزرقى : « هونكما لن . . . الخ » . وهو من باب قول العرب للواحد افعلا ، وهو كثير فى القرآن والكلام .

(٥) ستذكر فيما سيلى من شعر ذى جدن.

دَعيني لا أبالكِ لن تُطيقي[1] لحاكِ اللهُ قد أنزفْتِ ريقِي[2]

لَدَى عَزْف القِيان إذا انتشينا وإذ نُسْقَى من الخمر الرحيق[3]

وشُرْبُ الخمرِ ليس عليّ عاراً إذا لم يَشْكُنى فيها[4] رَفيقى

فإنّ الموتَ لا ينهاه ناهٍ ولو شَرِب الشفاء مع النَّشُوق[5]

ولا مُترهّبٌ فى أُسْطوان[6] يناطح جُدْرَه بَيْضُ الأنوق[7] ٥

وغُمْدان[8] الذى حُدّثتِ عنه بَنَوْه مُسَمَّكاً فى رأس نِيق[9]

بِمَنْهَمَةٍ[10] وأسفلهُ جُرون[11] وحُر[12] المَوْحَلِ[13] اللثق الزليق[14]

مصابيح السَّليط[15] تلوح فيه إذا يُمسى كتَوْماض البُروق

(١) أى لن تطيق صرفى بالعذل عن شأنى .

(٢) أى أكثرت على من العذل حتى أيبست ريقى بفمى . وقلة الريق من الحصر ، وكثرته ١٠
من قوة النفس وثبات الجأش .

(٣) الرحيق : المصفى الخالص .

(٤) فى ا : « فيه » .

(٥) كذا فى ا والطبرى . والشفاء (بالكسر) : مايتداوى به فيشفى، تسمية للسبب باسم
المسبب . والنشوق : ما يشم من الدواء ويجعل فى الأنف . يريد : ولو شرب كل دواء ١٥
يستشفى به، ونشق كل نشوق مانهى ذلك الموت عنه . وفى سائر الأصول: «الشفاء مع السويق» .

(٦) الأسطوان : جمع أسطوانة ، وهى السارية . وأراد بها هاهنا موضع الراهب المرتفع .

(٧) الأنوق : الرخم ، وهى لاتبيض إلا فى الجبال العالية .

(٨) غمدان : حصن كان لهوذة بن على ملك اليمامة .

(٩) مسمكا : مرتفعا . والنيق : أعلى الجبل . ٢٠

(١٠) المنهمة : موضع الرهبان . ويقال للراهب : نهامى ، كما يقال للنجار أيضاً نهامى ،
فتكون المنهمة على هذا موضع النجر أيضاً .

(١١) كذا فى أكثر الأصول . والجرون : جمع جرن ، وهو النقير . وفى ا ، والطبرى :
« جروب » . والجروب : الحجارة السود .

(١٢) الحر : الخالص من كل شىء . ٢٥

(١٣) الموحل : من الوحل ، وهو الماء والطين. ويروى : « الموجل » بالجيم المفتوحة .
وهى الحجارة الملس السود ، أو هى واحدة المواجل ، وهى مناهل الماء .

(١٤) اللثق : الذى فيه بلل . والزليق : الذى يزلق فيه . وقد زادت ا بعد هذا البيت :

بمرمرة وأعلاه رخام تحام لايغيب فى الشقوق

(١٥) السليط : الدهن . ٣٠

ونَخْلتُهُ التى غُرِسَتْ إليــه يكاد البُسْر يَهْصِر[1] بالعذُوق
فأصبح بعــدَ جِدَّته رماداً وغــيّر حسنَه لهبُ الحريق
وأســلم ذو نواس مُستكيناً[2] وحــذَّر قومَه ضَنْكَ المَضِيق

وقال ابن الذِّئبة الثقفى فى ذلك . قال ابن هشام : الذئبة أُمه ، وأسمه ربيعة
ابن عَبْد ياليل بن سالم بن مالك بن حُطَيْط بن جُشَم بن قَسِيّ :

لَعَمْرك ما للفتى من مَفَرّْ مع الموت يلحقه والـكِبَرْ
لعمرك ما للفــتى صُحْرة[3] لعمرك ما إنْ له من وَزَرْ[4]
أبعد قبــائلَ من حِمْيَر أُبِيدُوا صباحاً بذات العَبَر[5]
بألْفِ أُلوفٍ وحُــرّابة[6] كمثل السماء قُبَيْلَ المطر
يُصِمّ صياحُهم المُقْرَبات[7] وينفون من قاتلوا بالذَّفَر[8]
سَعالِىَ[9] مثلُ عديد الترا ب تَيبس منهم رِطابُ الشجر

وقال عمرو بن مَعْدِى كَرِب[10] الزُّبَيْدِىّ فى شىء كان بينه وبين قَيْس

---

(1) يهصر : يميل . والعذوق : جمع عذق . والعذق (بكسر العين) : الكباسة ، (وبفتحها) : النخلة ، والمعنى الثانى أبلغ هنا .
(2) مستكينا : خاضعا ذليلا .
(3) الصحرة : المتسع ، أخذ من لفظ الصحراء .
(4) الوزر : الملجأ . ومنه اشتق الوزير لأن الملك يلجأ إلى رأيه .
(5) ذات العبر : ذات الحزن ، ويقال : عبر الرجل (من باب علم) ، إذا حزن ، ويقال: لأمه العبر ، كما يقال لأمه الثكل ، وذات العبر : اسم من أسماء الداهية .
(6) الحرابة : أصحاب الحراب .
(7) المقربات : الخيل العتاق التى لاتسرح فى الرعى ، ولكن تحبس قرب البيوت معدة للعدو .
(8) كذا فى الأصول ، وتواريخ مكة للأزرقى . والذفر : الرائحة الشديدة . يريد أنهم بريحهم وأنفاسهم يتقون من قاتلوا ، وهذا إفراط فى وصفهم بالكثرة ، بل بنتن آباطهم وخبيث رائحتهم ، لأن السودان أنتن الناس آباطا وأعراقا . وفى الطبرى : « بالزمر » والزمر : جمع زمرة ، وهى الجماعة من الناس .
(9) سعالى : جمع سعلاة ، وهى من الجن ، أو هى الساحرة منها .
(10) معدى كرب : معناه بالحميرية وجه الفلاح . ومعدى : وجه . والكرب : الفلاح .

ابن مَكْشوح[1] المُرادىّ فبلغه أنه يتوعّده ، فقال يذكر حِمْير وعِزّها وما زال من مُلْكها عنها :

أتُوعِدنى كأنّكَ ذو رُعَيْن ... بأفضل عِيشةٍ ، أو ذونُوَاسِ

وكأيِّنْ كان قبلك من نَعيمٍ ... ومُلْكٍ ثابتٍ فى الناس رَاسى

قديمٍ عهدُه من عَهْد عادٍ ... عظيمٍ قاهرِ الجَبَروت قاسى ٥

فأمْسى أهلُه بادُوا وأمسى ... يُحوَّل من أناسٍ فى أناس

نسب زبيد

قال ابن هشام : زُبَيْد بن سَلَمة بن مازن بن منبّه بن صَعْب بن سعد العشيرة ابن مَذْحِج ، ويقال زُبيد بن منبّه بن صَعْب بن سَعْد العشيرة ، ويقال زُبيد ابن صَعْب . ومُراد : يُحابِر بن مَذْحِج .

سبب قول عمرو بن معدى كرب هذا الشعر

قال ابن هشام : وحدثنى أبو عبيدة قال : ١٠

كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى سَلْمان بن رَبيعة الباهلى ، وباهلة ابن يَعْصُر بن سعد بن قيس بن عيلان ، وهو بأرْمينيَة يأمره أن يُفَضِّل أصحابَ الخيل العِرَاب على أصحاب الخيل المَقارف[2] فى العطاء ؛ فعرض الخيلَ، فمرّ به فرس عمرو بن مَعْدِى كَرِب ؛ فقال له سَلْمان : فرسك هذا مُقْرِف ؛ فغضب عمرو، وقال: هجين عرف هجيناً مثلَه ؛ فوثب إليه قيس فتوعّده ؛ فقال عمرو هذه الأبيات[3] ١٥

---

(١) إنما هو حليف لمراد ، واسم مراد : يحابر بن سعد العشيرة بن مذحج ، ونسبه فى بجيلة ، ثم فى بنى أحمس، وأبوه مكشوح اسمه: هبيرة بن هلال ، ويقال: عبد يغوث بن هبيرة بن الحارث بن عمرو بن عامر بن على بن أسلم بن أحمس بن الغوث بن أنمار، وأنمار هو والد بجيلة وخثعم ، وسمى أبوه مكشوحا لأنه ضرب بسيف على كشحه ، ويكنى قيس أبا شداد ، وهو قاتل الأسود العنسى الكذاب . وكان قيس بطلا بئيسا، قتله على ــ كرم الله وجهه ــ يوم صفين . ٢٠

(٢) المقارف : جمع مقرف ، وهو من الخيل الذى أبوه هجين وأمه عتيقة .

(٣) ويقال بل إن عمرا قال هذا الشعر لعمر بن الخطاب حين أراد ضربه بالدرة فى حديث طويل ساقه المسعودى فى كتابه مروج الذهب (ج ١ ص ٣٢٩ ــ ٣٣٠) .

صدق نبوءة سطيح وشق

قال ابن هشام :

فهذا الذى عَنَى سَطِيح الكاهن بقوله : « ليهبطنّ أرضَكم الحبش ، فليملكُن ما بين أبْيَن إلى جُرش » . والذى عنى شِقّ الكاهن بقوله : « لينزلنّ أرضكم السودانُ، فليغلبُنّ على كل طفلة البنان ، وليملكن مابين أبْيَن إلى نجران».

---

٥ غلب أبرهة الأشرم على أمر اليمن وقتل أرياط

ما كان بين أرياط وأبرهة

قال ابن إسحاق[١] :

فأقام أرْياط بأرض اليمن سنين فى سلطانه ذلك ، ثم نازعه فى أمر الحبشة باليمن أبرهة الحبشىّ - [وكان فى جنده] [٢] - حتى تفرقت الحبشة عليهما . فانحاز إلى كل واحد منهما طائفة منهم ، ثم سار أحدهما إلى الآخر ، فلما تقارب الناس ١٠ أرسَل أبرهةُ إلى أرياط : إنك لا تصنع بأن تَلْقى الحبشةُ بعضها ببعض حتى تفنيها شيئًا ، فابرز إلىّ وأبرز إليك ، فأيّنا أصاب صاحبَه انصرف إليه جندُه . فأرسل إليه أرياط : أنصفتَ . فخرج إليه أبرهة ، وكان رجلا قصيرًا لحيمًا [٣] [حادرا][٤] ، وكان ذا دِين فى النصرانية ؛ وخرج إليه أرياط ، وكان رجلاً جميلاً عظيمًا طويلاً، وفى يده حربة له . وخَلْفَ أبرهة غلامٌ له - يقال له عَتْوَدة[٥] - يمنع ١٥ ظهرَه . فرفع أرياط الحربةَ فضرب أبرهة ، يريد يافوخَه[٦] ، فوقعت الحربة على جبهة أبرهة فشرمتْ حاجبَه وأنفه وعينه وشفته ، فبذلك سُمّى أبرهة الأشرم ، وحمل عَتْوَدة على أرياط من خلف أبرهة فقتله ، وانصرف جند أرياط إلى

---

(١) كذا فى أكثر الأصول والطبرى ، وفى ا « ابن هشام » والصواب ما أثبتناه .
(٢) زيادة عن الطبرى .
٢٠ (٣) اللحيم : الكثير لحم الجسد .
(٤) زيادة عن الطبرى . والحادر : السمين الغليظ .
(٥) مأخوذ من العتودة ، وهى الشدة فى الحرب .
(٦) اليافوخ : وسط الرأس .

أبرهة ، فاجتمعت عليه الحبشة باليمن ، وَوَدَى[1] أبرهةُ أرياطَ .

غضب النجاشى على أبرهة لقتله أرياط ثم رضاؤه عنه

فلما بلغ ذلك النجاشىَّ غَضِب غضباً شديدًا وقال : عدا على أميرى فقتله بغير أمرى ! ثم حلف لايدع أبرهةَ حتى يطأ بلادَه ، ويجزّ ناصيته . فحلق أبرهةُ رأسَه وملأَ جِرابًا من تراب اليمن ، ثم بعث به إلى النجاشىّ ، ثم كتب إليه :

أيها الملك : إنما كان أرياط عبدَك ، وأنا عبدُك ، فاختلفنا فى أمرك ، وكلٌّ طاعتُه لك ، إلا أنى كنت أقوى على أمر الحبشة وأضبَط لها وأسوسَ منه ؛ وقد حلقتُ رأسى كلَّه حين بلغنى قَسَمُ الملك ، وبعثتُ إليه بجراب تراب من أرضى ، ليضعه تحت قدميه ، فيبَرّ قسمه فىّ .

فلما انتهى ذلك إلى النجاشىّ رضى عنه ، وكتب إليه : أنِ اثبُت بأرض اليمن حتى يأتيَك أمرى . فأقام أبرهة باليمن .

أمر الفيل وقصة النسأة

بناء القليس

ثم إن أبرهة بنَى القُلَّيْس[2] بصنعاء، فبنى كنيسةً لم يُرَ مثلُها فى زمانها بشىء من الأرض ، ثم كتب إلى النجاشىّ إنى قد بنيتُ لك أيها الملك كنيسةً لم يُبْنَ مثلُها لملك كان قبلك ، ولست بمنتهٍ حتى أصرف إليها حجَّ العرب ، فلما تحدّثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشىّ، غضب رجل من النسأة، أحد بنى فُقَيم

---

(1) وداه : دفع ديته .

(2) القليس (بضم القاف وتشديد اللام المفتوحة وسكون الياء) : الكنيسة التى أراد أبرهة أن يصرف إليها حج العرب ، وسميت القليس لارتفاع بنائها وعلوها ، ومنه القلانس ، لأنها فى أعلى الرءوس ؛ وقد استذل أبرهة أهل اليمن فى بنيان هذه الكنيسة ، وجشمهم فيها ألواناً من السخر ، وكان ينقل إليها العدد من الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب من قصر بلقيس ، صاحبة سليمان عليه السلام ، وكان من موضع هذه الكنيسة على فراسخ ، ومن شدته على العمال كان العامل إذا طلعت عليه الشمس قبل أن يأخذ فى عمله قطعت يده .

ابن عدىّ بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ابن إلياس بن مضر .

معنى النساة

والنسأة : الذين كانوا ينسئون الشهور على العرب فى الجاهلية ، فيحلّون الشهر من الأشهر الحرم ، ويحرّمون مكانه الشهر من أشهر الحلّ ، ويؤخّرون ذلك الشهر . ففيه أنزل الله تبارك وتعالى : « إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ »

قال ابن هشام :

المواطأة لغة

ليواطئوا : ليوافقوا ؛ والمواطأة : الموافقة ، تقول العرب : واطأتك على هذا الأمر ، أى وافقتك عليه . والإيطاء فى الشعر : الموافقة ، وهو اتفاق القافيتين من لفظ واحد ، وجنس واحد ، نحو قول العجّاج ـ واسم العجّاج[1] عبد الله بن رؤبة أحد بنى سَعْد بن زيد مناة بن تميم بن مُرّ بن أُدّ بن طابخة ابن إلياس بن مُضَر بن نِزار .

* فى أثْعُبان المَنْجَنون المرسَلِ[2] *

ثم قال :

* مدّ الخليج[3] فى الخليج المرسل *

وهذان البيتان فى أرجوزة له .

قال ابن إسحاق :

تاريخ النسء عند العرب

وكان أول من نسأ الشهور على العرب ، فأحلّتْ منها ما أحل ، وحرّمت منها ما حرم القَلَمّس[4] ، وهو حُذَيفة بن عَبْد بن فُقَيْم بن عدىّ بن عامر ابن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خُزَيْمة . ثم قام بعده على ذلك ابنه

---

(١) ويكنى أبو الشعثاء ، وسمى العجاج لقوله : « حتى يعجّ عندها من عججا » .

(٢) الأثعبان : ماينذفع من الماء من شعبه . والمنجنون : أداة السانية .

(٣) الخليج : الحبل ، وهو أيضاً خليج الماء .

(٤) وسمى القلمس لجوده ، إذ القلمس من أسماء البحر .

[عبّاد][1] بن حذيفة ، ثم قام بعد عبّاد : قَلَع بن عبّاد ، ثم قام بعد قَلَع : أمية ابن قَلَع ، ثم قام بعد أمية : عَوْف بن أمية ، ثم قام بعد عوف أبو ثُمامة جُنادة ابن عوف ، وكان آخرَهم ، وعليه قام الإسلام[2] ، وكانت العرب إذا فرغت من حجها اجتمعت إليه ، فحرّم الأشهر الحرم الأربعة : رجباً ، وذا القعدة ، وذا الحجة ، والمحرّم . فإذا أراد أن يُحل منها شيئاً أحلّ المحرّم فأحلّوه ، وحرّم مكانه صفر فحرّموه ، ليواطئوا عدّة الأربعة الأشهر الحُرم . فإذا أرادوا الصَّدَر[3] قام فيهم فقال : اللهم إنى قد أحللت لهم أحد الصَّفَرين ، الصفر الأول ، ونسأت الآخر للعام المُقْبل[4] . فقال فى ذلك عُمَيْر بن قَيْس جَذْلُ[5] الطِّعان، أحدُ بنى فِراس بن غَنْم [بن ثعلبة] بن مالك بن كنانة ، يفخر بالنسأة على العرب :

لقد علمتْ مَعَدٌّ أنّ قومى ... كرامُ الناس أنّ لهم كِرامَا[6]
فأىّ الناس فاتُونا بوِتْرٍ[7] ... وأىّ الناس لم نُعْلِك لجاما[8]

---

(1) زيادة عن ا .

(2) يختلف أهل الخبر فى هل أسلم جنادة هذا أم لم يسلم ، غير أن هناك خبراً يدل على إسلامه ، وذلك أنه حضر الحج فى زمن عمر فرأى الناس يزدحمون على الحج فنادى : أيها الناس ، إنى قد أجرته منكم . فخفقه عمر بالدرة . وقال : ويحك ! إن الله قد أبطل أمر الجاهلية .

(3) الصدر : الرجوع من مكة .

(4) كان النسىء عندهم على ضربين ، أحدهما ماذكر ابن إسحاق من تأخير شهر المحرم إلى صفر لحاجتهم إلى شن الغارات وطلب الثارات . والثانى : تأخيرهم الحج عن وقته تحريا منهم للسنة الشمسية ، فكانوا يؤخرونه فى كل عام أحد عشر يوما أو أكثر قليلا حتى يدور الدور إلى ثلاث وثلاثين سنة فيعود إلى وقته ، ولذلك قال عليه السلام فى حجة الوداع : « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض » . وكانت حجة الوداع فى السنة التى عاد فيها الحج إلى وقته ، ولم يحج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة غير تلك الحجة ، وذلك لإخراج الكفار الحج عن وقته ولطوافهم بالبيت عراة. (عن الروض الأنف).

(5) سمى عمير كذلك لثباته فى الحرب كأنه جذل شجرة واقف ، وقيل لأنه كان يستشفى برأيه ، ويستراح إليه كما تستريح البهيمة الجرباء إلى الجذل تحتك به . وقال أبو عبيدة : جذل الطعان : هو علقمة بن فراس بن غنم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة . (راجع الروض الأنف وشرح السيرة) .

(6) أى : أباء كراما وأخلاقا كراما .

(7) الوتر : طلب الثأر .

(8) لم نعلك لجاما : يريد لم تقدعهم ونكفهم كما يقدع الفرس باللجام ، تقول : أعلكت الفرس لجامه ، إذا رددته عن تنزعه فمضغ اللجام كالعلك من نشاطه .

ألسنا الناسئين على مَعَدّ شهورَ الحِلِّ نجعلها حَراما ؟

قال ابن هشام : أول الأشهر الحُرُم[1] المحرّم .

قال ابن إسحاق :

إحداث الكنانى فى القليس وحملة أبرهة على الكعبة

فخرج الكنانىّ حتى أتى القُلَّيْس فقعد[2] فيها ـ قال ابن هشام : يعنى أحدث فيها ـ قال ابن إسحاق : ثم خرج فَلَحِق بأرضه ، فأُخبِر بذلك أبرهة فقال : من صنع هذا ؟ فقِيل له : صنع هذا رجلٌ من العَرب من أهل هذا البيت الذى تحجّ العرب إليه بمكة لمّا سمع قولك : « أصرف إليها حجّ العرب » غضب فجاء فقعد فيها ، أى أنها ليست لذلك بأهل . فغضب عند ذلك أبرهة وحلف ليسيرنّ إلى البيت حتى يهدمَه ، ثم أمَر الحبشة فتهيَّأت وتجهّزت ، ثم سار وخُرِج معه بالفيل ؛ وسمعتْ بذلك العربُ فأعظموه وفَظِعوا به ، ورأوا جهاده حقًّا عليهم ، حين سمعوا بأنه يريد هَدْمَ الكعبة ، بيتِ الله الحرام .

هزيمة ذى نفر أمام أبرهة

فخرج إليه رجل كان من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له : ذو نَفْر ، فدعا قومَه ، ومَنْ أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة ، وجهادِه عن بيت الله الحرام ، وما يريد من هَدْمه وإخرابه ؛ فأجابه إلى ذلك من أجابه ، ثم عرَض له فقاتله ، فهُزِم ذو نَفْر وأصحابُه ، وأُخِذ له ذو نَفْر فأُتى به أسيرًا ، فلما أراد قتلَه قال له ذو نَفْر : أيها الملك ، لا تقتلنى فإنه عسى أن يكون بقائى معك خيرًا لك من قتلى ؛ فتركه من القتل وحبسه عنده فى وثاق ، وكان أبرهة رجلاً حليمًا .

ما وقع بين نفيل وأبرهة

ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له ، حتى إذا كان بأرض خَثْعَم[3] عرض له نُفَيْل بن حَبيب الخَثْعمىّ فى قبيلَىْ خَثْعَم : شَهران

---

(1) وقد قيل: إن أول الأشهر الحرم ذو القعدة ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ به حين ذكر الأشهر الحرم ، وحجة من قال إنه المحرم هى أنه (أى المحرم) أول السنة .

(2) فى القعود بمعنى الاحداث شاهد لقول مالك وغيره من الفقهاء فى تفسير القعود على المقابر المنهى عنه .

(3) خثعم : اسم جبل سمى به بنو عفرس بن خلف بن أفتل بن أنمار لأنهم نزلوا عنده =

وناهِس[1]، ومَنْ تبعه من قبائل العرب، فقاتله فهزمه أبرهة، وأُخذ له نُفَيلٌ أسيرًا فأُتى به، فلما همَّ بقتله قال له نُفَيل: أيها الملك، لا تقتلنى فإنى دليلك بأرض العرب، وهاتان يداى لك على قبيلَىْ خثعم: شَهْران وناهس بالسمع والطاعة، فخلّى سبيلَه.

ابن معتب وأبرهة

وخرج به معه يدلّه، حتى إذا مرَّ بالطائف خرج إليه مسعود بن مُعَتِّب ابن مالك بن كعب بن عمرو بن سَعْد بن عَوْف بن ثَقِيف فى رجال ثَقِيف.

نسب ثقيف وشعر ابن أبى الصلت فى ذلك

واسم ثقيف قَسِيّ بن النَّبِيت بن منبّه بن منصور بن يَقْدُم بن أفصى ابن دُعْمِىّ بن إياد[2] [بن نزار][3] بن معدّ بن عدنان. قال أمية بن أبى الصَّلْت[4] الثقفىّ:

قومى إيادٌ لو أنهم أَمَمُ ... أو لو أقاموا فتُهزَلَ النَّعَمُ[5]
قومٌ لهم ساحة العراق إذا ... ساروا جميعا والقِطّ والقَلَم[6]

= وقيل بل لأنهم تخثعموا (تلطخوا) بالدم عند حلف عقدوه بينهم. (راجع الاشتقاق لابن دريد والروض الأنف).

(1) شهران وناهس: هما بنو عفرس من خثعم. ويقال: بل خثعم ثلاث: شهران وناهس وأكلب، غير أن أكلب ـ عند أهل النسب ـ هو ابن ربيعة بن نزار، ولكنهم دخلوا فى خثعم وانتسبوا إليهم.

(2) بين النسابين خلاف فى نسب ثقيف فبعضهم ينسبهم إلى أياد ـ كما هنا ـ وبعضهم ينسبهم إلى قيس، كما ينسبهم البعض الآخر إلى ثمود. والكلام على هذا مبسوط فى كثير من المراجع التى بين أيدينا، وقد اكتفينا منه هنا بما أثبتنا.

(3) زيادة عن ا. والمعروف إن إياذا هذا هو بن نزار بن معد، وليس ابنا لمعد لصلبه، غير أن هناك ابنا لمعد اسمه إياد، وهو عم إياد هذا وليس هو. (راجع الاشتقاق والمعارف والروض الأنف).

(4) واسم أبى الصلت: ربيعة بن وهب.

(5) الأمم: القريب. والنعم: الإبل، وقيل: النعم: كل ماشية أكثرها إبل. يريد أى لو أقاموا بالحجاز، وإن هزلت نعمهم، لأنهم انتقلوا عنها لأنها ضاقت عن مسارحهم فصاروا إلى ريف العراق.

(6) القط: ما قط من الكاغد والرق ونحوه. وقد كانت الكتابة فى هذه البلاد التى ساروا إليها، فقد قيل لقريش: ممن تعلمتم القط؟ فقالوا: تعلمناه من أهل الحيرة وتعلمه أهل الحيرة من أهل الأنبار.

وقال أُميّة بن أبى الصّلت أيضا :

فإمّا تَسْألى عــنّى لُبينَى ... وعن نَسبى أُخبّرْكِ اليَقينَا

فإنا للنَّبيت أَبِى قَسِيّ ... لَمنْصور بن يَقْدُمَ الاقْدَمينا

قال ابن هشام :

٥ ثقيف : قَسِيّ بن مُنبّه بن بَكْر بن هَوازن بن مَنْصور بن عِكرمة بن خَصَفة ابن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر بن نزار بن معدّ بن عدنان . والبيتان الأوّلان والآخران فى قصيدتين لأميّة .

استسلام أهل الطائف لأبرهة

قال ابن إسحاق :

فقالوا له : أيها الملك ، إنما نحن عَبيدك سامعون لك مطيعون ، ليس عندنا ١٠ لك خلاف ، وليس بيتُنا هذا البيتَ الذى تريد ـ يعنون اللات ـ إنما تريد البيتَ الذى بمكة ، ونحن نبعث معك مَنْ يدلّك عليه ، فتَجاوزَ عنهم .

اللات

واللات : بيت لهم بالطائف كانوا يعظّمونه نحوَ تعظيم الكعبة . قال ابن هشام : أنشدنى أبو عُبَيدة النحوىّ لِضرار بن الخطّاب الفِهْرِىّ :

وفَرّت ثقيفٌ إلى لاَتِها ... بمُنْقَلَب الخائب الخاسرِ

١٥ وهذا البيت فى أبيات له .

معونة أبى رغال لأبرهة وموته وقبره

قال ابن إسحاق :

فبعثوا معه أبا رِغال يدلّه على الطريق إلى مكة ، فخرج أبرهة ومعه أبو رِغال حتى أنزله المغمّس[1] ؛ فلما أنزله به مات أبو رغال هنالك ، فرجمت قبرَه العربُ ، فهو القبر الذى يَرْجُم الناسُ بالمغمّس .

الأسود واعتداؤه على مكة

٢٠ فلما نزل أبرهة المُغَمِّس بعث رجلاً من الحبشة يقال له : الأسْوَد

(١) المغمس (بالكسر على صيغة اسم الفاعل ، وروى بالفتح على زنة اسم المفعول) : موضع بطريق الطائف على ثلثى فرسخ من مكة .

ابن مقصود[1] على خيل له ، حتى انتهى إلى مكة ، فساق إليه أموالَ [أهل][2] تِهامة من قريش وغيرهم ، وأصاب فيها مِئتَىْ بعير لعبد المطّلب بن هاشم ، وهو يومئذ كبيرُ قريشٍ وسيّدُها ، فهمّت قريش وكِنانة وهُذَيل ، ومَنْ كان بذلك الحرم [من سائر الناس][3] بقتاله ، ثم عرفوا أنهم لا طاقَة لهم به ، فتركوا ذلك .

حناطة وعبد المطلب

و بعث أبرهة حُناطَة الحميرىّ إلى مكة، وقال له : سَلْ عن سيِّد أهل هذا البلدِ وشريفها ، ثم قل [له][4] : إن الملك يقول لك : إنى لم آتِ لحربكم ، إنما جئت لهَدْم هذا البيت ، فإن لم تعرضوا دونه بحرب فلا حاجة لى بدمائكم ، فإنْ هو لم يُرِدْ حَرْبى فأْتنى به . فلما دخل حُناطةُ مكةَ سأل عن سيِّد قريش وشريفها ، فقيل له : عبدُ المطّلب بن هاشم [بن عبد مناف بن قصىّ][3] ؛ فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة ؛ فقال له عبد المطلب : والله ما نريد حربَه ، وما لنا بذلك من[5] طاقة ، هذا بيت الله الحرام ، و بيت خليله إبراهيم عليه السلام — أو كما قال — فإن يَمْنعْه منه فهو بيتُه وحرمه[6] ، و إن يُخَلِّ بينه و بينه فوالله ما عندنا دَفْع عنه ؛ فقال [له][4] حُناطة : فانطلِق معى إليه ، فإنه قد أمرنى أن آتِيَه بك .

ذونفروأنيس وتوسطهما لعبد المطلب لدى أبرهة

فانطلق معه عبد المطلب ، ومعه بعض بَنيه حتى أتى العسكر ، فسأل عن ذى نَفْر ، وكان له صديقاً ، حتى دخل عليه وهو فى محبسه ، فقال له : ياذا نَفْر ، هل عندك من غناء فيما نزل بنا ؟ فقال له ذو نَفْر : وما غَناء رجل أسير بيدَىْ مَلِك ينتظر أن يقتله غُدوًّا أو عشيًّا ! ما عندنا غَناء فى شىء مما نزل بك إلا

(1) كذا فى ا هنا وفيما سيأتى ، والطبرى . وفى سائر الأصول : مفصود (بالفاء) . وهو الأسود بن مقصود بن الحارث بن منبه بن مالك بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو بن عله (على وزن عمر) بن خالد بن مذحج ، وكان النجاشى قد بعثه مع الفيلة والجيش . وكانت عدة الفيلة ثلاثة عشر فيلا ، فهلكت كلها إلا فيل النجاشى ، وكان يسمى محمودا .

(2) زيادة عن ا والطبرى .

(3) زيادة عن الطبرى .

(4) زيادة عن ا والطبرى .

(5) كذا فى الطبرى . وفى الأصول : « منه » .

(6) كذا فى الطبرى . وفى الأصول : « حرمته » .

أنّ أُنَيساً سائس الفيل صديق لى ، وسأرسل إليه فأوصيه بك ، وأُعظم عليه حقّك ، وأسأله أن يستأذن لك على الملك ، فتكلّمه بمـا بدا لك . ويشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك ؛ فقال : حسبى . فبعث ذو نَفْر إلى أُنَيْس، فقال له : إن عبد المطلب سيّد قريش ، وصاحب عِير[1] مكة ، يُطْعِم الناسَ بالسهل ، والوحوشَ فى رءوس الجبال ، وقد أصاب له الملك مئتى بعير ، فاستأذن له عليه ، وانفعْه عنده بمـا استطعت ؛ فقال : أفعل .

فكلّم أُنيسٌ أبرهة ، فقال له : أيها الملك ، هذا سيّد قريش ببابك يستأذن عليك ، وهو صاحب عِير مكة ، وهو يُطعم الناس فى السهل ، والوحوشَ فى رءوس الجبال ، فأْذن له عليك ، فيكلّمك[2] فى حاجته ، [وأَحْسِن إليه] .[3]
قال : فأذن له أبرهة .

عبد المطلب وحناطة وخويلد بين يدى أبرهة

قال : وكان عبد المطّلب أوسَم الناس وأجملَهم وأعظمهم ، فلما رآه أبرهة أجلّه وأعظمه وأكرمه عن أن يُجلسه تحته ، وكره أن تراه الحبشةُ يجلس معه على سرير ملكه ، فنزل أبرهة عن سريره ، فجلس على بساطه ، وأجلسه معه عليه إلى جنبه ، ثم قال لترجمانه : قل له : حاجتك ؟ فقال له ذلك التُّرْجُمان ؛ فقال : حاجتى أن يردّ علىّ الملكُ مئتى بَعير أصابها لى ؛ فلما قال له ذلك ، قال أبرهة لتَرْجُمانه: قل له : قد كنتَ أعجبتَنى حين رأيتُك، ثم قد زَهِدْت فيك حين كلّمتنى ، أتكلّمنى فى مئتى بعير أصبتُها لك ، وتتركُ بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئتُ لهدمه ، لا تكلمنى فيه ! قال له عبد المطلب : إنى أنا ربّ الإبل ، وإنّ للبيت ربًّا سيمنعه ؛ قال : ما كان ليمتنع منّى ؛ قال : أنت وذاك .

وكان فيما يزعم بعض أهل العلم ، قد ذهب مع عبد المطلب إلى أبرهة ، حين

---

(١) كذا فى الطبرى هنا وفيما سيأتى . وفى الأصل : « عين » .
(٢) كذا فى ا والطبرى . وفى سائر الأصول : « فليكلمك » .
(٣) زيادة عن الطبرى .

بعث إليه، حُناطةَ يعمُر بْنُ نُفاثة بن عدىّ بن الدُّئل[1] بن بكر بن مناة بن كنانة وهو يومئذ سيّد بنى بكر، وخويلدُ بن واثلة[2] الهذلى، وهو يومئذ سيّد هذيل؛ فعَرضوا على أبرهة ثُلثَ أموال تِهامة، على أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت، فأَبَى عليهم. والله أعلم أكان ذلك أم لا. فردّ أبرهة على عبد المطلب الإبلَ التى أصاب له.

عبد المطلب فى الكعبة يستنصر بالله على أبرهة

فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب إلى قريش فأخبرهم الخبرَ، وأمرهم بالخروج من مكة، والتحرّز[3] فى شَعَف[4] الجبال، والشِّعاب[5]: تخوّفًا عليهم من مَعَرّة[6] الجيش، ثم قام عبد المطلب فأخذ بحَلْقة باب الكعبة، وقام معه نَفَر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده، فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلْقة باب الكعبة:

لاهُمَّ[7] إنَّ العَبْدَ يمـــنع رَحْلَه فامنع حِلالَكْ[8]
لاَ يَغْلِبَنَّ صليبُهُـــم وَمِحالُهُمْ غَدْوًا[9] مِحالَكْ[10]

---

(1) كذا فى الطبرى. وهو بضم الدال وكسر الهمزة، وفى الأصول: «الديل». وما أثبتناه هو الذى عليه جمهور العلماء. إلا أن جماعة من النحويين، ومنهم الكسائى، يقولون فيه «الديل». من غير همز، ويكسرون الدال. والمعروف أن الدئل (بالهمز) هم الذين فى كنانة، وكذلك هم فى الهون بن خزيمة أيضاً. وأما الديل (من غير همز) فهم فى الأزد، وفى إياد، وفى عبد القيس، وفى تغلب. وهناك غير هذين «الدول» أيضاً (بضم الدال وإسكان الواو). وهؤلاء فى ربيعة بن نزار، وفى عنزة، وفى ثعلبة، وفى الرباب. (راجع لسان العرب مادة دأل).

(2) كذا فى ا والطبرى. وفى سائر الأصول: «وائلة». بالهمز.

(3) التحرز: التمنع، ويروى: «التحوز» وهو أن ينحاز إلى جهة ويتمنع.

(4) شعف الجبال: رءوسها.

(5) الشعاب. المواضع الخفية بين الجبال.

(6) معرة الجيش: شدته.

(7) لاهم: أصلها اللهم، والعرب تحذف الألف واللام منها وتكتفى بما بقى، كما تقول: لاه أبوك، وهى تريد لله أبوك، وكما قالوا أيضاً: أجنك تفعل كذا وكذا: أى من أجل أنك تفعل كذا وكذا.

(8) الحلال (بالكسر): جمع حلة، وهى جماعة البيوت، ويريد هنا القوم الحلول. والحلال أيضاً: متاع البيت، وجائز أن يكون هذا المعنى الثانى مرادا هنا.

(9) غدوا: غدا، وهو اليوم الذى يأتى بعد يومك، فحذفت لامه، ولم يستعمل تاما إلا فى الشعر.

(10) المحال: القوة والشدة.

[زاد الواقدى][1] :

إن كنت تاركهم وقِبْلتنا فَأَمْرٌ ما بَدا لَكْ [2]

قال ابن هشام : هذا ما صحّ له منها .

شعر لعكرمة فى الدعاء على الأسود بن مقصود

قال ابن إسحاق :

وقال عِكْرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصىّ :

لاهُمَّ أَخْزِ الأسودَ بن مَقْصود الآخذَ الهَجْمةَ[3] فيها التقليدْ[4]

بين حِراء وثَبِير فالبِيد[5] يَحْبِسها وهى أولات التطريد

فَضَمَّها إلى طَماطمٍ سُودْ أَخْفِرْه[6] يا رب وأنت محمود

قال ابن هشام : هذا ما صحّ له منها ؛ والطّماطم : الأعلاج[7] .

قال ابن إسحاق :

ثم أرسل عبد المطلب حَلْقة باب الكعبة ، وانطلق هوومن معه من قريش إلى شَعَف الجبال فتحرّزوا فيها ينتظرون ما أبرهةُ فاعلٌ بمكة إذا دخلها .

---

(1) زيادة عن ا .

(2) وزاد السهيلى فى الروض الأنف :

وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

وذكرت بقيتها فى الطبرى ، واجتزأنا منها بما ذكر هنا ، فارجع إليها فى القسم الأول من الطبرى (ص ٩٤٠ ــ ٩٤١ طبع أوربا) . وقد ذكر لعبد المطلب فى الطبرى قصيدة أخرى غير هذه القصيدة .

(3) الهجمة : القطعة من الإبل ماين التسعين إلى المائة . ويقال للمئة منها هنيدة، وللمئتين هند، والثلاثمئة أمامة ، ومنه قول الشاعر :

* تبين رويدا ما أمامة من هند *

(4) التقليد : يريد فى أعناقها القلائد .

(5) حراء وثبير : جبلان .

(6) أخفره : أى انقض عهده ، ويروى بالحاء المهملة ، أى اجعله منحفرا ، أى خائفا وجلا .

(7) الأعلاج : كفار العجم .

دخول أبرهة مكة وما وقع له ولفيل وشعر نفيل فى ذلك

فلما أصبح أبرهة تهيَّأ لدخول مكة، وهيَّأ فِيلَه وعبّى[1] جيشه، وكان اسم الفيل محمودا؛ وأبرهة مُجْمِع لهدم البيت، ثم الانصرافِ إلى اليمن. فلما وجّهوا الفيلَ إلى مكة أقبل نُفَيل[2] بن حَبيب [الخثعمىّ][3] حتى قام إلى جَنْب الفيل، ثم أخذ بأذنه فقال: ابرُكْ محمود، أو ارجع راشداً من حيث جئت، فإنك فى بلد الله الحرام، ثم أرسلَ أذنه. فبرك[4] الفيلُ، وخرج نُفيل بن حَبيب يشتدّ حتى أصْعد[5] فى الجبل، وضربوا الفيلَ ليقوم فأَبَى، فضربوا [فى][6] رأسَه بالطَّبَرْزين[7] ليقوم فأبى، فأدخلوا مَحاجن[8] لهم فى مَرَاقّه[9] فبَزَغوه[10] بها ليقوم فأبى، فوجّهوه راجعاً إلى اليمن، فقام يُهَرْوِل؛ ووجّهوه إلى الشام ففعل مثلَ ذلك، ووجّهوه إلى المَشْرق فَفَعل مثل ذلك، ووجّهوه إلى مكة فبرك؛ فأرسل الله تعالى عليهم طيرًا من البحر أمثالَ الخَطاطيف[11] والبَلَسان[12]، مع كل طائر منها ثَلاثَةُ أحجار يحملها: حجر فى مِنْقاره، وحجران فى رجليه، أمثال الحِمّص والعَدس، لا تُصيب منهم أحدًا إلا

(١) يقال عبى الجيش (بغير همز) وعبأت المتاع (بالهمز). وقد حكى: عبأت الجيش (بالهمز) وهو قليل.

(٢) وقيل هو نفيل بن عبد الله بن جزء بن عامر بن مالك بن واهب بن جليحة بن أكلب ابن ربيعة بن عفرس بن جاف بن أفتل، وهو خثم. (راجع الروض الأنف).

(٣) زيادة عن الطبرى.

(٤) لعله يريد فعل فعل البارك، لأن المعروف عن الفيل أنه لا يبرك.

(٥) أصعد: علا.

(٦) زيادة عن ا والطبرى.

(٧) الطبرزين: آلة معقفة من حديد، وطبر بالفارسية: معناها الفأس.

(٨) المحاجن: جمع محجن، وهى عصا معوجة، وقد يجعل فى طرفها حديد.

(٩) مراقه: يعنى أسفل بطنه.

(١٠) بزغوه: أدموه. ومنه المبزغ، وهو المشرط للحجام ونحوه.

(١١) الخطاطيف: جمع خطاف (كرمان). وهو طائر أسود يقال له «زوار الهند»، وهو الذى تدعوه العامة عصفور الجنة.

(١٢) كذا فى الأصل. وفى النهاية لابن الأثير (مادة بلس) فى التعليق على حديث ابن عباس، قال عباد بن موسى: «وأظنها الزرازير».

هلك ، وليس كلّهم أصابت . وخرجوا هاربين يبتدرون الطريقَ الذى منه
جاءوا ، ويسألون عن نُفيل بن حَبيب ليدلّهم على الطريق إلى اليمن[1] ، فقال
نُفَيل حين رأى ما أنزل اللهُ بهم من نِقْمته :

أين المفرّ والإلٰه الطالبْ   والأشرمُ المَغلوب ليس الغالبْ

قال ابن هشام : قوله : «ليس الغالب» عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال نفيل أيضاً :

ألا حُيِّيتِ عنّا يا رُدَيْنا[2]   نَعِمْناكُمْ[3] مع الإصباح عَيْنا
[أتانا قابسٌ منكم عشاءً   فلم يُقْدَر لقابسِكم لَدَيْنا][4]
رُدَيْنةُ لو رأيتِ ـ ولا[5] تَرَيْه ـ   لدى جَنْبِ المُحصَّب ما رأينا[6]
إذًا لعذرْتِنى وحمِدتِ أمرى[7]   ولم تأْسَىْ على ما فاتَ بَيْنا[8]
حَمِدتُ اللهَ إذ أبصرتُ طيراً   وخِفْتُ حجارةً تُلْقَى علينا
وكل القوم يسأل عن نُفَيل   كأن علىَّ للحُبْشان دَيْنا

فخرجوا يتساقطون بكل طريق ، ويهلِكون بكل مَهْلِك على كل مَنْهَل ،
وأُصيب أبرهة فى جسده ، وخرجوا به معهم تسقط [أنامله][4] أُنْمُلةً أُنْمُلةً[9] ،

---

(١) وكانت قصة الفيل هذه أول المحرم من سنة ثنتين وثمانين وثمانمائة من تاريخ ذى القرنين . (راجع الروض الأنف) .

(٢) ردين : مرخم ردينة ، وهو اسم امرأة .

(٣) هذا دعاء ، يريد : أى نعمنا بكم ، فعدى الفعل لما صرف الجار .

(٤) زيادة عن الطبرى .

(٥) فى الطبرى : «ولم تريه» ، وفى معجم البلدان فى الكلام على المغمس : «ولن تريه» .

(٦) المحصب (بالضم ثم الفتح وصاد مهملة مشددة على وزن اسم المفعول) : موضع فيما بين مكة ومنى ، وهو إلى منى أقرب ، وهو بطحاء مكة . (راجع معجم البلدان) .

(٧) فى الطبرى « رأيى » .

(٨) بينا : مصدر بان يبين ، وهو مؤكد لفات .

(٩) أى ينتثر جسمه . والأنملة : طرف الأصبع ، وتطلق على غيره ، كالجزء الصغير من الشىء .

كلما سقطت أُنْمُلة أتبعتها منه مِدّة تَمُثّ[1] قيحاً ودَمًا ، حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر ، فما مات حتى انصدع صدرُه عن قلبه، فيما يزعمون .

قال ابن إسحاق حدّثنى يعقوب[2] بن عُتْبة أنه حُدِّث :

أن أول ما رؤيت الحَصْبة والجُدَرِىّ بأرض العرب ذلك العامَ ، وأنه أول ما رُؤى بها مَرائر[3] الشجر الحرمل[4] والحنظل والعُشَر[5] ذلك العام .   ٥

ما ذكر فى القرآن عن قصة الفيل وشرح ابن هشام لمفرداته

قال ابن إسحاق :

فلما بعث الله تعالى محمداً صلّى الله عليه وسلّم ، كان مما يعدّ اللهُ على قريش من نعمته عليهم وفضلِه ، ماردّ عنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدّتهم ، فقال الله تبارك وتعالى : « أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ. أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ. وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ[6] . تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ. فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ » . وقال : « لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ. إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ. فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ. الَّذِى أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ». أى لئلا يغيّر شيئاً من حالهم التى كانوا عليها لما أراد الله بهم من الخير لو قبلوه .   ١٠

قال ابن هشام :

الأبابيل : الجماعات ، ولم تتكلّم لها العرب بواحد[7] علمناه . وأما السِّجّيل ، فأخبرنى يونس النحوىّ وأبو عُبيدة أنه عند العرب : الشديد الصلب . قال رُؤْبة ابن العجّاج :   ١٥

---

(١) مث يمث : رشح .

(٢) هو يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفى المدنى ، حليف بنى زهرة ، رأى السائب بن يزيد ، وروى عن أبان بن عثمان وجماعة ، وعنه ، غيرابن إسحاق ، عبدالعزيز ابن الماجشون وجماعة . وكان فقيهاً له أحاديث كثيرة وعلم بالسيرة . وكان ورعاً مسلماً يستعمل على الصدقات ويستعين به الولاة . وتوفى سنة ١٢٨ هـ . (عن تراجم رجال روى عنهم ابن إسحاق) .   ٢٥

(٣) يقال : شجرة مرة ، ويجمع على مرائر على غير قياس ، كما جمعوا حرة على حرائر .

(٤) الحرمل : نوعان ، نوع ورقه كورق الخلاف ، ونوره كنور الياسمين . ونوع سنفته طوال مدورة . (السنفة : أوعية الثمر) . والحرمل : لا يأكله شىء إلا المعزى ، وقد تطبخ عروقه فيسقاها المحموم إذا ماطلته الحى ، وفى امتناع الحرمل عن الأكلة قال طرفة وذم قوما: ٣٠

هم حرمل أعيا على كل آكل   مبيتاً ولو أمسى سوامهم دثرا

(راجع اللسان والمفردات)

(٥) العشر (كصرد) : شجر مر له صمغ ولبن ، وتعالج بلبنه الجلود قبل الدباغة .

(٦) الأبابيل : الجماعات .   ٣٥

(٧) وقيل : إن واحدها أبيل وأبول وإبالة .

ومسّهم ماسّ أصحابَ الفيلْ ترميهمُ حجارةٌ من سجِّيلْ
ولعبتْ طـــيرٌ بهم أبابيلْ

هذه الأبيات فى أرجوزة له . وذكر بعض المفسرين أنهما كلمتان بالفارسية ، جعلتْهما العربُ كلمة واحدة ، وإنما هو سَنْج وجِلّ ، يعنى بالسنج : الحجر ؛ والجل : الطين . يعنى[1] : الحجارة من هذين الجنسين : الحجر والطين . والعَصْف : ورق الزرع الذى لم يقصّب ، وواحدته عصْفة . قال[2] : وأخبرنى أبو عُبيدة النحوىّ أنه يقال له : العُصافة والعَصيفة . وأنشدنى لعَلْقمة بن عَبَدة أحد بنى رَبيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم :

تَسقى مَذانبَ[3] قد مالت عَصِيفتُها حَدُورُها[4] من أتىّ[5] الماء مَطْمومُ[6]

وهذا البيت فى قصيدة له . وقال الراجز :

فصُيِّروا مثلَ كَعَصْف مأكول

قال ابن هشام : ولهذا البيت تفسير فى النحو[7] .

وإيلاف قريش : إيلافهم الخروج إلى الشام فى تجارتهم ، وكانت لهم خَرْجتان : خَرْجة فى الشتاء ، وخَرْجة فى الصيف . أخبرنى[8] أبو زيد الأنصارى . أن العرب تقول : ألفت الشىء إلفاً ، وآلفته إيلافا ، فى معنى واحد . وأنشدنى لذى الرمّة :

---

(1) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « يقول » .
(2) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « حدثنا ابن هشام قال وأخبرنى . . . الخ » .
(3) المذانب : جمع مذنب ، وهو مسيل الماء إلى الروضة .
(4) حدورها (بالحاء المهملة) ، أى ما انحدر منها . ويروى جدورها : جمع جدر ، وهى الحواجز التى تحبس الماء ، وفى الحديث : « وأمسك الماء حتى يبلغ الجدر ثم أرسله » .
(5) الأتى : السيل .
(6) مطموم : مرتفع ، مأخوذ من قولهم : طم الماء : إذا ارتفع وعلا .
(7) الكلام فيه على ورود الكاف حرف جر واسما بمعنى مثل ، وهى هنا حرف ولكنها مقحمة لتأكيد التشبيه ، كما أقحموا اللام من قولهم : يابؤس للحرب ، ولايجوز أن يقحم حرف من حروف الجر سوى اللام والكاف . أما اللام فلأنها تعطى بنفسها معنى الإضافة فلم تغير معناها ، وكذلك الكاف تعطى معنى التشبية فأقحمت لتأكيد معنى المماثلة .
(8) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : أخبرنا ابن هشام قال أخبرنى . . . الخ) .

من المُؤلِفات الرملَ أدماء حُرةٌ[1] شُعاع الضحى فى لونها يتوضَّحُ[2]

وهذا البيت فى قصيدة له . وقال مَطْرود بن كَعْب الخزاعىّ :

المُنعمين إذا النجومُ تغيّرت[3] والظاعنين لِرحْلة الإِيلافِ

وهذا البيت فى أبيات له سأذكرها فى موضعها إن شاء اللّه تعالى . والإِيلاف أيضاً : أن يكون للإِنسان ألف من الإبل ، أو البقر ، أو الغنم ، أو غير ذلك . ٥
يقال : آلف فلان إيلافا . قال الكُميت بن زيد ، أحد بنى أَسد بن خُزَيمة ابن مُدْركة بن إلياس بن مُضَر بن نزار بن معدّ :

بِعَامٍ يقول له المُؤلفو ن هـذا المُعيم لنا المُرْجِلُ[4]

وهذا البيت فى قصيدة له . والإِيلاف أيضاً : أن يَصير القوم ألفاً ، يقال آلف القوم إيلافاً . قال الكميت بن زيد : ١٠

وآل مُزَيقياء غداةَ لا قَوْا بنى سَعْد بنِ ضَبَّة مُؤلِفينا

وهذا البيت فى قصيدة له . والإِيلاف أيضاً : أن تؤلّف الشىء إلى الشىء فيألفه ويلزمه ؛ يقال : آلفته إياه إيلافا . والإيلاف أيضا : أن تصيّر ما دون الألف ألفاً ، يقال : آلفته إيلافا .

ما أصاب قائد الفيل وسائسه

قال ابن إسحاق حدّثنى عبد اللّه بن أبى بكر عن عمرة[5] بنة عبد الرحمن ١٥

---

(١) الأدماء من الظباء : السمراء الظهر البيضاء البطن .

(٢) شعاع الضحى : بريق لونه . ويتوضح : يتبين .

(٣) تغيرت : استحالت عن عادتها من المطر ، على مذهب العرب فى النجوم . ويروى : « تغبرت » بالباء الموحدة : أى قل مطرها ؛ من الغبر ، وهو البقية .

(٤) المعيم : من العيمة ، وهى الشوق إلى اللبن . والمرجل : الذى تذهب إبله فيمشى على أرجله . يريد أن تلك السنة تجعل صاحب الألف من اللبن يعام إلى اللبن ، ويمشى ماشيا . ويروى : « المرحل » بالحاء المهملة : أى الذى يرحلهم عن بلادهم لطلب الخصب . ٢٠

(٥) هى عمرة بنة عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الأنصارية المدنية الفقيهة . كانت فى حجر عائشة فحفظت عنها الكثير ، وقد روت عن غير عائشة وروى عنها حفيداها حارثة ومالك ابنا أبى الرجال وغيرهما . وكانت حجة . توفيت سنة ٩٨ هـ ، وقيل سنة ١٠٦ عن سبع وسبعين سنة ٢٥

ابن سعد[1] بن زُرارة عن عائشة ـ رضى ٱللّه عنها ـ قالت :
لقد رأيتُ قائدَ الفيل وسائسَه بمكةَ أعميَيْنِ مُقْعدَيْن يستطعمان الناس .

ما قيل فى صفة الفيل من الشعر

إعظام العرب قريشا بعد حادثة الفيل

قال ابن إسحاق :

٥ فلما ردّ ٱللّه الحبشةَ عن مكّة ، وأصابهم بما أصابهم به من النقمة ، أعظمت العربُ قريشاً ، وقالوا : هم أهل الله ، قاتل ٱللّهُ عنهم وكفاهم مئونةَ عدوِّهم . فقالوا فى ذلك أشعارًا يذكرون فيها ما صنع الله بالحبشة ، وما ردّ عن قريش من كيدهم .

شعر ابن الزبعرى فى وقعة الفيل

فقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى بن عَدِىّ بن قَيْس بن عَدِىّ بن سعد[2] بن سَهْم ابن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤىّ بن غالب بن فِهْر :

١٠ تنكّلوا[3] عن بَطْن مكّة إنّها ... كانت قديماً لا يُرام حَريمُها
لم تخلق الشِّعرى ليالىَ حُرِّمتْ ... إذ لا عزيزَ من الأنام يرومها[4]
سائلْ أميرَ الجيش عنها ما رأى ... ولسَوْفَ يُنْبِى الجاهلين عليمها
ستُّون ألفاً لم يؤُوبوا أرضَهم[5] ... ولم[6] يَعِشْ بعد الإياب سَقيمها

---

(١) كذا فى أكثر الأصول ، وتراجم رجال طبع أوربا . وفى ا ، وإحدى روايات
١٥ الطبرى : « أسعد » .

(٢) فى م ، ر : «عدى بن سعيد بن سهم» وفى ا : «عدى بن سعد بن سعيد بن سهم» وكلاهما محرف عما أثبتناه . (راجع الروض الأنف) .

(٣) ويروى : « تنكبوا » . وعلى الروايتين ففى البيت وقص .

(٤) الشعرى : اسم النجم ، وهما شعريان ، إحداهما الغميصاء ، وهى التى فى ذراع الأسد ؛
٢٠ والأخرى التى تتبع الجوزاء ، وهى أضوأ من الضياء .

(٥) لم يؤوبوا : لم يرجعوا ، وكان الوجه أن يقول : « إلى أرضهم » . فحذف حرف الجر ووصل الفعل .

(٦) كذا فى ا . وفى م ، ر . « بل لم . . . الخ » ، وقد نبه السهيلى على أن « بل » زيادة زادها بعضهم ممن ظن خطأ أن البيت مكسور . والواقع أن فى هذا الشطر وقصا كما مرّ
٢٥ فى البيت الأول .

كانت[1] بها عادٌ وجُرْهُم قبلَهم وَاللهُ مِنْ فوق العباد يُقيمها

قال ابن إسحاق : يعنى ابنُ الزبعرى بقوله :

* . . . بعد الإياب سقيمها *

أبرهةَ ، إذ حملوه معهم حين أصابه ما أصابه حتى مات بصنعاء .

شعر ابن الأسلت فى وقعة الفيل

وقال أبو قَيْس بن الأَسْلَت الأنصاريّ ثم الخَطْمىّ ، واسمه صَيْفِيّ . قال ابن هشام أبو قيس : صيفىّ بن الأسلت بن جُشَم بن وائل بن زَيْد بن قيس ابن عامرة[2] ابن مرّة بن مالك بن الأوس :

ومن صُنْعِه يوم فِيل الحُبو ش إذْ كلّما بعثوه رَزَمْ[3]

مَحاجِنُهم تحت أَقْرابه وقد شَرَّموا أَنفَه فانخرم[4]

وقد جعلوا سَوْطه مِغْولاً إذا يَمَّموه قَفاه كُلِمْ[5]

فولّى وأدبر أدراجَــــه وقد باء بالظلم مَنْ كان ثَمّ

فأرسل من فوقهم حاصِباً فلفّهمُ مثلَ لفّ القُزُم[6]

تَحُضّ على الصبر أحبارُهم وقد ثَأَجوا كثُؤَاج الْغَنَم[7]

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة له . والقصيدة أيضاً تروى لأمية ابن أبى الصَّلْت .

قال ابن إسحاق : وقال أبو قَيْس بن الأَسْلت :

---

(١) ويروى : « دانت » .

(٢) كذا فى شرح السيرة لأبى ذر ، وفى الأصول : « عامر » وهو تحريف .

(٣) رزم : ثبت بمكانه فلم يبرحه ، وأكثر مايكون ذلك من الإعياء .

(٤) المحاجن : جمع محجن ، وهى عصا معوجة . والأقراب : جمع قرب ، وهو الخصر . وشرّموا : شقوا .

(٥) المغول : سكين كبيرة دون المشمل (سيف صغير) . ويروى : معولا (بالعين المهملة) : وهى الفأس . وكلم : جرح .

(٦) القزم : جمع قزم ، وهو الصغير الجثة .

(٧) ثأج : صاح .

قوموا فصلّوا ربّكم وتمسّحوا بأركان هذا البيت بين الأخاشبِ[1]
فعندكمُ منه بلاء مصدّق غداةَ أبى يَكْسومَ هادِى الكتائب
كتيبتُه بالسهل تُمْسى[2] ورَجْلُه على القاذفات فى رءوس المَناقب[3]
فلما أتاكم نَصْر ذى العرش رَدَّهم جنودُ المليك بين سافٍ وحاصب[4]
٥ فولّوْا سراعًا هاربين ولم يَؤُب إلى أهله مِلْحبِش[5] غيرُ عصائب[6]

قال ابن هشام : أنشدنى أبو زيد الأنصارىّ قولَه :

* على القاذفات فى رءوس المناقب *

وهذه الأبيات فى قصيدة لأبى قيس سأذكرها فى موضعها إن شاء الله .

وقوله : « غداة أبى يَكْسوم » . يعنى أبرهة ، كان يكنى أبا يكسوم .

شعر طالب فى وقعة الفيل

١٠ قال ابن إسحاق :

وقال طالب بن أبى طالب[7] بن عبد المطلب :

ألم تعلموا ما كان فى حربِ دَاحسٍ[8] وجَيشِ أبى يَكْسوم إذ ملئوا الشِّعْبا[9]
فلولا دفاعُ اللهِ لاَ شَىْءَ غيرُه لأصبحتمُ لا تمنعون لكم سِرْبا[10]

قال ابن هشام : وهذان البيتان فى قصيدة له فى يوم بَدْر سأذكرها فى

١٥ موضعها إن شاء الله تعالى .

---

(١) صلوا ربكم : أى ادعوا ربكم . والأخاشب : جبال مكة وجبال منى .

(٢) كذا فى ا . وفى م ، ر : « تمشى » .

(٣) القاذفات : أعالى الجبال البعيدة . والمناقب : جمع منقبة ، وهى الطريق فى رأس الجبل .

(٤) الساف (هنا) : الذى غطاه التراب . والحاصب : الذى أصابته الحجارة ، وهما على معنى

٢٠ النسب ، وقد يكون المراد منهما اسم الفاعل حقيقة .

(٥) كذا فى م ، ر . يريد من الحبش . وفى ا : « ملجيش » .

(٦) العصائب : الجماعات .

(٧) ويذكرون أن طالبا هذا كان أسن من جعفر بعشرة أعوام ، كما كان جعفر أسن من على رضى الله عنه بمثل ذلك ، ويقال إن الجن اختطفت طالبا ، ولم يعرف عنه أنه أسلم .

٢٥ (٨) داحس : اسم فرس مشهور ، وكانت حرب بسببه .

(٩) الشعب : الطريق فى الجبل .

(١٠) السرب (بفتح السين) : المال الراعى ، والسرب (بكسر السين) : النفس ، أويقال القوم ، ومنه : أصبح آمنا فى سربه ، أى فى نفسه ، أو فى قومه .

أمر ابن أبى الصلت فى وقعة الفيل

قال ابن إسحاق :

وقال أبو الصَّلت بن أبى ربيعة الثَّقفىّ فى شأن الفيل، ويذكر الحنيفيّة دينَ إبراهيم عليه السلام . قال ابن هشام : تُروى لأمية ابن أبى الصلت بن أبى ربيعة الثَّقفىّ :

إنّ آياتِ ربِّنا ثاقباتٌ[1] لا يُمارِى فيهنّ إلا الكفورُ
خُلِق الليل والنهار فكُلٌّ مستبينٌ حِسابُه مَقْدور
ثم يَجلو النهارَ ربٌّ رحيم بمَهاة شعاعها مَنْشور[2]
حبس الفيلَ بالمُغمَّس حتى ظلّ يحبو كأنه مَعْقور
لازمًا حَلْقة الجِران كما قُطِّر من صَخْر كَبْكب مَحْدور[3]
حوله من ملوك كِنْدة أبطا لٌ ملاوِيث[4] فى الحُروب صُقور
خلّفوه ثم ابذعَرُّوا[5] جميعاً كلّهم عَظْمُ ساقه مَكْسورُ
كلّ دين يومَ القيامة عند اللّـه إلا دين[6] الحنيفة بور[7]

شعر الفرزدق فى وقعة الفيل

قال ابن هشام :

وقال الفرزدق ـ واسمه همّام بن غالب أحد بنى مُجاشع بن دَارم بن مالك ابن حَنْظلة بن مالك بن زَيْد مَناة بن تميم ـ يمدح سليمان بن عبد الملك ابن مَرْوان ، ويهجو الحجّاج بن يوسف ، ويذكر الفيلَ وجيشَه :

---

(١) فى ا : « باقيات » .
(٢) المهاة : الشمس ، سميت بذلك لصفائها، والمها من الأجسام: الذى يرى باطنه من ظاهره .
(٣) كذا فى ا . والجران : الصدر . وقطر ، أى رمى به على جانبه . والقطر : الجانب . وكبكب : اسم جبل . والمحدور : الحجر الذى حدر حتى بلغ الأرض . يشبه الفيل ببروكه ووقوعه إلى الأرض بهذا الحجر الذى يتحدر من جبل كبكب ، وفى . . . : « . . . . * . . . . مجدور » بالجيم .
(٤) ملاويث : أشداء .
(٥) ابذعروا : تفرقوا .
(٦) يريد بالحنيفة : الأمة الحنيفة : أى المسلمة التى على دين إبراهيم الحنيف صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنه حنف عما كان يعبد آباؤه وقومه : أى عدل .
(٧) كذا فى م ، ر . وفى ا : « زور » .

فلمّا طغى الحَجّاج حين طغى به غِنًى[1] قال إنى مُرْتقٍ فى السَّلاَلِمِ
فكان كما قال ابنُ نوحٍ سأرتقى إلى جبل من خَشْية الماء عاصم
رمَى اللهُ فى جُثمانه مثلَ ما رَمَى عن القِبْلة[2] البيضاء ذاتِ المحَارم
جُنوداً تسوق الفِيلَ حتى أعادهم هَباء وكانوا مُطْرَخِمِّى الطَّراخم[3]
٥ نُصِرْتَ كنصرِ البيتِ إذ ساق فيلَه إليه عظيمُ المشركين الأعاجم

وهذه الأبيات فى قصيدة له :

شعر ابن الرقيات فى وقعة الفيل

قال ابن هشام : وقال عبد الله بن قيس الرقيّات : أحد بَنى عامر بن لؤىّ ابن غالب يذكر أبرهة — وهو الأشرم — والفيلَ :

كاده الأشرمُ الذى جاء بالفيـ ـلِ فولّى وجيشُه مَهْزومُ
١٠ واستهلّت عليهمُ الطيرُ بالجَنْـ ـدل حتى كأنّه مَرْجوم[4]
ذاك من يَغْزُهُ من الناس يَرْجِعْ وهو فَلٌّ[5] من الجيوش ذَميمُ

وهذه الأبيات فى قصيدة له .

ملك يكسوم ثم مسروق على اليمن

قال ابن إسحاق :

فلما هلك أبرهة ، مَلَكَ الحَبَشةَ ابنهُ يَكسوم بن أبرهة ، و به كان يكنى ؛
١٥ فلما هلك يَكْسوم بن أبرهة ، مَلَكَ اليمنَ فى الحبشة أخوه مسروق بن أبرهة .

---

(١) كذا فى ا ، وهو من الغناء ، بمعنى الاستغناء ، وفى سائر الأصول : « عنا » . بالعين المهملة . وهو تصحيف .

(٢) القبلة البيضاء : يريد الكعبة .

(٣) الهباء : مايظهر فى شعاع الشمس إذا دخلت من موضع ضيق . والمطرخم : الممتلئ
٢٠ كبرا وغضبا . والطراخم : جمع مطرخم .

(٤) قال السهيلى فى التعليق على هذا البيت : «وقوله : حتى كأنه مرجوم» وهو قد رجم ، فكيف شبهه بالمرجوم ، وهو مرجوم بالحجارة ، وهل يجوز أن يقال فى مقتول كأنه مقتول ؟ فنقول : لما ذكر استهلال الطير ، وجعلها كالسحاب يستهل بالمطر ، والمطر ليس يرجم ، وإنما الرجم بالأكف ونحوها ، شبهه بالمرجوم الذى يرجمه الآدميون أو من يعقل ويتعمد الرجم من
٢٥ عدو ونحوه ، فعند ذلك يكون المقتول بالحجارة مرجوما على الحقيقة ، ولما لم يكن جيش الحبشة كذلك ، وإنما أمطروا حجارة ، فمن ثم قال : « كأنه مرجوم » .

(٥) الفل : الجيش المنهزم .

خروج سيف بن ذى يزن وملك وهرز على اليمن

ابن ذى يزن عند قيصر

فلما طال البلاء على أهل اليمن ، خَرَج سيفُ بن ذى يَزَن الحميرىّ ، وكان يكنى بأبى مُرّة ، حتى قدم على قيصر ملك الرّوم فشكا إليه ماهم فيه ، وسأله أن يخرجهم عنه ويَلِيَهم هو ، ويبعث إليهم مَنْ شاء من الروم ، فيكون له ملك اليمن ، فلم يُشْكِه [ولم يجد عنده شيئاً مما يريد][1] . ٥

توسط النعمان لابن ذى يزن لدى كسرى

فخرج حتى أتى النعمانَ بن المنذر ، وهو عامل كسرى[2] على الحيرة ، وما يليها من أرض العراق ، فشكا إليه أمرَ الحبشة ، فقال له النعمان : إن لى على كسرى وِفادةً فى كلّ عام ، فأقِمْ حتى يكون ذلك . ففعل ثم خرج معه فأدخله على كسرى . وكان كسرى يجلس فى إيوان مجلسه الذى فيه تاجه ، وكان تاجه مثلَ القَنْقل[3] العظيم - فيما يزعمون - يُضرب فيه الياقوت واللؤلؤ ١٠ والزبرجد بالذهب والفضة ، معلقا بسلسلة من ذهب فى رأس طاقة فى مجلسه ذلك ، وكانت عُنقه لا تحمل تاجَه ، إنما يُستر بالثياب حتى يجلس فى مجلسه ذلك ، ثم يُدخِل رأسَه فى تاجه ، فإذا استوى فى مجلسه كُشِفت عنه الثيابُ ، فلا يراه رجل لم يره قبلَ ذلك إلاّ بَرَكَ هيبةً له ؛ فلما دخل عليه سيفُ بن ذى يزن بَرَكَ .

---

(١) زيادة عن الطبرى .

(٢) هو أنو شروان . ومعناه مجدد الملك ، لأنه جمع ملك فارس الكبير بعد شتات . ١٥

(٣) القنقل : المكيال ، وقيل هو مكيال يسع ثلاثة وثلاثين منا . (المن : وزان رطلين تقريبا) . وهذا التاج قد أتى به عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين استلب من يزدجرد بن شهريار - وقد صار إليه من قبل جده أنو شروان المذكور - فلما أتى به عمر رضى الله عنه دعا سراقة بن مالك المدلجى فحلاه بأسورة كسرى ، وجعل التاج على رأسه ، وقال له : قل الحمد لله نزع تاج كسرى ملك الأملاك من رأسه ، ووضعه فى رأس أعرابى من ٢٠ بنى مدلج ، وذلك بعز الإسلام وبركته لا بقوتنا ، وإنما خص عمر سراقة بهذا لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قال له : يا سراقة ، كيف بك إذا وضع تاج كسرى على رأسك وأسوراه فى يديك ؟ .

ابن ذى يزن بين يدى كسرى ، ومعاونة كسرى له

قال ابن هشام حدثنى أبو عُبيدة :

أن سَيْفاً لما دخل عليه طأطأ رأسه ، فقال الملك : إن هذا الأحمق يدخل علىّ من هذا الباب الطويل ، ثم يطأطئ رأسه ! فقيل ذلك لسَيْف ؛ فقال : إنما فعلتُ هذا لهمّى ، لأنه يَضِيق عنه كلُّ شىء .

٥ قال ابن إسحاق :

ثم قال له : أيها الملك ، غَلبَتْنا على بلادنا الأغْرِبة ؛ فقال له كِسْرى : أىّ الأغربة : الحَبَشة أم السِّند ؟ فقال : بل الحَبَشة ، فجئتُكَ لتَنْصُرنى، ويكون مُلْك بلادى لك ؛ قال : بَعُدتْ بِلادُك مع قلّة خَيْرها ، فلم أكن لأورِّط[1] جيشاً من فارس بأرض العرب ، لا حاجة لى بذلك . ثم أجازه بعشرة آلاف ١٠ درهم[2] وافٍ ، وكساه كُسْوةً حسنة . فلما قبض ذلك منه سيفٌ خرج ، فجعل ينثر ذلك الوَرِق للناس ؛ فبلغ ذلك الملكَ ، فقال : إن لهذا لشأناً ، ثم بعث إليه فقال : عمدتَ إلى حِباء الملك تَنْثُره للناس ؛ فقال : وما أصنع بهذا ، ما جبال أرْضى التى جئتُ منها[3] إلا ذَهَبٌ وفضّة ؛ يرغّبه فيها . فجمع كسرى مَرَازبته[4]، فقال لهم : ماذا تَرَوْن فى أمر هـذا الرجل ، وما جاء له ؟ فقال قائل : أيها الملك ، إن فى ١٥ سُجونك رجالاً قد حبستَهم للقَتْل ، فلو أنك بعثتَهم معه ، فإن يَهْلِكوا كان ذلك الذى أردتَ بهم ، وإن ظَفِروا كان مُلْكاً ازددتَه[5] . فبعث معه كسرى مَنْ كان فى سجونه ، وكانوا ثمان مئة رجل .

وهرز وسيف بن ذى يزن وانتصارهما على مسروق وما قيل فى ذلك من الشعر

واستعمل عليهم رجلاً منهم يقال له وَهْرِز ، وكان ذا سِنّ فيهم ، وأفضلهم حسباً وبَيْتاً . فخرجوا فى ثمان سفائن، فغَرِقت سفينتان ، ووصل إلى ساحل عَدَن

٢٠ (١) لأورط جيشا : أى لأنتشب فى شر . والورطة : الانتشاب فى الشر .
(٢) يقال : وفى الدرهم المثقال ، وذلك إذا عدله .
(٣) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « بها » .
(٤) المرازبة : وزراء الفرس ، واحدهم مرزبان .
(٥) كذا فى ا والطبرى ، وفى سائر الأصول : « أردته »

ستّ سفائن[1] . فجَمَع سيف إلى وَهْرِز من استطاع من قومه ، وقال له : رِجْلى مع رِجْلك حتى نموت جميعاً أو نظفر جميعاً . قال له وهرِز : أنصفتَ ، وخرج إليه مَسْروق بن أبرهة ملك اليمن ، وجمع إليه جندَه . فأرسل إليهم وَهْرِز ابناً[2] له ، ليقاتلهم فيختبر قتالَهم ؛ فقُتِل ابنُ وَهْرِز ، فزاده ذلك حنَقاً عليهم . فلما تواقف الناس على مصافّهم قال وَهْرِز : أرُونى مَلِكهم ؛ فقالوا له : أترى رجلاً على الفِيل عاقداً تاجَه على رأسه ، بين عَيْنَيْه ياقوتةٌ حمراء ؟ قال : نعم ، قالوا : ذاك مَلِكُهم ؛ فقال : اتركوه . فوقفوا طويلاً ، ثم قال : عَلامَ هو ؟ قالوا : قد تحوّل على الفرَس ؛ قال : اتركوه . فوقفوا طويلا ، ثم قال : عَلامَ هو ؟ قالوا : قد تحوّل على البغلة . قال وَهْرِز : بنتُ الحمار ! ذلّ وذلّ مُلْكُه ، إنى سأرْميه ، فإن رأيتم أصحابَه لم يتحرّكوا فاثبتُوا حتى أوذِنكم ، فإنى قد أخطأتُ الرجلَ ، وإن رأيتمُ القومَ قد استدارُوا ولاثُوا[3] به ، فقد أصبتُ الرجل ، فاحملوا عليهم . ثم وَتَرَ قوسَه ، وكانت فيما يزعمون لا يُوترها غيرُه مِنْ شدّتها ، وأمر بحاجِبَيْه فعُصِّبا له ، ثم رماه فصَكّ الياقوتةَ التى بين عينيه ، فتغلغلت[4] النّشابة فى رأسه حتى خرجت من قفاه ، ونُكِس عن دابته ، واستدارت الحَبَشة ولاثت به ، وحملت عليهم الفُرْسُ ، وانهزموا ، فقُتِلوا وهربوا فى كل وجه ؛ وأقبل وَهْرِز ليدخل صنعاء[5] ، حتى إذا أتى بابَها قال : لا تدخل رايتى منكّسة أبداً ، اهدموا البابَ فهُدِم . ثم دخلها ناصباً رايتَه . فقال سيفُ بن ذى يَزَن الحِمْيرىّ :

---

(١) ويقال إن الجيش بلغ سبعة آلاف وخمس مئة ، وانضافت إليهم قبائل من العرب . (راجع الروض الأنف) .

(٢) وكان يقال له نوزاذ (راجع الطبرى)

(٣) لاثوا به : اجتمعوا حوله .

(٤) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « فتلغلغت » . وهو تحريف .

(٥) ويقال : إن صنعاء كان اسمها ، قبل أن يدخلها وهرز ويهدم بابها ، أوال (بفتح الهمزة وكسرها) ، وأنها سميت كذلك لقول وهرز حين دخلها : « صنعة صنعة » . يريد أن الحبشة أحكمت صنعها . ويقال إنها سميت باسم الذى بناها ، وهو صنعاء بن أوال بن عبير بن عابر بن شالخ ، فكانت تعرف مرة بصنعاء ، وأخرى بأوال .

يظنُّ الناسُ بالمَلْكَيْن أنهما قد التأمَا[1]
ومَنْ يَسْمع بِلأمِها فإنَّ الخَطْبَ قد فَقُمَا[2]
قتلنا القَيْلَ مَسْروقاً ورَوّينا الكَثيبَ دَمَا[3]
وإنَّ القَيْلَ قَيْلَ النّا س وَهْرِز مُقْسِمٌ قَسَما
٥ يذوق مُشَعْشَعاً حتى يُفِيْءَ السَّبْيَ والنَّعَما[4]

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى أبيات له . وأنشدنى خلاّد بن قرة السَّدوسى آخرَها بيتاً لأعشى بَنى قيس بن ثعلبة فى قصيدة له ، وغيره من أهل العلم بالشعر يُنْكرها له .

قال ابن إسحاق :

١٠ وقال أبو الصَّلت بن أبى ربيعة الثَّقفى ـ قال ابن هشام : وتروى لأُمية ابن أبى الصَّلْت :

لِيَطْلُب الوِتْرَ أمثالُ ابنِ ذى يَزَن رَيَّمَ[5] فى البحرِ للأعداء أحوالاَ
يَمَّمَ قيصرَ لمـا حان رِحْلتُه فلم يجد عنده بعضَ الذى سالا[6]
ثم انثنى[7] نحو كِسْرى بعدَ عاشرةٍ[8] من السنين يُهِين النفسَ والمالا

١٥ (١) التأما : يريد : قد اصطلحا واتفقا .
(٢) فقم : عظم .
(٣) القيل : الملك .
(٤) المشعشع : الشراب المزوج بالماء . ويفىء : يغنم .
(٥) ريم : أقام . أو هو مأخوذ من رام يريم ، إذا برح. كأنه يريد: أنه غاب زمانا وأحوالا
٢٠ ثم رجع للأعداء . ويروى : « لجج » .
(٦) رواية هذا البيت فى الطبرى ، والشعر والشعراء (طبع ليدن) :
أتى هرقل وقد شالت نعامتهم فلم يجد عنده بعض الذى قالا
٢٥ (٧) فى ا : « انتحى » .
(٨) فى الشعر والشعراء : « بعد تاسعة » .

حتى أتى بِبَنى الأحرار يَحْمِلهم إنَّكَ عَمْرى لقد أَسْرعتَ قِلْقالا [1]

لله دَرّهمُ من عُصبة خرجوا ما إنْ أرى لهمُ فى الناس أمثالا

بِيضاً مَرازبةً غُلْباً أساورةً أُسْداً تُربِّب فى الغَيْضات أَشْبالا [2]

يَرمونَ عن شُدُف كأنها غُبُط [3] بزَمْخرٍ [4] يُعجل المَرْمىّ إعجالا

أرسلتَ أُسْداً على سُودِ الكِلاب فقد أضحَى شريدُهم فى الأرض فُلَّالا [5]

فاشربْ هنيئاً عليك التاجُ مرتفقاً فى رأس غُمْدان [6] داراً منك مِحْلالا

واشرب هنيئاً فقد شالت نَعامتهم [7] وأَسْبِل اليومَ فى بُرْدَيك إسبالا [8]

تلك المكارمُ لا قَعْبان من لبنٍ شِيبَا بماء فعادا بعدُ أبوالا [9]

قال ابن هشام: هذا ما صحّ له مما روى ابن إسحاق منها، إلا آخرها بيتاً قوله:

---

(١) بنو الأحرار: الفرس. والقلقال: (بالكسر وبالفتح): شدة الحركة.

(٢) الغلب: الشداد. والأساورة: رماة الفرس. وتربب: من التربية. والغيضات: جمع غيضة، وهى الشجر الكثير الملتف.

(٣) شدف: عظام الأشخاص، يعنى بها القسى. وغبط: جمع غبيط، وهى عيدان الهودج وأداته.

(٤) كذا فى ا. والزمخر: القصب اليابس، يعنى قصب النشاب. وفى سائر الأصول: «بزجر» وهو تصحيف.

(٥) الفلال: المنهزمون.

(٦) غمدان (بضم أوله وسكون ثانيه وآخره نون): قصر بناه يشرح بن يحصب على أربعة أوجه: وجه أبيض، ووجه أحمر، ووجه أصفر، ووجه أخضر. وبنى فى داخله قصراً على سبعة سقوف، بين كلّ سقفين منها أربعون ذراعاً، وجعل فى أعلاه مجلساً بناه بالرخام الملوّن، وجعل سقفه رخامة واحدة، وصير على كل ركن من أركانه تمثال أسد من شبه كأعظم ما يكون من الأسد، فكانت الريح إذا هبت إلى ناحية تمثال من تلك التماثيل دخلت من دبره وخرجت من فيه، فيسمع له زئير كزئير السباع. وقيل: إن الذى بناه سليمان ابن داود عليهما السلام. وللشعراء شعر كثير فى غمدان. وقد هدم فى عهد عثمان رضى الله عنه. ومعنى قوله مرتفقاً: أى متكئاً، كما فى لسان العرب.

(٧) شالت نعامتهم: أهلكوا. والنعامة: باطن القدم. وشالت: ارتفعت، ومن هلك ارتفعت رجلاه، وانتكس رأسه، فظهرت نعامة قدمه. والعرب تقول: تنعمت، إذا مشيت حافيا.

(٨) الإسبال: إرخاء الثوب، ويريد به هنا الخيلاء والاعجاب.

(٩) القعبان: تثنية قعب، وهو قدح يحلب فيه. وشيبا: مزجا.

* تلك المَكارم لا قَعْبان من لَبَن *[1]

فإنه للنابغة الجعدىّ. واسمه [حِبّان بن][2] عبد الله بن قيس، أحد بنى جَعْدة ابن كَعْب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، فى قصيدة له.

٥ قال ابن إسحاق :

وقال عدىّ بن زَيْد الحِيرىّ، وكان أحدَ بنى تميم. قال ابن هشام: ثم أحد بنى امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم، ويقال: عدىّ من العِباد من أهل الحيرة[3] :

ما بعدَ صَنْعاء كان يَعْمُرُها ... وُلاةُ مُلْكٍ جَزْلٍ مواهبُها[4]

١٠ رَفَّعها مَنْ بَنَى لدى قَزَع الـ ... ـمُزْن وتَنْدَى مِسْكاً مَحاربها[5]

محفوفةٌ بالجبال دون عُرَى الـ ... ـكائد ما تُرْتقى غَواربها[6]

يَأْنَس فيها صَوْتُ النُّهام إذا ... جاوبها بالعشىّ قاصبُها[7]

---

(١) ومن روى هذا البيت للنابغة جعله من قصيدته التى مطلعها :

إما ترى ظلل الأيام قد حسرت ... عنى وشمرت ذيلا كان ذيالا

١٥ ولقد هجا بهذه القصيدة رجلا من قشير يقال له: ابن الحيا (الحيا أمه). ويعنى بهذه البيت (تلك المكارم . . . الخ) أن ابن الحيا فخر عليه بأنهم سقوا رجلا من جعدة أدركوه فى سفر، وقد جهد عطشاً، لبناً وماء فعاش. (راجع الأغانى ج ٥ ص١٣ ـ ١٥ طبع دارالكتب).

(٢) زيادة عن أسد الغابة (ج ٥ ص ٢) وخزانة الأدب (ج ١ ص ٥١٢) والإصابة (ج ٦ ص٢١٨) والاستيعاب (ج ١ ص ٣٢٠) والأغانى (ج ٥ ص ١ طبع دار الكتب).

٢٠ (٣) العباد : هم من عبد القيس بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة، قيل إنهم انتسلوا من أربعة : عبد المسيح، وعبد كلال، وعبد الله، وعبد ياليل. وكانوا قدموا على ملك فتسموا له، فقال : أنتم العباد، فسموا بذلك. وذكر الطبرى فى نسب عدى : أنه ابن زيد بن حماد بن أيوب بن مجروف بن عامر بن عصية بن امرئ القيس بن زيد مناة ابن تميم، وقد دخل بنو امرئ القيس بن زيد مناة فى العباد، فلذلك ينسب عدى إليهم.

٢٥ (٤) ولاة ملك : يريد الذين يدبرون أمر الناس ويصلحونه. وجزل : كثير.

(٥) القزع : السحاب المتفرق، والمزن : السحاب. والمحارب : الغرف المرتفعة.

(٦) يريد : دون عرى السماء وأسبابها. والكائد : هو الذى كادهم، وهو البارى سبحانه وتعالى : والغوارب : الأعالى . .

(٧) النهام : الذكر من البوم. والقاصب : صاحب الزمارة.

سَاقت إليها[1] الأسبابُ جُنْدَ بَنى الْـــ أَحْرار فرسانُها مَواكبها

وفُوِّزت بالبغال تُوسَــق بالْـــ حَتْف وتَسْعَى بها توالبُها[2]

حتى رآها الأَقْوالُ من طَرَف الـــ مَنْقَل مُخضرّة كتائبُها[3]

يوم يُنادون آل بَرْبر[4] والـــ يَكْسوم لا يُفلحنْ هاربها[5]

وكان يوم باقى الحديث وزا لت إمّة ثابتٌ مَراتبها[6] ٥

و بُدِّل الفَيْج[7] بالزرافة[8] والأيّـــام جُونٌ[9] جمٌّ عجائبها

بعـــد بَنى تُبَّع نَخاورة[10] قد اطمأنت بها مَرازبها

قال ابن هشام : وهــذه الأبيات فى قصيدة له . وأنشدنى أبو زيد [الأنصاريّ][11] ، ورواه لى عن المفضّل الضبىّ . قوله :

هــزيمة الأحبــاش ونبــوءة سطيح وشق

« يوم ينادون آل بربر واليكسوم » ١٠

وهذا الذى عنى سطيحٌ بقوله : « يليه إرم ذى يزن ، يخرج عليهم من عدن ، فلا يترك أحدا منهم باليمن » . والذى عنى شقّ بقوله : « غلام ليس بدنى ولا مدنّ ، يخرج عليهم من بيت ذى يزن » .

---

(١) كذا فى ا ، وفى سائر الأصول : « إليه » .

(٢) فوزت المفازة : قطعت . وقوله : توسق بالحتف ، أى أن وسق البغال الحتوف . ١٥ والتوالب : جمع تولب ، وهو ولد الحمار .

(٣) الأقوال : الملوك . والمنقل : الطريق المختصر ، وهو أيضاً : الأرض التى يكثر فيها النقل : أى الحجارة ، وقوله : من طرف المنقل ، أى من أعالى حصونها . والمنقال : المخرج ينقل إلى الملوك من قرية إلى قرية ، فكان المنقل من هذا . ومخضرة كتائبها : يعنى من الحديد ، ومنه الكتيبة الخضراء . ٢٠

(٤) آل بربر : يريد الحبشة .

(٥) فى شعراء النصرانية : « لا يفلتن » .

(٦) الإمة (بكسر الهمزة) : النعمة .

(٧) كذا فى شرح السيرة . والفيج : المنفرد ، أو هو الذى يسير للسلطان بالكتب على رجليه . وفى جميع الأصول : « الفيح » بالحاء المهملة . وهو تصحيف . ٢٥

(٨) الزرافة : الجماعة من الناس .

(٩) فى شرح السيرة لأبى ذر : « خون » . وهى جمع خائنة .

(١٠) بنو تبع : اليمن . والنخاورة : الكرام . واحدهم : نخوار .

(١١) زيادة عن ا .

ذكر ما انتهى إليه أمر الفرس باليمن

ملك الحبشة في اليمن وملوكهم

قال ابن إسحاق :

فأقام وهْرِز والفرس باليمن ، فمن بقية ذلك الجيشِ من الفرس الأبناء الذين باليمن اليوم . وكان ملك الحبشة باليمن ، فيما بين أن دخلها أرْياط إلى أن قتلت الفرسُ مسروقَ بن أبرهة وأُخرجت الحبشةُ ، اثنتين وسبعين سنة ، توارث ذلك منهم أربعة : أرياط ، ثم أبرهة ، ثم يَكْسوم بن أبرهة ، ثم مَسْروق بن أبرهة .

ملوك الفرس على اليمن

قال ابن هشام :

ثم مات وَهْرِز فأَمَّر كسرى ابنه المَرْزُبان بن وهْرز على اليمن ، ثم مات المَرْزُبان فأمّر كسرى ابنَه التَّيْنُجان بن المَرْزُبان على اليمن ، ثم مات التينُجان ، فأمّر كسرى ابنَ التينجان على اليمن ، ثم عزله وأمّر باذان ؛ فلم يزل باذان عليها حتى بعث الله محمداً [النبي][1] صلّى الله عليه وسلّم .

فبلغني عن الزهريّ أنه قال :

كسرى وبعثة النبي صلى الله عليه وسلم

كتب كسرى إلى باذان : أنه بلغني أن رجلاً من قريش خرج بمكة يزعم أنه نبيّ ، فسِرْ إليه فاستَتِبْه ، فإن تاب وإلا فابعث إليّ برأسه . فبعث باذان بكتاب كسرى إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله قد وعدنى أن يُقتل كِسْرى فى يوم كذا من شهر كذا . فلما أتى باذانَ الكتابُ توقّف لينظر ، وقال : إن كان نبيًا فسيكون ما قال . فقتل الله كسرى فى اليوم الذى قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم . قال ابن هشام : قُتل على يدى ابنه شِيرَوَيْه ، وقال خالد بن حقّ الشيبانى :

وكِسْرَى إذ تَقَسَّمه بَنوه ... بأسْياف كما أُقتُسِمَ اللِّحامُ[2]

---

(١) زيادة عن ا .

(٢) اللحام : جمع لحم .

تمخَّضت المَنون له بيومٍ أَنَى واكلّ حاملة تِمام[1]

سلام باذان

قال الزهرى:

فلما بلغ ذلك باذانَ بعث بإسلامه[2] و إسلام من معه من الفرس إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . فقالت الرسل من الفرس لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إلى مَنْ نحن يارسول الله ؟ قال : أنتم منّا و إلينا أهلَ البيت . ٥

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمان منا

قال ابن هشام : فبلغنى عن الزهرى أنه قال :

فمن ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سَلْمان منّا أهل البيت :

بشة النبى ونبوءة سطيح وشق

قال ابن هشام :

فهو الذى عَنى سطيح بقوله : « نبى زكىّ ، يأتيه الوحى من قبل العلىّ » .

والذى عَنَى شق بقوله : « بل ينقطع برسول مُرْسَل ، يأتى بالحق والعدل ، ١٠ من[3] أهل الدين والفَضْل ، يكون الملك فى قومه إلى يوم الفَصْل » .

الحجر الذى وجد باليمن

قال ابن إسحاق :

وكان فى حَجَر باليمن — فيما يزعمون — كتاب بالزَّبُور كُتب فىالزمان الأول : « لمن مُلْك ذِمار ؟ لِحِمْير الأَخْيار[4] ؛ لمن مُلْك ذمار ؟ للحبشة الأشرار[5] ؛ لمن مُلْك ذمار ؟ لفارس الأحرار[6] ؛ لمن ملك ذمار ؟ لقريش التجّار » .

وذِمار: اليمن أوصنعاء . قال ابن هشام : ذمار: بالفتح، فيما أخبرنى[7] يونس. ١٥

---

(١) أنى : حان .

(٢) كان إسلام باذان باليمن فى سنة عشر ، وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الأبناء يدعوهم إلى الإسلام .

(٣) كذا فى ا ، وفى سائر الأصول : « من » .

(٤) سموا بالأخيار : لأنهم كانوا أهل دين ، كما تقدم فى حديث فيميون ، وابن الثامر . ٢٠

(٥) سموا بالأشرار : لما أحدثوا فى اليمن من العبث والفساد وإخراب البلاد ، حتى هموا بهدم بيت الله الحرام .

(٦) سموا بالأحرار : لأن الملك فيهم متوارث من عهد جيومرت إلى أن جاء الاسلام ، لم يدينوا لملك ، ولا أدوا الإتاوة لذى سلطان من سواهم ، فكانوا أحرارا لذلك .

(٧) وحكى الكسر عن ابن إسحاق . (راجع الروض الأنف) . ٢٥

شعر الأعشى في نبوءة سطيح وشق

قال ابن إسحاق :

وقال الأعشى أعشى بنى قيس بن ثعلبة فى وقوع ما قال سَطيح وصاحبه :

ما نظرتْ ذاتُ أشفارٍ كنَظْرتها حقًّا كما صدق الذِّئبيّ إذ سَجَعا[1]

وكانت العرب تقول لسَطيح : الذِّئبيّ ، لأنه سَطيح بن ربيعة بن مسعود

٥ ابن مازن بن ذِئْب .

قال ابن هشام : وهذا البيت فى قصيدة له .

قصـــة ملك الحضر

نسب النعمان وشيء عن الحضر وشعر عدي فيه

قال ابن هشام : وحدثنى خلَّاد بن قُرَّة بن خالد السَّدُوسيّ عن جَنَّاد أو عن بعض علماء أهل الكوفة بالنسب أنه يقال :

١٠ إن النعمان بن المنذر من ولد ساطِرون[2] ملك الحَضْر . والحَضْر : حِصْن عظيم كالمدينة ، كان على شاطئْ الفرات ، وهو الذى ذكرعديّ بن زيد فى قوله :

وأخو الحَضْر إذ بناه وإذ دِجْـــلة تُجْبَى إليه والخَابورُ[3]

شاده مَرْمراً وجلَّله كِلْـــساً فللطير فى ذُراه وُكور[4]

لم يَهَبْه رَيْبُ المَنون فبان[5] الْـــمُلْك عنه فبابُه مهجورُ

١٥ (١) ذات أشفار : زرقاء اليمامة ، وكانت العرب تزعم أنها ترى الأشخاص على مسيرة ثلاثة أيام فى الصحراء ، وخبرها مشهور .

(٢) الساطرون : معناه بالسريانية الملك ، واسم الساطرون : الضيزم بن معاوية ، جر مقانى ، وقيل : قضاعىّ ، من العرب الذين تنخوا بالسواد (أقاموا به) فسموا تنوخ ، وهم قبائل شق . وأمه جيهلة ، وبها كان يعرف ، وهى أيضاً : قضاعية من بنى تزيد الذين تنسب إليهم الثياب التزيدية. ٢٠

٢٠ (٣) دجلة والخابور : نهران مشهوران .

(٤) المرمر : الرخام . والكلس : ماطلى به الحائط من جص وجيار . وجلله : كساه ويروى : خلله (بالخاء المعجمة) . أى جعل الجص بين حجر وحجر . وذراه : أعاليه . ووكور : جمع وكر ، وهو عش الطائر .

(٥) فى ا : « فباد » .

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة له .

والذى ذكره أبو دُوَاد الإيادى[1] فى قوله :

وأرى الموتَ قد تدلَّى من الحَضْـــر على ربّ أهله السَّاطرون

وهذا البيت فى قصيدة له . ويقال: إنها لخلف الأحمر ، ويقال: لحمّاد الراوية.

دخول سابور الحضر وزواجه بنت ساطرون وما وقع بينهما

وكان كسرى سابور ذو الأكتاف غزا ساطِرون مَلِكَ الحَضْر فحصره ٥ سنتين ، فأشرفت بنتُ ساطرون[2] يومًا فنظرت إلى سابور وعليه ثياب ديباج ، وعلى رأسه تاج من ذهب مكلّل بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ ، وكان جميلا ، فدسّت إليه : أتتزوّجنى إن فتحتُ لك بابَ الحَضْر ؟ فقال : نعم ؛ فلما أمسى ساطرون شرب حتى سكر ، وكان لا يبيت إلاّ سكران . فأخذت مفاتيحَ باب الحَضْر من تحت رأسه ، فبعثتْ بها مع مولًى لها ، ففتح الباب[3] ، فدخل ١٠ سابور ، فقتل ساطرونَ ، واستباح الحَضْر وخرّبه ، وسار بها معه فتزوّجها . فبيناهى نائمة على فراشها ليلاً إذ جعلت تتململُ لاتنامُ ، فدعا لها بشمع ، ففُتّش فراشُها ، فوُجد عليه ورقةُ آس[4] ؛ فقال لها سابور : أهذا الذى أسْهرَكِ ؟ قالت : نعم ؛ قال : فما كان أبوكِ يصنع بكِ ؟ قالت : كان يفرش لى الديباجَ ، ويُلبسنى الحرير ، ويُطْعمنى المخّ ، ويَسْقينى الخمر ؛ قال : أفكان جزاء أبيك ماصنعتِ به ، أنت إلىّ ١٥ بذلك أسْرع ؛ ثم أمَر بها فرُبطت قُرون[5] رأسها بذَنب فرَس ، ثم رَكَض الفرسُ حتى قتلها[6] . ففيه يقول أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

---

(١) واسمه جارية بن حجاج ، وقيل : حنظلة بن شرقى .

(٢) يقال إن اسمها النضيرة .

(٣) ويقال : إنها دلته على نهر واسع كان يدخل منه الماء إلى الحضر ، فقطع لهم الماء ، ٢٠ ودخلوا منه . وقيل : بل دلته على طلسم كان فى الحضر ، وعلى طريقة التغلب عليه . (راجع المسعودى والروض الأنف) .

(٤) الآس : الريحان .

(٥) قرون رأسها : يعنى ذوائب شعرها

(٦) ويقال إن صاحب هذه القصة هو سابور بن أزدشير بن بابك : لأن أزدشير هو ٢٥ أوّل من جمع ملك فارس ، وأذل ملوك الطوائف ، حتى دان الملك له ، والضيزن كان من ملوك

ألم تَرَ للحَضْر[1] إذ أهلُه	بنُعْمَى وهل خالدٌ من نَعَمْ
أقام به شاهبور[2] الجنو	دَ حَوْلَيْنَ تضرب فيه القُدُمْ[3]
فلما دعا ربه دَعـــــوةً	أناب إليـــــه فلم ينتقم

وهذه الأبيات فى قصيدة له .

٥ وقال عدىّ بن زيد فى ذلك :

والحَضْر صابت عليه دَاهيةٌ	من فوقه أيِّدٌ مناكبُها[4]
رَبيّةٌ[5] لم تُوَقِّ وَالدَها	لِحَيْنِها[6] إذ أضاع راقبها[7]
إذْ غَبَقَتْهُ[8] صهباءَ صافيةً	والخمر وَهْلٌ[9] يَهيم[10] شاربها
فأسلمت أهلَها بليْلتها	تظنّ أنّ الرئيس خاطبها
١٠ فكان حظُّ العروس إذ جَشَرَ[11] الـ	ـصبح دماءٌ تجرى سَبائبُها[12]

= الطوائف ، فيبعد أن تكون هذه القصة لسابور ذى الأكتاف ، وهو سابور بن هرمز ، لأنه كان بعد سابور الأكبر بدهر طويل ، وبينهم ملوك عدة ، وهم هرمز بن سابور ، وبهرام ابن بهرام ، وبهرام الثالث : ونرس بن بهرام ، وبعده كان ابنه سابور ذو الأكتاف .

(١) فى ا : « ألم ترى الحضر . الخ » .

١٥ (٢) شاهبور معناه : ابن الملك .وشاه : ملك ، وبور : ابن .

(٣) القدم : جمع قدوم ، وهو الفأس ونحوها .

(٤) صابت : سقطت ونزلت . وأيد : شديدة .

(٥) ربية : فعيلة بمعنى مفعول من ربى ؛ وقد تكون بمعنى الربو ، وهو النماء والزيادة ، لأنها ربت فى نعمة ، فتكون بمعنى فاعلة . وقيل : بل أراد : ربيئة ، بالهمز ، وسهل الهمزة ٢٠ فصارت ياء ، وجعلها ربيئة ، لأنها كانت طليعة حيث اطلعت حتى رأت سابور وجنوده ، ويقال للطليعة ، ذكرا أو أنثى : ربيئة .

(٦) ويروى : « لحبها » ، أى لمكرها .

(٧) أى أضاع المربئة الذى يرقبها ويحرسها ، ويحتمل أن تكون الهاء عائدة على الجارية ، أى أضاعها حافظها .

٢٥ (٨) غبقته : سقته بالعشى .

(٩) يقال : وهل الرجل ، إذا أراد شيئا فذهب وهمه إلى غيره .

(١٠) يهيم : يتحير .

(١١) جشر : أضاء وتبين .

(١٢) سبائبها : طرائقها .

وخُرِّب الخَمْر واستُبيح وقد   أُحْرق فى خدرها مشاجبها[1]

وهذه الأبيات فى قصيدة له .

ذكر ولد نزار بن معد

أولاده فى رأى ابن إسحاق وابن هشام

قال ابن إسحاق :

فولد نزار بن معدّ ثلاثةَ نفر : مُضَر[2] بن نِزار ، ورَبيعة بن نزار ، وأَنْمار بن نزار . ٥

قال ابن هشام :

و إياد بن نزار . قال الحارث بن دَوْس الإيادى ، و يروى لأبى دُوَاد الإِيادى ، واسمه جارية[3] بن الحجاج :

وفُتُوٍّ[4] حسنٍ أوجهُهُمْ   مِنْ إياد بن نزار بن معدّ

وهذا البيت فى أبيات له : ١٠

فأمُّ مضر و إياد : سَوْدةُ بنت علكّ بن عَدْنان . وأمُّ ربيعة وأنمار : شُقَيقة بنت علكّ بن عَدْنان ، و يقال جُمْعة بنت علكّ بن عَدْنان .

أولاد أنمار

قال ابن إسحاق :

فأنمار : أبو خَثْعم وبَجيلة[5] . قال جَرير بن عبد الله البَجَلى ، وكان سيّد بَجيلة ، وهو الذى يقول له القائل : ١٥

---

(١) كذا فى الأصل . والمشاجب : جمع مشجب ، وهو عود تعلق عليه الثياب . ويروى : « مساحبها » . والمساحب : القلائد فى العنق من قرنفل وغيره .

(٢) ويقال : إن مضر أوّل من سن حداء الإبل ، وكان ذلك فيما يزعمون أنه سقط عن بعير فوثبت يده . وكان أحسن الناس صوتا ، فكان يمشى خلف الإبل ، ويقول : وايدياه وايدياه . يترنم بذلك ، فأعنقت الابل وذهب كلالها ، فكان ذلك أصل الحداء عند العرب . ٢٠

(٣) كذا فى ا ، وفى سائر الأصول : « حارثة » وهو تحريف . (راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٧ من هذا الجزء) .

(٤) فتو : جمع فتى ، وهو الشاب الحدث .

(٥) وأم أولاد أنمار : بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة ، ولده من غيرها أفتل ، وهو خثعم فلم ينسب إليها . ويقال : إن بجيلة حبشية حضنت أولاد أنمار ، ولم تحضن أفتل . فلم ينسب إليها . (راجع الروض الأنف) . ٢٥

لولا جَرِيرٌ هلكتْ بَجِيلهْ نِعْمَ الفتى وبئستِ القبيلهْ

وهو ينافر[1] الفُرافصةَ[2] الكَلْبيّ إلى الأقْرَع بن حابس التَّميمى [بن عِقال ابن مُجاشع بن دارم بن مالك بن حَنْظلة بن مالك بن زَيْد مَناة][3] :

يا أقرعُ بن حابس يا أقرعُ إنَّكَ ان يُصرعْ أخوك[4] تُصرع

٥ وقال :

ابْنَىْ نزارٍ انصُرا أخاكما إنّ أبِى وجَدْتُه أبَاكما

* لن يُغلَب اليومَ أخٌ وَالاَكُما *

وقد تيامنتْ فلَحِقتْ باليمن .

قال ابنُ هشام :

١٠ قالت اليمن : وبَجِيلة : أنمارُ بن إراش بن لِحْيان بن عمرو بن الغَوْث ابن نَبْت بن مالك بن زيد بن كَهْلان بن سَبأ ؛ ويقال : إراش ابنُ عمرو ابن لِحْيان بن الغَوْث . ودار بَجِيلة وخَثْعم : يمانية .

أولاد مضر

قال ابن إسحاق :

فولد مُضَر بن نزار رجلَيْن : إلياس بن مُضَر ، وعَيْلان[5] بن مضر .

١٥ قال ابن هشام : وأمهما جُرْهمية[6] .

أولاد إلياس

قال ابن إسحاق :

فولد إلياس بن مُضَر ثلاثة نفر : مُدْركَة بن إلياس ، وطابخة بن إلياس ، وقَمَعَة بن إلياس ، وأمهم خِنْدف، امرأة من اليمن .

---

(١) ينافر : يحاكم .

٢٠ (٢) الفرافصة (بالضم) : الأسد . (وبالفتح) : اسم الرجل ؛ وقد قيل : كل فرافصة فى العرب بالضم إلا الفرافصة أبا نائلة صهر عثمان بن عفان ، فإنه بالفتح .

(٣) زيادة عن ا .

(٤) كذا فى ا . وهو الأشهر . وفى سائر الأصول : « أخاك » .

(٥) ويقال : إن عيلان هذا، هو قيس نفسه لا أبوه ، وسمى بفرس له اسمه عيلان ، وقيل: ٢٥ عيلان اسم كلبه .

(٦) ويقال : إنها ليست من جرهم ، وإنما هى الرباب بنت حيدة بن معد بن عدنان . (راجع الطبرى والروض الأنف) .

شيء عن خندف وأولادها

قال ابن هشام :

خِنْدف[1] بنت عِمْران بن الحاف بن قُضاعة .

قال ابن إسحاق : وكان اسم مُدْرِكة عامرًا ، واسمُ طابخة عمرًا ؛ وزعموا أنهما كانا فى إبل لهما يَرْعيانها ، فاقتنصا صيدًا فقعَدا عليه يطبخانه ، وعَدَتْ عاديةٌ على إبلهما ، فقال عامر لعَمْرو : أتدركُ الإبلَ أم تطبخ هذا الصيدَ ؟ فقال عمرو : بل أطْبُخ . فلَحِق عامرٌ بالإبل فجاء بها ، فلما راحا على أبيهما حدّثاه بشأنهما ، فقال لعامر : أنت مُدْرِكة ؛ وقال لعمرو : وأنت طابخة [وخرجت أمهم لما بلغها الخبرُ ، وهى مسرعة ، فقال لها : تُخَنْدفين ! فسميت : خِنْدف][2] .

وأما قَمَعَة[3] فيزعُم نُسّاب مضر : أن خزاعة من ولد عمرو بن لُحَىّ بن قَمعة بن إلياس .

قصة عمرو بن لحى وذكر أصنام العرب

رآه النبي صلى الله عليه وسلم يجر قصبه فى النار

قال ابن إسحاق : وحدّثنى عبدُ الله بن أبى بكر بن محمّد بن عمرو بن حَزْم عن أبيه قال :

حُدِّثت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : رأيت عمرو بن لُحَىّ يَجُرّ قُصْبَه[4] فى النار ، فسألته عمّن بينى و بينه من الناس فقال : هلكوا .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمىّ أن أبا صالح السّمّان حدّثه أنه سَمِع أبا هُرَيرة ـ قال ابن هشام : واسم أبى هُرَيرة : عبد الله ابن عامر ، و يقال اسمه عبد الرحمن بن صَخْر ـ يقول :

---

(١) واسمها ليلى : وأمها ضرية بنت ربيعة بن نزار التى ينسب إليها حمى ضرية ، وخندف هذه هى التى ضربت الأمثال بحزنها على الياس ، وذلك أنها تركت بنيها وساحت فى الأرض تبكيه حتى ماتت ، وإنما نسب أولادها إليها لأنها حين تركتهم شغلا لحزنها على أبيهم ، وكانوا صغارا رحمهم الناس ، فقالوا هؤلاء أولاد خندف التى تركتهم ، وهم صغار أيتام .

(٢) زيادة عن ا .

(٣) واسم قمعة : عمير ، وسمى قمعة لأنه انقمع وقعد .

(٤) القصب : الأمعاء .

سمعت رسول الله صلّى اللهُ عليه وسلم يقول لأَكثم بن الجَوْن الخُزاعِىّ : يا أَكثم ، رأيت عمرو بن لُحَىّ بن قَمَعة بن خِنْدف يجرّ قُصْبه فى النار ، فما رأيت رجلاً أشبهَ برَجُل منك به ، ولا بك منه ؛ فقال أَكْثم : عسى أن يَضُرّنى شَبَهُهُ يا رسول الله ؟ قال : لا ، إنك مؤمن وهو كافر ، إنه كان أوّل مَنْ غيّر دين إسماعيل . فنصب الأوثان ، وبَحَر البَحيرة[1] ، وسيّب السّائبة ، ووَصَل الوَصِيلة ، وحَمى الحامى .

جلب الأصنام من الشام إلى مكة

قال ابن هشام حدّثنى بعض أهل العلم :

أن عمرو بن لُحَىّ خرج من مكة إلى الشام فى بعض أموره ، فلما قدم مآبَ من أرض البَلْقاء ، وبها يومئذ العَماليق ـ وهم ولد عِمْلاق . ويقال عِمْليق ابن لاوذ بن سام بن نوح ـ رآهم يعبدون الأصنام فقال لهم : ما هذه الأصنام التى أراكم تَعْبدون ؟ قالوا له : هذه أَصْنام نعبدها ، فنَسْتمطرها فتُمْطِرنا ، ونَسْتَنْصرها فتَنْصرنا ؛ فقال لهم : أفلا تُعْطُوننى منها صَنَماً ، فأَسِيرَ به إلى أرض العرب ، فيعبدوه[2] ؟ فأعطَوْه صنَماً يقال له هُبَل ، فقدم به مكّة فنَصبه ، وأمَرَ الناسَ بعبادته وتعظيمه[3] .

أول عبادة الحجارة كانت فى بنى إسماعيل

قال ابن إسحاق :

ويزعمون أن أوّل ما كانت عبادة الحجارة فى بَنى إسماعيل ، أنه كان لا يَظْعَن

(١) ويقال : إن أول من بحر البحيرة رجل من بنى مدلج كانت له ناقتان فجدع أذانهما ، وحرم ألبانهما . (راجع الروض الأنف) .

(٢) فى الأصول : « فيعبدونه » .

(٣) ويقال : إنه أول ما كان من أمر عمرو هذا فى عبادة الأصنام : أنه كان حين غلبت خزاعة على البيت ونفت جرهم عن مكة ، جعلته العرب ربا لايبتدع لهم بدعة إلا اتخذوها شرعة ، لأنه كان يطعم الناس ويكسوهم فى الموسم ، فربما نحر فى الموسم عشرة آلاف بدنة ، وكسا عشرة آلاف حلة ، وكانت هناك صخرة يلت عليها السويق للحجاج رجل من ثقيف ، وكانت تسمى صخرة اللات (أى الذى يلت العجين) ، فلما مات هذا الرجل ، قال لهم عمرو : إنه لم يمت ، ولكن دخل فى الصخرة ، وأمرهم بعبادتها ، وأن يبنوا عليها بيتاً يسمى اللات . (راجع الروض الأنف) .

من مكة ظاعنٌ منهم ، حين ضاقت عليهم ، والتمسوا الفَسَحَ فى البلاد ، إلاّ حَمَل معه حجراً من حجارة الحَرَم تعظيماً للحرم ، فحيثما نزلوا وضعوه ، فطافوا به كطوافهم بالكعبة ، حتى سَلَخ[1] ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة ، وأعجبهم ؛ حتى خَلَف الْخُلوف[2] ، ونَسَوْا ما كانوا عليه . واستبدلوا بدين إبراهيم و إسماعيل غيرَه ، فعبدوا الأوثان ، وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبْلَهم من الضلالات ؛ وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم يتمسّكون بها ، من تعظيم البيت ، والطواف به ، والحجّ والعمرة ، والوقوف على عرفة والمزدلفة ، وهَدْى البُدن ، والإهلال بالحجّ والعُمرة ، مع إدخالهم فيه ما ليس منه . فكانت كِنانة وقُريش إذا أهلّوا قالوا : « لبّيك اللهم لبّيك ، لبّيك لاشريك لك إلا شريك هو لك ، تملكه وما مَلَك » . فيوحّدونه بالتلبية ، ثم يُدْخلون معه أصنامَهم ، ويجعلون مِلْكَها بيده . يقول الله تبارك وتعالى لمحمد صلّى الله عليه وسلم : « وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ » . أى مايوحّدوننى لمعرفة حقّى إلا جعلوا معى شريكاً من خَلْقى .

الأصنام عند قوم نوح

وقد كانت لقوم نوح أصنامٌ قد عكفوا عليها ، قصّ الله تبارك وتعالى خبَرها على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال : «وَقالُوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدًّا وَلاَ سُوَاعًا وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً » .

القبائل وأصنامها ، وشىء عنها

فكان الذين اتخذوا تلك الأصنام من ولد إسماعيل وغيرهم ، وسموا بأسمائهم حين فارقوا دين إسماعيل : هُذَيلَ بن مُدْرِكة بن إلياس بن مضر ، اتخذوا سُواعا ، فكان لهم بُرهَاط[3] . وكَلْب بن وَبْرة من قُضاعة ، اتخذوا وَدّا بدُومة[4] الجَنْدل.

(١) سلخ بهم : خرج بهم .
(٢) الخلوف : جمع خلف (بالفتح) ، وهو القرن بعد القرن .
(٣) رهاط : من أرض ينبع .
(٤) دومة الجندل (بضم أوله وفتحه ، وقد أنكر ابن دريد الفتح وعده من أغلاط المحدثين) : من أعمال المدينة ، سميت بدوم بن إسماعيل بن إبراهيم . (راجع معجم البلدان)

قال ابن إسحاق :

وقال كعب بن مالك الأنصارى :

وَننسى اللاتَ والعُزّى ووَدًّا ونسلُبها القلائدَ والشُّنوفَا (١)

قال ابن هشام : وهذا البيت فى قصيدة له سأذكرها فى موضعها إن شاء الله .

رأى ابن هشام فى نسب كلب ابن وبرة

قال ابن هشام :

وكَلْب ابنُ وَبْرَةَ بن تغلب بن حُلْوَان بن عِمْران بن الحاف بن قضاعة .

يغوث وعبدته

قال ابن إسحاق :

وأنْعُم من طيِّئ ، وأهل جُرَش (٢) من مَذْحج اتخذوا يغوث بجُرَش (٣) .

رأى ابن هشام فى أنعم وفى نسب طيئ

قال ابن هشام :

ويقال : أنْعَم . وطيِّئ ابنُ أُدد بن مالك ، ومالك : مَذْحج بن أُدَد ، ويقال : طيئ ابنُ أُدد بن زيد بن كَهْلان بن سَبأ .

يعوق وعبدته

قال ابن إسحاق :

وخَيْوانُ (٤) بَطْن من هَمْدان ، اتخذوا يَعوق بأرض هَمْدان من أرض اليمن (٥)

قال ابن هشام :

---

(١) الشنوف : جمع شنف ، وهو القرط الذى يجعل فى الأذن .

(٢) المعروف أن جرش فى حمير ، وأن مذحج من كهلان بن سبأ . وذكر الدارقطنى أن جرش وحرش (بالحاء المهملة) أخوان ، وأنهما ابنا عليم بن جناب الكلبى ، فهما قبيلان من كلب . (راجع الروض الأنف ص ٦٣ ، وشرح السيرة ص ٢٩) . وعبارة ابن الكلبى فى الأصنام : « واتخذت مذحج وأهل جرش » . فلم يجعل هو الآخر جرش من مذحج .

(٣) جرش (بالضم ثم الفتح وشين معجمة) : من مخاليف اليمن من جهة مكة . (راجع معجم البلدان) .

(٤) وخيوان أيضاً : قرية لهم من صنعاء على ليلتين مما يلى مكة ، وكان بها يعوق هذا .

(٥) قال ابن الكلبى فى كتابه الأصنام : « ولم أسمع همدان ولا غيرها من العرب سمت به ، ولم أسمع لها ، ولا لغيرها فيه شعرا ، وأظن ذلك لأنهم قربوا من صنعاء ، واختلطوا بحمير ، فدانوا معهم باليهودية ، أيام تهود ذى نواس فتهودوا معه . ويرد عليه ما أورده هنا ابن هشام لمالك بن نمط الهمدانى فى يعوق من الشعر ، فلعل ابن الكلبى لم يقع عليه ، أو لعله يريد أن يعوق كان أقل خطرا وأركد ذكرا .

وقال[1] مالك بن نَمَط الهَمْدانى[2] :

يَرِيش الله فى الدنيا ويَبْرِى ولا يَبْرِى يَعوقُ ولا يَرِيشُ[3]

وهذا البيت فى أبيات له .

همدان ونسبه

قال ابن هشام :

اسم همدان : أَوْسَلة بن مالك بن زيد بن ربيعة بن أَوْسَلة بن الخِيار بن مالك ابن زيد بن كهلان بن سبأ ؛ ويقال : أوسلة ابنُ زيد بن أَوْسَلة بن الخيار . ويقال : همدان ابنُ أَوْسَلة بن ربيعة[4] بن مالك بن الخِيار بن مالك بن زيد ابن كَهْلان بن سبأ[5] .

نسر وعبدته

قال ابن إسحاق :

وذو الكُلاع[6] من حِمْير ، اتخذوا نَسْرًا بأرض حِمْير[7]

عميانس وعبدته

وكان لخَوْلان صَنَم يقال له عُمْيَانِس[8] بأرض خَوْلان ، يَقْسِمون له من أنعامهم وحروثهم قسمًا بينه وبين الله بزعمهم ، فما دخل فى حق عُمْيَانِسَ من

---

(1) مكان هذه العبارة والبيت وما يتعلق به ، فيما سيأتى بعد : « . . . بن الخيار » . وقبل : « ويقال همدان . . . الخ » . وقد رأينا تقديمها عن موضعها ليتصل سياق الحديث عن همدان من غير فصل ، وقد يكون هذا مكانها الأول .

(2) هو أبو ثور : ويلقب ذا المعشار ، وهو من بنى خارف ، وقيل إنه من يام بن أصى ، وكلاهما من همدان . (راجع الروض الأنف) .

(3) يريش ويبرى : من رشت السهم وبريته ، ثم استعير فى النفع والضر .

(4) فى ا : « ربيعة بن الخيار بن مالك . . الخ » .

(5) والذى فى الاشتقاق لابن دريد : أنه أوسلة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان .

(6) الذى فى الأصنام لابن الكلبى : أن عمرو بن لحى دفع نسرا هذا إلى رجل من ذى رعين من حمير يقال له معد يكرب .

(7) كان هذا الصنم بأرض يقال لها : بلخع، موضع من أرض سبأ ، ولم تزل تعبده حمير ومن والاها حتى هودهم ذو نواس . (راجع الأصنام لابن الكلبى ، ومعجم البلدان لياقوت ج ٤ ص ٧٨٠ طبع أوربا) .

(8) كذا فى الأصنام لابن الكلبى . وفى أكثر الأصول : « غم ألس » . وفى ا وعمود النسب للشيخ أحمد البدوى الشنقيطى : « عم أنس » ، وقد نبه المرحوم زكى باشا أنه لم يعثر على اسم كهذا الذى ورد فى السيرة فى كتب اللغة .

حقّ الله تعالى الذى سمّوه له ، تركوه له ، وما دخل فى حق الله تعالى من حق عُمْيَانِسَ ردّوه عليه . وهم بطن من خولان ، يقال لهم الأديم ، وفيهم أنزل الله تبارك وتعالى فيما يذكرون : « وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُوا هٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهٰذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ » .

نسب خولان

قال ابن هشام :

خَوْلان ابن عمرو بن الحاف بن قُضاعة ؛ ويقال : خَوْلان ابنُ عمرو ابن مرة[1] بن أُدد بن زيد بن مِهْسَع بن عمرو بن عَريب بن زيد بن كهلان ابن سبأ ؛ ويقال : خَوْلان ابن عمرو بن سعد العشيرة بن مَذْحج .

سعد وعبدته

قال ابن إسحاق :

وكان لبَنِي[2] مِلْكان[3] بن كِنانة بن خُزَيْمة بن مُدْركة بن اليأس بن مُضَر صنم ، يقال له سَعْد ، صَخْرة بفلاة[4] من أرضهم طويلة . فأقبل رجل من بنى مِلْكان بإبل له مُؤَبَّلة[5] ليقفها عليه ، التماسَ بركته ، فيما يزعم ؛ فلما رأته الإبل ، وكانت مَرْعِيّة لا تُركَب ، وكان يُهْراق عليه الدماء ، نفرتْ منه ، فذهبتْ فى كل وجه ، وغَضِب ربها المِلْكانى ، فأخذ حجرًا فرماه به ، ثم قال : لا بارك الله فيك ، نفّرت على إبلى ، ثم خرج فى طلبها حتى جمعها ، فلما اجتمعت له قال :

أَتَيْنَا إلى سَعْد ليجمع شَمْلَنا ... فَشتّتنا سعدٌ فلا نحنُ من سَعْدِ
وهل سعدُ إلاّ صخرة بتَنُوفة[6] ... من الأرض لاتَدْعُو[7] لغىّ ولا رُشْد

---

(1) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « برة » .

(2) عبارة الأصنام : « وكان لمالك وملكان ابنى كنانة » .

(3) كل ملكان فى العرب : فهو بكسر الميم وسكون اللام ، غير ملكان فى قضاعة ، وملكان فى السكون ، فإنهما بفتح الميم واللام .

(4) وكانت تلك الفلاة بساحل جدة : (راجع معجم البلدان ج ٣ ص ٩٢ طبع أوربا ، والأصنام لابن الكلبي) .

(5) إبل مؤبلة : تتخذ للقنية .

(6) التنوفة : القفر من الأرض الذى لاينبت شيئا .

(7) كذا فى الأصول والأصنام ، وفى معجم البلدان لياقوت : « لايدعى » .

صنم دوس

وكان فى دَوْس صنم[1] لعمرو بن حُمَمة الدَّوسىّ .

قال ابن هشام : سأذكر حديثه فى موضعه إن شاء الله .

نسب دوس

ودَوس ابنُ عُدْثان[2] بن عبدالله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب ابن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأسْد بن الغوث. ويقال : دوس ابنُ عبد الله ابن زهران بن الأسد بن الغوث .

هبل

قال ابن إسحاق :

وكانت قريش قد اتخذت صنماً على بئر فى جوف الكعبة يقال له : هُبَل.[3]

قال ابن هشام : سأذكر حديثَه إن شاء الله فى موضعه .

إساف ونائلة وحديث عائشة عنهما

قال ابن إسحاق :

واتخذوا إِسَافًا[4] ونائلة ، على موضع زمزم[5] ينحرون عندهما . وكان إساف ونائلة رجلاً وامرأة من جُرْهم ـ هو إساف بن بَغْى[6] ، ونائلة بنت[7] دِيك ـ فوقع إساف على نائلة فى الكعبة ، فمسخهما الله حَجَرَيْن .

---

(١) وكان يقال لهذا الصنم : « ذو الكفين » . وكان لبنى منهب بن دوس بعد دوس ، ولما أسلموا بعث النبي صلى الله عليه وسلم الطفيل بن عمرو الدوسى لحرقه (راجع الأصنام لابن الكلبي) .

(٢) كذا فى ا والاشتقاق لابن دريد . وفى سائر الأصول : « عدنان » .

(٣) وكان هبل أعظم أصنام العرب التى فى جوف الكعبة وحولها ، وكان من عقيق أحمر على صورة إنسان ، مكسور اليد اليمنى ؛ أدركته قريش كذلك ، فجعلوا له يدا من ذهب ، وكان أول من نصبه خزيمة بن مدركة بن اليأس بن مضر ، وكان يقال له : هبل خزيمة ، وكانت تضرب عنده القداح : (راجع الأصنام لابن الكلبي) .

(٤) هو بفتح الهمزة وكسرها . (راجع شرح القاموس مادة أسف) .

(٥) وكان أحد هذين الصنمين أولا بلصق الكعبة ، والآخر فى موضع زمزم ، فنقلت قريش الذى كان بلصق الكعبة إلى الآخر ، فكانا فى موضعهما هذا . (راجع الألوسى وابن الكلبي) .

(٦) وقيل : هو إساف بن يعلى، كما قيل إنه إساف بن عمرو ، وقيل : ابن بغاة . (راجع الأصنام لابن الكلبي) . ومعجم البلدان وشرح القاموس مادتى أسف ونال ، وبلوغ الأرب ج ٢ ص ٢١٧) .

(٧) ويقال : هى نائلة بنت زيد من جرهم ، كما قيل : إنها نائلة بنت سهيل : كما يقال إنها بنت ذئب أو بنت زفيل (راجع ابن الكلبي وبلوغ الأرب ومعجم البلدان وشرح القاموس).

قال ابن إسحاق حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن عَمْرة بنت عبد الرحمن بن سعد بْنُ زرارة أنها قالت :

سمعت عائشة رضى الله عنها تقول : مازلنا نسمع أن إسافاً ونائلة كانا رجلا وامرأة من جُرْهم، أحْدثا[1] فى الكَعْبة ، فمسخهما الله تعالى حَجَرَيْن . والله أعلم .

٥ قال ابن إسحاق :

وقال أبو طالب[2] :

وحيث يُنيخ الأشعرون رِكابَهم بمُفْضَى السُّيول من إسافٍ ونائلِ[3]

قال ابن هشام : وهذا البيت فى قصيدة له سأذكرها فى موضعها إن شاء الله تعالى .

ما كان يفعله العرب مع الأصنام

قال ابن إسحاق :

١٠ واتخذ أهل كل دار فى دارهم صنماً يعبدونه ، فإذا أراد الرجل منهم سفرًا تمسّح به حين يركب ، فكان ذلك آخرَ ما يصنع حين يتوجه إلى سفره ، وإذا قدم من سفره تمسّح به ، فكان ذلك أولَ ما يبدأ به قبل أن يدخل على أهله ، فلما بعث الله رسوله محمدًا صلّى الله عليه وسلّم بالتوحيد، قالت قريش : أجعلَ الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشىء عجاب ! وكانت العرب قد اتخذت مع الكعبة طَواغيت،

١٥ وهى بيوت تعظّمها كتَعْظيم الكعبة ، لها سَدَنة وحُجّاب ، وتُهدِى لها كما تُهْدِى للكعبة ، وتطوف بها كَطَوافها بها ، وتَنْحر عندها . وهى تعرف فضلَ الكعبة عليها ، لأنها كانت قد عَرَفت أنها بيتُ إبراهيم الخليل ومسجدُه .

---

(١) يريد: الحدث الذى هو الفجور، ومنه قوله عليه السلام : « من أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله » .

٢٠ (٢) وقال أبو طالب هذا الشعر يحلف بإساف ونائلة حين تحالفت قريش على بنى هاشم فى أمر النبى صلى الله عليه وسلم : (راجع الأصنام لابن الكلبى) .

(٣) وقبل هذا البيت :

أحضرت عند البيت رهطى ومعشرى وأمسكت من أثوابه بالوصائل

[الوصائل : ثياب يمانية بيض ، أو مخططة ببيض وحمر] .

العزى وسدنتها

فكانت لقريش وبنى كنانة العُزَّى[1] بنَخْلة[2]، وكان سَدنَتَها وحُجّابَها بنو شَيْبان[3]، من سُلَيْم، حلفاء بنى هاشم.

قال ابن هشام:

حلفاء [بنى][4] أبى طالب خاصّة، وسُلَيم: سُلَيم بن مَنْصُور بن عِكْرمة ابن خَصَفَة بن قَيْس بن عَيْلان.

قال ابن إسحاق:

فقال شاعر من العرب:

لقد أُنْكِحتْ أَسْماءُ رأسَ[5] بُقَيْرَةٍ ... من الأُدْم أهداها امرؤ من بنى غَنْمِ[6]

---

(١) والعزى: أحدث من اللات ومناة، فقد سمت العرب بهما قبل العزى، فقد سمى تميم ابن مر ابنه زيد مناة، كما سمى ثعلبة بن عكابة ابنه بتيم اللات، وكان عبد العزى بن كعب من أقدم ما سمت به العرب، وكان الذى اتخذ العزى ظالم بن أسعد، وكانت أعظم الأصنام عند قريش، وكانوا يزورونها ويهدون لها ويتقربون عندها بالذبح. وقد قيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها يوما، فقال: «لقد أهديت للعزى شاة عفراء، وأنا على دين قومى». ولقد بلغ من حرص قريش على عبادتها أنه لما مرض أبو أحيحة مرضه الذى مات فيه دخل عليه أبو لهب يعوده فوجده يبكى، فقال: ما يبكيك يا أبا أحيحة! أمن الموت تبكى، ولابد منه؟ قال: لا والله؛ ولكن أخاف أن لاتعبد العزى بعدى؛ قال أبو لهب: والله ماعبدت حياتك لأجلك، ولا تترك عبادتها بعدك لموتك؛ فقال أبو أحيحة: الآن علمت أن لى خليفة. وأعجبه من أبى لهب شدة نصبه فى عبادتها: (راجع الأصنام لابن الكلبى، ومعجم البلدان لياقوت).

(٢) هى نخلة الشامية، وكانت العزى بواد منها، يقال له حراض، بإزاء الغمير عن يمين المصعد إلى العراق من مكة، وذلك فوق ذات عرق إلى البستان بتسعة أميال، وقد حمت قريش للعزى شعبا من وادى الحراض يقال له: سقام. يضاهون به حرم الكعبة. (راجع الاصنام لابن الكلبى، ومعجم البلدان لياقوت).

(٣) وشيبان: ابن جابر بن مرة بن عبس بن رفاعة بن الحارث بن عتبة بن سليم بن منصور. وكان آخر من سدنها من بنى شيبان دبية بن حرمى السلمى، وله يقول أبو خراش الهذلى — وكان قد قدم عليه فحذاه نعلين — أبياتا، منها:

حذانى بعد ما خذمت نعالى ... دبية، إنه نعم الخليل

(راجع معجم البلدان ج ٣ ص ٦٦٥ طبع أوربا، والأصنام لابن الكلبى).

(٤) زيادة عن ا.

(٥) فى الأصنام لابن الكلبى: «لحى». واللحى: عظم الحنك، وهو الذى عليه الأسنان.

(٦) هو غنم بن فراس بن كنانة.

رأى قَدَعًا[1] فى عينها إذ يسوقها   إلى غَبْغَبِ العُزَّى فوسّع[2] فى القَسْمِ

وكذلك كانوا يصنعون إذا نحروا هَدْيًا قسّموه فى مَنْ حضرهم . والغَبغَب : المنحر ومهراق الدماء .

قال ابن هشام :

٥ وهذان البيتان لأبى خراش : الهذلىّ[3] ، واسمه خُويلد بن مُرّة ، فى أبيات له .

معنى السدنة

والسدنة : الذين يقومون بأمر الكعبة . قال رؤبة بن العجاج :

فلا وربّ الآمناتِ القُطَّن[4]   بمَحْبِسِ الْهَدْيِ وَبَيْتِ المَسْدَنِ

وهذان البيتان[5] فى أرجوزة له، وسأذكر حديثها إن شاء الله تعالى فى موضعه.

اللات وسدنتها

١٠ قال ابن إسحاق :

وكانت اللات[6] لثقيف بالطائف ، وكان سَدَنتَها وحجّابَها بنو مُعَتِّب[7] من ثَقيف .

قال ابن هشام : وسأذكر حديثها إن شاء الله تعالى فى موضعه .

مناة وسدنتها وهدمها

قال ابن إسحاق :

١٥ وكانت مناة[8] للأوس والخزرج ، ومن دان بدينهم من أهل يثرب ، على

---

(١) كذا فى الأصول . والقدع : السدر فى العين . وفى الفائق للزمخشرى : القدع : انسلاق العين من كثرة البكاء . وفى الأصنام لابن الكلبى : « قذعا » بالذال المعجمة . والقذع : البياض .

(٢) كذا فى الأصول . وفى الأصنام : « فوضّع » . وفى الفائق للزمخشرى :

٢٠ « فنصف » . يريد أن يشبه هذا المدوح برأس بقرة قد قاربت أن يذهب بصرها ، فلا تصلح إلا للذبح والتقسيم .

(٣) قال أبو خراش هذا الشعر يهجو به رجلا تزوج امرأة جميلة يقال لها أسماء .

(٤) يريد حمام مكة ، لأنه آمن فى حرمه .

(٥) هذا على أنه من مشطور الرجز .

٢٥ (٦) وهى أحدث من مناة ، وكانت صخرة مربعة .

(٧) فى الأصنام لابن الكلبى : « وكان سدنتها من ثقيف بنو عتاب بن مالك » .

(٨) وكانت مناة أقدمها كلها ، ولم يكن أحد أشد إعظاما لها من الأوس والخزرج . (راجع الأصنام لابن الكلبى) .

ساحل البحر من ناحية المشلّل بُقَديد[1]

قال ابن هشام :

وقال الكُميت بن زيد أحد بنى أسد بن خُزَيمة بن مُدْركة :

وقد آلتْ قبائلُ لا تُوَلّى   مناةَ ظهورهاَ مُتحرِّفيناَ

وهذا البيت فى قصيدة له :

قال ابن هشام :

فبعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إليها أبا سفيان بن حَرْبٍ فهدمها . ويقال : علىّ بن أبى طالب[2]

ذو الخلصة وسدنته وهدمه

قال ابن إسحاق :

وكان ذو الخَلَصة[3] لدَوْس وخَثْعم و بَجيلة ، ومن كان ببلادهم من العرب بِتَبالة[4] .

قال ابن هشام : ويقال : ذو الخُلُصة . قال رجل من العرب :

لو كنتَ يا ذا الخلص المَوْتورَا   مِثْلى وكان شيخُك المَقْبورَا

* لم تَنْهَ عن قَتْل العُداة زُورَا *

---

(١) قديد : موضع قرب مكة . والمشلل : جبل يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر. (راجع معجم البلدان) .

(٢) وعلى هذا الرأى ابن الكلبي فى كتابه الأصنام ، ويقال إن عليا لما هدمها أخذ ما كان لها ، فأقبل به إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فكان فيما أخذ سيفان كان الحارث بن أبى شمر الغسانى ملك غسان أهداهما لها ، أحدهما يسمى « مخذما » ، والآخر « رسوبا » ، وهما سيفا الحارث اللذان ذكرهما علقمة فى شعره . فقال :

مظاهر سربالى حديد عليهما   عقيلا سيوف مخذم ورسوب

فوهبهما النبي صلى الله عليه وسلم لعلى . كما يقال إن عليا وجد هذين السيفين فى الفلس ، صنم لطيء . وإلى هذا الرأى الأخير ذهب ابن إسحاق عندالكلام على فلس. (راجع الأصنام لابن الكلبي وبلوغ الأرب ج ٢ ص ٢١٨) .

(٣) وكان ذو الخلصة مروة بيضاء منقوشة عليها كهيئة التاج ، وكان سدنتها بنو أمامة ، من باهلة بن أعصر .

(٤) تبالة : قرب مكة على مسيرة سبع ليال منها ، وذو الخلصة اليوم عتبة باب مسجد تبالة : (راجع معجم البلدان ، والأصنام ، وخزانة الأدب للبغدادى ج ١ ص ٩٢) . والألوسى ج ٢ ص ٢٢٣) .

قال : وكان أبوه قُتِلَ فأراد الطلبَ بثأره ، فأتى ذا الخَلَصة ، فاسْتَقْسَم عنده بالأزلام ، فخرج السهم بنَهْيه عن ذلك ، فقال هذه الأبيات . ومن الناس من ينحلها امرأَ القيس بنَ حُجْر الكِنْدىّ[1] . فبعث إليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جريرَ بن عبد الله البجلى فهدمه .

فلس وسدنته وهدمه

٥ قال ابن إسحاق :

وكانت فَلس[2] لطيِّئ ومَنْ يليها بجَبَلَىْ طيئ ، يعنى سَلْمى وأجأ .

قال ابنُ هشام :

فحدّثنى بعض أهل العلم أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلّم بعث إليها علىَّ ابن أبى طالب فهدمها ، فوجد فيها سَيْفَيْن ، يقال لأحدهما : الرَّسُوب ، وللآخر

١٠ المِخْذَم. فأتى بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فوَهبهما له، فهما سَيْفا علىّ رضى الله عنه

رئام

قال ابن إسحاق :

وكان لِحمير وأهلِ اليمن بيتٌ بصنعاء يقال له : رئام[3] .

قال ابن هشام : قد ذكرت حديثَه فيما مضى[4] .

رضاء وسدنته

قال ابن إسحاق :

١٥ وكانت رُضاء[5] بيتاً لبنى رَبيعة بن كَعب بن سَعْد بن زيد مناة بن تَميم ،

---

(١) ومن ينحل هذا الرجز امرأ القيس يقول إنه هو الذى استقسم بالأزلام عند ذى الخلصة لما وترته بنو أسد بقتل أبيه ، وأنه استقسم بثلاثة أزلام ، وهى الزاجر ، والآمر والمربص ، فخرج له الزاجر ، فسب الصنم ورماه بالحجارة ، وقال له : اعضض بظر أمك . وأنه لم يستقسم أحد عند ذى الخلصة بعده حتى جاء الإسلام . (راجع الروض الأنف) .

٢٠ (٢) كذا فى الأصنام لابن الكلبى ، وكان أنفا أحمر فى وسط جبلهم الذى يقال له أجأ ، كأنه تمثال إنسان ، وكانوا يعبدونه ويهدون إليه ، ولا يأتيه خائف إلا أمن عنده ، وكانت سدنته بنو بولان . وبولان هو الذى بدأ بعبادته . وفى الأصل : قلس (بالقاف) ، وهو تصحيف .

(٣) كذا فى الأصول ، وهو يتفق وما ذهب إليه البغدادى . وفى صفة جزيرة العرب

٢٥ للهمدانى « ريام » بالمثناة .

(٤) راجع الكلام عليه (ص ٢٨ من هذا الجزء) .

(٥) ويذكر بعض الرواة أنه « رضى » بالقصر ، وأورده البغدادى ممدودا ، وورد ممدودا فى بيت المستوغر المذكور بعد .

ولهـا يقول المُسْتَوْغِرُ[1] بنُ ربيعة بن كَعْب بن سَعْد حين هدمها فى الإسلام :

ولقد شددتُ على رُضاء شَدَّةً فتركتُها قفراً بقاع أَسْحَماَ[2]

قال ابن هشام : قوله :

* فتركتها قفرا بقاع أسحما *

المستوغروعمره عن رجل من بنى سَعْد . ويقال : إن المُسْتَوْغِر عُمِّر ثلاثَ مِئةِ سنة وثلاثين سنة ، ٥

وكان أطول مُضَر[3] كلِّها عمرا ، وهو الذى يقول :

ولقد سئمتُ من الحياة وطُولِها وعَمَرْتُ من عَدد السنين مئينَا

مِئة حَدَتْها بعدها مِئتان لى وازددتُ من عدد الشهور سنينا

هل ما بقى إلاّ كما قَدْ فاتنا يومٌ يَمُرّ وليـــلةٌ تَحْدُونا

وبعض الناس يَرْوِى هذه الأبياتَ لزُهَير بن جَناب الكلبى[4] . ١٠

---

(١) واسمه كعب ، وقيل عمرو ، وسمى مستوغرا لقوله :

ينش الماء فى الربلات منه نشيش الرضف فى اللبن الوغير

(راجع الأصنام لابن الكلبى ، والروض الأنف ، وكتاب المعمرين لأبى حاتم السجستانى ، ومعجم البلدان) .

(٢) القاع : المنخفض من الأرض . ورواية هذا الشطر فى الأصنام : ١٥

* فتركتها تلا تنازع أسحما *

(٣) ذكر بعضهم أن المستوغر حضر سوق عكاظ ، ومعه ابن ابنه وقد هرم ، والجد يقوده . فقال له رجل : ارفق بهذا الشيخ فقد طال مارفق بك ؟ فقال : ومن تراه ؟ قال : هو أبوك أو جدك ؟ فقال : ماهو إلا ابن ابنى ؟ فقال : مارأيت كاليوم ، ولا المستوغر بن ربيعة ؟ فقال : أنا المستوغر ، وذكر هذه الأبيات ؟ وقد ساق عنه السجستانى فى المعمرين حديثاً طويلا . ٢٠

(٤) هو من المعمرين أيضاً : كالمستوغر بن ربيعة ، ويقال إنه عاش ٤٢٠ سنة ، وأوقع مئتى وقعة ، ومن شعره لبنيه :

أبنى إن أهلك فإ نى قد بنيت لكم بنيه

وتركتكم أبناء سا دات زنادهم وريه ٢٥

من كل ما نال الفتى قد نلته إلا التحيه

(راجع كتاب المعمرين) .

ذو الكعبات وسدنته

قال ابن إسحاق :

وكان ذو الـكَعَبات لبكر وتَغْلب ابنى وائل و إياد بِسَنْدَاد [1] . وله يقول أعشى بنى قَيْس بن ثَعْلبة :

بَيْنَ الخَوَرْنق [2] والسَّديرِ وبارقٍ والبَيْتِ ذِى الكَعَبات [3] من سِنْدادِ

٥ قال ابن هشام : وهذا البيت للأسود بن يَعْفر النهشلِيّ . نهشل بنُ دارم بن مالك ابن حَنْظلة بن مالك بن زَيْد مناة بن تَميم ، فى قصيدة له . وأنشدنيه أبو مُحْرز خَلَف الأحمر :

أَهْل الخَوَرْنَق والسَّدِيرِ و بارق والبيتِ ذى الشُّرفات مِنْ سنداد

أمر البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى

رأى ابن إسحاق فيها

١٠ قال ابن إسحاق :

فأمّا البَحيرة فهى بنت السَّائبة ، والسائبة : الناقة إذا تابعتْ بين عَشْر إناثٍ ليس بينهنّ ذَ كَر ، سِيبَتْ فلم يُرْ كَب ظهرُها ، ولم يُجزّ وَبَرُها ، ولم يَشْرب لبنَها إلا ضيفٌ ؛ فما نتجت بعد ذلك من أنثى شُقّت أذُنها، ثم خُلّى سبيلُها مع أمِّها فلم يُرْكَب ظَهْرُها ، ولم يُجزّ وَبَرُها ، ولم يَشْرب لبنها إلا ضيفٌ كما فُعِلَ بِأمِّها ،

١٥ فهى البَحيرة بنت السائبة . والوَصِيلة : الشاة إذا أَتْأَمتْ [4] عَشْرَ إناثٍ مُتتابعات فى خَمْسة أَبْطُن ، ليس بينهنّ ذَ كَر ، جُعِلت وصيلةً . قالوا : قد وَصلت ، فكان

---

(١) سنداد (بكسر السين وفتحها) : منازل لإياد أسفل سواد الكوفة ، وراء نجران الكوفة . (عن معجم البلدان) .

(٢) الخورنق : قصر بناه النعمان الأكبر ملك الحيرة لسابور ليكون ولده فيه عنده ، وبناه

٢٠ بنيانا عجيبا لم تر العرب مثله، بناه له سنمار ، وله معه حديث مشهور ، ومعنى السدير (بالفارسية): بيت الملك .

(٣) الكعبات : يريد التربيع ، وكل بناء يبنى مربعا ، فهو كعبة .

(٤) أتأمت : جاءت باثنين فى بطن واحد .

ما وَلَدَتْ بعد ذلك للذكور منهم دون إناثهم ، إلا أن يَموت منها شىء فيشتركوا فى أكله ، ذكورُهم وإناثُهم .

قال ابن هشام : ويروى: فكان ماولدت بعدذلك لذكور بنيهم دون بناتهم .

قال ابن إسحاق :

٥ والحامى : الفَحْل إذا نُتِجَ له عَشْر إناث مُتتابعات ليس بينهنّ ذَكر ، حُمِى ظَهْرُه فلم يُرْكَب ، ولم يُجَزّ وَبَرُه ، وخُلِّى فى إبله يَضْرِب فيها ، لا يُنتفع منه بغير ذلك .

رأى ابن هشام فيها

قال ابن هشام :

وهذا [كلُّه][1] عند العرب على غير هذا إلا الحامى ، فإنه عندهم على ١٠ ما قال ابن إسحاق . فالبحيرةُ عندهم : الناقة تشق أذنها فلا يُركب ظهرُها ، ولا يُجزّ وَبَرُها ، ولا يَشرب لبنَها إلاّ ضيف ، أو يُتصدَّق به ، وتُهمَل لآلهتهم . والسائبة : التى يَنْذِرُ الرجل أن يُسيبها إن بَرِئ من مرضه ، أو إن أصاب أمرًا يَطْلُبه . فإذا كان أساب ناقةً من إبله أو جملاً لبعض آلهتهم ، فسابت فَرَعَتْ لا يُنتفع بها . والوَصِيلة : التى تَلِد أمُّها اثنين فى كلّ بطن ، فيَجعل صاحبُها ١٥ لآلهته الإناث[منها][1] ولنفسه الذكور منها ، فتلِدها أمها ومعها ذكر فى بطن ، فيقولون : وَصَلت أخاها . فيُسيَّب أخوها معها فلا يُنتفع به[2] .

قال ابن هشام : حدّثنى به يونس بن حَبيب النحوى وغيرُه ، روى بعضٌ مالم يَرْو بعض .

قال ابن إسحاق :

٢٠ فلما بعث الله تبارك وتعالى رسولَه محمدًا صلى ٱلله عليه وسلّم أنزل عليه : « مَا جَعَلَ ٱللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلاَ سَائِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ وَلٰـكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا

---

(١) زيادة عن ا .

(٢) والكلام فى البحيرة وأخواتها كثير مختلف فيه ، وقد ذكر الألوسى معظمه . (راجع بلوغ الأرب ج ٣ ص ٣٤ ــ ٣٩) .

يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ » . وأنزل الله تعالى : « وَقَالُوا مَا فِى بُطُونِ هٰذِهِ ٱلْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ » . وأنزل عليه : « قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ ٱللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلاَلاً قُلْ آللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللهِ تَفْتَرُونَ » . وأنزل عليه : « مِنَ الضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِى بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ ٱللهُ بِهٰذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَى عَلَى ٱللهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ ٱللهَ لاَ يَهْدِى ٱلْقَوْمَ الظَّالِمِينَ »

البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى لغة

قال ابن هشام : قال الشاعر :

حول الوصائل[1] فى شُرَيف[2] حِقَّةٌ ... وَالحاميات ظُهورها والسُّيَّبُ

وقال تميم بن أُبَىّ [بن][3] مُقْبل أحد بنى عامر بن صعصعة :

فيه من الأخرج[4] المِرْباع[5] قرقرة[6] ... هَدْرَ الدِّيافى[7] وَسْط الهَجْمة البُحُر[8]

---

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول « الفصائل » .

(٢) الشريف (مصغرا) : ماء لبنى نمير ، ويقال إنه سرة بنجد ، وهو أمرّ نجد موضعا . قال أبو زياد : وأرض بنى نمير : الشريف ، دارها كلها بالشريف إلا بطنا واحدا باليمامة . (راجع معجم البلدان) .

(٣) زيادة عن ا ومعجم البلدان ، والإصابة .

(٤) الأخرج : الظليم الذى فيه بياض وسواد ، يريد حمار الوحش .

(٥) كذا فى الأصول . والمرباع : الفحل الذى يبكر بالإلقاح ، ويقال للناقة أيضاً : مرباع إذا بكرت بالنتاج ، وقيل : المرباع : الذى رعى فى الربيع ، ويروى : « المرياع » بالياء المنقوطة باثنتين من أسفل ، على أنه مفعال من راع يريع : أى رجع .

(٦) القرقرة : هدير الفحل .

(٧) دياف : (بكسر أوله) بلد بالشام . وقيل من قرى الجزيرة .

(٨) الهجمة : القطعة من الإبل . والبحر : جمع بحيرة ، وهى المشقوقة الآذان ، وجعلها بحراً لأنها تأمن من الغارات ، يصفها بالمنعة والحماية كما تأمن البحيرة من أن تدع أو تنحر .

وهذا البيت فى قصيدة له . وجمع بحيرة : بحائر وبحر ، وجمع وصيلة : وصائل ووصل. وجمع سائبة (الأكثر): سوائب وسيّب .وجمع حام (الأكثر) : حوام .

عدنا إلى سياقة النسب

نسب خزاعة

قال ابن إسحاق :

وخزاعة تقول : نحن بنو عَمْرو بن عامر ، من اليمن . ٥

قال ابن هشام :

وتقول خزاعة : نحن بنو عمرو بن رَبيعة بن حارثة بن عَمْرو بن عامر ابن حارثة بن أمرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأسْد بن الغَوْث ؛ وخِنْدف أمها[1] ، فيما حدّثنى أبو عُبيدة وغيره من أهل العلم . ويقال خُزاعة : بنو حارثة ابن عمرو بن عامر ، وإنما سُمِّيت خزاعة لأنهم تخزّعوا[2] من ولد عمرو ١٠ ابن عامر ، حين أقبلوا من اليمن يريدون الشام ، فنزلوا بمرّ الظَّهْران فأقاموا بها .

قال عون[3] بن أيوب الأنصاريّ أحد بنى عمرو بن سَواد بن غَنْم بن كعب ابن سَلَمة من الخزرج فى الإسلام :

فلما هبطنا بَطْن مَرٍّ تخزّعت ... خُزاعة منّا فى خيول[4] كَرَاكِرِ[5]

حَمَتْ كلّ وادٍ من تهامة واحتمتْ ... بِصُمِّ الْقَنَا وَالْمُرْهِفات البواتر ١٥

وهذان البيتان فى قصيدة له :

---

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « أمنا » .

(٢) تخزع : تأخر وانقطع .

(٣) كذا فى ا ، ومعجم البلدان . وفى سائر الأصول : « عوف » . وهو تحريف .

(٤) كذا فى أكثر الأصول . وفى ا . والروض الأنف ، وشرح السيرة : « حلول » . ٢٠ والحلول : البيوت الكثيرة .

(٥) كراكر : جماعات ، وقيل هو خاص بجماعات الخيل .

وقال أبو المطهَّر إسماعيل بن رافع الأنصاريّ ، أحد بَنى حارثة بن الحارث ابن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس :

فلمّا هبطنا بطنَ مكة أحْمَدَت ... خُزاعةُ دار الآكل المُتحاملِ

فحلّت أكاريساً[1] وشتّت[2] قنابلاً[3] ... على كلّ حىٍّ بين نجْدٍ وساحل

نَفَوْا جُرْهُماً عن بطن مكة واحتبَوْا ... بعِزٍّ خُزاعىٍّ شديدِ الكواهل

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة له ، وأنا إن شاء الله أذكر نفْيَها جُرْهما فى موضعه .

أولاد مدركة وخزيمة

قال ابن إسحاق :

فولد مُدْرِكة بن اليأس رجلَيْن : خُزَيمة بن مُدْرِكة ، وهُذَيل بن مُدْرِكة ؛ وأمهما امرأة من قُضاعة . فولد خُزَيمة بنُ مدركة أربعةَ نفر : كِنانة بن خُزَيمة ، وأسَد بن خُزَيمة ، وأسَدَة بن[4] خُزَيمة ، والهُون بن خُزَيمة . فأمُّ كِنانة عُوانة بنت سَعْد بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر .

قال ابن هشام : ويقال الهَوْن بن خُزَيمة .

أولاد كنانة وأمهاتهم

قال ابن إسحاق :

فولد كِنانة بن خُزَيمة أربعةَ نفر : النَّضْر بن كِنانة ، ومالك بن كِنانة ، وعبد مناة بن كِنانة ، ومِلْكان بن كِنانة[5] . فأمّ النضر بَرّة بنتُ مُرّ بن أدّ ابن طابخة بن اليأس بن مُضر ، وسائر بَنيه لامرأة أخرى .

---

(1) كذا فى ا وشرح السيرة . والأكاريس : الجماعات من الناس . وقد وردت هذه الكلمة فى سائر الأصول محرفة .

(2) كذا فى شرح السيرة . وشتت : فرقت . وفى ا : « سنت » ، وفى سائر الأصول : « شنت » ، والظاهر أن كليهما مصحف عما أثبتناه .

(3) القنابل : جمع قنبلة ، وهى القطعة من الخيل .

(4) لم يذكر ابن قتيبة فى المعارف « أسدة » ولدا لخزيمة ، واقتصر على إخوته الثلاثة .

(5) وزاد الطبرى فى ولد كنانة : عامرا ، والحارث ، والنصير ، وغنما ، وسعدا ، وعوفا ، وجرولا ، والجرال ، وغزوان .

قال ابن هشام .

أم النضر ومالك ومِلْكان : بَرّة بنت مُرّ ؛ وأم عبد مناة : هالة بنت سُوَيد ابن الغِطْريف من أزدِشنوءَةَ . وشنوءَة : عبد الله بن كعب بن عبد الله بن مالك ابن نَصْر بن الأَسْد بن الغوث ، وإنما سُمُّوا شنوءة ، لشنآن كان بينهم . والشنآن : البغض .

قال ابن هشام :

النضر: قريش ، فمَنْ كان من ولده فهو قُرَشيّ، ومَنْ لم يكن من ولده فليس بقرشي . قال جرير بن عطيّة أحد بنى كُلَيب بن يربوع بن حَنْظلة بن مالك ابن زَيْد مناة بن تميم يمدح هشامَ بن عبد الملك بن مروان :

فما الأمّ التى ولدتْ قريشاً بمُقْرِفة النِّجار ولا عَقيمِ[1]

وما قَرْمٌ[2] بأنجب من أبيكم وما خالٌ بأكرم من تميم

يعنى بَرّة بنت مُرّ أخت تميم بن مر ، أم النضر . وهذان البيتان فى قصيدة له .

ويقال : فهر بنُ مالك : قريش ، فمن كان من ولده فهو قُرَشى ، ومن لم يكن من ولده فليس بقرشى، وإنما سُمِّيت قريش قريشاً من التّقرش ، والتّقرش: التجارة والاكتساب . قال رؤبة بن العجّاج :

قد كان يُغنيهم عن الشُّغوشِ والخَشْل مِن تساقط القروشِ

شَحْم ومَحْض ليس بالمَغْشوشِ

قال ابن هشام :

والشغوش : قمح ، يسمى الشغوش . والخشل : رءوس الخلاخيل والأسورة[3] ونحوه . والقروش : التجارة والاكتساب . يقول : قد كان يغنيهم

(١) المقرفة : اللئيمة . والنجار : الأصل . والعقيم : التى لاتحمل .

(٢) القرم : الفحل من الإبل ، واستعاره هنا للرجل السيد .

(٣) ويقال : الخشل (هنا) : المقل (هو ثمر الدوم) . والقروش : ماتساقط من حتاته وتقصر منه .

عن هذا شحم ومَحْض . والمحض : اللبن الحليب الخالص .

وهذه الأبيات فى أرجوزة له . وقال أبو جِلْدة[1] اليَشْكرىّ ، ويشكر ابن بكر بن وائل :

إخوة قَرّشوا الذنوبَ علينا فى حديث من عُمْرنا وقديمِ

٥ وهذا البيت فى أبيات له .

قال ابن إسحاق :

ويقال : إنما سميت قريش قريشاً لتجمعها من بعد تَفَرّقها ؛ ويقال للتجمع : التقرش .

أولاد النضر وأمهاتهم

فولد النَّضْرُ بن كنانة رجلين : مالك بن النضر ، ويَخْلُد بن النضر ؛ فأمُّ ١٠ مالك : عاتكة بنت عَدْوان بن عمرو بن قَيْس بن عَيْلان ، ولا أدرى أهى أمّ يَخْلُد أم لا .

قال ابن هشام :

والصَّلت بن النضر ـ فيما قال أبو عمرو المدنى ـ وأمهم جميعاً بنت سعد ابن ظَرِب العَدْوانى . وعَدْوان ابنُ عمرو بن قيس بن عيلان . قال كُثَيِّر ١٥ ابن عَبد الرحمن ، وهو كُثيِّر عزّة أحد بنى مُلَيح بن عَمْرو ، من خُزاعة :

أليس أبى بالصَّلْت أمْ ليس إخوتى لِكل هِجانٍ من بَنى النَّضْر أزهرَا[2]

رأيت ثيابَ العَصْبِ مختلط السَّدَى[3] بنا وبهمْ والحَضْرمىَّ المخصَّرا[4]

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى ا : «أبو خلدة» . بخاء معجمة مفتوحة ولام ساكنة، كما يروى : (حلزة) أيضاً .

٢٠ (٢) الهجان : الكريم ، مأخوذ من الهجنة ، وهى البياض . والأزهر : المشهور .

(٣) ثياب العصب : ثياب يمنية، لأنها تصبغ بالعصب. ولا ينبت العصب ولا الورس إلا باليمن. يريد أن قدورنا من قدورهم ، فسدى أثوابنا مختلط بسدى أثوابهم .

(٤) الحضرمى : النعال . والمخصرة : التى تضيق من جانبيها ، كأنها ناقصة الخصرين .

فإن لم تكونوا من بَنى النَّضر فاتركوا أراكًا بأذناب الفوائج[1] أخضرَا

[2]وهذه الأبيات فى قصيدة له .

والذين يُعْزَوْنَ إلى الصَّلت بن النَّضْر من خزاعة ، بنومُلَيح بن عمرو ، رَهْط كُثيِّر عزة .

ولد مالك بن النضر وأمه

قال ابن إسحاق :

فولد مالكُ بن النضر فِهْرَ بن مالك ، وأمه جَنْدلة بنت الحارث ابن مُضاض الجرهمىّ .

قال ابن هشام : وليس بابن مضاض الأكبر .

أولاد فهر وأمهاتهم

قال ابن إسحاق :

فولد فِهْر بن مالك أربعةَ نفر : غالب بن فهر ، ومُحارب بن فهر ، والحارث ابن فهر ، وأَسَد بن فهر ، وأُمُّهم ليلى بنت سعد بن هُذَيل بنُ مُدْركة .

قال ابن هشام :

وجَنْدلة بنت فهر ، وهى أم يَرْبوع بن حَنْظلة بن مالك بن زَيْد[3] مناة ابن تميم ، وأمها ليلى بنت سَعْد . قال جَرير بن عطيّة بن الخَطَفى ـ واسم الخَطَفى حُذَيفة بن بَدْر بن سَلَمَة بن عَوْف بن كُليب بن يَرْبوع بن حَنْظلة :

وإذا غضبتُ رَمَى وَرائى بالْحَصى أبْناء جَنْدلةٍ كَخير الجَنْدلِ

وهذا البيت فى قصيدة له

أولاد غالب وأمهاتهم

قال ابن إسحاق :

فولد غالب بن فِهْر رجلَين : لؤىّ بن غالب ، وتَيْم بن غالب ؛

(١) الفوائج : رءوس الأودية ، وقيل هى عيون بعينها .

(٢) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « قال : وهذه . . . الخ » .

(٣) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « زيد بن مناة » .

وأمهما سَلمى[1] بنت عمرو الخزاعِيّ . وتَيْم بن غالب : الذين يقال لهم بنو الأَدْرم[2] .

قال ابن هشام :

وقَيْس بن غالب ، وأمه سَلْمى بنت كَعْب[3] بن عمرو الخُزاعِيّ ، وهى أم لؤىّ وتَيْم ابنى غالب .

٥ قال ابن إسحاق :

أولاد لؤى وأمهاتهم

فولد لؤَىّ بن غالب أربعةَ نفر : كَعْب بن لُؤَىّ ، وعامر بن لُؤَىّ ، وسامة ابن لُؤَىّ ، وعَوْف[4] بنُ لُؤَىّ ؛ فأُمّ كعب وعامر وسامة : ماويةُ[5] بنت كعب بن القَيْن بن جَسْر ، من قُضاعة .

قال ابن هشام :

١٠ ويقال : والحارث بن[6] لُؤَىّ ، وهم جُشَم بن الحارث، فى هِزّان من رَبيعة.

قال جرير :

---

(١) ويقال إن أم لؤى عاتكة بنت يخلد بن النضر بن كنانة ، وهى أول العواتك اللاتى ولدن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش : (راجع الطبرى) .

(٢) الأدرم : المدفون الكعبين من اللحم ، وهو أيضاً المتقوص الذقن ، ويقال إن تيم بن ١٥ غالب كان كذلك . وبنو الأدرم هؤلاء هم أعراب مكة ، وهم من قريش الظواهر لا من قريش البطاح ، وكذلك بنو محارب بن فهر ، وبنو معيص بن فهر .

(٣) كذا فى الأصول . وقد انفرد ابن هشام بزيادة « كعب » فى نسب سلمى ، والذى ذكره ابن إسحاق أولا مجردا من « كعب » يتفق مع ما أورده الطبرى عند الكلام على أم لؤى وإخوته .

٢٠ (٤) وأم عوف بن لؤى : الباردة بنت عوف بن غنم بن عبد الله بن غطفان ، ويقال إن الباردة لما مات لؤى خرجت بابنها عوف إلى قومها فتزوجها سعد بن ذبيان بن بغيض ، فتبنى عوفا .

(٥) كأنها نسبت إلى الماء لصفائها بعد قلب همزة الماء واوا ، وكان القياس قلبها هاء . وكانت ماوية هذه تحب سامة أكثر من إخوته .

٢٥ (٦) اتفق ابن قتيبة فى كتابه المعارف مع السيرة فى ذكر الحارث ولدا للؤى ، وخالفهما فى ذلك الطبرى وابن دريد فلم يذكرا ولدا للؤى بهذا الاسم ، وقد ذكر أبو الفرج فى الجزء التاسع من الأغانى (ص ١٠٤ ــ ١٠٥) الحارث ولدا لسامة بن لؤى ، وذكر أن من النسابين من يدفعه عن قريش ؛ ويدعى أنه ابن لناجية امرأة سامة ، وليس ابنا لسامة .

بَنِى جُشَم لستم لِهِزَّانَ فانْتَمُوا لأعلى الرَّوابى[1] من لؤىّ بن غالب[2]
ولا تُنْكِحوا فى آل ضَوْر نِساءكم ولا فى شُكَيْس بئس مَثْوى الغَرائب[3]

وسَعْد بن لؤىّ، وهم بُنانة، فى شَيْبان بن ثَعْلبة بن عُكابة بن صَعْب بن علىّ ابن بَكْر بن وائل، من ربيعة.

وبنانة: حاضنة لهم من بَنى القَيْن بن جَسر بن شَيْع الله، ويقال سَيْع الله، ابن الأسد بن وبرة بن ثعلبة[4] بن حُلْوان بن عمران بن الحافِ بن قُضاعة. ويقال: بنت النَّمِر بن قاسط، من رَبيعة. ويقال: بنت جَرْم بن رَبَّان ابن حُلوان بن عِمْران بن الحافِ بن قُضاعة.

وخزيمة بن لُؤَىّ بن غالب، وهم عائذة فى شَيْبان بن ثَعْلبة. وعائذة: أمرأة من اليمن، وهى أم بنى[5] عبيد بن خُزَيمة بن لُؤَىّ.

وأم بنى لُؤَىّ كلِّهم إلا عامر[6] بن لؤى: ماوية بنت كعب بن القَيْن ابن جَسْر. وأم عامر بن لُؤَىّ مَخْشية بنت شَيْبان بن مُحارب بن فِهْر؛ ويقال: لَيْلى بنت شيبان بن مُحارب بن فِهْر.

---

(1) الروابى: جمع رابيــة، وهى الكدية المرتفعة، ويريد بها هنا الأشراف من الناس والقبائل.

(2) ويقال: إنهم أعطوا جريرا على هــذا الشعر ألف عير، وكانوا ينتسبون إلى ربيعة فما انتسبوا بعد إلا لقريش.

(3) ضور وشكيس: بطنان من عنزة.

(4) فى الطبرى: «... بن تغلب».

(5) هذا ماذهب إليه ابن هشام. وأما ابن جرير الطبرى، فقد جعل عائذة أما لخزيمة، وهى عنده عائذة بنت الخمس بن قحافة، من خثعم.

(6) يذهب ابن جرير الطبرى إلى غير ماذهب إليه ابن هشام، وهو يتفق مع ابن إسحاق فى أن كعبا، وعامرا، وسامة إخوة أشقاء، وأمهم ماوية. وقد قدمنا عن ابن جرير قوله فى أم عوف، وأنها الباردة، وأن عوفا أخو هؤلاء الثلاثة لأبيهم، وكذلك خزيمة، وأمه العائذة، وسعد، وأمه بنانة، وقد ذكر ابن هشام أن بنانة حاضنتهم.

أمر سامة

رحلته الى عمان وموته

قال ابن إسحاق :

فأما سامة بن لؤىّ فخرج إلى عُمان ، وكان بها . ويزعمون أن عامرَ ابن لؤىّ أخرجه ، وذلك أنه كان بينهما شىء ففقأ سامةُ عينَ عامر ، فأخافه.

٥ عامرٌ فخرج إلى عُمان . فيزعمون أنّ سامة بن لؤىّ بينا هو يَسير على ناقته ، إذ وضعت رأسَها ترْتع، فأخذتْ حيةٌ بِمشفرها فهَصَرَتْها ، حتى وقعت الناقة لِشقّها ، ثم نهشتْ سامةَ فقتلته . فقال سامةُ حين أحسّ بالموت فيما[1] يزعمون :

عينِ فابكِى لسامةَ بنِ لؤىّ علقتْ ساق[2] سامة العلاّقه[3]

لا أرى مثلَ سامة بن لؤىّ يوم حلّوا به قتيـــلاً لناقه

١٠ بلِّغا عامراً وكعباً رســـولاً أنّ نفسى إليهما مُشتاقه

إنْ تـكن فى عُمان دارى فإنّى غالبى ، خرجتُ من غير ناقه

رُبَّ كأسٍ هرَقتَ يابن لُؤىّ حَذَرَ الموتِ لم تـكُن مُهْراقه

رُمْت دفعَ الحُتوف يابن لؤىّ ما لِمَنْ رام ذاك بِالْحَتْفِ طاقه

وخَرُوس السُّرى[4] تركْتَ رَدِيّا[5] بعد جــدّ وجدّة ورَشاقه

---

١٥ (١) روى أبو الفرج فى الأغانى (ج ٩ ص ١٠٤) قصة سامة هذه إلا أنه لم يتفق مع ابن إسحاق فى أن خروج سامة كان بسبب أخيه عامر : بل جعل ذلك لخلاف كان بين سامة ، وأخيه كعب ، وأن هذا الشعر هو لـكعب يرثى به أخاه سامة .

(٢) كذا فى الأغانى . وفى الأصول :

* علقت مابسامة . . . الخ *

٢٠ (٣) العلاقة (هنا) : الحية التى تعلقت بالناقة .

(٤) خروس السرى : يريد ناقة صموتا صبورا على السرى لاتضجر منه، فسراها كالأخرس .

(٥) الردى : التى سقطت من الإعياء .

قال ابن هشام :

و بلغنى أن بعضَ ولده أتى رسول ٱلله صلّى ٱلله عليه وسلم فانتسب إلى سامة ابن لؤى ، فقال رسولُ ٱلله صلّى ٱلله عليه وسلّم : ألشاعر ؟ فقال له بعض أصحابه : كأنك يا رسول ٱلله أردت قولَه :

رُبّ كأس هرقتَ يا بن لؤى حَذَر الموت لم تَكُن مُهْراقه ٥

قال : أجل .

أمر عوف بن لؤى ونقلته

سبب انتمائه الى بنى ذبيان

قال ابن إسحاق :

وأما عَوف بن لؤى فإنه خرج ـ فيما يزعمون ـ فى رَكْب من قُريش ، حتى إذا كان بأرض غَطفان بن سَعْد بن قَيْس بن عَيْلان ، أُبْطِئ به ، فانطلق مَنْ كان ١٠ معه مِنْ قومه ، فأتاه ثعلبة بن سَعْد ، وهو أخوه فى نَسَب بَنى ذُبيان[١] ـ ثعلبة ابنُ سعد بن ذبيان بن بَغيض بن رَيْث بن غطفان . وعوف بن سعد بن ذُبْيان بن بَغيض بن رَيْث بن غطفان ـ فحبسه وزوّجه والتاطه[٢] وآخاه . فشاع نَسَبُه فى بنى ذُبيان . وثَعْلبة ـ فيما يزعمون ـ الذى يقول لِعَوْف حين أبطِئ به فتركه قومُه : ١٥

---

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « . . . ذبيان بن ثعلبة » بزيادة « بن » ، وظاهر أنها مقحمة .

(٢) التاطه : ألصقه به ، وضمه إليه ، وألحقه بنسبه . ومنه : كان يليط أولاد الجاهلية بآبائهم : أى يلصقهم .

احبس[1] علىّ ابن لؤىّ جمالَكْ   تركك القومُ ولا منزل[2] لكْ

قال ابن إسحاق : وحدّثنى محمد بن جعفر[3] بن الزُّبير ، أو محمدُ ابن عبد الرحمن بن عبد الله بن حُصَين .

أنّ عمر بن الخطاب قال : لو كنت مُدَّعياً حيًّا من العرب ، أو مُلْحقهم بنا ٥ لادّعيت بَنى مُرّة بن عَوْف ، إنّا لنعرف فيهم الأشباه مع ما نعرف مِنْ موقع ذلك الرجل حيث وقع ، يعنى عوف بن لؤى .

نسب مرة

قال ابن إسحاق :

فهو فى نسب غَطَفان : مُرّة بن عوف بن سعد بن ذُبيان بن بَغيض بن رَيْث ابن غَطَفان . وهم يقولون إذا ذُكر لهم هذا النسب : ما ننكره وما نَجْحده ، ١٠ وإنه لأحبُّ النسب إلينا .

وقال الحارث بن ظالم بن جَذيمة بن يَرْبوع ــ قال ابن هشام : أحد بنى مُرّة ابن عوف ــ حين هرب من النعمان بن المنذر فلحق بقُريش :

فما قومى بثَعلَبة بن سَعْد   ولا بفَزارة الشُّعر[4] الرِّقابا

وقَوْمى، إن سألت، بنو[5] لؤىّ   بمكّة علّموا مُضرَ الضِّرابا

١٥ سفهنا باتباع بنى بَغيض   وتَرْكِ الأقربينَ لنا انْتِسابا

سفاهةَ مُخْلف[6] لما تروّى   هَراق الماءَ واتّبع السَّرابا

---

(١) فى الطبرى : « عرج » .

(٢) كذا فى الطبرى . وفى الأصول : « متركـ » .

(٣) هو محمد بن جعفر بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدى المدنى، حدث عن عمه عروة ٢٠ وابن عمه عباد بن عبيد الله ، وغيرهما ، وحدث عنه عبد الرحمن بن القاسم ، وعبيد الله بن أبى جعفر ، وغيرهما . وكان فقيها عالما . ووثقه النسائى .

(٤) الشعر : جمع أشعر ، وهو الكثير الشعر الطويله .

(٥) كذا فى الأغانى (ج ١٠ ص ٢٨) . وفى الأصول : « بنى » وهو تحريف .

(٦) المخلف (هنا) : المستقى الماء ، يقال : ذهب يخلف لقومه : أى يستقى لهم .

فلو طووعت، عَمْرَكَ، كنت فيهم وما أُلفِيتُ أنتجع السَّحابا[1]

وخشَّ[2] رواحةُ القُرَشىّ رحْلى بناجِية ولم يَطْلُب ثوابا

قال ابن هشام: هذا ما أنشدنى أبو عُبَيدة منها.

قال ابن إسحاق:

فقال الحُصَين بن الحُمَام المُرّى، ثم أحد بنى سَهْم بن مُرّة، يردّ على الحارث ابن ظالم، وينتمى إلى غَطَفان: ٥

ألاَ لستُمُ منّا ولسنا إليكمُ بَرِئنا إليكم من لُؤَىّ بن غالبِ

أقمْنا عَلَى عزّ الحجاز وأنتمُ بمُعْتَلَج البطحاء[3] بين الأَخاشب[4]

يعنى قريشا. ثم ندم الحُصَيْن على ما قال، وعرف ما قال الحارث بن ظالم، فانتمى إلى قُرَيش وأكْذَب نَفْسَه، فقال: ١٠

نَدِمْتُ على قولٍ مَضَى كنْتُ قلتهُ تبيّنتُ فيه أنه قول كاذبِ

فليتَ لسانى كان نِصْفين منهما بَكيم[5] وَنِصفٌ عند مَجْرى الكواكب

أبونا كِنَانىّ بمكّة قَبْرُه بمُعْتَلَج البَطْحاء بين الأخاشب

لنا الرُّبع من بيت الحرام وِراثةً وربع البِطاح عند دار ابن حاطب

أى أن بَنى لؤَىّ كانوا أربعة: كعباً، وعامرًا، وسامة، وعوفًا. ١٥

(١) أنتجع السحابا: أى أطلب موضع الغيث والمطر كما تفعل القبائل الذين يرحلون من موضع إلى موضع. يريد أنه لو انتسب إلى قريش لكان معهم بمكة مقيما، ولم يكن يطلب المطر من موضع إلى موضع.

(٢) كذا فى أكثر الأصول. وخش: أصلح. والناجية: الناقة السريعة. وفى ا: «وحس... الخ». وحس (بالحاء المهملة): قوى وأعاد. وفى الأغانى: «... وهش رواحة الجحى». ٢٠

(٣) المعتلج: الموضع السهل الذى يعتلج فيه القوم، أى يتصارعون. والبطحاء (هنا): بطحاء بمكة.

(٤) الأخاشب: جبلان بمكة، فجمعهما مع ما حولهما.

(٥) بكيم: أبكم. ٢٥

قال ابن إسحاق[1] : وحدّثنى من لا أتهم .

أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لرجال من بنى مُرّة : إن شئتم أن ترجعوا إلى نسبكم فارجعوا إليه .

قال ابن إسحاق :

سادات مرة

٥ وكان القوم لَشرافًا فى غطَفان ، هم سادتهم وقادتهم . منهم : هَرِم بن سنان ابن أبى حارثة [بن مرة بن نُشْبة][2] ، وخارجة بن سنان بن أبى حارثة ، والحارث بن عَوْف ، والحُصَين بن الحُمام ، وهاشم بن حَرْملة الذى يقول له القائل :

أحْيا أباه هاشمُ[3] بنُ حرمله[4] يوم الهباآت[5] ويوم اليَعْمُله[6]

ترى الملوكَ عنـــده مُغَرْبله[7] يقتل ذا الذّنب ومَنْ لاذنبَ له[8]

هاشم بن حرملة وعامر الخصفى

١٠ قال ابن هشام :

أنشدنى أبو عُبَيدة هذه الأبيات لعامر الخَصَفىّ ، خَصَفة بن قَيْس بن عَيْلان :

أحيا أباه هاشمُ بنُ حَرْمله يَوم الهباآت ويَوْم اليعمله

ترى الملوكَ عِنْده مغربله يقتل ذا الذنب ومَنْ لاَ ذنب له

ورُمحُه للوالدات مُثْكِلَهْ

---

١٥ (١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « قال ابن هشام » .

(٢) زيادة عن ا . والظاهر أنها : « بن نشبة بن مرة » كما فى اللسان (مادة نشب) .

(٣) هاشم بن حرملة : هو جد منظور بن زبان بن يسار الذى كانت بنته زجلة عنـد ابن الزبير ، فهو جد منظور لأمه ، واسمها قهطم بنت هاشم ، وكانت قهطم قد حملت بمنظور أربع سنين — فيما يزعمون — فسمى منظوراً لطول انتظارهم إياه : (عن الروض الأنف) .

٢٠ (٤) يريد أنه أخذ بثأره فكأنه أحياه .

(٥) يوم الهباآت : يوم مشهور من أيام العرب . وهباءة : موضع ، فجمعه مع ما يليه . (راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٠٦)

(٦) يوم اليعملة : من أيام العرب . واليعملة : اسم موضع .

(٧) مغربلة : مقتولة ، يقال: غربل ، إذا قتل أشراف الناس وخيارهم . ويقال : إنما أراد

٢٥ بالغربلة استقصاءهم وتتبعهم ، كأنه من غربلت الطعام ، إذا تتبعته بالاستخراج حتى لا يبقى منه إلا الحثالة .

(٨) يصفه بالعزة والامتناع ، وأنه لايخاف حا كما يعدى عليه ، ولا ترة من طالب ثأر .

وحدّثنى[1] .

أن هاشماً قال لعامر : قل فىّ بيتاً جيّداً أثبكَ عليه : فقال عامر البيتَ الأول ، فلم يعجب هاشماً ؛ ثم قال الثانى ، فلم يعجبه ؛ ثم قال الثالث ، فلم يعجبه : فلما قال الرابع :

* يَقتُل ذا الذنب ومن لا ذنب له * ٥

أعجبه ، فأثابه عليه .

قال ابن هشام :

وذلك الذى أراد الكُمَيت بن زَيْد فى قوله :

وهاشم مُرَّةَ المُفنِي ملوكاً بلا ذنب إليه ومُذْنبينا

وهذا البيت فى قصيدة له . وقول عامر : «يوم الهباآت[2]» عن غير أبى عُبيدة . ١٠

حرة والبسل

قال ابن إسحاق :

قوم لهم صيت وذِكْر فى غَطَفان وقَيْس كلها ، فأقاموا على نسبهم[3] ، وفيهم كان البَسْل[4] .

أمر البسل

تعريف البسل

والبَسْل — فيما يزعمون — ثمانية[5] أشهر حُرُم ، لهم من كلّ سنة من بين العرب ، قد عرفت ذلك لهم العربُ لا يُنكرونه ولا يَدْفعونه . يسيرون به إلى ١٥

---

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « قال ابن هشام وحدثنى . . . الخ » .

(٢) ويروى : « يوم الهباتين » فقصر للضرورة ، وإنما أراد الهباءتين . وكثيراً مايرد المكان مثنى أو مجموعا فى الشعر العربى ، ويراد به المفرد ، ويوم الهباءة كان لعبس على ذبيان . والهباءة : موضع ببلاد غطفان : (راجع العقد الفريد ج ٣ ص ٦٩) . ٢٠

(٣) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « سننهم » .

(٤) البسل : الحرام والحلال ، فهو من الأضداد .

(٥) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « نسيئهم ثمانية . . . الخ » . ولا يستقيم الكلام بهذه الزيادة .

أىّ بلاد العرب شاءوا، لا يخافون منهم شيئا. قال زُهَير بن أبى سُلْمى، يعنى بنى مُرّة:

نسب زهير

ـ قال ابن هشام:

زهير أحد بنى مُزَينة بن أُدّ بن طابخة بن اليأس[1] بن مضر، ويقال زُهَير ابن أبى سُلْمى من غَطفان، ويقال حَليف فى غَطفان ـ

تأمّل[2] فإن تُقْوِ المَروراة[3] منهمُ ... ودَاراتها لا تُقْوِ منهم إذاً نَخْل[4]

بلاد بها نادمتُهم وألِفتهم ... فإن تُقْوِيا منهم فإنهمُ بَسْل

يقول: ساروا فى حَرمهم.

قال ابن هشام: وهذان البيتان فى قصيدة له.

قال ابن إسحاق:

وقال أعشى بنى قَيْس بن ثعلبة:

أجارتكم بَسْل علينا مُحرَّم ... وجارتُنا حِلٌّ لكم وَحَليلُها

قال ابن هشام: وهذا البيت فى قصيدة له.

---

(1) يحمل بعضهم الياس بن مضر على الياس النبى فى همز أوله، والصواب فى الياس بن مضر أن تعتبر فيه الألف واللام زائدتين، كزيادتهما فى الفضل والعباس، وأنهما داخلتان على المصدر الذى هو اليأس، وقد تسهل همزته الثانية، فيقال فيه الياس. أما إلياس النبى فهو بقطع الهمزة الأولى مفتوحة أو مكسورة (راجع شرح القاموس مادة ألس).

(2) فى معجم البلدان (ج ٤ ص ٥٠٦): «تربص».

(3) كذا فى ا. وفى سائر الأصول: «المرورات». بتاء مفتوحة، كأنه جمع مرورى، وليس فى الكلام مثل هذا البناء، وإنما هو المروراة بهاء مما ضوعفت فيه العين واللام، فهو فعلعلة، والألف فيه منقلبة عن واو أصلية. والمروراة: موضع كان فيه يوم المروراة.

(4) نخل: موضع بنجد من أرض غطفان، وقيل هو موضع لبنى مرة بن عوف على ليلتين من المدينة: (راجع معجم البلدان)..

أولاد كعب وأمهم

قال ابن إسحاق :

فولد كعب بن لؤى ثلاثة نفر : مرة بن كَعْب ، وعَدِىّ بن كعب ، وهُصَيْص بن كعب . وأمهم وَحْشِيّة[1] بنت شَيْبان بن مُحارب بن فهر بن مالك ابن النضر .

أولاد مرة وأمهاتهم

فولد مُرّة بن كَعْب ثلاثة نَفَر : كِلَاب بن مُرّة ، وتَيْم بن مُرّة ، ويَقَظَة[2] ابن مُرّة .

فأم كلاب : هِنْد بنت سُرَيْر بن ثَعْلبة بن الحارث بن [فهر بن][3] مالكِ ابن [النضر بن][3] كِنانة بن خُزَيْمة . وأم يَقَظَة : البارقية[4] ، امرأة من بارق، من الأسْد من اليمن . ويقال : هى أم تَيْم . ويقال : تَيْم لِهِنْد بنت سُرَيْر أم كلاب.

نسب بارق

قال ابن هشام :

بارق : بَنُو عَدِىّ بن حارثة بن عَمْرو بن عامر بن حارثة بن أمرئ القَيْس ابن ثَعْلبة بن مازن بن الأسْد بن الغَوْث ، وهم فى شَنُوءة . قال الكُمَيت بن زَيْد:

وأزْد شَنوءة اندرءوا[5] علينا بجُمّ يحسبون لها قُرُونا[6]

فما قُلْنا لبارقَ قد أسأتم وما قُلْنا لبارقَ أعْتِبونا[7]

---

(١) ويقال إن أم هؤلاء الثلاثة : مخشية . كما يقال : إن أم مرة وهصيص : مخشية بنت شيبان بن محارب بن فهر ، وأم عدى: رقاش بنت ركبة بن نائلة بن كعب بن حرب بن تيم بن سعد بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان . (راجع الطبرى) .

(٢) هو بفتح القاف ، وقد جاء فى شعر مدح به خالد بن الوليد، ساكنها ، وهو :

وأنت لمخزوم بن يقظة جنة كلا اسميك فيه ماجد وابن ماجد

(٣) زيادة عن الطبرى .

(٤) ويقال إن أم تيم ، ويقظة : أسماء بنت عدى بن حارثة بن عمرو بن عامر بن بارق ؛ ويقال : هند بنت حارثة البارقية . كما يقال : بل يقظة لهند بنت سرير أم كلاب . (راجع الطبرى) .

(٥) اندرءوا : خرجوا .

(٦) الجم : الكباش لاقرون لها . واحدها : أجم . يريدون أنهم يناطحون بلا عدة ، ولا منة ، كالكباش الجم التى لاقرون لها ، ويحسبون أن لهم قوة .

(٧) وقيل: سموا بارقا بجبل نزلوا عنده اسمه بارق.

قال : وهذان البيتان فى قصيدة له . و إنما سمّوا ببارق ، لأنّهم تَبِعوا البَرْق .

ولدا كلاب وأمهما

قال ابن إسحاق :

فولد كِلاب بن مُرّة رجلين : قُصَىّ[1] بن كلاب ، وزهرة[2] بن كلاب . وأمهما فاطمة بنت سَعْد بن سَيَل[3] أحد [بنى][4] الجدَرة، مِنْ جُعْثُمة[5] الأزد ، من اليمن ، حلفاء فى بَنى الدِّيل[6] بن بكر بن عَبْد مناة بن كِنانة .

نسب جعثمة

قال ابن هشام :

و يقال : جُعْثمة الأسْد ، وجُعْثمة الأزْد ؛ وهو جُعْثمة بن يَشْكُر بن مُبَشِّر ابن صَعْب بن دُهْمان بن نَصْر بن زَهْران بن الحارث بن كَعْب بن عبد الله ابن مالك بن نَصْر بن الأسْد بن الغَوْث ، و يقال : جُعْثمة ابنُ يشكر بنُ مُبَشِّر ابن صَعْب بن نَصْر بن زَهْران بن الأسْد بن الغوث .

و إنما سموا الجدَرة ، لأن عامر بن عمرو[7] بن جُعْثمة تزوج بنت الحارث ابن مضاض الجُرْهمى ، وكانت جُرْهم أصحاب الكعبة . فبنى للكعبة جداراً فسمّى عامر بذلك الجادر : فقيل لولده : الجدَرة لذلك[8] .

---

(1) واسم قصى: زيد ، وسمى قصيا ، لأن أباه مات عنه ، وعن أخيه زهرة ، وكان زهرة كبيرا وقصى فطيا ، وتركهما لأمهما فاطمة ، فتزوجت ربيعة بن حزام ، ورحلت معه ، وأخذت معها زيدا لصغره ، فسمى قصيا لبعده عن دار قومه . (راجع الطبرى) .

(2) وزهرة : امرأة نسب ولدها إليها دون الأب ، وهم أخوال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(3) واسم سيل : خير بن حمالة بن عوف بن غنم بن عامر الجادر بن عمرو بن جعثمة .

(4) زيادة عن ا .

(5) كذا فى الطبرى ، والاشتقاق لابن دريد ، ولسان العرب (مادة جعثم) . وفى الأصول : « خثعمة » وهو تحريف .

(6) راجع الحاشية (رقم ١ ص ٥٢ من هذا الجزء) .

(7) فى الأصل : « عامر بن عمرو بن خزيمة بن خثعمة » . والصواب ما أثبتناه . (راجع الروض الأنف) .

(8) وذلك أن السيل ذات مرة دخل الكعبة وصدع بنيانها ، ففزعت لذلك قريش ، وخافوا انهدادها إن جاء سيل آخر ، وأن يذهب شرفهم ودينهم ، فبنى عامر لها جداراً ، فسمى الجادر لذلك .

قال ابن إسحاق :

ولسعد بن سَيَل يقول الشاعر :

ما نرى فى الناس شخصاً واحداً مَنْ عَلِمْناه كسَعْد بن سَيَلْ

فارساً أضبطَ فيه عُسْرةٌ وإذا ما واقَفَ القِرْن نَزَل[1]

فارساً يَسْتَدْرِجُ الخَيْلَ كما أُسْتدرج الحرُّ[2] القَطامىّ الحَجَل ٥

قال ابن هشام : قوله :

« كما استدرج الحُرّ » عن بعض أهل العلم بالشعر.

بقية أولاد كلاب

قال ابن هشام :

ونُعْم بنت كلاب ، وهى أم أسعد وسُعَيد ابنى سَهْم بن عمرو بن هُصَيص ابن كَعبَ بن لؤى ، وأمها فاطمة بنت سعد بن سيَل . ١٠

أولاد قصى وأمهم

قال ابن إسحاق :

فولد قُصَىّ[3] بن كِلاب أربعةَ نفر وامرأتين : عبد مناف بن قصى ، وعبد الدار بن قصى ، وعبد العزى بن قصى ، وعبد [قُصَى][4] بن قُصَى ، وتَخْمُرُ[5] بنت قُصى ، وبَرَّة بنت قُصَىّ . وأمهم حُبَىّ بنت حُلَيل بن حَبَشِيَّة بن سَلُول ابن كعب بن عمرو الخزاعى . ١٥

---

(١) الأضبط : الذى يعمل بكلتا يديه ، يعمل باليسرى كما يعمل باليمنى . والعسرة : الشدة . والقرن : الذى يقاوم فى الحرب .

(٢) الحر القطامى : يريد الصقر .

(٣) وكان قصى يقول فيما زعموا : ولد لى أربعة ، فسميت اثنين بصنمى ، وواحدا بدارى وواحدا بنفسى . ٢٠

(٤) زيادة عن الطبرى .

(٥) لم يذكر الطبرى تخمر فى أولاد قصى ، واقتصر على الذكور الأربعة ، وذكرها الزبيدى فى كتابه إيضاح المدارك ، وقال : تخمر كتنصر .

قال ابن هشام :

ويقال : حُبْشِيَّة[1] بن سَلول .

أولاد عبد مناف وأمهاتهم

قال ابن إسحاق :

فولد عبدُ مناف ـ واسمه المُغيرة بن قُصَى ـ أربعة نفر : هاشم[2] بن عبد مناف ، وعبد شمس[3] بن عبد مناف ، والمطّلب بن عبد مناف ؛ وأمهم عاتكة[4] بنت مُرّة بن هلال[5] بن فالج[6] بن ذَكْوان بن ثَعْلبة بن بُهْثة بن سُلَيم بن منصور ابن عِكْرِمة ونوفل بن عبد مناف ، وأمه واقدة بنت عمرو المازنية . مازن ابن منصور بن عكرمة .

نسب عتبة ابن غزوان

قال ابن هشام :

فبهذا النسب خالفهم عُتْبة بن غَزْوان بن جابر بن وهب بن نُسَيْب[7] ابن مالك بن الحارث بن مازن بن منصور بن عكرمة .

---

(١) ضبطت فى الأولى بفتحتين ، وفى الثانية بالضم ، وعلى هذا الرأى الأخير الزبيدى فى كتابه إيضاح المدارك عن العواتك ، فقد ضبطت فيه بالعبارة بالضم .

(٢) واسمه عمرو ، ويقال له : هاشم لأنه أول من هشم الثريد لقومه ، وله يقول مطرود بن كعب الخزاعى ، وقيل ابن الزبعرى :

عمرو الذى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف

(راجع الطبرى) .

(٣) وكان عبد شمس تلوا لهاشم ، وقيل : بل كانا توءمين ، فولد هاشم ، ورجله فى جبهة عبد شمس ملتصقة ، فلم يقدر على نزعها إلا بدم. فكانوا يقولون : سيكون بين ولديهما دماء ، فكانت تلك الدماء ماوقع بين بنى هاشم وبنى أمية بن عبد شمس .

(٤) ويقال : إن لعاتكة من غير عبد مناف: الحارث بن حوش السلمى ، فهو أخو هاشم ، وعبد شمس ، والمطلب ، لأمهم ، وأنه رثى هاشما لهذه الأخوّة .

(٥) وأم عبد مناف عاتكة بنت هلال بن فالج بن ذكوان ، وعلى هـذا تكون أم عبد مناف عمة عاتكة أم هاشم .

(٦) كذا فى ا ، وإيضاح المدارك عن العواتك للزبيدى . وفى سائر الأصول : « فالح » بالحاء المهملة ، وهو تصحيف .

(٧) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « سديب » .

عود إلى أولاد عبد مناف

قال ابن هشام :

وأبو عمرو، وتُماضر ، وقلابة ، وحَيّة ، ورَيْطَة ، وأم الأَخْثَم ، وأم سفيان : بنو عبد مناف .

فأم أبي عمرو : رَيْطة ، امرأة من ثقيف ؛ وأم سائر النساء : عاتكة بنت مُرّة ابن هلال ، أم هاشم بن عبد مناف ؛ وأمُّها صَفيّة بنت حَوْزة بن عَمْرو ابن سَلول بن صَعْصعة بن مُعاوية بن بَكْر بن هَوازن؛ وأم صَفِيّة : بنت عائذ الله[1] ابن سَعْد[2] العَشِيرة بن مَذْحج .

أولاد هاشم وأمهاتهم

قال ابن هشام[3] :

فولد هاشم بن عبد مناف أربعة نفر ، وخَمْسَ نسوة : عبد المطلب بن هاشم ، وأسد بن هاشم ، وأبا صَيْفِيّ بن هاشم ، ونَضْلة بن هاشم ، والشِّفاء ، وخالدة ، وضعيفة ، ورُقَيّة ، وحيّة . فأم عبد المطلب ورقية : سَلْمى[4] بنت عمرو[5] ابن زيد بن لَبيد [بن حرام][6] بن خِداش بن عامر[7] بن غَنْم بن عدى بن النجار واسم النجار : تَيْم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة ابن عمرو بن عامر

---

(١) ويروى : عبد الله .

(٢) كذا : فى الأصل . والظاهر أن صواب العبارة : « . . . من سعد . . . الخ » . لأن سعد العشيرة بن مذحج هو أبو القبائل المنسوبة إلى مذحج إلا أقلها ، ولا يكون فى عصر هاشم من هو ابن له لصلبه .

(٣) كذا فى الأصول . ولقد عودنا ابن هشام فيما مضى من الكلام على النسب أن ينقل عن ابن إسحاق ويقفى هو برأيه ، ولكنه عرض هنا للكلام على أولاد هاشم غير ناقل عن ابن إسحاق ، وكذلك كان شأنه عند الكلام على أولاد عبد المطلب .

(٤) وأمها عميرة بنت صخر المازنية ، وابنها عمرو بن أحيحة بن الجلاح ، وأخوه معبد ، ولدتهما لأحيحة بعد هاشم .

(٥) ويقال : هى سلمى بنت زيد بن عمرو . (راجع الطبرى) .

(٦) زيادة عن الطبرى .

(٧) اتفق الطبرى مع السيرة فى نسب سلمى إلى خداش ، ثم خالفها فيما بعد هذا ، فقال: « خداش ابن جندب بن عدى بن النجار » .

وأمها: عَمورة بنت صَخْر بن الحارث بن ثعلبة بن مازن بن النجّار . وأم عَميرة: سلمى بنت عبد الأشْهل النجّارية .

وأم أسد : قَيْلة بنت عامر بن مالك الخزاعيّ .

وأم أبي صَيْفي وَحيّة : هند بنت عمرو بن ثعلبة الخَزْرجية [1]

وأم نَضْلة والشِّفاء : امرأة من قضاعة .

وأم خالدة وضعيفة : واقدةُ بنت أبي عديّ المـازنيّة .

أولاد عبد المطلب بن هاشم

عددهم وأمهاتهم

قال ابن هشام :

فولد عبدُ المطلب بن هاشم عشرةَ نفر وستَّ نِسْوة : العباسَ ، وحمزة ، وعبد الله ، وأبا طالب ـ واسمه عبد مناف ـ والزُّبير [2] ، والحارث ، وحَجْلا [3] ، والمقوِّم ، وضِرَارا ، وأبا لهب [4] ـ واسمه عبد العُزّى ـ وصَفِية ، وأم حَكيم البيضاء ، وعاتكة ، وأُمَيْمة ، وأَرْوى ، و بَرّة .

---

(١) هذا ما ذهب إليه ابن إسحاق ، والمعروف عند أهل النسب أن أم حية : جحل بنت حبيب بن الحارث بن مالك بن خطيط الثقفية ، وأن حية هذه كانت تحت الأحجم بن دندنة الخزاعى ، ولدت له أسيدا وفاطمة .

(٢) الزبير هو أكبر أعمام النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى كان يرقص النبي صلى الله عليه وسلم وهو طفل ، ويقول :

محمد بن عبدم عشت بعيش أنعم
في دولة ومغنم دام سجيس الأزلم

وبنته ضباعة كانت تحت المقداد ، وابنه عبد الله من الصحابة رضى الله عنهم ، وكان الزبير يكنى أبا طاهر ، بابنه الطاهر ، وكان من أظرف فتيان قريش ، وبه سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنه الطاهر ؛ ويقال : إن الزبير كان ممن يقرون بالبعث .

(٣) كذا فى أكثر الأصول ، والروض الأنف ، والمعارف ، والقاموس مادة : « حجل » . وفى ا : « جحل » . بتقديم الجيم على الحاء ، وهو تصحيف .

(٤) واسم أبى لهب عبد العزى ، وكنى أبا لهب لإشراق وجهه .

فأم العبّاس وضِرار : نُتَيْلة[1] بنت جَناب بن كليب[2] بن مالك بن عَمْرو ابن عامر[3] بن زيد مناة بن عامر ـ وهو الضّحْيان ـ بن سَعْد بن الخَزْرج بن تَيْم اللات بن النَّمِر بن قاسط بن هِنْب بن أفْصى بن جَديلة بن أسَد بن رَبيعة بن نِزار.

و يقال : أفصى ابنُ دُعْمِيّ بن جَدِيلة .

وأم حمزة والمقوّم وحَجْل ـ وكان يلقب بالغَيْداق لكثرة خيره ، وسعة ماله ـ وصَفِية : هالةُ[4] بنت [5]وُهَيب بن عبد مَناة [6] بن زُهْرة بن كِلاب ابن مُرّة بن كَعْب بن لُؤَى .

وأم عبد الله ، وأبى طالب ، والزُّبَير ، وجميع النساء غير صَفِيّة : فاطمةُ بنت عَمْرو بن عائذ بن عمران بن مَخْزُوم بن يَقَظه بن مُرّة بن كَعْب بن لؤىّ بن غالب ابن فِهْر بن مالك بن[7] النضر

وأمها: صَخْرة بنت عبد بن عِمْران بن مخزوم بن يَقَظة بن مُرّة بن كعب بن لؤىّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر .

وأم صخرة : تَخْمُر بنت عبد بن قُصَىّ بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لُؤَىّ ابن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر .

وأم الحارث بن عبد المطلب : سَمْراء بنت جُنْدب بن حُجَيْر بن رئاب بن حبيب بن سُوَاءة بن عامر بن صَعْصعة بن معاوية بن بكر بن هَوازن بن مَنْصور ابن عِكْرمة .

---

(١) وأم نتيلة : أم حجر ، أو أم كرز بنت الأزب من بنى بكيل من همدان .

(٢) فى المعارف : « نتيلة بنت كليب بن مالك بن جناب »

(٣) وعامر هذا هو الذى يعرف بالضحيان ، وكان من ملوك ربيعة .

(٤) ويقال إن أم الغيداق : ممنعة بنت عمرو الخزاعية . (راجع الروض الأنف، والمعارف) .

(٥) كذا فى المعارف لابن قتيبة . وفى الأصول : « أهيب بن عبد مناف » .

(٦) ويقال إن أولاد فاطمة من عبد المطلب هم : عبد الله ، وعبد مناف (أبو طالب) ، والزبير ، وعبد الكعبة ، وعاتكة ، وبرة ، وأميمة . (راجع الطبرى) .

(٧) فى المعارف : صفية بنت جندب ، وفيه أن ولديها اثنان : الحارث وأروى .

وأم أبي لَهب : لبنى بنت هاجِر بن عبد مناف بن ضاطر بن حُبْشية بن سَلول ابن كعب بن عَمْرو الخزاعيّ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمهاته

قال ابن هشام :

فولد عبدُ اللّه بنُ عبد المطلب رسولَ اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم سيّد ولد آدم ، محمد بنَ عبد اللّه بن عبد المطلب ، صلواتُ اللّه وسلامه ورحمتُه وبركاته عليه وعلى آله . وأمه : آمنةُ بنت وَهْب بن عبد مناف بن زُهْرَة[1] بن كِلاب بن مُرّة ابن كَعْب بن لُؤَىّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر . وأمّها : بَرّة بنت عبد العُزّى بن عثمان بن عَبْد الدار بن قُصَىّ بن كِلاب بن مُرّة بن كعْب بن لؤَىّ ابن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر . وأم بَرّة : أمّ حَبيب بنت أسَد بن عبد العُزّى بن قُصَىّ بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لُؤَىّ بن غالب بن فِهْر بن مالك ابن النَّضْر . وأم أم حَبِيب : برّة[2] بنت عَوْف بن عَبيد بن عُوَيج بن عدىّ بن كَعْب بن لُؤَىّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النضر .

قال ابن هشام :

فرسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم أشرفُ وَلَد آدم حسباً ، وأفضلهم نسباً من قِبَل أبيه وأمه صلى[3] اللّه عليه وسلم .

---

(١) فى المعارف لابن قتيبة : أن زهرة اسم امرأة عرف بها بنو زهرة ؛ وهذا منكر غير معروف ، وإنما هو اسم جدهم ، كما قال ابن إسحاق .

(٢) المعروف : أن جميع أمهاته صلى الله عليه وسلم من آمنة إلى برة بنت عوف قرشيات ؛ وأما مابعد ذلك من أمهاته فلسن من قريش . فأم برة بنت عوف : قلابة بنت الحارث ، وأم قلابة : أميمة بنت مالك ، وأم أميمة : دبة بنت الحارث ، وأمها : بنت كهف الظلم ، من ثقيف .

(٣) ورد عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « ما ولدتنى بغى قط منذ كنت فى صلب آدم ، فلم تزل تنازعنى الأمم كابرا عن كابر حتى خرجت فى أفضل حيين فى العرب : هاشم وزهرة » .

إشارة إلى ذكر احتفار زمزم

شىء عن زمزم

قال محمد بن إسحاق المطلبى[1] :

بينما عبد المطّلب بن هاشم نائمٌ فى الحِجْر إذ أُتى فأُمِر بحَفْر زَمْزم ، وهى دَفْن بين صَنَمىْ قُرَيشٍ : إسافٍ ونائلة ، عند مَنْحر قريش . وكانت جُرْهم دَفَنْتها حين ظَعنوا من مكة ، وهى بئر إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، التى سقاه الله حين ظَمِئ وهو صغير ، فالتمست له أُمُّهُ ماء فلم تجده ، فقامت إلى الصَّفا تدعو اُللهَ وتستغيثه لإسماعيل ، ثم أتت المَرْوة ففعلت مثلَ ذلك . و بعث اُللهُ تعالى جبر يل عليه السلام ، فهَمَز له[2] بعَقِبه فى الأرض ، فظهر المـاء ، وسمعت أمه أصواتَ السّباع فخافتْها عليه ، فجاءت تشتدّ نحوَه ، فوجدته يَفْحص[3] بيده عن المـاء من تحت خدّه و يشرب ، فجعلته حِسْياً[4] .

أمر جرهم ودفن زمزم

ولاة البيت

قال ابن هشام :

وكان من حديث جُرْهم ، ودَفْنها زمزم ، وخروجها من مكة ، وَمَنْ وِلِى أمرَ

---

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « قال حدثنا أبو محمد عبـد الملك بن هشام . قال : وكان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ماحدثنا به زياد بن عبد الله البكائى عن محمد ابن إسحاق المطلبى قال . . الخ » .

(٢) ومن هنا سميت زمزم أيضاً : همزة جبريل ، وهزمة جبريل . وقال المسـعودى : سميت زمزم لأن الفرس كانت تحج إليها فى الزمن الأول فزمزمت عليها ، والزمزمة : صوت تخرجه الفرس من خياشيمها عند شرب المـاء ، وقد كتب عمر رضى الله عنه إلى عماله : أن انهوا الفرس عن الزمزمة . وقيل : بل سميت زمزم لأنها زمت بالتراب لئلا يأخذ المـاء يمينا وشمالا .

(٣) يفحص : يكشف .

(٤) الحسى: الحفيرة الصغيرة ؛ وقيل : أصل الحسى ما يغور فى الرمل ، فإذا بحث عنه ظهر .

مكه بعدها إلى ان حفر عبد المطلب رمزم ، ماحدثنا به زِياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن إسحاق المطلبى ، قال :

لما توفى إسماعيل بن إبراهيم وَلى البيتَ بعده ابنُه نابت بن إسماعيل ماشاء اللهُ أن يَليه ، ثم ولى البيتَ بعده مُضاض بن عمرو الجرْهمى .

٥ قال ابن هشام :

و يقال : مِضاض بن عمرو الجُرْهميّ .

جـرهم وقطوراء ، وما كان بينهما

قال ابن إسحاق :

و بنو إسماعيل وبنو نابت مع جدّهم مُضاض بن عمرو وأخوالهم من جُرْهم.[١] وجُرْهم وقَطُوراء[٢] يومئـذ أهلُ مكة ، وهما ابنا عمّ . وكانا ظَعنا من اليمن

١٠ فأقبلا سيّارةً ، وعلى جُرْهم مُضاض بن عمرو ، وعلى قطوراء السَّمَيْدع[٣] ، رَجُلٌ منهم . وكانوا إذا خَرَجوا من اليمن لم يَخْرجوا إلا ولهم مَلِكٌ يُقيم أمرَهم . فلما نزلا مكة رَأَيا بلداً ذا ماء وشَجَرٍ ، فأعجبهما فنَزَلا به . فنزَل مُضاض بن عَمْرو بمَنْ معه من جُرْهم بأعْلى مكة بقُعَيْقِعان[٤] فما حازَ . ونزل السميدع بقَطوراء ، أسفلَ مكة بأَجْياد[٥] فما حاز . فكان مضاض يَعْشُر[٦] مَنْ دَخَل مكة مِن أعلاها ، وكان

١٥ السميدع يَعْشُر مَنْ دخل مكة من أسفلها ، وكلٌّ فى قومه لايدخل واحدٌ منهما على صاحبه . ثم إن جُرْهم وقَطُوراء بغَى بعضُهم على بعض ، وتنافسوا المُلْكَ بها ، ومع مُضاض يومئذ بنو إسماعيل و بنو نابت ، و إليه ولايةُ البيت دون السَّمَيْدع .

---

(١) جرهم : هو قحطان بن عابر بن شالخ .

(٢) قطوراء : هو قطوراء بن كركر .

٢٠ (٣) السميدع : هو السميدع بن هوثر بن لأى بن قطوراء بن كركر بن عملاق ؛ ويقال : إن الزباء من ذريتـه ، وهى بنت عمرو بن أذينـة بن ظرب بن حسان ، وبين حسان والسميدع آباء كثيرة .

(٤) قعيقعان : جبل بمكة . (راجع معجم البلدان) . وسيعرض له المؤلف بعد قليل .

(٥) أجياد : موضع بمكة على الصف . (راجع معجم البلدان) .

٢٥ (٦) يقال عشر فلان القوم عشرا وعشورا : إذا أخذ عشر أموالهم .

فسار بعضُهم إلى بعض ، فخرج مُضاض بن عَمْرو من قُعَيْقعان فى كتيبته سائراً إلى السَّمَيْدع ، ومع كتيبته عُدَّتها من الرّماح والْدَّرَق والسُّيوف والجعاب ، يُقَعْقع بذلك معه ؛ فيقال ماسُمِّى قعيقعان بقعيقعان إلاّ لذلك . وخرج السَّميدع من أجياد ومعه الخيل والرجال ، فيقال ماسمى أجياد أجياداً إلا لخروج الجياد[1] من الخيل مع السَّميدع منه . فالتَقَوْا بفاضِح[2]، واقتتلوا قتالاً شديداً ، فقُتل السميدع ، وفضِحت قطوراء . فيقال ماسمّى فاضح فاضحا إلا لذلك . ثم إن القوم تداعَوْا إلى الصُّلح ، فساروا حتى نزلوا المَطابِخ: شِعْباً بأعلى مكة[3]، واصطلحوا به، وأسلموا الأمرَ إلى مُضاض . فلما جُمع إليه أمْر مكة فصار مُلْكُها له ، نَحَر للناس فأطعمهم ، فاطَّبخ[4] الناسُ وأكلوا ، فيقال ماسمّيت المَطابخ المطابخ إلا لذلك . وبعضُ أهل العلم يزعمُ أنها إنما سُمِّيت المطابخ ، لِمَا كان تُبَّع نَحر بها وأطعم ، وكانت منزلَه . فكانَ الذى كان بين مُضَاض والسَّميدع أولَ بَغْى كان بمكة فيما يزعمون .

أولاد إسماعيل وجرهم بمكة

ثم نَشر الله وَلَدَ إسماعيل بمكة ، وأخوالُهم من جُرْهم ، ولاة البيت والحكّام بمكة ، لاينازعهم ولد إسماعيل فى ذلك لخؤولتهم وقرابتهم ، وإعظاما للحُرْمة أن يكون بها بَغْى أو قتال . فلما ضاقت مكة على ولد إسماعيل انتشروا فى البلاد ، فلا يناوئون قومًا إلا أظهرهم الله عليهم بدينهم فوَطِئوهم .

---

(١) هذا بعيد : لأن جياد الخيل لايقال فيها أجياد ، وأما أجياد فجمع جيد . وقد ذكر أن مضاضا ضرب فى ذلك الموضع أجياد مئة رجل من العمالقة فسمى الموضع أجيادا لهذا .

(٢) فاضح : موضع قرب مكة عند أبى قبيس ، كان الناس يخرجون إليه لحاجاتهم . (راجع معجم البلدان) .

(٣) وفى المطابخ يقول الشاعر :

أطوف بالمطابخ كل يوم مخافة أن يشردنى حكيم

يريد حكيم بن أمية . (راجع معجم البلدان) .

(٤) اطبخ الرجل : طبخ لنفسه خاصة ، أو اتخذ طبيخا ؛ ويقال : اطبخ الرجل اللحم ، وذلك إذا طبخه .

استيلاء قوم كنانة وخزاعة على البيت ونفي جرهم

بغى جرهم بمكة وطرد بنى بكر لهم

ثم إن جُرْهما بَغَوْا بمكة، واستحلّوا خِلالا[1] من الحرمة، فظلموا مَنْ دخلها من غير أهلها، وأكلوا مالَ الكعبة الذي يُهْدى[2] لها، فرقّ أمرُهم. فلما رأت بنو بَكْر بن عَبْد مَناة بن كِنانة، وغُبْشان من خُزاعة ذلك، أجمعوا لحَرْبهم وإخراجهم من مكة. فآذنوهم بالحرب فاقتتلوا، فغلبتهم بنو بَكْر وغُبْشان، فنفَوْهم من مكة. وكانت مكة في الجاهلية لاتُقِرّ فيها ظُلْماً ولا بَغْيا، ولايَبْغى فيها أحد إلا أخرجته، فكانت تسمى النّاسّة[3]، ولا يريدها ملك يستحلُّ حرْمَتَها إلا هلك مكانَه، فيقال إنها ماسمّيت ببكّة إلا أنها كانت تَبُكّ[4] أعناقَ الجبابرة إذا أحدثوا فيها شيئاً.

بكة لغة

قال ابن هشام: أخبرني أبو عُبَيدة:

أن بكة اسم لبطن مكة، لأنهم يتباكون فيها، أي يزدحمون. وأنشدني:

إذا الشَّرِيبُ[5] أخذتْه أَكَّه[6] فخَــلِّه حتى يَبُكَّ بَــكَّه

أى فَدعْه حتى يبكّ إبلَه، أي يخلّيها إلى الماء فتزدحم عليه. وهو موضع

---

(1) الخلال: الخصال.

(2) كان كل مايهدى إلى الكعبة يلقى في بئر قريبة القعر، كان احتفرها إبراهيم عليه السلام عند باب الكعبة. ويقال: إنه لما فسد أمر جرهم، وسرقوا مال الكعبة مرة بعد مرة دخل رجل منهم البئر ليسرق مال الكعبة، فسقط عليه حجر من شفير البئر فحبسه فيها. كما يذكرون أنه أرسلت على البئر حية، فكانت تهيب من يدنو منها.

(3) كما كانت تسمى النساسة، وهما من «نس» بمعنى يبس وأجدب؛ كما يقال لها: الباسة» أيضاً، وهو من البس بمعنى التفتيت.

(4) تبك: تكسر.

(5) كذا في ا ولسان العرب (مادتى أك وبك). والشريب: الذى يسقى إبله مع إبلك. وفى الأصل: «الشريت»، وهو تصحيف.

(6) أكة: شدة الحر، وقيل شدة الألم.

البيت والمسجد . وهذان البيتان لعامان بن كَعْب بن عمرو بن سَعْد بن زيد مَنَاة بن تَمِيم .

قال ابن إسحاق :

فخرج عمرو بن الحارث بن مُضاض الجرهمى بغزالَي الكعبة و بحَجر الركن فدَفَنها فى زمزم ، وانطلق هو ومن معه من جُرْهم إلى اليمن ، فحَزِنوا على مافارقوا من أمر مكة ومُلْكها حزناً شديداً . فقال عمرو بن الحارث [بن عمرو][1] بن مُضاض فى ذلك[2] ، وليس بمُضاض الأكبر :

وقائلةٍ والدمعُ سَكْبٌ مُبادرُ ... وقد شَرِقتْ بالدمع منها المَحاجرُ

كأن لم يكن بين الحَجون[3] إلى الصَّفا ... أنيسٌ ولم يَسْمُرْ بمكّة سامر

فقلتُ لها والقلبُ منىّ كأنما ... يُلَجْلجه[4] بين الجَناحين طائر

بلى نحن كُنا أهلَها فأزالنا ... صُروفُ الليالى والجُدود[5] العَواثر

وكنّا ولاةَ البيت من بَعْد نابتٍ ... نطوفُ بذاك البيت والخيرُ ظاهر[6]

ونحن وَلينا البيتَ من بعد نابت ... بعزٍّ فما يَحْظَى لدينا الْمُكاثر

---

(١) زيادة عن معجم البلدان .

(٢) والسبب فى قول هذا الشعر : أن عمرو بن الحارث كان قد نزل بقنونا من أرض الحجاز ، فضلت له إبل، فبغاها حتى أتى الحرم ، فأراد دخوله ليأخذ إبله، فنادى عمرو بن لحى: من وجد جرهميا فلم يقتله قطعت يده . فسمع بذلك عمرو بن الحارث ، وأشرف على جبل من جبال مكة، فرأى إبله تنحر ويتوزع لحمها، فانصرف بائسا خائفا ذليلا، وأبعد فى الأرض: وبغربته يضرب المثل ، ثم قال هذا الشعر .

(٣) الحجون : جبل بأعلى مكة ، عليـــه مدافن أهلها ؛ وقيل : مكان من البيت على ميل ونصف ؛ وقيل على فرسخ وثلث ، عليه سقيفة آل زياد بن عبد الله الحارثى ، وكان عاملا على مكة فى أيام السفاح وبعض أيام المنصور . وقال الأصمعى : الحجون : هو الجبل المشرف الذى بحذاء مسجد البيعة على شعب الجزارين . (راجع معجم البلدان) .

(٤) يلجلجه : يديره .

(٥) الجدود : جمع جد ، وهو الحظ .

(٦) يشير بهذا البيت إلى أنه بعد موت نابت ، وأمه جرهمية ، ولم يكثر ولد إسماعيل ، غلبت جرهم على ولاية البيت .

مَلَكْنا فعزَّزْنا فأعظمْ بمُلْكِنا ... فليس لحىّ غـيرِنا ثَمّ فاخِرُ

ألم تُنْكِحوا مِنْ خَيْرِ شخص[1] علمته[2] ... فأبناؤه منّا و نحن الأصاهِر

فإن تَنْثَنِ الدنيا علينا بحالها ... فإنّ لهـا حالاً وفيها التشاجُر

فأخْرَجَنا منها المليكُ بقُدْرة ... كذلك يا للناس تجرى المقادر

٥ أقولُ إذا نام الخلِىّ ولم أَنَمْ ... أذا العرشِ: لايبعد سُهَيل وعامر

وبُدِّلْت منها أوجُها لا أُحبّها ... قبائلُ منها حِمْـير ويُحابِر[3]

وصِرْنا أحاديثاً وكُنّا بِغبْطةٍ ... بذلك عَضّتنا السِّـنون الغَوابر

فسحّت دمُوعُ العين تَبْكى لبَلْدة ... بها حَـرَم أَمْنٌ وفيها المَشاعِر[4]

وتَبْكى لبيتٍ ليس يؤذَى حَمامُه ... يَظَلّ به أَمْناً وفيـه العَصافِر[5]

١٠ وفيـه وُحوش لا تُرام أنيسة ... إذا خرجتْ منـه فليست تُغَادر

قال ابن هشام: قوله «فأبناؤه منا»، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق:

وقال عمرو بن الحارث أيضاً يذكر بَكْرا وغُبْشان، وساكنى مكة الذين خَلَفوا فيها بعدهم:

١٥ ياأيها الناس سِيرُوا إن قَصْرَكُم[6] ... أن تُصْبحوا ذاتَ يوم لاتَسيرونَا

حُثّوا المطىّ وأَرْخوا من أَزِمّتها ... قبلَ الممات وقَضّوا ما تقضُّونا

---

(١) يعنى: إسماعيل عليه السلام، وذلك أنه نكح امرأة من جرهم.

(٢) ورواية هذا الشطر فى الطبرى:

* وصاهرنا من أكرم الناس والدا *

٢٠ (٣) حمير ويحابر: من قبائل اليمن. ويقال: إن يحابر هى مراد.

(٤) المشاعر: المواضع المشهورة فى الحج التى يتعبد بها.

(٥) أراد: العصافير، وحذف الياء للضرورة.

(٦) قصركم: نهايتكم وغايتكم.

كنّا أُناساً كما كنتم فغيّرنا   دهرٌ فأنتم كما كنّا تكونونا[1]

قال ابن هشام :

هذا ماصحّ له منها . وحدّثنى بعضُ أهلِ العلم بالشعر : أن هذه الأبيات أولُ شعر قيل فى العرب ، وأنها وُجدتْ مكتوبة فى حجر باليمن ، ولم يُسمّ لى قائلها[2] .

استبداد قوم من خزاعة بولاية البيت

قال ابن إسحاق :

ثم إن غُبْشان من خُزاعة وَلِيتْ البيتَ دون بنى بَكْر بن عَبْد مناة ، وكان

---

(١) وزاد بعضهم على هذه الأبيات :

إن التفكر لايجدى لصاحبه   عند البديهة فى علم له دونا
فاستخبروا فى صنيع الناس قبلكم   كما استبان طريق عنده الهونا
كنا زمانا ملوك الناس قبلكم   بمسكن فى حرام الله مسكونا

(٢) ويروى : أنه وجد فى بئر باليمامة ثلاثة أحجار . فوجدوا فى حجر من الثلاثة مكتوبا هذه الأبيات ، ووجدوا فى حجر آخر مكتوبا :

يأيها الملك الذى   بالملك ساعده زمانه
ما أنت أوّل من علا   وعلاشؤون الناس شانه
أقصر عليك مراقبا   فالدهر مخذول أمانه
كم من أشم معصب   بالتاج مرهوب مكانه
قد كان ساعده الزمان   وكان ذا خفض جنانه
تجرى الجداول حوله   للجند مترعة جفانه
قد فاجأته منية   لم ينجه منها اكتنانه
وتفرقت أجناده   عنه وناح به قيانه
والدهر من يعلق به   يطحنه مفترسا جرانه
والناس شتى فى الهوى   كالمرء مختلف بنانه
والصدق أفضل شيمة   والمرء يقتله لسانه =

الذى يليه منهم عمرو بن الحارث الغُبْشانى ، وقُرَيش إذ ذاك حُلول وصِرْم،[1] و بيوتات متفرقون فى قومهم من بَنِى كِنانة . فَوَليتْ خزاعةُ البيتَ يتوارثون ذلك كابراً عن كابر ، حتى كان آخرهم حُلَيل بن حَبَشِيّة بن سَلول بن كَعْب بن عمرو الخزاعى .

قال ابن هشام : يقال حُبْشية بن سَلول .

تزوج قصى بن كلاب حبى بنت حليل

أولاد قصى

قال ابن إسحاق :

ثم إن قُصَيّ بن كلاب خطب إلى حُليل بن حُبْشية ابنتَه حُبَّى ، فرغب فيه حُليل فزّوجه ، فولدت له عبدَ الدار ، وعبد مناف ، وعبد العُزَّى ، وعبداً .

١٠ فلما انتشر ولدُ قصىّ ، وكثُر ماله ، وعظم شَرَفه ، هلك حُليل .

تولى قصى أمر البيت ونصرة رزاح له

فرأى قُصىّ أنه أولى بالكعبة و بأمْر مكة من خُزاعة و بنى بكر ، وأن قريشاً قُرْعة[2] إسماعيل بن إبراهيم وصَريح وَلَده . فكلّم رجالاً من قُرَيش ،

= والصمت أسعد للفتى ولقد يشرفه بيانه

ووجد بالحجر الثالث قصيدة على هذا النمط كلها حكم ومواعظ ، ومطلعها :

١٥ كل عيش تعاله ليس للدهر خاله

يوم بؤس ونعمة واجتماع وقاله

حبنا العيش والتكاثر جهل وضاله

ومنها :

آفة العيش والنعيم كرور الأهله

٢٠ وصل يوم وليلة واعتراض بعاله

(١) الصرم : الجماعات المتقطعة .

(٢) كذا فى أكثر الأصول . والقرعة : نخبة الشئ وخياره . وفى الطبرى و ا : «فرعة» بالفاء . وفرعة الجبل : أعلاه . يريد أن قريشا أعلى ولد إسماعيل .

وبَنى كِنانة ، ودعاهم إلى إخراج خُزاعة و بنى بَكر من مكة ، فأجابوه . وكان رَبيعة بن حَرَام ،[1] من عُذْرة بن سَعْد بن زَيْد قد قَدِم مكةَ بعد هُلْك كِلاب ، فتزَوّج فاطمةَ بنت سعد بن سَيَل ، وزُهْرة يومئذ رجل ، وقصيّ فَطِيم ، فاحتملها إلى بلاده ، فحملت قُصيًّا معها ، وأقام زُهْرة ، فولدت لربيعة رِزاحا . فلما بلغ قُصيّ وصار رجلاً أتى مكة، فأقام[2] بها ، فلما أجابه قومُه إلى ما دعاهم إليه ، كتب إلى أخيه من أمّه ، رِزاح بن ربيعة ، يدعوه إلى نُصْرته ، والقيام معه . فخرج رِزاح بن ربيعة ومعه إخوته : حُنّ بن ربيعة ، ومحمود ابن ربيعة ، وجُلْهُمة بن ربيعة ، وهم لغير فاطمة، فيمن تبعهم من قُضاعة فى حاجّ العرب ، وهم مُجمعون لنُصْرة قُصَى . وخُزاعة تزعم أن حُلَيل بن حُبْشية أوصى بذلك قُصَيًّا ، وأمره به حين انتشر له من ابنته من الولد ما انتشر . وقال : أنت أولى بالكعبة ، وبالقيام عليها ، وبأمر مكّة من خُزاعة ؛ فعند ذلك طلب قُصيّ ما طلب . ولم نسمع ذلك من غيرهم[3] ، فالله أعلم أىّ ذلك كان .

---

(1) فى ا « بن » .

(2) والسبب فى رجوعه إلى مكة ، هو أنه لما كان غلاما — وكان يدعى إلى ربيعة لأنه لا يعلم له أب إلا إياه — تساب هو ورجل من قضاعة ، فعيره بالدعوة وقال له : لست منا . وإنما أنت فينا ملصق. فدخل على أمه ، وقد وجم لذلك ، فقالت له : يابنى، صدق، إنك لست منهم ، ولكن رهطك خير من رهطه ، وآباءك أشرف من آبائه ، وإنما أنت قرشى ، وأخوك وبنو عمك بمكة ، وهم جيران بيت الله الحرام ، فدخل فى سيارة حتى أتى مكة .

(3) ويقال أيضاً فى انتقال ولاية البيت إلى قصى : أن حليلا كان يعطى مفاتيح البيت إلى ابنته حبى حين كبر وضعف ، فكانت بيدها ، وكان قصى ربما أخذها فى بعض الأحيان ففتح البيت للناس وأغلقه ، ولما هلك حليل أوصى بولاية البيت إلى قصى . فأبت خزاعة أن تمضى ذلك لقصى ، فعند ذلك هاجت الحرب بينه وبين خزاعة .

كما يذكر أيضاً : أن حليلا لما كبر ولم يقدر على فتح الباب وإغلاقه ، عهد بالمفاتيح إلى أبى غبشان — وهو من خزاعة ، واسمه سليم بن عمرو — فابتاعها منه قصى بزق خمر ، فقيل أخسر من صفقة أبى غبشان .

وكان الأصل فى الانتقال ولاية البيت من ولد مضر إلى خزاعة : أن الحرم حين ضاق عن ولد نزار وبغت فيه إياد ، أخرجتهم بنو مضر بن نزار ، وأجلوهم عن مكة ، فعمدوا فى الليل إلى الحجر الأسود ، فاقتلعوه واحتملوه على بعير ، فرزح البعير به وسقط إلى الأرض ، وجعلوه على آخر، فرزح أيضاً . وعلى الثالث ، ففعل مثل ذلك . فلما رأوا ذلك دفنوه وذهبوا ، فلما أصبح أهل مكة ولم يروه ، وقعوا فى كرب عظيم . وكانت امرأة من خزاعة قد بصرت به حين

ما كان يليه الغوث بن مر من الاجازة للناس بالحج

وكان الغَوْث بن مُرّ بن أدّ بن طابخة بن اليأس بن مُضَر يَلِى الإجازة[١] للناس بالحج من[٢] عرفة ، وولدُه من بعده ؛ وكان يقال له ولولَده صُوفة[٣] .
وإنما وَلِى ذلك الغوثُ بن مرّ لأن أمّه كانت امرأةً من جُرْهم ، وكانت لا تَلِد ،
٥ فنذرت لله إن هى ولدتْ رجلاً أن تَصَدّق به على الكعبة عَبْدًا لها يخدُمها ، ويقوم عليها . فولدت الغوثَ ، فكان يَقُوم على الكعبة فى الدَّهْر الأول مع أخواله من جُرْهم ، فوَلِى الإجازةَ بالناس من عَرَفة ، لمكانه الذى كان به من الكعبة ، وولدُه من بعده حتى انقرضوا[٤] . فقال مُرّ بن أدّ لوفاء نَذْر أُمّه :

إنى جعلتُ ربّ من بَنِيّه ... رَبيطةً بمكّةَ العلِيّه

١٠ فباركنّ لى بها أَلِيّه[٥] ... واجْعله لى من صالح البَرّيه

وكان الغوث بن مُرّ ـ فيما زعموا ـ إذا دفع بالناس قال :

= دفن ، فأعلمت قومها بذلك ، فحينئذ أخذت خزاعة على ولاة البيت أن يتخلوا لهم عن ولايته ويدلوهم على الحجر ، ففعلوا ذلك ؛ فمن هنالك صارت ولاية البيت لخزاعة إلى أن صارت إلى بنى عبد مناف . (راجع الروض الأنف وكتاب الأوائل لأبى هلال العسكرى) .

١٥ (١) الإجازة : الإفاضة .

(٢) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « من بعد عرفة » .

(٣) وإنما قيل للغوث وولده: صوفة ، لأن أمه حين جعلته ربيطا للكعبة علقت برأسه صوفة ؛ وقيل : ألبسته ثوبا من صوف ؛ وقيل : إنما سمى كذلك ، لأن أمهُ لما ربطته عند البيت أصابه الحر فمرت به وقد سقط وذوى واسترخى ، فقالت : ما صار ابنى إلا صوفة ،
٢٠ فسمى صوفة . وقيل : إنما سمى كذلك لأن كل من ولى من البيت شيئا من غير أهله ، أو قام بشىء من خدمة البيت ، أو بشىء من أمر المناسك ، يقال لهم : صوفة وصوفان .

(٤) وقيل : إن ولاية الغوث بن مر كانت من قبل ملوك كندة . (راجع الروض الأنف) .

(٥) الألية : فى الأصل اليمين ، وهى هنا: النذر الذى نذرته أمه .

لا هُمَّ إنى تابعٌ تَباعه[1] إن كان إثمٌ فعلَى قُضاعه[2]

قال ابن إسحاق : حدثنى يَحْيى[3] بن عبّاد بن عبد الله بن الزُّبير عن أبيه . [عباد][4] . قال :

صوفة ورمى الجمار

كانت صُوفة تدفع بالناس من عَرَفة ، وتُجيز بهم إذا نَفَروا من مِنى ، فإذا كان يوم النَّفر أتَوْا لرَمْى الجِمار ، ورجل من صوفة يرمى للناس ، لا يرمون حتى يرمى[5] . فكان ذوو الحاجات المتعجّلون يأتونه فيقولون له : قمْ فارم حتى نرمىَ معك ؛ فيقول : لا والله ، حتى تميلَ الشمس . فيظلّ ذوو الحاجات الذين يحبّون التعجّل يرمونه بالحجارة ، ويستعجلونه بذلك ، ويقولون له : ويلك ! قم فارْم ؛ فيأبى عليهم . حتى إذا مالت الشمس قام فرمَى ورمَى الناس معه .

تولى بنى سعد أمر البيت بعد صوفة

قال ابن إسحاق :

فإذا فرغوا من رَمْى الجِمار وأرادوا النَّفر من مِنى ، أخذت صُوفة بجانبى العقبة ، فحبسوا الناسَ وقالوا : أجيزى صُوفة ، فلم يَجُز أحدٌ من الناس حتى يَمرّوا ، فإذا نفرت صُوفة ومضت خُلّى سبيل الناس ، فانطلقوا بعدهم ، فكانوا كذلك حتى انقرضوا ، فورثهم ذلك من بعدهم بالقُعدد[6] بنو سعد بن زَيْد

---

(١) التباعة : مايتبعه الإنسان ويقتدى به .

(٢) إنما خص قضاعة بهذا ، لأن منهم محلين يستحلون الأشهر الحرم ، كما كانت خثعم وطيء تفعل .

(٣) روى عن جده ، وأبيه ، وعمه حمزة . وعنه هشام بن عروة ، وموسى بن عقبة ، وابن إسحاق وجماعة ، ولقد مات شابا عن سبع وثلاثين سنة . (راجع تراجم رجال لابن إسحاق .

(٤) زيادة عن ا .

(٥) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « يروى » ، وهو تحريف .

(٦) يريد قرب النسب . يقال : رجل قعدد ، إذا كان قريب الأباء إلى الجد الأكبر . ومن أغرب مايذكر أن يزيد بن معاوية حج بالناس سنة خمسين ، وأن عبد الصمد بن على حج بالناس سنة مئة وخمسين ، وأباؤهما فى القعدد إلى عبد مناف واحد ، وبينهما مئة سنه

مناة بن تميم[1] ، وكانت من بنى سعد فى آل صَفوان بن الحارث بن شِجْنة .

نسب صفوان

قال ابن هشام :

صفوان ابنُ جناب ابن شِجْنة بن عُطارِد بن عَوْف بن كَعْب بن سعْد ابن زيد مناة بن تَميم .

صفوان وكرب والاجازة فى الحج

٥ قال ابن إسحاق :

وكان صَفْوان هو الذى يُجيز للناس بالحجّ من عَرَفة ، ثم بنوه من بعده ، حتى كان آخرَهم الذى قام عليه الإسلام ، كَرِب بن صَفوان وقال أوْس بن تميم ابن مغراء السَّعْدى :

لا يبرح الناس ما حجّوا مُعرَّفهم ... حتى يقال أجيزوا آل صَفْوانا

١٠ قال ابن هشام :

هذا البيت فى قصيدة لأوس بن مغراء .

ما كانت عليه عدوان من إفاضة المزدلفة

شعر ذى الإصبع فى إفاضتهم بالناس

وأما قول ذى الإصبع العَدْوانى ، واسمه حُرْثان [من عَدْوان][2] بن عمرو؛ وإنما سمى ذا الإصبع لأنه كان له إصبع فقطعها :

---

١٥ (١) وذلك لأن سعداً هو ابن زيد مناة بن تميم بن مر ، وكان سعد أقعد بالغوث بن مر من غيره من العرب .

(٢) زيادة عن الشعر والشعراء ، وهى زيادة يقتضيها السياق ، إذ لم نجد مرجعا من المراجع التى بين أيدينا اتفق مع الأصول فى اسم ذى الإصبع ، وهو كما نصت عليه : حرثان بن الحارث بن محرث بن ثعلبة بن سيار (شباة ، شبابة) بن ربيعة بن هبيرة بن ثعلبة بن ظرب

٢٠ ابن عمرو (عياذ) بن يشكر بن عدوان بن عمرو بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار. وقيل : حرثان بن موب بن الحارث بن شباة بن ذهب بن ثعلبة . . . الخ (راجع خزانة الأدب ج٢ ص ٤٠٨ ، والمفضليات ص٣١٢ طبع بيروت ، والأغانى ج٣ ص٨٩ طبع دار الكتب ، والشعر والشعراء ، وشرح القاموس) .

عذيرَ[1] الحيِّ من عَدوا ... نَ كانوا حيّه الأرضِ[2]

بَغَى بعضُهم ظلماً ... فلم يُرْعِ[3] على بَعْض

ومنهم كانت السادا ... ت والمُوفون بالقَرْض[4]

ومنهم مَنْ يُجيز النا ... س بالسُّـــنة والفَرْض

ومنهم حَكَمٌ يَقضى ... فلا يُنْقَض ما يَقْضى

أبو سيارة وإفاضته بالناس

ـ وهذه الأبيات فى قصيدة له ـ فلأن الإفاضة من المزدلفة كانت فى عَدْوان ـ فيما حدثنى زياد بن عبد الله البَكّائى عن محمد بن إسحاق ـ يتوارثون ذلك كابراً عن كابر. حتى كان آخرهم الذى قام عليه الإسلام أبو سيّارة، عُمَيْلة بن الأعزل[5]. ففيه يقول شاعر من العرب:

نحن دفعنا عن أبي سيّارهْ ... وعن مَواليه بَنى فَزاره[6]

حتى أجاز سالمًا حِماره ... مستقبِلَ القبلة يدعو جاره[7]

قال: وكان أبو سيارة يدفع بالناس على أتان[8] له، فلذلك يقول: «سالمًا حِماره»

---

(1) العذير: من يعذر. يريد: أى هاتوا من يعذر.

(2) يقال: فلان حية الأرض، وحية الوادى: إذا كان مهيبا يذعر منه؛ وقيل: حية الأرض: أى حياتها، لأنهم كانوا يقومون بالناس لجودهم وكرمهم، فكأنهم كانوا حياة للأرض وأهلها.

(3) لم يرع: لم يبق، يقال: ما أرعى فلان على فلان: أى ما أبق عليه.

(4) القرض هنا: الجزاء، أى من فعل شيئا جازوه به.

(5) وقيل اسمه العاصى، واسم الأعزل خالد.

(6) يعنى بمواليه: بنى عمه، لأنه من عدوان، وعدوان وفزارة من قيس عيلان.

(7) يدعو جاره: أى يدعو الله عز وجل يقول: اللهم كن لى جاراً ممن أخافه، أى مجيراً.

(8) وكانت تلك الأتان سوداء. ولذلك يقول:

لاهُمّ مالى فى الحمار الأسود ... أصبحت بين العالمين أحسد

أمر عامر بن ظرب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان

قضاؤه فى خنثى ومشورة جاريته سخيلة

قال ابن إسحاق :

وقوله « حكم يقضى » ، يعنى عامر بن ظَرِب بن عَمْرو بن عِياذ بن يَشْكُر ابن عَدْوان العَدْوانى . وكانت العرب لا يكون بينها نائرة[1] ولا عُضْلة[2] فى قضاء إلا أسندوا ذلك إليه ، ثم رضُوا بما قضَى فيه . فاختُصِم إليه فى بعض ما كانوا يختلفون فيه ، فى رجل خُنثَى ، له ما للرجل وله ما للمرأة فقالوا : أتجعله رجلاً أو امرأة ؟ ولم يأتوه بأمر كان أعضلَ منه . فقال : حتى أنظر فى أمركم ، فوالله ما نزل بى مثلُ هذه منكم يا معشر العرب ! فاستأخروا عنه . فبات ليلتَه ساهراً ، يقلّب أمرَه ، وينظر فى شأنه ، لا يتوجّه له منه وَجْه . وكانت له جارية يقال لها سُخَيلة ترعى عليه غنمَه ، وكان يُعاتبها إذا سرحت فيقول : صبّحتِ والله يا سُخَيل ! وإذا أراحت عليه قال : مسّيت والله يا سُخَيل ! وذلك أنها كانت تؤخر السرح حتى يسبقها بعضُ الناس ، وتؤخّر الإراحة حتى يسبقها بعضُ . فلما رأت سَهَرَه وقلّة قراره على فراشه قالت : مالك لا أبالك ! ما عَراك فى ليلتك هذه ؟ قال : ويلك ! دَعِينى ، أمرٌ ليس من شأنك ؛ ثم عادتْ له بمثل قولها . فقال فى نفسه : عسى أن تأتِى مما أنا فيه بفَرَج ؛ فقال : ويحكِ اختُصم إلىّ فى ميراث خُنْثى ، أأجعله رجلاً أو امرأة ؟ فوالله ما أدرى ما أصنع ، وما يتوجّه لى فيه وَجْه . قال: فقالت : سبحان الله ! لا أبالك ! أتْبِع القضاء المَبال[3] ، أقعِدْه، فإن بال من حيث يبولُ الرجل فهو رجل ، وإن بال من حيث

---

(1) النائرة : الكائنة الشنيعة تكون بين القوم .

(2) العضلة : الأمر الشديد الذى لا يعلم له وجه .

(3) أى اجعله تابعاً له ، وهذا من الاستدلال بالأمارات وله نظائر كثيرة فى الشريعة . ومنه قوله تعالى : « فجاؤا على قميصه بدم كذب » . لأن القميص المدمى لم يكن فيه خرق ، ولا أثر لأنياب الذئب .

تبولُ المرأة ، فهى أمرأة . قال : مسِّ سُخَيل بعدَها أو صبّحى ، فرّجْتِها والله .
ثم خرج على الناس حين أصبح ، فقضى بالذى أشارت عليه به .

غلب قصى بن كلاب على أمر مكة وجمعه أمر قريش ومعونة قضاعة له

هزيمة صوفة

قال ابن إسحاق :

٥

فلما كان ذلك العام فعلتْ صوفةُ كما كانت تفعل ، وقد عرفت ذلك لها العربُ ، وهو دِينٌ فى أنفسهم فى عهد جُرْهم وخُزاعةَ وولايتهم . فأتاهم قُصَىّ ابن كلاب بمن معه مِنْ قومه من قريش وكِنانة وقُضاعة عند العَقَبة ، فقال : لنحن أولَى بهذا منكم ، فقاتلوه ، فاقتتل الناس قتالاً شديداً ، ثم انهزمت صوفةُ ، وغلبهم قُصَىّ على ما كان بأيديهم من ذلك .

١٠

محاربة قصى لخزاعة وبنى بكر وتحكيم يعمر بن عوف

وانحازت عند ذلك خُزاعة و بنو بَكْر عن قُصَىّ ، وعرفوا أنه سيمنعهم كما منع صُوفة ، وأنه سَيحُول بينهم و بين الكعبة وأمر مكّة . فلما انحازوا عنه باداهم[1] وأجمع لحَربهم [وثبت معه أخوه رِزاح بن رَبيعة بمن معه من قومه من قضاعة][2] . وخرجتْ له خُزاعة و بنو بَكْر فالتقَوْا ، فاقتتلوا قتالاً شديداً [بالأبْطح][3] ، حتى كثرت القتلى فى الفَرِيقَيْن جميعاً ، ثم إنهم تداعَوْا إلى الصلح و إلى أن يحكّموا بينهم رجلاً من العَرب ، فحكّموا يَعْمر بن عَوْف ابن كَعْب بن عامر[4] بن لَيْث بن بَكْر بن عبد مناة بن كِنانة ؛ فقضى بينهم بأن قُصَيًّا أولى بالكعبة وَأَمْرِ مكة من خُزاعة ، وأن كل دَمٍ أصابه

١٥

(١) باداهم : كاشفهم .
(٢) زيادة عن الطبرى .
(٣) زيادة عن ا .
(٤) فى الطبرى : « . . . بن كعب بن ليث »

٢٠

قصيّ من خُزاعة وبنى بَكر ، موضوع يَشْدخه[1] تحت قدميه ، وأنّ ما أصابت خُزاعة وبنو بَكْر من قُرَيش وكِنانة وقُضاعة ففيه الدِّية مُؤدّاة ، وأنّ يُخلَّى بين قُصَى وبين الكعبة ومكة .

سبب تسمية يعمر بالشداخ

فسُمّى يَعْمر[2] بنعَوْف يومئذ: الشدّاخ ، لِمَا شَدَخ من الدماء ووضع منها .

٥ قال ابن هشام : ويقال الشُّدَاخ .

قصيّ أميرا على مكة وسبب تسميته مجمعا

قال ابن إسحاق :

فولى قصيّ البيت وأمر مكة ، وجمع قومَه من منازلهم إلى مكة ، وتملّك على قومه وأهلِ مكة فملّكوه . إلا أنه قد أقرّ للعرب ما كانوا عليه ، وذلك أنه كان يراه دِيناً فى نفسه لا ينبغى تغييره . فأقرّ آل صَفوان وعَدْوان والنسأة ١٠ ومُرَّة بن عَوف على ما كانوا عليه ، حتى جاء الإسلام فهدم الله به ذلك كلَّه . فكان قصيّ أولَ بَنى كَعْب بن لؤَى أصابَ مُلْكاً أطاع له به قومُه . فكانت إليه الحِجابة[3] ، والسِّقاية[4] ، والرِّفادة[5] ، والنَّدْوة[6] ،

---

(١) يشدخه : يكسره ، ويريد أنه أبطل تلك الدماء ، ولم يجعل لها حظا ، ولذلك قيل: تحت قدميه .

١٥ (٢) يعمر الشداخ : هو جد بنى دأب الذين أخذ عنهم كثير من علم الأخبار والأنساب . وهم عيسى بن يزيد بن دأب ، وأبوه يزيد ، وحذيفة بن دأب ، ودأب : هو ابن كرز بن أحمر ، من بنى يعمر بن عوف .

(٣) الحجابة : أن تكون مفاتيح البيت عنده فلا يدخله أحد إلا بإذنه .

(٤) السقاية : يعنى سقاية زمزم ، وكانوا يصنعون بها شرابا فى الموسم للحاج الذى يوافى مكة ٢٠ ويمزجونه تارة بعسل ، وتارة بلبن ، وتارة بنبيذ ، يتطوعون بذلك من عند أنفسهم .

(٥) الرفادة : طعام كانت قريش تجمعه كل عام لأهل الموسم ، ويقولون : هم أضياف الله تعالى . وسيعرض لها المؤلف بالكلام بعد قليل .

(٦) الندوة : الاجتماع للمشورة والرأى ، وكانت الدار التى اتخذها قصى لذلك يقال لها دار الندوة ، وهذه الدار صارت بعد بنى عبد الدار إلى حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد ٢٥ العزى بن قصى ، فباعها فى الإسلام بمئة ألف درهم . وذلك فى زمن معاوية ، فلامه معاوية فى ذلك . وقال : أبعت مكرمة آبائك وشرفهم ؟ فقال حكيم : ذهبت المكارم إلا التقوى ، والله لقد اشتريتها فى الجاهلية بزق خمر ، وقد بعتها بمائة ألف درهم ، وأشهدكم أن ثمنها فى سبيل الله ، فأينا المغبون ؟

واللواء[1] ، فحاز شرفَ مكة كلَّه . وقطع مكة رِباعا بين قومه ، فأنزل كلَّ قوم من قُرَيش منازلَهم من مكة التي أصبحوا عليها ، ويزعُم الناسُ أن قريشاً هابوا قطع شجر الحَرم في منازلهم ، فقطعها قصيّ بيده وأعوانه[2] ، فسمّته قريشٌ مُجَمِّعاً لما جمع من أمرها ، وتيمّنت بأمره ، فما تُنكح امرأةٌ ، ولا يتزوّج رجلٌ من قريش ، وما يتَشاورون في أمر نزل بهم ، ولا يَعقدون لواء لحرب قومٍ من غيرهم إلا في داره ، يعقده لهم بعضُ ولده ، وما تَدَّرِع[3] جارية إذا بلغت أن تَدَّرِع من قريش إلا في داره ، يشق عليها فيها درعها ثم تدَّرِعه ، ثم ينطلق بها إلى أهلها . فكان أمره في قومه من قُرَيش في حياته ، ومن بعد موته ، كالدِّين المتّبع لا يُعمل بغيره . واتخذ لنفسه دارَ الندوة ، وجعل بابها إلى مسجد الكعبة . ففيها كانت قريش تَقْضي أمورَها .

قال ابن هشام : وقال الشاعر :

قُصيٌّ لعمري كان يُدعى مُجَمِّعاً به جَمّع الله القبائلَ من فِهْرِ[4]

قال ابن إسحاق : حدّثني عبد الملك بن راشد عن أبيه قال سمعت السائب[5] بن خَبّاب صاحب المقصورة يحدّث .

---

(1) اللواء : يعني في الحرب ، لأنه كان لا يحمله عندهم إلا قوم مخصوصون .

(2) المعروف والأصح أن قريشا حين أرادوا البنيان قالوا لقصي : كيف نصنع في شجر الحرم ؟ فحذرهم قطعها وخوفهم العقوبة في ذلك ، فكان أحدهم يحوف بالبنيان حول الشجرة حتى تكون في منزله ، وأن أول من ترخص في قطع شجر الحرم للبنيان عبد الله بن الزبير حين ابتنى دورا بقعيقعان ، لكنه جعل دية كل شجرة بقرة ، وكذلك يروى عن عمر رضي الله عنه أنه قطع دوحة كانت في دار أسد بن عبد العزى ، وكانت تنال أطرافها ثياب الطائفين بالكعبة ، وذلك قبل أن يوسع المسجد ، فقطعها عمر رضي الله عنه ، ووداها بقرة .

(3) ادرعت الجارية : لبست الدرع .

(4) ويذكر أن هذا الشعر لحذافة بن جمح .

(5) هو السائب بن خباب المدني أبو سلم صاحب المقصورة ، ويقال هو مولى فاطمة بنت عتبة ، ولم نجد فيمن رووا عنه عبد الملك بن راشد ، كما لم نجده في شيوخ ابن إسحاق الذين روى عنهم . (راجع تهذيب التهذيب وتراجم رجال) .

أنه سمع رجلا يحدّث عمرَ بن الخطاب ، وهو خليفة ، حديث قصىّ ابن كِلاب ، وما جمَع من أمر قومه ، و إخراجه خُزاعة وبَنى بكر من مكّة ، وولايته البيتَ وأمر مكة ، فلم يردّ ذلك عليه ولم ينكره .

شعر رزاح فى نصرته قصيا ورد قصى عليه

قال ابن إسحاق :

٥ فلما فرغ قصىّ من حَرْبه ، انصرف أخوه رِزاح بن رَبيعة إلى بلاده بمَنْ معه من قومه وقال رِزاح فى إجابته قصيًّا :

لمّا أتى من قصىّ رسول فقال الرسولُ أجِيبوا الخليلاَ

نهضْنا إليه نقود الجياد ونطرح عنّا المَلولَ الثَّقيلا

نسير بها الليلَ حتى الصباح ونَكْمِى[1] النهار لئلاّ نزولا

١٠ فهنَّ سِراعٌ كوِرْدَ[2] القطَا يُجِبن بنا من قُصىّ رسولا

جَمَعْنا من السرِّ من أشمذَين[3] ومن كل حىّ جمعنا قَبيلا

فيالكِ حلبة ماليلة تزيد على الألف سَيْباً رَسيلا[4]

فلما مررن على عَسْجد[5] وأسهلن من مُسْتناخ سَبيلا[6]

وجاوزن بالرُكن من وَرِقان[7] وجاوزن بالعَرْج[8] حيًّا حُلولا

١٥ (١) نكمى : نكمن ونستتر .

(٢) الورد : الواردة .

(٣) أشمذان (بفتح الذال المعجمة وكسر النون، على لفظ التثنية) : قبيلتان ؛ ويقال جبلان . بين المدينة وخيبر تنزلهما جهينة وأشجع .

(٤) الحلبة : جماعة الخيل . والسيب : المشى السريع فى رفق كما تنساب الحية والرسيل :

٢٠ الذى فيه تمهل .

(٥) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « عسجر » وكلاها اسم على موضع بعينه . (راجع معجم البلدان) .

(٦) أسهل : حل الموضع السهل .

(٧) ورقان (بالفتح ثم الكسر ؛ ويروى بسكون الراء) : جبل أسود بين العرج

٢٥ والرويثة ، على يمين المصعد من المدينة إلى مكة. (راجع معجم البلدان لياقوت).

(٨) العرج (بفتح أوله وسكون ثانيه) : واد من نواحى الطائف ، وإليه ينسب العرجى الشاعر . (راجع معجم ما استعجم ، ومعجم البلدان) .

مررن على الحِلِّ[1] ما ذُقْنه ... وعالجن من مَرّ ليلاً طويلاً
ندنّى من العُوذ أفلاءها[2] ... إرادة أنْ يسترقن الصَّهيلا
فلما انتهينا إلى مكّة ... أبحنا الرجال قَبِيلاً قبيلا
نُعاورهم ثَمّ حدّ السيوف ... وفى كل أوْب خَلسْنا العقولا[3]
نُخبّزهم بصلاب النُّسو ... ر خَبْزَ القوىّ العزيزَ الذليلا[4]
قتلنا خُزاعة فى دارها ... وبكراً قتلنا وجِيلاً فجَيلا
نفيناهمُ من بلاد المَليك ... كما لا يَحُلّون أرضا سُهولا
فأصبح سَبْيهمُ فى الحديد ... ومِنْ كلّ حىّ شَفَينا الغَليلا

---

(١) كذا فى إحدى روايات الروض الأنف ، وشرح السيرة . والحل (بالكسر) : جمع حلة ، وهى شجرة شاكة ، أصغر من القتاد ، يسميها أهل البادية الشرق . وقال ابن الأعرابى : هى شجرة إذا أكلتها الإبل سهل خروج ألبانها ؛ وقيل : هى شجرة تنبت بالحجاز تظهر من الأرض غبراء ذات شوك ، تأكلها الدواب . وهو سريع النبات ينبت بالجدد والآكام والحصباء ، ولا ينبت فى سهل ولا جبل. وقال أبو حنيفة : الحلة: شجرة شاكة ، تنبت فى غلظ الأرض ، أصغر من العوسجة ، ورقها صغار ولا ثمر لها ، وهى مرعى صدق .

وفى رواية ثانية : « الحيل » . وهو الماء المستنقع فى بطن واد .

وفى رواية ثالثة ، وهى الرواية التى أجمعت عليها الأصول : «الحلى» . وقد ذهب السهيلى فى تفسيره إلى أنه نبت ، وهو ثمر القلقلان . وغلطه فى ذلك أبو ذر فى شرح السيرة ، وقال : « . . . وهذا غلط ، لأن اسم النبات الحلى ، بتشديد الياء وبكسر اللام » . وهذا ما عليه معاجم اللغة، وذهب أبو ذر إلى أن «الحلى» اسم موضع، ولم يتعرض للكلام عنه بشىء. والذى فى المعاجم الجغرافية : أن حلى : موضع باليمن على ساحل البحر بينه وبين السرين يوم واحد ، وبينه وبين مكة ثمانية أيام ؛ وقيل هى لغة فى حلية ، وهى من أرض اليمن ، وقيل بنواحى الطائف . (راجع الروض الأنف ، وشرح السيرة ، ولسان العرب ، ومعجم البلدان) .

(٢) العوذ : جمع عائذ ، وهى الناقة أو الفرس التى لها أولاد . والأفلاء : جمع فلو ، وهو المهر الفطيم ، أو البالغ سنة .

(٣) نعاورهم : نداولهم مرة بعد مرة . والأوب : الرجوع .

(٤) نخبزهم : نسوقهم سوقا شديدا . وصلاب النسور : الخيل . والنسور : جمع نسر ، وهو اللحم اليابس الذى فى باطن الحافر .

وقال ثَعْلبة بن عبد الله بن ذبيان بن الحارث بن سَعْدِ[1] هُذَيمٍ القُضاعيّ فى ذلك من أمر قُصىّ حين دعاهم فأجابوه :

جلبنا الخيلَ مُضْمرةً تَغَالَى[2] من الأعراف[3] أعراف الجِناب[4]
إلى غَوْرَى تِهامة فالتقينا من الفَيْفاء فى قاع يَبَاب[5]
فأما صــوفة الخنثى فخَلَّوا منازلهم محاذرةَ الضِّراب
وقام بنو علىّ إذ رأونا إلى الأسياف كالإبل الطِّراب[6]

وقال قصىّ بن كِلاب :

أنا ابنُ العاصِمين[7] بَنِي لؤىّ بمكّة مَنْزِلى وبها رَبيتُ
إلى البطحاء قد علمتْ معدٌّ ومَرْوتُها رَضيت بها رَضيت
فَلستُ لغالب إن لم تأثّل[8] بها أولاد قَيْذر والنَّبيتُ[9]
رِزاح ناصِرى وبه أُسامِي فلستُ أخاف ضَيْماً ما حَيِيتُ

---

(١) كذا فى ا والاشتقاق والمعارف . وكان هذيم عبدا حبشيا فنسب إليه سعد ، وفى سائر الأصول : « سعد بن هذيم » . وهو تحريف .

(٢) تغالى : ترتفع فى سيرها ، من المغالاة ، وهى الارتفاع والتزيد فى السير .

(٣) الأعراف : جمع عرف ، وهو الرمل المرتفع المستطيل .

(٤) الجناب (بالكسر) : موضع بعراض خيبر وسلاح ووادى القرى ؛ وقيل هو من منازل بنى مازن ، وقيل من ديار بنى فزارة بين المدينة وفهر . وقال السهيلى : هو موضع من بلاد قضاعه . وهناك جناب آخر ، إلا أنه بفتح الجيم ، وهو موضع فى أرض كلب فى السماوة بين العراق والشام . والظاهر أن الأول هو المراد هنا .

(٥) الغور : المنخفض . والفيفاء : الصحراء . والقاع : المنخفض من الأرض . واليباب : القفر .

(٦) كذا فى الأصل . والطراب : الابل التى حنت إلى مواطنها واشتاقت . ويروى : « الظراب » . (بالظاء المعجمة) : جمع ظرب ، وهو الجبيل الصغير ، شبه الابل به .

(٧) يريد أنهم يعصمون الناس ويمنعونهم ، لكونهم أهل البيت والحرم .

(٨) يقال تأثل فلان بالمكان : إذا أقام به واستقر ولم يبرح .

(٩) أولاد قيذر والنبيت : يعنى أولاد إسماعيل عليه السلام .

ما كان بين رزاح وبين نهد وحوتكة وشعر قصى فى ذلك

فلما استقر رِزاح بن رَبيعة فى بلاده، نَشَره الله ونَشَرحُنًّا ، فهما قَبِيلا عُذرة[1] اليوم. وقد كان بين رِزاح بن رَبيعة، حين قَدِم بلاده، و بين نَهْد بن زَيْد وحَوْتكة ابن أسلُم[2]، وهما بطنان من قُضاعة ، شىء ؛ فأخافهم حتى لحقوا باليمن وأجلوا من بلاد قُضاعة ، فهم اليومَ باليمن . فقال قُصَىّ بن كِلاب ، وكان يُحبّ قُضاعةَ ونماءها واجتماعَها ببلادها ، لما بينه و بين رِزاح من الرحم ، ولبلائهم[3] عنده إذ أجابوه إذ دعاهم إلى نُصْرته ، وكَرِه ما صنع بهم رِزاح :

ألا من مُبْلغ عنّى رِزاحا ... فإنى قد لَحَيتك[4] فى اثنتين

لَحَيتُك فى بَنى نَهْد بن زَيْد ... كما فرّقت بينهمُ و بينى

وحَوْتكة بن أسلُمَ إنّ قومًا ... عَنَوْهم بالمَساءة قد عَنَوْنى

قال ابن هشام : وتروى هذه الأبيات لزُهير بن جَناب الكَلْبى .

ما آثر به قصىّ عبد الدار

قال ابن إسحاق :

فلما كبر قُصَىّ ورقّ عظمه ، وكان عبد الدار بِكْرَه ، وكان عبد مناف قد شَرُف فى زمان أبيه وذهب كلّ مذهب ، وعبدُ العزّى وعَبْد . قال قصى لعبد الدار : [أما والله يا بُنَىّ][5] لأُلحقنّك بالقوم و إن كانوا قد شَرُفوا عليك : لايدخل رجلٌ منهم الكعبةَ حتى تكون أنت تَفْتحها له ، ولا يَعقِد لقريش لواء لحربها إلا أنت بيدك ، ولا يشرب أحدٌ بمكة إلا مِنْ سِقايتك ، ولا يأكل

(١) فى قضاعة عذرتان ، عذرة بن رفيدة ، وهم من بنى كلب بن وبرة ، وعذرة بن سعد ابن سود بن أسلم (بضم اللام) بن الحاف بن قضاعة . وأسلم هذا من ولد حن بن ربيعة أخى رزاح بين ربيعة . (عن الروض الأنف) .

(٢) هو بضم اللام، وليس فى العرب أسلم بضم اللام إلا ثلاثة، اثنان فى قضاعة ، وهما أسلم ابن الحاف هذا ، وأسلم بن تدول بن تيم اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب . والثالث فى عك ، وهو أسلم بن القيانة بن الشاهد بن عك . (راجع مؤتلف القبائل ومختلفها لابن حبيب) .

(٣) بلاؤهم : نعمتهم .

(٤) لحاه : لامه .

(٥) زيادة عن ا .

أحدٌ من أهل المَوْسم طَعَامًا إلا من طعامك ، ولا تقطع قريش أمرًا من أمورها إلا فى دَارك . فأعطاه داره دار النّدْوة ، التى لا تقضى قريش أمراً من أمورها إلا فيها ، وأعطاه الحِجابة واللواء والسقاية والرِّفادة .

الرفادة

وكانت الرِّفادة خَرجًا تُخرجه قريش فى كل مَوْسم من أموالها إلى قُصىّ ٥ ابن كِلاب ، فيصنع به طعامًا للحاجّ ، فيأكله مَنْ لم يكن له سَعة ولا زاد . وذلك أن قصيًا فَرَضه على قريش ، فقال لهم حين أمرهم به : « يا معشرَ قريش ، إنكم جيرانُ الله وأهلُ بيته وأهل الحرم ، و إن الحاجّ ضيف الله وزوّار بيته ، وهم أحق الضَّيف بالكرامة ، فاجعلوا لهم طعامًا وشرابا أيامَ الحج ، حتى يصدُرُوا عنكم » ففعلوا . فكانوا يُخرجون لذلك كلّ عام من أموالهم خرجًا فيدفعونه إليه ، ١٠ فيصنعه طعامًا للناس أيام مِنى . فجرى ذلك من أمره فى الجاهلية على قومه حتى قام الإسلام ، ثم جرى فى الإسلام إلى يومك هذا . فهو الطعام الذى يصنعه السلطان كلّ عام بمنى للناس حتى ينقضى الحج .

قال ابن إسحاق :

حدثنى بهذا من أمْر قُصىّ بن كِلاب ، وما قال لعَبْد الدار فيما دفع إليه مما ١٥ كان بيده ، أبى إسحاق بن يَسار عن الحسن بن محمد بن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنهم قال :

سمعته يقول ذلك لرجل من بَنى عبد الدار ، يقال له : نُبَيه بن وَهْب بن عامر بن عِكْرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصىّ .

قال الحسن : فجعل إليه قُصىّ كلّ ما كان بيده من أمر قومه ، وكان ٢٠ قصىّ لا يُخالف ، ولا يُردّ عليه شىء صَنَعه .

ذكر ما جرى من اختلاف قريش بعد قصي وحلف المطيبين

قال ابن إسحاق :

الخلاف بين بني عبدالدار وبين بني أعمامهم

ثم إن قُصَىّ بن كِلاب هَلَك ، فأقام أمرَه فى قومه وفى غيرهم بنوه من بعده، فاختطّوا مكةَ رِباعًا[1] ـ بعد الذى كان قَطَع لقومه[2] بها ـ فكانوا يَقْطعونها[3] فى قومهم وفى غيرهم من حُلفائهم و يَبيعونها ؛ فأقامت على ذلك قريشٌ معهم ليس بينهم اختلاف ولا تنازع ، ثم إنّ بَنى عَبْد مَناف بن قُصَىّ : عبدَ شمس وهاشماً والمطّلب ونوفلاً[4] أجمعوا على أن يأخذوا ما بأيدى بَنى عبد الدار بن قُصَىّ مما كان قُصَىّ جعل إلى عبد الدار ، من الحِجابة واللواء والسّقاية والرِّفادة ، وَرَأَوْا أنهم أوْلى بذلك منهم لشرفهم عليهم وفضلِهم فى قومهم : فتفرقت عند ذلك قريش ، فكانت طائفة مع بَنى عبد مناف على رأيهم يَرَوْن أنهم أحق به من بنى عبد الدار لمكانهم فى قومهم ، وكانت طائفة مع بنى عبد الدار ، يرون أن لا يُنزَع منهم ما كان قُصَىّ جعل إليهم .

من ناصروا بني عبد الدار ومن ناصروا بني أعمامهم

فكان صاحبَ أمر بنى عبد مناف عبدُ شمس بن عبد مناف ، وذلك أنه كان أسنَّ بنى عبد مناف ، وكان صاحب أمر بَنِى عبد الدار عامرُ بنِ هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار . فكان بنو أسد بن عبد العزّى بن قُصَىّ ، و بنو زُهرة ابن كِلاب ، و بنو تَيْم بن مُرّة بن كعب ، و بنو الحارث بن فِهْر بن مالك ابن النَّضْر ، مع بنى عَبْد مناف .

---

(١) الرباع : المنازل وما حولها ، واحدها : ربع (بالفتح) .
(٢) تقدم أن قصيا أنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التى أصبحوا عليها
(٣) فى ا : « يعطونها » .
(٤) وقد كان لعبد مناف ولد خامس ، وهو أبو عمرو ، واسمه عبيد ، أدرج ولا عقب له . (راجع الروض الأنف) .

وكان بنو مَخزوم بن يَقَظة بن مُرّة ، وبنو سَهْم بن عمرو بن هُصَيص ابن كعب ، وبنو جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب ، وبنو عَدِىّ بن كعب ، مع بنى عبد الدار ، وخرجت عامر بن لُؤىّ ومُحارب بن فِهْر ، فلم يكونوا مع واحد من الفريقين .

٥ فعقد كل قوم على أمرهم حِلفاً مؤكّداً على أن لا يتخاذلوا ، ولا يُسلم بعضُهم بعضاً مابلّ بَحرٌ صوفة[١] .

من دخلوا فى حلف المطيبين

فأخرج بنو عبد مناف جفنةً مملوءة طِيباً . فيزعمون أن بعض[٢] نساء بنى عَبْد مناف ، أخرجتْها لهم ، فوضعوها لأحلافهم فى المسجد عند الكعبة ، ثم غَمس القومُ أيديهم فيها . فتعاقدوا وتعاهدوا هم وحلفاؤهم ، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم

١٠ توكيداً على أنفسهم ، فسُمّوا المُطَيَّبِين .

من دخلوا فى حلف الأحلاف

وتعاقد بنو عبد الدار وتعاهدوا هم وحلفاؤهم عند الكعبة حلفاً مؤكدا ، على أن لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضاً ، فسموا الأحلاف[٣] .

توزيع القبائل أمام بعضها فى الحرب

ثم سُونِد[٤] بين القبائل . ولُزّ[٥] بعضها ببعض : فعُبِّيَت[٦] بنو عبد مناف لبنى سَهْم . وعُبِّيت بنو أَسَد لبنى عَبْد الدار ، وعُبِّيت زُهْرة لبنى جُمَح ، وعُبِّيت

١٥ بنو تَيْم لبنى مَخْزُوم ، وعُبِّيت بنو الحارث بن فِهْر لبنى عَدِىّ بن كَعْب . ثم قالوا لتفْنِ كلُّ قبيلة من أُسند إليها .

---

(١) يريد إلى الأبد . وصوف البحر : شئ على شكل الصوف الحيوانى ، واحدته : صوفة . يقال : لا آتيك مابل بحر صوفة . أو مابل البحر صوفة . يريد لا أتيك أبدا . (راجع لسان العرب مادة صوف) .

٢٠ (٢) يقال : إن التى أخرجت لهم الجفنة هى أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوأمة أبيه . (راجع الروض الأنف وشرح السيرة) .

(٣) ويقال إن عمر كان من الأحلاف ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر من المطيبين .

(٤) المساندة : المقابلة والمعاونة .

٢٥ (٥) لز : أى شد بعضها ببعض .

(٦) راجع الحاشية (رقم ١ ص ٥٤) .

ماتصالح القوم عليه

فبينا الناس على ذلك قد أجمعوا للحرب إذ تداعوا إلى الصلح ، على أن يُعطوا بَنى عبد مناف السقايةَ والرِّفادة ، وأن تكون الحِجابة واللواء والندوة لبنى عبد الدار كما كانت . ففعلوا ورضى كل واحد من الفريقين بذلك، وتحاجز الناس عن الحرب ، وثبت كلُّ قوم مع من حالفوا ، فلم يزالوا على ذلك ، حتى جاء الله تعالى بالإسلام ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : ما كان من حِلْف فى الجاهلية فإن الإسلام لم يَزِدْه إلا شدّة[1] .

حلف الفضـــول

سبب تسميته كذلك

قال ابن هشام :

وأما حلف الفضول[2] فحدّثنى زياد بن عبد الله البكّائى عن محمد ابن إسحاق قال :

---

(١) يريد المعاقدة على الخير ونصرة الحق . وبذا يجتمع هـذا الحديث وحديث آخر له صلى الله عليه وسلم وهو : « لاحلف فى الإسلام » . على أن يكون المراد من هذا الحديث الثانى النهى عما كانت تفعله الجاهلية من المحالفة على الفتن والقتال بين القبائل والغارات . وقيل إن الحديث الثانى وهو «لاحلف فى الإسلام» جاء لاحقا، قاله الرسول صلى الله عليه وسلم زمن الفتح ، فهو ناسخ للحديث الأول . (راجع لسان العرب مادة حلف) .

(٢) يذكرون : فى سبب تسمية هذا الحلف بهذا الاسم أن جرهما فى الزمن الأول ، قد سبقت قريشا إلى مثل هذا الحلف ، فتحالف منهم ثلاثة هم ومن تبعهم ، أحدهم : الفضل بن فضالة ، والثانى : الفضل بن وداعة ، والثالث : فضيل بن الحارث ؛ وقيل : بل هم : الفضيل ابن شراعة . والفضل بن وداعة ، والفضل بن قضاعة ، فلما أشبه حلف قريش هذا حلف هؤلاء الجرهميين سمى حلف الفضول .

وقيل : بل سمى كذلك لأنهم تحالفوا أن ترد الفضول على أهلها ، وألا يغزو ظالم مظلوما .

وكان حلف الفضول هـذا قبل البعث بعشرين سـنة ، وكان أكرم حلف وأشرفه . وأول من تكلم به ودعا إليه الزبير بن عبد المطلب ، وكان سببه أن رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاصى بن وائل، وكان ذا قدر بمكة وشرف ، فحبس عنه حقه، فاستعدى عليه الزبيدى الأحلاف : عبد الدار ، ومخزوما ، وجمح ، وسهما ، وعدى بن كعب ، فأبوا أن يعينوه على العاصى ، وزبروه (انتهروه) . فلما رأى الزبيدى الشر، أوفى على أبى قبيس=

تداعت قبائل من قريش إلى حِلْف ، فاجتمعوا له فى دار عبد الله بن جدْعان ابن عَمْرو بن كَعْب بن سَعْد بن تَيْم بن مُرّة بن كعب بن لؤَىّ ، لشرفه وسنّه ، فكان حِلفهم عنده ، بنو هاشم ، وبنو المطلب ، وأسَد بن عبد العُزَّى ، وزُهْرة ابن كِلاب ، وتَيْم بن مُرّة . فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلومًا من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه ، وكانوا على من ظَلَمه حتى تردّ عليه مَظْلمته . فسمت قريش ذلك الحلفَ حلفَ الفضول .

حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حلف الفضول

قال ابن إسحاق : فحدّثنى محمد بن زيد بن المهاجر بن قُنفذ[1] التيمى[2] أنه سمع طلحة بن عبد الله بن عوف الزهرىّ يقول :

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : لقد شهدتُ فى دار عبد الله بن جُدْعان[3]

= عند طلوع الشمس ، وقريش فى أنديتهم حول الكعبة ، فصاح بأعلى صوته :

يا آل فهر لمظلوم بضاعته ... ببطن مكة نائى الدار والنفر
ومحرم أشعث لم يقض عمرته ... يا للرجال وبين الحجر والحجر
إن الحرام لمن تمت كرامته ... ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

فقام فى ذلك الزبير بن عبد المطلب ، وقال : مالهذا مترك . فاجتمعت هاشم ، وزهرة ، وتيم بن مرة فى دار ابن جدعان ، فصنع لهم طعاما وتعاقدوا ، وكان حلف الفضول . وكان بعدها أن أنصفوا الزبيدى من العاصى . (عن الروض الأنف) .

(١) هو محمد بن زيد بن المهاجر بن قنفذ التيمى الجدعانى المدنى . روى عن عبد الله بن عمر، وعمير مولى أبى اللحم، وأبى سلمة بن عبد الرحمن وغيرهم. وروى عنه مالك بن أنس، ويعقوب ابن عبد الرحمن الاسكندرانى ، وبشر بن المفضل ، وحفص بن غياث ، وفضيل بن سليمان النميرى، وأبو داود والترمذى وابن ماجه . (راجع تراجم رجال) .

(٢) زيادة عن ا ، وتراجم رجال .

(٣) هو عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ، ويكنى أبا زهير . وهو ابن عم عائشة رضى الله عنها ، ولذلك قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن ابن جدعان كان يطعم الطعام ، ويقرى الضيف ، فهل ينفعه ذلك يوم القيامة ؟ فقال : لا ، إنه لم يقل يوما : رب اغفرلى خطيئتى يوم الدين .

وكان ابن جدعان فى بدء أمره صعلوكا ترب اليدين ، وكان مع ذلك فاتكا لا يزال يجنى الجنايات ، فيعقل عنه أبوه وقومه ، حتى أبغضته عشيرته ونفاه أبوه وحلف ألا يؤويه أبدا لما أثقله به من الغرم وحمله من الديات ، ثم كان أن أثرى ابن جدعان بثروة على ثعبان من ذهب ، وعيناه ياقوتتان ، فأوسع فى الكرم حتى كان يضرب بعظم جفنته المثل ، ومدحه أمية ابن أبى الصلت لكرمه .

حلفاً ما أحب أنّ لى به حُمْر النَّعم[1] ولو أُدْعَى به فى الإسلام لأجبت .

نازع الحسين الوليد فى حق وهدد بالدعوة إلى حلف الفضول

قال ابن إسحاق : وحدّثنى يزيد بن عبد الله[2] بن أسامة بن الهادى الليثى أن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمىّ حدّثه .

أنه كان بين الحُسَين بن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنهما ، و بين الوليد ابن عُتْبة بن أبى سُفْيان . والوليد يومئذ أمير على المدينة أمّره عليها عمه مُعاوية ابن أبى سفيان رضى الله عنه ـ منازعة فى مال كان بينهما بذى[3] المَرْوة . فكان الوليد تحامل على الحسين رضى الله عنه فى حقّه لسلطانه ، فقال له الحسين : أحلف بالله لتنصفنّى من حقى أو لآخُذنّ سيفى ثم لأقومنّ فى مسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ثم لأدعون بحلف الفُضول . قال : فقال عبد الله بن الزبير ، وهو عند الوليد حين قال الحسين رضى الله عنه ما قال : وأنا أحلف بالله لئن دعا به لآخذنّ سيفى ، ثم لأقومنّ معه حتى يُنصَف من حقه أو نموت جميعاً . قال : فبلغت المسورَ بن مَخْرمة بن نوفل الزهرىّ ، فقال مثل ذلك ، و بلغت عبدَ الرحمن ابن عُثمان بن عُبيد الله التيمىّ ، فقال مثل ذلك . فلما بلغ ذلك الوليدَ بن عتبة أنصف الحسينَ من حقه حتى رضى .

سأل عبد الملك محمد بن جبير عن عبد شمس و بنى نوفل ودخولها فى حلف الفضول فأخبره بخروجهما منه

قال ابن إسحاق : وحدّثنى يزيد بن عبد الله بن أُسامة بن الهادى الليثى عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمىّ قال :

قدم محمد بن جُبير بن مُطْعم بن عدىّ بن نوفل بن عبد مناف ـ وكان محمد

---

(١) أى لا أحب نقضه ، وإن دفع لى حمر النعم فى مقابلة ذلك .

(٢) هو يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهادى الليثى المدنى أبو عبد الله. روى عن أبى بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم، ومحمد بن كعب القرظى وغيرهما . وروى عنه يحيى بن أيوب، والليث وآخرون . قال ابن سعد : كان ثقة كثير الحديث توفى بالمدينة سنة تسع وثلاثين ومئة . (راجع تراجم رجال) .

(٣) ذو المروة : قرية بوادى القرى ، وقيل بين خشب ووادى القرى . (راجع معجم البلدان) .

ابن جُبير أعلم قريش ـ على عبد الملك بن مروان بن الحكم حين قَتل ابنَ الزبير ، واجتمع الناس على عبد الملك ، فلما دخل عليه قال له : يا أبا سَعيد ، ألم نكن نحن وأنتم ، يعنى بنى عبد شمس بن عبد مناف ، و بنى نوفل بن عبد مناف فى حلف الفضول ؟ قال : أنت أعلم ؛ قال عبد الملك : لتخبرنى يا أبا سعيد بالحق من ذلك ؛ فقال : لا والله ، لقد خرجنا نحن وأنتم منه ! قال : صدقت .

تم خبر حلف الفضول .

ولاية هاشم الرفادة والسقاية وما كان يصنع إذا قدم الحاج

قال ابن إسحاق :

فولى الرِّفادة والسِّقاية هاشمُ بن عبد مناف ، وذلك أن عبد شمس كان رجلا سفاراً قلّما يقيم بمكة ، وكان مُقلاً ذا وَلَد ، وكان هاشم مُوسراً فكان ـ فيما يزعمون ـ إذا حضر الحاج قام فى قريش فقال : «يامعشر قريش ، إنكم جيران الله وأهلُ بيته ، و إنه يأتيكم فى هذا الموسم زوّار الله وحجّاج بيته ، وهم ضَيْف الله ، وأحقُّ الضيف بالكرامة ضَيْفه ، فاجمعوا لهم ما تصنعون لهم به طعامًا أيامَهم هذه التى لابدّ لهم من الإِقامة بها ، فإنه والله لو كان مالى يَسع لذلك ما كلفتكموه» . فيخرجون لذلك خَرجا من أموالهم ، كل أمرئ بقدر ما عنده ، فيصنع به للحجّاج طعاما حتى يصدُروا منها .

شىء من أعمال هاشم

وكان هاشم فيما يزعمون أول من سنّ الرّحلتين لقريش : رحلتى الشتاء والصيف . وأول من أطعم الثريدَ بمكة ، و إنما كان اسمه عَمراً ، فما سُمِّى هاشماً إلا بِهَشْمه الخبز بمكة[1] لقومه . فقال شاعر[2] من قريش أو من بعض العرب .

---

(١) ومما يذكر فى هذا أن هاشما ـ وقد كان يستعين بقريش على إطعام الحاج ـ أصابته وأصابت قومه أزمة شديدة، فكره أن يكلف قريشا أمر الرفادة، فاحتمل إلى الشام بجميع ماله فاشترى به أجمع كعكا ، ثم أتى الموسم فهشم ذلك الكعك كله هشما ، ودقه وصنع منه للحاج طعاما شبه الثريد . (راجع الروض الأنف) .

(٢) هو عبد الله بن الزبعرى، وكان سبب مدحة لبنى عبد مناف، مع أنه سهمى، أنه كان قد =

عَمْرو الذى هَشَم الثريد لقومه قوم بمكّة مسنتين عجافِ[1]

سُنَّت إليه الرحلتان كلاهما سفر الشتاء ورحلةُ الأصياف

قال ابن هشام : أنشدنى بعض أهل العلم بالشعر من أهل الحجاز :

* قوم بمكة مسنتين عجاف[2] *

ولاية المطلب الرفادة والسقاية

قال ابن إسحاق :

ثم هلك هاشمُ بن عبد مناف بغَزّة[3] من أرض الشام تاجرًا ، فولى السقاية والرفادة من بعده المطّلبُ بن عبد مناف ، وكان أصغرَ من عبد شمس وهاشم ، وكان ذا شرف فى قومه وفَضْل ، وكانت قُرَيش إنما تُسَمِّيه الفيضَ لسماحته وفضله.

وكان هاشم بن عبد مناف قَدِم المدينة فتزوّج سَلْمى بنت عمرو أحد بنى

= هجا قصيا بشعر كتبه فى أستار الكعبة ، فاستعدوا عليه بنى سهم ، فأسلموه إليهم فضربوه وحلقوا شعره وربطوه إلى صخرة ، فاستغاث قومه فلم يغيثوه ، فجعل يمدح قصيا ويسترضيهم ، فأطلقه بنو عبد مناف منهم وأكرموه ، فمدحهم بهذا الشعر ، وبأشعار كثيرة. ويقال : إن هذين البيتين من أبيات لمطرود بن كعب ستجىء فيما بعد من هذا الكتاب أولها :

يأيها الرجل المحول رحله هلا نزلت بآل عبد مناف

(1) المسنتون : الذين أصابتهم السنة ، وهى الجوع والقحط . والعجاف : من العجف ، وهو الهزال والضعف . وذلك أن قومه من قريش كانت أصابتهم لزبة وقحط ، فرحل إلى فلسطين ، فاشترى منها الدقيق ، فقدم به مكة ، فأمر به فخبز له ، ونحر جزورا ، ثم اتخذ لقومه مرقة ثريد بذلك الخبز . (راجع الطبرى) .

(2) ويروى :

* ورجال مكة مسنتون عجاف *

وعلى هذه الرواية يكون فى الشعر إقواء . ولعل هذه الرواية عن غير أهل العلم بالشعر من أهل الحجاز ، الذين أخذ عنهم ابن هشام الرواية الأولى ، ورفض الثانية : لأنها لم تستقم فى نظره ، وأدلى بعذره فى أنه أخذها عن أهل علم بالشعر ، ولم يكن له به دراية تامة فيقيم نفسه فى هذا الميدان حكما .

(3) غزة (بفتح أوله وتشديد ثانيه وفتحه) : مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر ، بينها وبين عسقلان فرسخان أو أقل . (راجع معجم البلدان) .

زواج هاشم

عدىّ بن النجّار[1] ، وكانت قبله عنـد أُحَيحَة بنِ الجُلاح بن الحَريش[2] . قال ابن هشام : ويقال : الحريس - ابنِ جَحْجبى بن كُلْفة بن عَوْف بن عمرو بن عَوْف بن مالك بن الأوس . فولدت له عمرو بنَ أُحَيحة ، وكانت لاتنكح الرجال لشرفها فى قومها حتى يشترطوا لهـا أنّ أمرها بيدها ، إذا كرهت رجلاً فارقَتْه . ٥

ميلاد عبد المطلب وسبب تسميته كذلك

فولدت لهاشم عبدَ المطلب ، فسمّته شَيْبة[3] . فتركه هاشم عندها حتى كان وَصيفاً[4] أو فوق ذلك ، ثم خرج إليه عمُّه المطلب ليقبِضَهَ فيُلحقه ببلده وقومه ؛ فقالت له سَلْمى : لستُ بمُرْسلته معك ؛ فقال لهـا المطلب : إنى غيرُ منصرف حتى أُخرجَ به معى ، إنّ ابن أخى قد بلغ ، وهو غَريب فى غير قومه ، ونحن أهل بيت شرف فى قومنا ، نَلِى كثيراً من أمورهم ، وقومُه و بلده وعشيرته خيرٌ له ١٠ من الإقامة فى غيرهم ، أو كما قال. وقال شيبة لعمّه المطلب - فيما يزعمون - : لستُ بمفارقها إلا أن تأذنَ لى ، فأَذِنتْ له ، ودفعتْه إليه ؛ فاحتمله فدخل به مكة مُرْدِفه معه على بعيره ، فقالت قُريش : عبدُ المطلب ، ابتاعه ، فبها سمّى شَيْبةُ عبدَ المُطّلب. فقال المطّلب: وَيْحَكم ! إنمـا هو ابنُ أخى هاشمٍ ، قدمتُ به من المدينة .

موت المطلب وما قيل فى رثائه من الشعر

١٥ ثم هلك المطلب بِرَدْمان[5] من أرض اليمن ، فقال رجل من العرب يبْكيه :

قد ظمِئَ الحجيجُ بعد المطّلبْ بعدَ الجِفانِ والشَّراب المُنْثَعِبْ[6]

---

(١) ويقال إنه بسبب هذا النسب : رحب سيف بن ذى يزن ، أو ابنه معدى كرب بن سيف ملك اليمن، بعبد المطلب بن هاشم، حين وفد عليه فى ركب من قريش ، وقال له : مرحبا بابن أختنا : لأن سلمى من الخزرج ، وهم من اليمن من سبأ ، ولأن سيفا من حمير بن سبأ .

٢٠ (٢) ويقال : إن كل من فى الأنصار بهذا الاسم ، فهو حريس (بالسين المهملة) إلا هذا فهو بالشين المعجمة . (راجع شرح السيرة والروض الأنف) .

(٣) سمى شيبة لشيبة كانت فى رأسه ، ويكنى بأبى الحارث أكبر ولده . (راجع الطبرى).

(٤) الوصيف (كقتيل) : الغلام دون المراهقة .

(٥) ردمان (بفتح أوله) : موضع باليمن . (راجع معجم البلدان) .

(٦) المنثعب : الكثير السيل ، يقال : انثعب الماء : إذا سال من موضع حصر فيه .

* ليت قريشاً بـ ده على نَصَبٍ[1] *

وقال مَطْرود بن كَعْب الخُزاعيّ ، يبكي المطّلب وبَني عبد مَناف جميعاً حين أتاه نَعْيُ نَوْفل بن عبد مناف ، وكان نوفل آخرَهم هُلْكاً :

يا لَيلة هَيَّجتِ ليلاتى إحدى ليالىَّ القسِيّات[2]
وما أُقاسِي مِن هُمومٍ وما عالجتُ من رُزْءِ المنيّات
إذا تذكرتُ أخى نوفلاً ذَكَّرَنى بالأوّليّات
ذَكَّرنى بالأُزُر الحُمْر والـ أرْدية الصُّفر القَشِيبات
أربعة كلّهمُ سَيِّد أبناء سادات لسادات
مَيْتٌ برَدْمان وميت بسَلْـ مان[3] وميت عند غَزّات[4]
وميِّت[5] أُسْكِنَ لحداً لدى الْـ مَحْجوب شَرْقيّ البنيّات[6]
أخلصهم عبدُ مناف فهمْ من لَوْم مَنْ لامَ بمَنْجاة
إنّ المُغيرات وأبناءها مِنْ خَيْر أحياء وأموات[7]

وكان اسمُ عبد مناف المُغيرةَ ، وكان أوّلَ بنى عبد مناف هُلْكاً هاشمٌ ، بغَزّة من

---

(1) النصب : التعب والعذاب .

(2) كذا فى الأصل . والقسيات : الشدائد . ويروى : العشيات . والعشيات : المظلمات .

(3) سلمان : ماء قديم جاهلى ، وبه قبر نوفل بن عبد مناف ، وهو طريق إلى تهامة من العراق فى الجاهلية . (راجع معجم البلدان) .

(4) هى غزة ، ولكنهم يجعلون لكل ناحية ، أو لكل ربض من البلدة اسم البلدة . فيقولون : غزات فى غزة ، كما يقولون فى بغداد بغادين كقول بعض المحدثين .

شربنا فى بغادين على تلك الميادين

والذى عند غزة هو هاشم بن عبد مناف .

(5) ورواية هذا البيت فى معجم البلدان فى الكلام على ردمان :

وميت مات قريباً من الـ حجون من شرق البنيات

قال ياقوت : « . . . والذى بقرب الحجون عبد شمس بن عبد مناف » .

والحجون : جبل بأعلى مكة عند مدافن أهلها .

(6) البنيات : الكعبة .

(7) المغيرات : بنو المغيرة .

أرض الشام ، ثم عبد شمس بمكة ، ثم المطلب بِرَدْمان من أرض اليمن ، ثم نوفلاً بسَلْمان من ناحية العراق .

فقيل لمطرود ــ فيما يزعمون ــ : لقد قلتَ فأحسنت ، ولو كان أجمل مما قلتَ كان أحسن ؛ فقال : أَنْظِرنى ليالى ، فمكث أيامًا ، ثم قال :

٥ يا عين جُودى وأَذْرِى الدمعَ وانهمرى ... وابكى عَلَى السِّرّ من كَعْب المُغيرات[١]

يا عين واسْحَنْفِرى بالدمع واحتفلى[٢] ... وابكى خبيئةَ نفسى فى الملمات[٣]

وابكى عَلَى كُلّ فيّاض أخى ثِقَةٍ ... ضَخْمِ الدَّسيعة وهّاب الجَزيلات[٤]

مَحْض الضريبة عالى الهم مُخْتَلَق ... جَلْد النَّحيزة ناء بالعظيمات[٥]

صَعْب البديهة لا نِكْس ولا وَكِل ... ماضى العَزيمة مِتْلاف الكَريمات[٦]

١٠ صَقْرٍ توسّط من كَعْب إذا نُسِبوا ... بُحبوحةَ المَجْد والشمّ الرفيعات[٧]

ثم اندُبى الفيضَ والفيّاض مُطّلبًا ... واسْتَخْرِطى بعد فَيْضاتٍ بجَمّات[٨]

أمسى بِرَدْمان عنّا اليومَ مُغْتَرِبًا ... يالهفَ نَفْسى عليه بين أمْوات[٩]

وابكى، لك الويلُ، إمّا كنت باكيةً ... لِعَبْد شَمْس بَشْرقىّ البنيّات

وهاشم فى ضريح وَسْطَ بَلْقعةٍ ... تَسْفى الرياحُ عليه بين غزّات

١٥ ونوفل كان دون القوم خالِصتى ... أمسَى بسَلْمان فى رَمْس بموماة[١٠]

---

(١) السر : الخالص النسب .

(٢) اسحنفرى : أديمى . واحتفلى : أى أجمعيه ، من احتفال الضرع ، وهو اجتماع اللبن فيه .

(٣) كذا فى أكثر الأصول . والخبيئة : الشىء المخبوء . يريد أنه كان ذخيرته عند نزول الشدائد . وفى ا : « خبيئات » .

٢٠ (٤) الفياض : الكثير المعروف . وضخم الدسيعة : كثير العطاء . والجزيلات : الكثيرات .

(٥) الضريبة : الطبيعة . والمختلق : التام الخلق . والنحيزة : الطبيعة أيضاً . وناء : ناهض .

(٦) النكس : الدنىء من الرجال . والوكل : الضعيف الذى يتكل على غيره .

(٧) البحبوحة : وسط الشىء . والشم : العالية .

(٨) استخرطى : استكثرى . والجمات : المجتمع من الماء ، فاستعاره هنا للدمع .

٢٥ (٩) راجع الحاشية (رقم ٥ ص ١٤٥ من هذا الجزء) .

(١٠) الموماة : القفر .

لم ألق مثلهمُ عُجماً ولا عربًا ... إذا استقلّت بهم أُدْم المَطِيّات[1]

أمستْ ديارُهمُ منهم مُعَطَّلة ... وقد يكونون زَيْناً فى السريّات[2]

أفْناهمُ الدهر أم كلّت سيوفُهمُ ... أم كلُّ مَنْ عاش أزوادُ المَنيّات[3]

أَصْبحتُ أَرْضى من الأقوام بعدَهمُ ... بَسْطَ الوجوه و إلقاء التحيّات

ياعينُ فابكى أبا الشُّعثِ الشجيّات[4] ... يَبْكينه حُسَّرا مثل البَلِيّات[5]

يبكين أكرمَ مَنْ يَمْشى على قَدَم ... يُعْوِلْنه بدموع بعــــد عَبْرات[6]

يبكين شخصاً طويل الباع ذا نجُر ... آبى المَضِيمة فرّاج الجَلِيلات[7]

يبكين عمرو العُلاَ إذحان مَصْرعُه ... سَمح السجيّة بسّام العشيات[8]

يبكينه مُسْتكيناتٍ على حَزَن ... يا طولَ ذلك مِنْ حزن وعَوْلات

---

(١) الأدم من الأبل : البيض الكرام .

(٢) السريات : جمع سرية ، وهى القطعة من الجيش أقصاها أربع مئة ، تبعث إلى العدو . سموا بذلك لأنهم يكونون خلاصة العسكر وخيارهم .

(٣) ويروى : «أوراد» . يريد القوم الذين يريدون الموت ، شبههم بالذين يردون الماء .

(٤) الشجيات : الحزينات . وينكر أهل اللغة تشديد ياء الشجى ، ويقولون : بأن ياء الشجى مخففة ، وياء الخلى مشددة ، وقد اعترض ابن قتيبة على أبى تمام الطائى فى قوله :

أيا ويح الشجى من الخلى ... وويح الدمع من إحدى بلى

واحتج بقول يعقوب فى ذلك . فقال له الطائى : ومن أفصح عندك : ابن الجرمقانية يعقوب ، أم أبو الأسود الدؤلى حيث يقول :

ويل الشجى من الخلى فإنه ... وصب الفؤاد بشجوه مغموم .

والقياس لايمنع من أن يكون هناك شج وشجى ، لأنه فى معنى حزن وحزين .

(٥) البليات : جمع بلية ، وهى الناقة التى كانت تعقل عنــد قبر صاحبها إذا مات حتى تموت جوعا وعطشا ، ويقولون : إن صاحبها يحشر راكبا عليها ، ومن لم يفعل معه هذا حشر راجلا . وهذا على مذهب من كان يقول منهم بالبعث .

(٦) كان الوجه أن يقول « عبرات » بالتحريك : إلا أنه أسكن للتخفيف ضرورة .

(٧) المضيمة : الذل والنقص . والجليلات : الأمور العظام .

(٨) السجة : الطبيعة . وبسام العشيات : يريد أنه يتبسم عند لقاء الأضياف ، لأن الأضياف أكثر مايردون عشية .

يبكين لمّا جلاهنّ الزمانُ له ... خُضْر الخدود كأمثال الحَمِيّات[1]

مُحتزِمات على أوساطهنّ لِمَا ... جرّ الزمان مِنَ أحْداث الُمصيبات

أبِيتُ ليلي أراعى النجم من ألمٍ ... أبكى وتبكى معى شَجْوِى بُنيّاتى

ما فى القُروم لهم عِدْل ولا خَطَر ... ولا لمن تركوا شَرْوى بَقيّات[2]

٥ أبناؤهم خيرُ أبناء وأنفسُهم ... خيرُ النفوس لدى جَهْد الأَلَيّات[3]

كم وهبوا من طِمِرٍّ سابحٍ أرِنٍ ... ومن طِمِرّة نَهْبٍ فى طِمِرّات[4]

ومن سُيوف من الهِندىّ مُخْلَصَةٍ ... ومن رماح كأشطان الرّكِيّات[5]

ومن توابع مِمَّا يُفضِلون بها ... عند المسائل من بَذْل العطيّات

فلو حَسِبْتُ وأحْصَى الحاسبون معى ... لم أقْضِ أفعالَهم تلك الهَنيّات

١٠ هم المُدِلّون إمّا مَعْشر فَخَروا ... عنــد الفخار بأنساب نَقيّات

زَيْنُ البيوت التى خَلّوا[6] مساكنَها ... فأصبحتْ منهمُ وَحْشاً خَلِيّات

أقول والعينُ لا ترقا مدامعُها[7] ... لا يُبْعد اللهُ أصحابَ الرّزِيّات[8]

قال ابن هشام : الفجر : العطاء . قال أبو خِراش الهُذَلى[9] :

---

(١) الحيات : الإبل التى حميت الماء : أى منعت .

١٥ (٢) القروم : سادات الناس ، وأصله الفحول من الإبل . والعــدل : المثل . والخطر : القدر والرفعة . وشروى : مثل ، يقال : هذا شروى هذا ، أى مثله .

(٣) الأليات : الشدائد التى يقصر الإنسان بسببها ، وهى أيضاً جمع ألية ، وهى اليمين .

(٤) الطمر : الفرس الخفيف . وسابح : كأنه يسبح فى جريه ، أى يعوم . وأرن : نشط. والنهب : ما انتهب من الغنائم .

٢٠ (٥) الأشطان : جمع شطن ، وهو الحبل . والركيات : جمع ركية ، وهى البئر .

(٦) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « حلوا » بالحاء المهملة .

(٧) لاترقا : لاتنقطع ، وأصله الهمز خفف فى الشعر .

(٨) الرزيات : جمع رزية، لغة فى الرزيئة ، بمعنى المصيبة والإصابة بالانتقاص . ويريد بأصحاب الرزيات : من أصيبوا وانتقصوا وأصبح شأنهم كما وصف .

٢٥ (٩) وهذا البيت مطلع قصيدة لأبى خراش قالهـا فى قتل زهير بن العجوة أخى بنى عمرو بن الحارث ، وكان قتــله جميل بن معمر بن حبيب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص ، يوم حنين .

عَجِفَ أضيافُ جميلُ بنُ معمر بذى فَجَر تأوى إليه الأراملُ[1]

قال ابن إسحاق:

أبو الشُّعث الشَّجيّات: هاشم بن عبد مناف.

ولاية عبد المطلب السقاية والرفادة

قال: ثم وَلِى عبدُ المطّلب بن هاشم السقايةَ والرِّفادة بعد عمّه المطّلب، فأقامها للناس، وأقام لقومه ما كان آباؤه يُقيمون قبلَه لقومهم من أمرهم، وشَرُف في قومه شرفًا لم يَبْلُغْه أحدٌ من آبائه، وأحبّه قومُه وعظم خَطَرُه فيهم. ٥

ذكر حفر زمزم وما جرى من الخلف فيها

الرؤيا التى أريها عبد المطلب فى حفر زمزم

ثم إنّ عبد المطلب بينما هو نائم فى الحِجر إذ أُتى فأُمِر بحفر زمزم.

قال ابن إسحاق:

وكان أول ما أُبتدئ به عبدُ المطلب من حَفْرها، كما حدّثنى يَزِيد[2] ١٠ ابن أبى حبيب المصرى عن مَرْثَد[3] بن عبد الله اليَزَنىّ عن عبد الله بن زُرَير[4]

---

(١) كذا فى الأصول. وعجف: حبس عن الطعام. يريد: أجاعهم. وفى أشعار الهذليين المخطوط والمحفوظ بدار الكتب المصرية برقم (٦ أدب ش): «لجع».

(٢) هو يزيد بن أبى حبيب سويد أبو رجاء الأسدى المصرى عالم أهل مصر، مولى شريك ابن الطفيل الأزدى، وقيل أبوه مولى بنى حسل، وأمه مولاة لتجيب. روى عن عبد الله ١٥ ابن الحارث بن جزء الزبيدى، وابن الطفيل الكنانى، وأبى الخير مرثد اليزنى وغيرهم. (عن تراجم رجال).

(٣) هو مرثد بن عبد الله اليزنى (بفتح الياء والزاى) أبو الخير المصرى الفقيه. روى عن عقبة بن عامر الجهنى، وكان لايفارقه، وعمرو بن العاص وغيرهما. وروى عنه غير يزيد هذا ربيعة بن جعفر، وكعب بن علقمة، وعبدالرحمن بن شماسة وغيرهم. توفى سنة تسعين. (راجع ٢٠ تهذيب التهذيب).

(٤) هو عبد الله بن زرير (بالتصغير) الغافقى المصرى. روى عن على وعمر. وعنه أبو الخير مرثد اليزنى وأبو الفتح الهمدانى، وغيرهما. مات فى خلافة عبد الملك سنة إحدى وثمانين، وقيل سنة ثمانين. (راجع تهذيب التهذيب).

الفافق : أنه سَمِع عليّ بن أبى طالب رضى اللهُ تعالى عنه يحدّث حديثَ زمزم حين أُمِر عبدُ المطلب بحَفْرِها ، قال :

قال عبدُ المطلب : إنى لنائم فى الحجر إذ أتانى آتٍ فقال : أُحْفِر طِيبه[1] .

قال : قلت : وما طيبة ؟ قال : ثم ذهب عنّى . فلما كان الغد رجعتُ إلى مضجعى فنِمْت فيه ، فجاءنى فقال : احفر[2] بَرّة . قال : فقلت : وما برة ؟ قال : ثم ذهب عنى ، فلما كان الغد رجعتُ إلى مَضْجعى فنِمْت فيه ، فجاءنى فقال : احفر المَضنونة[3] . قال : فقلت : وما المضنونة ؟ قال : ثم ذهب عنى . فلما كان الغد رجعتُ إلى مضجعى فنِمْت فيه ، فجاءنى فقال : احفر زمزم . قال ؟ قلت : وما زمزم ؟ قال : لا تَنْزِف[4] أبداً ولا تُذَمّ[5] ، تسقى الحَجيجَ الأعظم ، وهى بين الفَرْث والدم ، عند نُقْرة الغراب الأعْصم[6] ، عند قَرْية[7] النَّمل .

عبد المطلب وابنه الحارث وما كان بينهما وبين قريش عند حفرهما زمزم

قال ابن إسحاق :

فلمّا بُيّن له شأنُها ، ودُلّ على موضعها ، وعَرَف أنه قد صُدِق ، غدَا بمِعْوله ومعه ابنُه الحارث بن عبد المطلب ، ليس له يومئذ ولدٌ غيرُه ، فحَفر فيها . فلمّا بدا لعبد المطلب الطَّىّ[8] كبّر ، فعرفتْ قريشٌ أنه قد أدرك حاجتَه ، فقاموا

---

(١) قيل لزمزم طيبة ، لأنها للطيبين والطيبات من ولد إبراهيم .

(٢) قيل لها برة ، لأنها فاضت على الأبرار وغاضت عن الفجار .

(٣) قيل لها مضنونة ، لأنها ضن بها على غير المؤمنين فلا يتضلع منها منافق .

(٤) لاتنزف : لايفرغ ماؤها ولايلحق قعرها .

(٥) لاتذم : أى لا توجد قليلة الماء ؛ تقول : أذمت البئر : إذا وجدتها قليلة الماء .

(٦) الأعصم من الغربان : الذى فى جناحيه بياض ؛ وقيل غير ذلك .

(٧) إنما خصت بهذه العلامات الثلاث لمعنى زمزم ومائها . فأما الفرث والدم ، فإن ماءها طعام طعم، وشفاء سقم ؛ وأما عن الغراب الأعصم ففيه إشارة إلى ماورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ليخربن الكعبة ذوالسويقتين من الحبشة » . وأما قرية النمل، ففيها من المشاكلة أيضا والمناسبة أن زمزم هى عين مكة التى يردها الحجيج والعمار من كل جانب، فيحملون إليها البر والشعير وغير ذلك ، وهى لاتحرث ولا تزرع، وقرية النمل كذلك لاتحرث ولاتبذر وتجلب الحبوب إلى قريتها من كل جانب . (راجع الروض الأنف وما يعول عليه فى قرية النمل) .

(٨) الطى: الحجارة التى طوى بها البئر .

إليه فقالوا : يا عبدَ المطلب ، إنها بئرُ أبينا إسماعيل ، و إن لنا فيها حقّاً فأشرِكنا معك فيها ؛ قال : ما أنا بفاعل ، إن هذا الأمرَ قد خُصِصْتُ به دونكم ، وأُعطيته من بينكم ؛ فقالوا له : فأنصفنا فإنّا غيرُ تاركيك حتى نُخاصمك فيها ؛ قال : فاجعلوا بيني و بينكم مَنْ شئتم أُحاكمكم إليه ؛ قالوا : كاهنة بَنى سَعْد هُذَيم[1] ؛ قال : نعم ؛ قال : وكانت بأشراف[2] الشام . فركب عبدُ المطلب ومعه نَفَر من بَنى أبيه من بنى عبد مناف ، وركب من كلّ قبيلة من قريش نَفَر . قال : والأرض إذ ذاك مَفاوز . قال : فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تِلك المَفاوز بين الحجاز والشام ، فَنِي ماء عبد المطلب وأصحابِه . فظمئوا حتى أيْقنوا بالهلكة ، فاستسقَوْا مَنْ معهم مِنْ قبائل قُرَيش، فأبَوْا عليهم ، وقالوا : إنا بمفَازة . ونحن نخشى على أنفسنا مثلَ ما أصابكم . فلما رأى عبد المطلب ماصنع القومُ وما يتخوّف على نفسه وأصحابه ، قال : ماذا تَرَوْن ؟ قالوا : ما رأْينا إلا تَبَعٌ لرأيك ، فمُرْنا بمـا شئت ؛ قال : فإنى أرى أن يَحْفِر كلّ رجل منكم حفرتَه لنفسه بما بكم الآن من القوة ، فكلّما مات رجل دَفعه أصحابهُ فى حُفْرته ثم واروْه . حتى يكون آخرُكم رجلاً واحداً ، فضَيْعة رجلٍ واحد أيسر من ضَيْعة ركبٍ جميعاً ؛ قالوا : نِعْم ما أمرتَ به . فقام كل واحد منهم فحفر حفرته ، ثم قعدوا ينتظرون الموتَ عطشاً ؛ ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه : والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت ، لانَضْرب فى الأرض ولا نبتغى لأنفسنا ، لَعجْز ، فعسى الله أن يَرْزقنا ماء ببعض البلاد، ارْتحِلُوا ، فارتحلوا . حتى إذا فرغوا . ومَنْ معهم من قبائل قُرَيش ينظرون إليهم ماهم فاعلون ، تقدّم عبدُ المطّلب إلى راحلته فركِبها . فلمّا انبعثت به انفجرتْ من تحت خفّها عينٌ من ماء عَذْب ، فكبّر عبدُ المطلب

(١) كذا فى ا . والطبرى. وفى سائر الأصول : سعد بن هذيم وهو تحريف « لأن هذيما لم يكن أباه ، وإنما كفله بعد أبيه فأضيف إليه . (راجع شرح السيرة والمعارف) .

(٢) أشراف الشام : ما ارتفع من أرضه .

وكبّر أصحابه، ثم نزل فشَرب وشَرِب أصحابُه واستَقَوْا حتى ملئوا أسْقِيَتهم، ثم دعا القبائل مِن قُرَيْش فقال: هلُمّ إلى الماء، فقد سقانا الله، فاشربوا واستقُوا، فجاءوا فشَرِبوا واستَقَوْا. ثم قالوا: قد والله قُضِيَ لك علينا يا عبدَ المطّلب، والله لا نخاصمك فى زَمْزم أبدا، إن الذى سقاك هذا الماء بهذه الفَلاة هو الذى سقاك

٥ زمزم. فارجع إلى سِقايتك راشداً. فرجع ورجعوا معه، ولم يصلوا إلى الكاهنة، وخلّوا بينه وبينها.

قال ابن إسحاق:

فهذا الذى بلغنى من حَديث علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فى زمزم، وقد سمعتُ من يُحدّث عن عبد المطلب أنه قيل له حين أُمِر بحَفْر زمزم:

١٠ ثم ادْعُ بالماء الرَّوِى[1] غيرِ الكَدِرْ يَسْقى حَجيجَ[2] الله فى كل مَبَرْ[3]

* ليس يُخاف منه شىء ما عَمَرْ[4] *

فخرج عبدُ المطلب، حين قيل له ذلك، إلى قُرَيْش فقال: تعلَمُوا أنّى قد أُمرت أن أَحْفِر لكم زمزم؛ فقالوا: فهل بُيّن لك أين هى؟ قال: لا؛ قالوا: فارجع إلى مَضجعك الذى رأيتَ فيه ما رأيتَ، فإن يك حقّا من الله يُبيّن لك، وإن يك

١٥ من الشيطان فلن يعود إليك. فرجع عبدُ المطّلب إلى مَضجعه فنام فيه، فأُتى فقيل له: احْفِر زمزم إنك إن حفرتها لم تندم، وهى تراث من أبيك الأعظم، لا تنزِف أبدًا ولا تُذَمّ، تسقى الحجيجَ الأعظم، مثل نَعام جافل[5] لم يُقْسَم،

---

(١) كذا فى أكثر الأصول. وفى ا: «رواء». وهما بمعنى. فيقال: ماء روى (بالكسر والقصر) ورواء (بالفتح والمد): أى كثير.

٢٠ (٢) الحجيج: جمع حاج

(٣) مبر: يريد مناسك الحج ومواضع الطاعة، وهو مفعل من البر.

(٤) عمر: بقى، أى ما عمر هذا الماء، فإنه لا يؤذى ولا يخاف منه.

(٥) الجافل: الكثير.

يعذر فيها ناذرٌ لمُنعم ، تكون ميراثاً وعقداً مُحكَم ، ليستْ كبعض ما قد تعلم ،
وهى بين الفَرْث والدم .

قال ابن هشام :

هذا الكلام والكلام الذى قبله من حديث علىّ [رضوان الله عليه][1] فى
خفر زمزم من قوله : « لا تنزف أبداً ولا تذم » إلى قوله : « عنْد قرية النمل » ٥
عندنا سجع وليس شعرًا .

قال ابن إسحاق :

فزعموا أنه حين قيل له ذلك قال : وأين هى ؟ قِيل له : عند قرية النمل .
حيث ينقرُ الغراب غداً . والله أعلم أى ذلك كان .

فغدا عبد المطلب ومعه ابنُه الحارث ، وليس له يومئذ ولدٌ غيره ، فوجد قرية ١٠
النمل ، ووجد الغراب ينقُر عندها بين الوَثنيْن : إساف ونائلة ، اللذين كانت
قُريش تنحر عندهما ذبائحها . فجاء بالمِعْول وقام ليحفِر حيث أُمر ، فقامت إليه
قريش حين رأوا جِدّه فقالوا : والله لا نتركك تحفِر بين وثَنَيْنا هذين اللذين ننحر
عندهما ؛ فقال عبدُ المطلب لابنه الحارث : ذُدْ عنّى حتى أحفِر ، فوالله لأمضيَن
لِمَا أُمرت به . فلما عرفوا أنه غيرُ نازع[2] ، خلّوا بينه و بين الحَفْر وكفّوا عنه ، ١٥
فلم يحفِر إلا يسيراً حتى بدا له الطَّى ، فكبّر وعرف أنه قد صُدِق . فلما تمادى
به الحفرُ وجد فيها غَزالين من ذهب ، وهما الغزالان اللذان دَفنت جُرْهم فيها حين
خرجت من مكة ، ووجد فيها أسيافًا قَلْعية[3] وأدراعا ؛ فقالت له قريش :

---

(١) زيادة عن ا .

(٢) يقال : نزع عن الأمر نزوعا (وربما قالوا : نزاعا) : إذا كف وانتهى . ٢٠

(٣) قلعية : نسبة إلى القلعة (بالفتح ثم السكون) : قيل جبل بالشام . وقال مسعر بن مهلهل
فى خبر رحلته إلى الصين : « . . . ثم رجعت من الصين إلى كله ، وهى أول بلاد الهند من
جهة الصين ، وإليها تنتهى المراكب ثم لاتتجاوزها ، وفيها قلعة عظيمة فيها معدن الرصاص
القلعى ، لا يكون إلا فى قلعتها ، وفى هذه القلعة تضرب السيوف القلعية ، وهى الهندية العتيقة .
وأهل هذه القلعة يمتنعون على ملكهم إذا أرادوا ويطيعونه إذا أرادوا » . وقال : « ليس= ٢٥

يا عبدَ المطلب ، لنا معك فى هذا شِرْك وحقّ ؛ قال : لا ، ولكن هلمّ إلى أمرٍ نَصَفٍ[1] بينى و بينكم : نضرب عليها بالقِداح[2] ؛ قالوا : وكيف تصنع ؟ قال : أجعل للكعبة قِدْحين ، ولى قِدْحين ، ولكم قِدْحين ، فمن خرج له قِدْحاه على شىء كان له ، ومن تخلّف قِدْحاه فلا شىء له ؛ قالوا : أنصفتَ . فجعل قِدْحين أصفرَيْن للكعبة ، وقِدْحين أسودين لعبد المطلب ، وقِدْحين أبيضَيْن لقريش ؛ ثم أعطوا [القداحَ][3] صاحبَ القِداح الذى يضرب بها عند هُبَل (وهُبَل : صنم فى جوف الكعبة ، وهو أعظم أصنامهم ، وهو الذى يَعْنى أبو سفيان ابنُ حَرْب يوم أُحُد حين قال : أَعْلِ[4] هُبَل : أى أظهر دينك) وقام عبدُ المطلب يدعو الله عزّ وجل ، فضرب صاحبُ القِداح فخرج الأصفران على الغزَالَيْن للكعبة ، وخرج الأسودان على الأسياف والأدراع لعبد المطلب ، وتخلّف قِدْحا قُرَيش . فضرب عبد المطّلب الأسيافَ بابًا للكعبة ، وضرب فى الباب الغزَالَيْن من ذهب . فكان أولَ ذهب حُلِّيته الكعبة ، فيما يزعمون . ثم إن عبدَ المطّلب أقام سقاية زمزم للحجّاج .

= فى الدنيا معدن الرصاص القلعى إلا فى هذه القلعة » ، وبينها وبين سندا بل ، مدينة الصين ، ثلاث مئة فرسخ ، وحولها مدن ورساتيق واسعة . وقال أبو الريحان : « يجلب الرصاص القلعى من سرنديب ، جزيرة فى بحر الهند » .

وبالأندلس إقليم القلعة من كورة قبرة ، ويظن أن الرصاص القلعى ينسب إليها . (راجع معجم البلدان ، وعجائب الهند) .

(1) النصف : اسم من الإنصاف .

(2) القداح : جمع قدح (بكسر القاف وسكون الدال) ، وهو السهم الذى كانوا يستقسمون به ، يقال للسهم أول مايقطع : قطع (بكسر القاف وسكون الطاء) ، ثم ينحت ويبرى فيسمى : بريا ، ثم يقوم قدحا ، ثم يراش ويركب نصله فيسمى سهما ، وهذه هى الأزلام المذكورة فى قوله عز وجل : « وأن تستقسموا بالأزلام » .

(3) زيادة عن ا .

(4) كما يصح أن يكون أمرا من الفعل الثلاثى (علا يعلو) : أى تبوأ منزلتك من العلو والسمو .

ذكر بئار قبائل قريش بمكة

الطوى ومن حفرها

قال ابن هشام :

وكانت قريش قبل حفر زمزم قد احتفرت[1] بِئاراً بمكة ، فيما حدّثنا زِياد ابنُ عبد الله البكّائى عن محمد بن إسحاق قال :

حفَر عبدُ شمس بن عبد مناف الطَّوِىّ[2] ، وهى البئر التى بأعلى مكة عند البَيْضاء ، دار محمّد بن يوسف [الثقفى][3] .

بذر ومن حفرها

وحَفَر هاشم بن عبد مناف بَذَّر ، وهى البئر التى عند المُسْتَنْذَر ، خَطْم الخَنْدمة[4] على فم شِعْب أبى طالب . وزعموا أنه قال حين حَفَرها : لأجعلنّها بلاغًا للناس[5] .

قال ابن هشام : وقال الشاعر :

سقى اللهُ أمْواهًا عرفتُ مكانَها ... جُرابًا[6] ومَلْكُومًا[7] وبَذَّرَ والغَمْرَا[8]

---

(1) يقال إن قصيا كان يسقى الحجيج فى حياض من أدم ، وكان ينقل الماء من آبار خارجة من مكة،منها بئر ميمون الحضرمى ، ثم احتفر قصى العجول فى دار أم هانىء بنت أبى طالب ، وهى أول سقاية احتفرت بمكة ، وكانت العرب إذا استقوا منها ارتجزوا فقالوا :

نروى على العجول ثم تنطلق ... إن قصيا قد وفى وقد صدق

فلم تزل العجول قائمة حياة قصى وبعد موته، حتى كبر عبد مناف بن قصى ، فسقط فيها رجل من بنى جعيل فعطلوا العجول واندفنت ، واحتفرت كل قبيلة بئرا . (عن الروض الأنف) .

(2) وفى الطوى تقول سبيعة بنت عبد شمس :

إن الطوى إذا ذكرتم ماءها ... صوب السحاب عذوبة وصفاء

(راجع معجم البلدان) .

(3) زيادة عن ا .

(4) الخندمة : جبل بمكة .

(5) وذكر ياقوت نقلا عن أبى عبيدة فى كتاب الآبار : أن هاشم بن عبد مناف قال حين حفرها :

انبطت بئرا بماء قلاس ... جعلت ماءها بلاغا للناس

(6) جراب (بالضم) : اسم ماء ، وقيل : بئر بمكة قديمة . (راجع معجم البلدان) .

(7) ملكوم (على زنة اسم المفعول) : اسم ماء بمكة . (راجع معجم البلدان) .

(8) الغمر (بفتح أوله وسكون ثانيه) : بئر قديمة بمكة حفرتها بنو سهم ، وفى ذلك يقول شاعرهم :

=

سجلة ومن حفرها

قال ابن إسحاق :

وحفر سَجْلة[1] ، وهي بئر المُطْعِم بن عَدِيّ بن نَوْفل بن عَبْد مَناف التي يَسْقُون عليها اليوم . ويزعُم بنو نوفل أنّ المُطْعم ابتاعها من أَسَد بن هاشم ، ويزعُم بنو هاشم أنه وَهَبها له حين ظهرت زمزم ، فاستَغْنَوْا بها عن تلك الآبار .

الحفر ومن حفرها

٥ وحفر أميةُ بنُ عبد شَمْس الحَفْر[2] لنفسه .

سقية ومن حفرها

وحفرت بنو أَسَد بن عبد العُزّى سُقَيّة[3] ، وهي بئر بني أَسَد .

أم أحراد ومن حفرها

وحفرت بنو عبد الدار أُمَّ أَحْراد[4]

= نحن حفرنا الغمر للحجيج تثج ماء أيما ثجيج

(راجع معجم البلدان) . وسيعرض لها المؤلف بعد قليل .

١٠ (١) ويقال إن الذي حفر سجلة ليس هاشما ، وإنما هو قصي ، ويروون عنه أنه قال حين حفرها :

أنا قصي وحفرت سجلة تروى الحجيج زغلة فزغلة

ويروى هذا البيت لخالدة بنت هاشم باختلاف في صدره ، وهو :

نحن وهبنا لعدى سجلة تروى الحجيج زغلة فزغلة

١٥ [الزغلة (بالضم) : الدفعة] (راجع الروض الأنف ومعجم البلدان) .

(٢) ذكرها ياقوت عند الكلام على الحفر (بالحاء المهملة) ، فقال : « . . . وحفر بئر لبني تيم بن مرة بمكة ، ورواه الحازمي بالجيم » .

ثم ذكرها عند الكلام على الجفر (بالجيم) نقلا عن أبي عبيدة ، فقال : « . . . واحتفرت كل قبيلة من قريش في رباعهم بئرا فاحتفر بنو تيم بن مرة الجفر ، وهي بئر مرة بن كعب ،

٢٠ وقيل حفرها أمية بن عبد شمس وسماها جفر مرة بن كعب » .

(٣) كذا في معجم البلدان ، وفي الأصول : « شفية » قال ياقوت : « سقية » (بلفظ تصغير سقية ، وقد رواها قوم (شفية) بالشين المعجمة والفاء) : وهي بئر قديمة كانت بمكة . قال أبو عبيدة : وحفرت بنو أسد شفية . فقال : الحويرث بن أسد :

ماء شفية كصوب المزن وليس ماؤها بطرق أجن

٢٥ قال الزبير : وخالفه عمي فقال : إنما هي سقية (بالسين المهملة والقاف) .

(٤) ويروون عن أمية بنت عميلة بن السباق بن عبد الدار امرأة العوام بن خويلد حين حفرت بنو عبد الدار أم أحراد :

نحن حفرنا البحر أم أحراد ليست كبذر البرور الجماد

فأجابتها ضرتها صفية بنت عبد المطلب أم الزبير بن العوام رضي الله عنه :

٣٠ نحن حفرنا بذر نسقي الحجيج الأكبر
من مقبل ومدبر وأم أحراد شر

(راجع الروض ، ومعجم البلدان) .

السنبلة ومن حفرها

وحفرت بنو جُمَح السُّنْبلةَ ، وهى بئر خَلَف بن وَهْب .

الغمر ومن حفرها

وحَفَرت بنو سَهْم الغمْرَ ، وهى بئر بنى سَهْم .

رم وخم والحفر وأصحابها

وكانت آبار حفائر خارجًا من مكّة قديمة من عهد مُرّة بن كَعْب ، وكِلاب ابن مُرّة ، وكُبَراء قريش الأوائل منها يَشربون، وهى رُمّ ، ورُمّ: بئر مُرّة بن كَعْب ابن لؤىّ ؛ وخُمّ ، وخُمّ بئر بَنى كِلاب بن مُرّة ؛ والحَفْر[1] . قال حُذَيْفة[2] بن غانم ٥ أخو بنى عَدىّ بن كَعْب بن لُؤَىّ .

قال ابن هشام : وهو أبو أبى جَهْم بن حُذَيفة :

وقِدْمًا غنينا قبل ذلك حِقْبةً ولا نَسْتقى ألا بخُمّ أو الحَفْرِ

قال ابن هشام : وهذا البيتُ فى قصيدة له ، سأذكرها إن شاء الله فى موضعها .

فضل زمزم وما قيل فيها من شعر

قال ابن إسحاق : ١٠

فعفّت[3] زمزم على البِئار التى كانت قبلها يَسْقى عليها الحاجّ ، وانصرف الناسُ إليها لمكانها من المسجد الحرام ، ولفضلها على ما سِواها من المياه . ولأنها بئر إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وافتخرتْ بها بَنو عبد مناف على قُرَيش كلّها ، وعلى سائر العرب ، فقال مُسافر[4] بن أبى عَمْرو بن أُمَيّة بن عبد شَمْس ابن عَبْد مناف ، وهو يَفْخر على قريش بمـا وَلوا عليهم من السِّقاية والرِّفادة ، ١٥ وما أقاموا للناس من ذلك ، و بِزَمْزم حين ظَهرتْ لهم. و إنما كان بَنو عَبْد مناف

(١) لقد ذكر ابن هشام « الحفر » قبل هذا بقليل ونسبها إلى أميـة ، وأردفنا ثمت م بمـا ذكر عنها فى المعاجم . ولعل فى ذكرها هنا مع « رم » و« خم » إشارة إلى الرأى القائل بأنها من حفر مرة بن كعب . (راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٥٧) .

(٢) كذا فى الأصول، ومعجم البلدان لياقوت ، والإصابة (ج ٤ ص ٥٤١) عند الكلام ٢٠ على ليلى بنت أبى حثمة . وفى الطبرى : والاشتقاق لابن دريد (ص ٨٧ طبع أوربا) والأغانى (ج ٧ ص ٢٢٩ طبع دار الكتب المصرية) : « حذافة » .

(٣) عفت على البئار : غطت عليها وأذهبتها .

(٤) وكان مسافر سيدا جوادا ، وهو أحد زواد الراكب ، وإنما سموا بذلك لأنهم كانوا لايدعون غريبا ولامارا طريقا ولامحتاجا يجتاز بهم إلا أنزلوه وتكفلوا به حتى يظعن ، وهو ٢٥ أحد شعراء قريش ، وكان يناقض عمارة بن الوليد . وله شعر فى هند بنت عتبة بن ربيعة ، وكان يهواها،ففارقها،فخطبها إلى أبيها بعد ضرتها الفاكه بن المغيرة،فلم ترض ثروته وماله،وكان أن تزوجها أبو سفيان ، فحزن مسافر، وانتهى به الحزن إلى أن مات بهبالة ودفن بها . (راجع الأغانى ج ٨ ص ٤٨ ــ ٥١ طبع بلاق والروض الأنف) .

أهلَ بيت واحد، شرفُ بعضِهم لبعض شرفٌ، وفَضْلُ بعضهم لبعض فَضْل:

وَرِثْنا المجدَ من آبا ئنا فنَمى بنا صُعُدَا
أَلَمْ نَسْقِ الحجيجَ ونـنـحر الدِّلافَةَ الرُّفُدا[1]
ونُلْقى عنـد تَصْريف الـمنايا شُـدَّداً رُفُدا[2]
٥ فإن نَهْلِكْ فلم نُمْلَكْ[3] ومن ذا خالدٌ أبدا[4]
وزمزم في[5] أَرُومتنا[6] ونفقأ عَيْنَ من حَسَدا

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في قصيدة له.

قال ابن إسحاق:

وقال حُذَيفة بن غانم أخو بني عديّ بن كَعْب بن لؤي:

١٠ وساقِي الحَجِيج ثم للخَيْر هاشم وعبد مناف ذلك السيّد الفِهْرى[7]
طَوَى زمزمًا عند المقام فأصبحتْ سِقايتُه فَخراً على كلّ ذى فَخرِ

قال ابن هشام:

يعنى عَبْدَ المطّلب بن هاشم. وهذان البيتان في قصيدة لحُذَيفة بن غانم سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى.

---

١٥ (١) الدلافة: يريد بها هنا الإبل التي تمشى متمهلة لكثرة سمنها، يقال: دلف الشيخ، إذا مشى مشيا ضعيفا، وهو فوق الدبيب. والرُفد: جمع رفود. وهى التي تملأ الرفد، وهو قدح يحلب فيه.

(٢) رفد: من الرفد، وهو الإعطاء.

(٣) لم نملك (بالبناء للمجهول): أي لم يكن علينا وال ولا ملك.

(٤) في ا: «خلدا».

٢٠ (٥) في الأغاني: «من».

(٦) الأرومة: الأصل.

(٧) ويروى: «الغمر»: أي الكثير العطاء. كما يروى: «الفهر»، أي القاهر، ويكون صفة بالمصدر.

ذكر نذر عبد المطلب ذبح ولده

قال ابن إسحاق :

وكان عبدُ المطّلب بن هاشم ـ فيما يزعمون والله أعلم ـ قد نَذَر حين لَقِى من قُرَيش ما لقى عند حَفْر زمزم ، لئن وُلد له عشرةُ نَفَر ، ثم بلغوا معه حتى يَمْنعوه . لَيَنْحرنّ أحدَهم لله عندَ الكعبة . فلما توافَى بنوه عشرةً ، وعرف أنهم سيمنعونه ٥ جَمَعهم ثم أخبرهم بنَذْره ، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك ، فأطاعوه وقالوا : كيف نَصْنع ! قال : ليأخذ كلّ رجل منكم قِدْحًا ثم يكتب فيه اسمَه ، ثم ائتونى . ففعلوا ثم أتَوْه ، فدخل بهم على هُبَل فى جَوْف الكعبة ، وكان هُبَل على بئر فى جوف الكعبة ، وكانت تلك البئر هى التى يُجمع فيها ما يُهدَى للكعبة .

ضرب بالقداح عند العرب

وكان عند هُبَل قِداح سَبْعة . كل قِدْح منها فيه [كتاب . قِدْح فيه][1] ١٠ «العَقْل»[2] إذا اختلفوا فى العَقْل مَنْ يَحْمِله منهم ، ضربوا بالقداح السَّبعة[3] . فإن خرج العَقْل فعَلى مَنْ خرج حَمْلُه : وقِدْح فيه « نعم » للأمر إذا أرادوه يُضرب به فى القِداح . فإن خَرَج قِدْح « نعم » عملوا به ؛ وقِدْح فيه « لا » إذا أرادوا أمرًا ضربوا به فى القِداح ، فإن خرج ذلك القِدْح لم يفعلوا ذلك الأمر : وقِدْح فيه « مِنْكم » ؛ وقِدْح فيه « مُلْصَق » . وقدح فيه « مِنْ غَيْرِكم » : ١٥ وقِدْح فيه « المِياه » إذا أرادوا أن يَحْفِروا للماء ضَرَبوا بالقِداح ، وفيها ذلك القِدْح ، فحيثما خرج عملوا به . وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلامًا ، أو يُنْكحوا

---

(١) زيادة عن ا .

(٢) العقل : الدية .

(٣) ويروى أنهم كانوا إذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة أقداح مكتوب على أحدها : أمرنى ٢٠ ربى . وعلى الآخر : نهانى ربى . والثالث غفل . فإن خرج الآمر مضوا على ذلك ، وإن خرج الناهى تجنبوا عنه ، وإن خرج الغفل أجالوها ثانيا . ولعلهم كانوا يستعملون الطريقتين .

منكحاً ، أو يَدْفنوا مَيْتا ، أو شكّوا فى نسب أحدهم ، ذَهبوا به إلى هُبَل وبمئة درهم وجَزور ، فأعطَوْها صاحبَ القِداح الذى يَضْرب بها ، ثم قرّبوا صاحبَهم الذى يريدون به مايريدون ، ثم قالوا : يا إلاهنا ، هذا فلان بن فلان قد أردنا به كذا وكذا ، فأَخْرِج الحقّ فيه . ثم يقولون لصاحب القداح : اضرب ، فان خرج عليه « منكم » كان منهم وسيطاً[1] ، وإن خَرَج عليه « مِنْ غيْرِكم » كان حَليفاً ؛ وإن خَرَج عليه « مُلْصَق » كان على مَنْزلته فيهم ، لانَسَب له ولا حِلْف ؛ وإن خرج فيه شيء ، مما سِوَى هذا مّما يعمَلون به « نعم » عملوا به ؛ وإن خرج « لا » أخّروه عامَه ذلك حتى يأتوه به مرّةً أخْرى ، ينتهُون فى أمورهم إلى ذلك مما خرجتْ به القِداح[2] .

عبد المطلب وأولاده بين يدى صاحب القداح

١٠ فقال عبدُ المطلب لصاحب القِداح : اضربْ على بَنِىّ هؤلاء بِقداحهم هذه ، وأَخْبَره بنَذْره الذى نَذَر ، فأعطاه كلُّ رجل منهم قِدْحَه الذى فيه اسمه ، وكان عبد الله بن عبد المطلب أصغرَ بنى[3] أبيه ، كان هو والزُّبير وأبو طالب لفاطمة بنت عَمْرو بن عائذ بن عبد بن عِمْران بن مَخْزوم بن يَقَظة بن مُرّة بن كَعْب ابن لُؤَىّ بن غالب بن فِهْر .

---

١٥ (١) وسيطا : خالص النسب فيهم ، ويقال : إن الوسيط هو الشريف فى قومه ، لأن النسب الكريم دار به من كل جهة ، وهو وسط .

(٢) وقد عرض الألوسى فى كتابه بلوغ الأرب فى أحوال العرب (ج ٣ ص ٧٠ — ٧٥) للكلام على القداح بإسهاب وتفصيل فارجع إليه .

(٣) الظاهر أنه يريد أن عبد الله كان أصغر ولد أبيه حين أراد نحره ، أو لعل الرواية : ٢٠ « أصغر بنى أمه » . وإلا فالمعروف أن حمزة كان أصغر من عبد الله ، والعباس كان أصغر من حمزة ، وقد ذكر عن العباس رضى الله عنه أنه قال : أذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن ثلاثة أعوام أونحوها ، فجيء بى حتى نظرت إليه ، وجعل النسوة يقلن لى : قبل أخاك ، قبل أخاك ، فقبلته . وفى هذا دليل على أن عبد الله ليس أصغر أولاد عبد المطلب . (راجع الروض الأنف) .

قال ابن هشام : عائذ ابنُ عِمْران بن مَخْزوم[1] .

خروج القدح على عبد الله وشروع أبيه في ذبحه ومنع قريش له

قال ابن إسحاق :

وكانْ عبد الله ـ فيما يزعمون ـ أحبَّ وَلَدِ عبد المطّلب إليه ، فكان عبدُ المطلب يرى أن السّهْم إذا أخطأه فقد أشْوَى[2] . وهو أبو رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . فلما أخذ صاحبُ القِداح القداحَ ليضرب بها ، قام عبدُ المطلب عند هُبَل يدعو الله ، ثم ضرب صاحبُ القِداح ، فخرج القِدْحُ على عبد الله ، فأخذه عبدُ المطلب بيده وأخذ الشّفرة ، ثم أقبل به إلى إساف ونائلة ليذبَحه ، فقامت إليه قريش من أَنْديتها، فقالوا : ماذا تريد ياعبد المطلبْ ؟ قال : أذْبحه ؛ فقالت له قريش وبَنوه : والله لا تذبحه أبداً حتى تُعْذِر فيه . لئن فعلتَ هذا لا يزال الرجلُ يأتى بأبنه حتى يذبحه ، فما بقاء الناس على هذا ! وقال له المُغيرة بن عبد الله بن عَمْرو[3] بن مَخْزوم بن يَقَظة ، وكان عبدالله ابنَ أُخت القوم : والله لا تذبحه أبداً حتى تُعْذِر فيه ، فإن كان فِداؤه بأموالنا فدَيْناه . وقالت له قريش وبَنوه : لاتفعل ، وانطلق به إلى الحِجاز، فإنّ به عَرّافةً[4] لها تابع ، فسَلْها ، ثم أنت على رأس أمْرِك ، إن أمرتْك بذبحه ذبحتَه ، وإن أمرتك بأمر لك وله فيه فَرَج قَبِلْته.

عرافة الحجاز وما أشارت به على عبد المطلب

فانطلقوا حتى قدموا المدينةَ فوجدوها ـ فيما يزعمون ـ بخَيْبر . فركبوا حتى جاءوها فسألوها ، وقصّ عليها عبدُ المطّب خبَره وخبَر ابنه ، وما أراد به ونَذْره فيه ؛ فقالت لهم : ارجعوا عنّى اليومَ حتى يأتينى تابعى فأسأله . فرجعوا من عندها ، فلما خرجوا عنها قام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم غَدَوْا عليها ، فقالت لهم :

---

(1) وهذا الرأى ـ رأى ابن هشام ـ هو الأصح ، فقد ذكر الزبيريون أن « عبدا » هو أخو عائذ بن عمران ، وأن بنت عبد هى صخرة امرأة عمرو بن عائذ ، على قول ابن إسحاق ، أن عائذ : هو ابن عبد ، تكون صخرة عمة لعائذ ، وعلى قول ابن هشام بنت عمه . (راجع الروض الأنف) .

(2) أشوى : أبقى ، يقال : أشويت من الطعام : إذا أبقيت .

(3) كذا فى أكثر الأصول وابن الأثير . وفى ا والطبرى : « عمر » .

(4) يقال إن اسم هذه العرافة : قطبة . وقيل بل اسمها : سجاح .

قد جاءنى الخبرُ ، كم الدِّية فيكم ؟ قالوا : عشرٌ من الإبل ، وكانت كذلك[1]

قالت : فارجعوا إلى بلادكم ، ثم قرِّبوا صاحبَكم وقرِّبوا عشراً من الإبل ، ثم اضربوا عليها وعليه بالقِداحَ[2] فإن خرجتْ عَلَى صاحبكم فزيدُوا من الإبل حتى يَرْضى ربُّكم ، وإن خرجتْ على الإبل فانحروها عنه ، فقد رَضِيَ ربُّكم ونجا صاحبُكم.

نجاة عبد الله من الذبح

٥ فخرجوا حتى قَدِموا مكةَ ، فلما أجمعوا على ذلك من الأمر قام عبدُ المطلب يدعو الله ؛ ثم قرّبوا عبدَ الله وعشراً من الإبل ، وعبدُ المطلب قائمٌ عند هُبَل يدعو الله عزّ وجلّ ، ثم ضربوا فخرج القِدْح عَلَى عبد الله ؛ فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبلُ عشرين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله عزّ وجلّ ، ثم ضربوا فخَرج القِدْح عَلَى عبد الله ؛ فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل ثلاثين ،

١٠ وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا فخرج القِدْح عَلَى عبد الله ؛ فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل أربعين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا فخرج القِدْح عَلَى عبد الله ؛ فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل خمسين ؛ وقام عبد المطلب يدعو الله ؛ ثم ضربوا فخَرج القِدْح عَلَى عبد الله ؛ فزادوا عشراً من الإبل فبلغت الإبل ستّين ، وقام عبد المطلب يدعو الله ؛ ثم ضربوا فخرج القِدْح عَلَى

١٥ عبد الله ؛ فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل سبعين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضَربوا فخرج القِدْح عَلَى عبد الله ؛ فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل ثمانين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا فخرج القِدْح عَلَى عبد الله ؛ فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل تِسْعين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا فخرج القِدْح عَلَى عبد الله ؛ فزادوا عشراً من الإبل ،

٢٠ فبلغت الإبل مئة ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا فخرج القِدْح على

---

(١) من هنا ترى أن الدية كانت عندهم عشيرة من الإبل ، ويكون عبد الله ــ على هذا ــ هو أول من جعلها مئة من الإبل.

والمعروف أن أول من ودى بالإبل من العرب زيد بن بكر بن هوازن حين تتله أخوه معاوية جد بنى عامر بن صعصعة. (عن الروض الأنف ، وكتاب الأوائل لأبى هلال العسكرى).

٢٥ (٢) فى ر : «القدح».

الإبل ؛ فقالت قريش ومَنْ حضر : قد انتهى رِضا ربّك يا عبدَ المطلب . فزعموا أن عبد المطلب قال : لا والله حتى أضربَ عليها ثلاثَ مرّات ؛ فضربوا على عبد الله وعَلَى الإبل ، وقام عبد المطلب يدعو الله ، فخرج القِدْح عَلَى الإبل ، ثم عادوا الثانية ، وعبد المطلب قائم يدعو الله ، فضربوا ، فخرج القِدْح على الإبل ، ثم عادوا الثالثة ، وعبد المطلب قائم يدعو الله ، فضربوا ، فخرج القِدْح على الإبل ، فنُحرت ثم تُركت لا يُصدّ عنها إنسان ولا يُمنع .

قال ابن هشام : ويقال : إنسان ولا سَبُع .

قال ابن هشام :

وبين أضعاف هذا الحديث رجز لم يصحّ عندنا عن أحد من أهل العلم بالشعر .

ذكر المرأة المتعرضة لنكاح عبد الله بن عبد المطلب

رفض عبد الله طلب المرأة التى عرضت نفسها عليه

قال ابن إسحاق :

ثم انصرف عبدُ المطلب آخذاً بيد عبد الله ، فمرّ به — فيما يزعمون — على امرأة من بنى[1] أَسَد بن عبد العزّى بن قُصىّ بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب ابن لُؤَىّ بن غالب بن فِهْر ، وهى أخت وَرَقة بن نَوْفل بن أسد بن عبد العُزّى ، وهى عند الكعبة ؛ فقالت له حين نظرت إلى وجهه : أين تذهب يا عبد الله ؟ قال : مع أبى ؛ قالت : لك مثلُ الإبل التى نُحِرتْ عنك وَقَعْ علىّ الآن ؛ قال : أنا مع أبى ولا أستطيع خِلافَه ولا فِراقه .

زواج عبد الله من آمنة بنت وهب

فخرج به عبدُ المطلب حتى أتى به وهبَ بن عبد مناف بن زُهْرة بن كِلاب

---

(١) واسم هذه المرأة : رقية بنت نوفل ، وتكنى : أم قتال . ويقال إن عبد الله قال حين ذاك :

أما الحرام فالحمام دونه — والحل لاحل فأستبينه
فكيف بالأمر الذى تبغينه — يحمى الكريم عرضه ودينه

ابن مُرّة بن كَعْب بن لؤىّ بن غالب بن فِهْر ، وهو يومئذ سيّد بنى زُهْرة نسباً وشرفاً ، فزوّجه ابنته آمنة بنتَ وَهْب ، وهى يومئذ أفضلُ امرأة فى قُرَيْش نسباً وموضعاً .

أمهات آمنة بنت وهب

وهى لبَرّة بنت عبد العزّى بن عثمان بن عبد الدار بن قُصَىّ بن كِلاب بن مُرّة ابن كَعْب بن لؤىّ بن غالب بن فِهْر . وبَرّة : لأمّ حَبِيب بنت أسَد بن عبد العُزّى بن قُصَىّ بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لؤىّ بن غالب بن فِهْر وأمّ حَبِيب : لبَرّة بنت عَوْف بن عُبَيد بن عُوَيج بن عدىّ بن كَعْب بن لؤىّ ابن غالب بن فِهْر .

ماجرى بين عبدالله والمرأة المعرضة له بعد بنائه بآمنة

فزعموا أنه دخل عليها حين أُمْلِكها[1] مكانَه فوقع عليها ، فحملتْ برسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ ثم خرج من عندها ، فأتى المرأة التى عرضتْ عليه ما عرضتْ ، فقال لها : مالكِ لا تَعْرِضين علىّ اليومَ ما كنتِ عرضْتِ علىّ بالأمس ؟ قالت له : فارقك النورُ الذى كان معك بالأمس ، فليس [لى][2] بك اليومَ حاجةٌ . وقد كانت تَسْمع من أخيها ورقةَ بن نَوْفل ـ وكان قد تنصّر واتّبع الكُتُب : أنه سيكون[3] فى هذه الأمة نبىّ .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاقُ بنُ يَسار[4] أنه حُدّث :

= كما يقال إن المرأة التى مر عليها عبد الله مع أبيه اسمها فاطمة بنت مر ، وكانت من أجمل النساء وأعفهن ، وكانت قرأت نور النبوة فى وجهه ، فدعته إلى نكاحها فأبى . فلما أبى قالت أبياتا منها :

إنى رأيت مخيلة نشأت فتلألأت بحناتم القطر

لله ما زهرية سلبت منك الذى استلبت وماتدرى

ويقال : إن التى عرضت نفسها عليه هى ليلى العدوية . (راجع الروض الأنف ، وشرح السيرة) .

(١) أملك المرأة (بالبناء للمجهول) : تزوجها .

(٢) زيادة عن ا .

(٣) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « كائن » .

(٤) رأى معاوية ، وروى عن عروة ومقسم وغيرهما ، وعنه ـ غير ولده محمد ـ يعقوب ابن محمد بن طحلاء . وثقه ابن معين ، وقال أبو زرعة : هو أوثق من ابنه . (عن تراجم رجال) .

أنّ عبد الله إنّما دخل على أمرأة كانت له مع آمنة بنت وَهْب ، وقد عمل في طين له ، و به آثارٌ من الطين ، فدعاها إلى نفسه فأبطأتْ عليه لِمَا رأت به من أثَر الطين ، فخرج من عندها فتوضّأ وغَسل ما كان به من ذلك الطين ، ثم خرج عامِدًا إلى آمنة فمرّ بها ، فدعَتْه إلى نفسها ، فأبَى عليها ، وعَمد إلى آمنة ، فدخل عليها فأصابها ، فحملتْ بمحمّد صلّى الله عليه وسلّم . ثم مرّ بأمرأته تلك فقال لهـا : هل لك ؟ قالت : لا ، مررتَ بى و بين عَيْنَيْك غُرّة بيضاء ، فدعوتُك فأبيتَ علىّ ، ودخلتَ على آمنة فذَهَبتْ بها .

قال ابن إسحاق :

فزعموا أن أمرأته تلك كانت تحدّث : أنه مرّ بها و بين عَيْنَيْه غُرّة مثل غُرّة الفرَس ؛ قالت : فدعوتُه رَجاء أن تكون تلك بى فأَبَى علىّ ، ودخل على آمنة فأصابها، فحملتْ برسول الله صلّى الله عليه وسلّم . فكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أوسطَ قومه نسباً ، وأعظمَهم شرفاً من قِبَل أبيه وأمّه ، صلّى الله عليه وسلّم .

ذكر ما قيل لآمنة عند حملها برسول الله صلى الله عليه وسلم

و يزعمون ــ فيما يتحدّث الناس والله أعلم ــ أنّ آمنة بنة وَهْب أمّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كانت تحدّث .

أنها أُتِيتْ ، حين حملَتْ برَسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقيل لها : إنك قد حملتِ بسيّد هذه الأمة ، فإذا وقع إلى الأرض فقُولى : أُعيذه بالواحد ، من شرّ كلّ حاسد ؛ ثم سمّيه[1] محمداً . ورأتْ حين حملت به أنه خَرج منها نورُ رأتْ به قُصور بُصْرى ، من أرض الشام .

---

(١) لايعرف فى العرب من تسمى بهذا الاسم قبله صلى الله عليه وسلم إلا ثلاثة ، طمع آباؤهم حين سمعوا بذكر محمد صلى الله عليه وسلم وبقرب زمانه وأنه يبعث فى الحجاز ، أن يكون ولدا لهم . وهم : محمد بن سفيان بن مجاشع ، جد جد الفرزدق الشاعر ؛ والآخر : محمد بن أحيحة بن الجلاح بن الحريش بن جحجبى بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ؛ =

ثم لم يلبثْ عبدُ الله بن عبد المطلب [١]، أبو رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، أنْ هَلك، وأمّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حاملٌ به [١].[٢]

موت عبدالله

ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاعته

رأى ابن إسحاق فى مولده صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق:

٥ ولد رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يوم الاثنين، لاثنتى عشرة ليلةً خلتْ من شهر ربيع الأول، عامَ الفيل [٣].

رواية قيس ابن مخرمة عن مولده صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق: حدّثنى المطّلب بن عبد الله بن قَيْس بن مَخْرمة عن أبيه عن جدّه قيس بن مَخْرمة قال:

ولدتُ أنا ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عامَ الفيل، فنحن لِدان [٤].

---

١٠ = والآخر: محمد بن حمران بن ربيعة. وكان آباء هؤلاء الثلاثة قد وفدوا على بعض الملوك، وكان عنده علم من الكتاب الأول، فأخبرهم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم وباسمه، وكان كل واحد منهم قد خلف امرأته حاملا. فنذر كل واحد منهم إن ولد له ذكر أن يسميه محمداً، ففعلوا ذلك. (راجع الفصول لابن فورك، والروض الأنف).

(١) كذا فى ا. وفى سائر الأصول: «قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام. قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن إسحاق المطلبي قال... الخ». ١٥

(٢) أكثر العلماء على أن عبد الله مات ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى المهد، ابن شهرين أو أكثر من ذلك. وقيل بل مات عبد الله عند أخواله بنى النجار ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ثمان وعشرين شهراً. ويقال إنه دفن فى دار النابغة فى الدار الصغرى، إذا دخلت الدار على يسارك فى البيت. (راجع الطبرى والروض الأنف).

٢٠ (٣) اختلف فى مولده صلى الله عليه وسلم، فذكر أنه كان فى ربيع الأول، وهو المعروف. وقال الزبير: كان مولده فى رمضان. وهذا القول موافق لقول من قال: إن أمه حملت به فى أيام التشريق. ويذكرون أن الفيل جاء مكة فى المحرم وأنه صلى الله عليه وسلم ولد بعد مجيء الفيل بخمسين يوما. وكانت ولادته صلى الله عليه وسلم بالشعب؛ وقيل بالدار التى عند الصفا، وكانت بعد لمحمد بن يوسف أخى الحجاج، ثم بنتها زبيدة مسجدا حين حجت. (راجع الروض الأنف والطبقات الكبرى لابن سعد والطبرى). ٢٥

(٤) كذا فى ا. ولدان: مثنى لدة. واللدة: الترب، والهاء فيه عوض عن الواو الذاهبة من أوله، لأنه من الولادة. وفى سائر الأصول: «لدتان». ولم تذكره كتب اللغة.

رواية حسان ابن ثابت عن مولده صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدّثنى صالح بن[1] إبراهيم بن عبد الرحمن بن عَوْف عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سَعْد بن زُرارة الأنصارى . قال حدثنى من شِئْت من رجال قومى عن حسّان بن ثابت قال :

والله إنى لغلام[2] يَفَعة . ابن سبع سنين أو ثمان ، أعْقِل كلَّ ما سمعت ، إذ سمعتُ يهوديًّا يصرخ بأعلى صوته على أُطَمة[3] بيثرب : يامعشر يهود . حتى إذا اجتمعوا إليه قالوا له : ويلك ! مالك ؟ قال : طَلَع الليلةَ نجمُ أحمد الذى وُلد به .

قال محمد بن إسحاق :

فسألت سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت فقلت : ابْنُ كمْ كان حسّان بن ثابت مَقْدَمَ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم المدينة ؟ فقال : ابن ستّين [سنة][4] ، وقَدِمها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وهو ابن ثلاث وخَمْسين سنةً ، فسمع حسّانُ ما سَمِع وهو ابنُ سبع سنين .

إعلام أمه جده بولادته صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق :

فلما وضعتْه أمهُ صلّى الله عليه وسلّم أرسلت إلى جدّه عبدِ المطلب : أنه قد وُلد لك غلام ، فَأْتِه فانظرُ إليه ؛ فأتاه فنظر إليه ، وحدَّثتْه بما رأت حين حَمَلتْ به ، وما قيل لها فيه ، وما أُمرتْ به أن تُسمّيه .

فرح جده به صلى الله عليه وسلم والتماسه له المراضع

فيزعمون أن عبد المطلب أخذه ، فدخل به الكعبةَ. فقام يدعو الله ، ويشكر

---

(1) هو صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف بن عمران الزهرى المدنى ، روى عن أبيه وأنس ومحمود بن لبيد والأعرج وغيرهم . وعنه ــ غير ابن إسحاق ــ ابنه سالم والزهرى ويونس بن يعقوب الماجشون وجماعة . مات بالمدينة فى خلافة هشام بن عبد الملك . (عن تراجم رجال) .

(2) غلام يفعة : قوى قد طال قده ، مأخوذ من اليفاع ، وهو العالى من الأرض .

(3) الأطمة (بفتحتين) : الحصن .

(4) زيادة عن ا .

له ما أعطاه ، ثم خرج به إلى أمّه فدفعه إليها[1] . والتمس لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم الرضعاء .

قال ابن هشام :

المراضع . وفى كتاب الله تبارك وتعالى فى قصة موسى عليه السلام : « وحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ[2] » . ٥

نسب حليمة ونسب أبيها

قال ابن إسحاق :

فاسْترضع له[3] امرأةً من بنى سَعْد بن بكر ، يقال لها : حليمة ، ابنةُ أبى ذُؤَيب .

وأبو ذؤيب : عبد الله بن الحارث بن شِجْنة بن جابر بن رِزام بن ناصرة ابن فُصَيَّة[4] بن نصر[5] بن سَعْد بن بكر بن هَوازن بن مَنْصور بن عِكرمة ١٠ ابن خَصَفَة بن قَيْس بن عَيلان .

---

(١) وفى رواية أخرى أن عبد المطلب عوذه بشعر منه .

الحمـــد لله الذى أعطانى هـــذا الغلام الطيب الأردان

قد ساد فى المهد على الغلمان أعيذه بالبيت ذى الأركان

(راجع الروض الأنف) . ١٥

(٢) المعروف أن المراضع : جمع مرضع . وعلى هذا تخرج رواية ابن إسحاق على أحد وجهين ، أحدهما : حذف المضاف ، كأنه قال : ذوات الرضعاء . والثانى : أن يكون أراد بالرضعاء : الأطفال على حقيقة اللفظ ، لأنهم إذا وجدوا له مرضعة ترضعه فقد وجدوا له رضيعا يرضع معـــه . فلا يبعد أن يقال : التمسوا له رضيعا ، علما بأن الرضيع لابد له من مرضع . (راجع الروض الأنف) . ٢٠

(٣) كذا فى ا . واسترضعت المرأة ولدى : طلبت منها أن ترضعه . وفى سائر الأصول : « واسترضع له من امرأة » .

(٤) فى الأصول : « قصية » بالقاف . وهو تصحيف . (راجع الروض الأنف ، وشرح السيرة ، والطبقات) .

(٥) فى الطبرى هنا وفيما سيأتى فى نسب الحارث : « قصية بن سعد » . بإسقاط « نصر » . ٢٥

نسب أبيه صلى الله عليه وسلم في الرضاع

واسم أبيه الذي أرضعه صلّى الله عليه وسلّم: الحارثُ بن عَبْد العُزّى بن رفاعة ابن مَلّان بن ناصرة بن فُصيّة[1] بن نَصْر بن سَعْد بن بَكْر بن هَوازن[2].

قال ابن هشام: ويقال: هلال بن ناصرة.

إخوته صلى الله عليه وسلم من الرضاع

قال ابن إسحاق:

وإخوته من الرضاعة: عبدُ الله بن الحارث، وأُنَيسة بنت الحارث وحُذافة[3] بنت الحارث، وهي الشَّيماء[4]، غلب ذلك على اسمها فلا تُعرف في قومها إلا به. وهم لحَليمة بنت أبي ذُؤَيب، عبدِ الله بن الحارث، أمّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

ويذكرون أن الشَّيماء كانت تحضنه مع أمها[5] إذا كان عندهم[6].

---

(١) كذا في م هنا. وفي سائر الأصول: «قصية» بالقاف. وهو تصحيف.

(٢) ويقال إن الحارث قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة حين أنزل عليه القرآن فقالت له قريش: ألا تسمع ياحار مايقول ابنك هذا؟ فقال: وما يقول؟ قالوا: يزعم أن الله يبعث بعد الموت، وأن لله دارين يعذب فيهما من عصاه ويكرم من أطاعه، فقد شتت أمرنا وفرق جماعتنا، فأتاه فقال: أي بنيّ، مالك ولقومك يشكونك ويزعمون أنك تقول: إن الناس يبعثون بعد الموت، ثم يصيرون إلى جنة ونار؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا أزعم ذلك، ولوقد كان ذلك اليوم يا أبت لقد أخذت بيدك حتى أعرفك حديثك اليوم. فأسلم الحارث بعد ذلك وحسن إسلامه، وكان يقول حين أسلم: لوقد أخذ ابني بيدي فعرفني ما قال لم يرسلني إن شاء الله حتى يدخلني الجنة. (راجع الروض الأنف، وشرح المواهب والإصابة).

(٣) في الإصابة: «خذامة»، وهي بكسر الخاء المعجمة كما نبه على ذلك السهيلي وأبو ذر، وقد ذكر السهيلي وأبو ذر وابن حجر ما أثبتناه رواية أخرى، وانفرد أبو ذر بالتنبيه على أنه هو الصواب. وفي ا والطبري: والطبقات «جدامة» وبها جزم ابن سعد في الطبقات على أنها «جدامة» بالجيم والدال المهملة.

(٤) ويقال إنها: «الشيماء» بلا ياء (راجع شرح المواهب).

(٥) كذا في الطبري. وفي الأصول: «أمه».

(٦) ويقال إن أول من أرضعته صلى الله عليه وسلم: ثوبية، أرضعته بلبن ابن لها يقال له: مسروح، أياما قبل أن تقدم حليمة. وكانت قد أرضعت قبله حمزة بن عبد المطلب المخزومي. كما أرضعت عبد الله بن جحش، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف ذلك لثويبة ويصلها من المدينة. فلما افتتح مكة سأل عنها وعن ابنها مسروح، فأخبر أنهما ماتا، وسأل عن قرابتهما فلم يجد أحدا منهم حيا، وكانت ثويبة جارية لأبي لهب. كما يقال إنه صلى الله عليه وسلم رضع أيضاً من غيرهاتين. (راجع الطبري والروض الأنف والاستيعاب وشرح المواهب).

حديث حليمة عما رأته من الخير بعد تسلمها له صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدّثنى جَهْم بن أبى جَهْم مولى الحارث بن حاطب الجُمحىّ عن عبد الله بن جَعْفر بن أبى طالب . أو عمّن حدّثه عنه قال :

كانت حليمة بنت أبى ذُؤَيب السَّعْدية . أمّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم التى أرْضعته ، تحدّث : أنها خرجتْ من بَلَدها مع زوجها ، وابن لها صغير[1] تُرضعه فى نِسْوة من بَنى سَعْد بن بَكْر ، تلتمس الرُّضعاء قالت : وذلك فى سنة[2] شَهْباء . لم تُبْق لنا شيئاً . قالت : فخرجت على أتان لى قَمراء[3] ، معنا شارف[4] لنا ، والله ما تَبِضّ[5] بقَطرة ، وما ننام ليلَنا أجمعَ من صَبينا الذى معنا ، من بكائه من الجوع ، مافى ثَدييّ ما يُغْنيه ، وما فى شارفنا ما يغدّيه ـ قال ابن هشام: ويقال يغذّيه[6] ـ ولكنّا كنّا نرجو الغيثَ والفَرَج . فخرجت على أتانى تلك ، فلقد أَدَمْتُ[7] بالرَّكْب حتى شقّ ذلك عليهم ضعفاً وعَجَفا[8] ، حتى قَدِمْنا مكة نلتمس[9] الرضعاء ، فما منّا امرأة إلا وقد عُرض عليها رسولُ الله صلّى الله عليه

(١) يقال إن اسمه عبد الله بن الحارث . (راجع شرح المواهب والمعارف والطبقات) .

(٢) كذا فى الطبرى . وفى ا : « وفى سنة . . . الخ » . وفى سائر الأصول : « وهى فى سنة . . . الخ » .

(٣) القمرة (بالضم) : لون إلى الخضرة ، أو بياض فيه كدرة . يقال : حمار أقمر ، وأتان قمراء .

(٤) الشارف : الناقة المسنة .

(٥) ما تبض : ما ترشح بشىء .

(٦) وماذكره ابن هشام أتم فى المعنى من الاقتصار على ذكر الغداء دون العشاء . ويروى : « ما يعذبه » أى ما يقنعه حتى يرفع رأسه وينقطع عن الرضاع .

(٧) كذا فى ا . ولقد شرحها أبو ذر فقال : فلقد أدمت بالركب ، أى أطلت عليهم المسافة لتمهلهم عليها ، مأخوذ من الشىء الدائم . وفى سائر الأصول : « أذمت » . وأذمت الركاب : أعيت وتخلفت عن جماعة الإبل ، ولم تلحق بها . يريد أنها تأخرت بالركب ، أى تأخر الركب بسببها .

(٨) العجف : الهزال .

(٩) يذكرون فى دفع قريش وغيرهم من أشراف العرب أولادهم إلى المراضع أسبابا ، أحدها : تفريغ النساء إلى الأزواج ، كما قال عمار بن ياسر لأم سلمة رضى الله عنها ، وكان أخاها من الرضاعة ، حين انتزع من حجرها زينب بنت أبى سلمة ، فقال : دعى هذه المقبوحة المشقوحة التى أذيت بها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وسلّم فأباه، إذا قيل لها إنه يَتيم، وذلك أنا إنما كنّا نرْجو المعروفَ من أبى الصبىّ، فكنّا نقول: يتيم! وما عسى أن تَصْنع أمُّه وجدُّه! فكنّا نكرهه لذلك، فما بقيت امرأة قدمتْ معى إلا أخذتْ رضيعاً غيرى. فلمّا أجْمعنا الانطلاقَ قلتُ لصاحبى: والله إنى لأكره أن أرجعَ من بين صَواحبى ولم آخذْ رضيعاً، والله لأذهبنّ إلى ذلك اليَتيم فلآخذنّه؛ قال: لا عليك أن تفْعلى، ٥
عسى الله أن يجعلَ لنا فيه بركةً. قالت[1]: فذهبتُ إليه فأخذته، وما حَمَلنى على أَخْذه إلا أنّى لم أجدْ غيرَه. قالت: فلما أخذتُه رجعت به إلى رَحْلى، فلما وضعته فى حِجْرى[2] أقبلَ عليه ثَدياى بما شاء من لبن، فشرب حتى روى، وشرب معه أخوه حتى روى[3]، ثم ناما، وما كنّا ننام معه قبلَ ذلك، وقام زوجى إلى شارِفنا تلك، فإذا إنها لحافل، فحَلَب منها ما شَرب. وشربتُ معه ١٠
حتى انتهينا رِيًّا وشِبَعا، فبتنا بخيرليلة. قالت: يقول صاحبى حين أصبحنا: تَعلمى[4] والله ياحَليمة. لقد أخذت نسمةً مباركة. قالت: فقلت: والله إنى لأرجو ذلك.

= وقد يكون ذلك منهم لينشأ الطفل فى الأعراب فيكون أفصح لسانا وأجلد لجسمه وأجدر ألا يفارق الهيئة المعدية، كما قال عمر رضى الله عنه: تمعددوا تمعززوا واخشوشنوا. ولقد قال عليه السلام لأبى بكر رضى الله عنه حين قال له: مارأيت أفصح منك يارسول الله؟ فقال: ١٥ وما يمنعنى وأنا من قريش، وأرضعت فى بنى سعد.

فهذا ونحوه كان يحملهم على دفع الرضعاء إلى المرضعات الأعرابيات. وقد ذكر أن عبد الملك بن مروان كان يقول: أضرّ بنا حب الوليد. لأن الوليد كان لحانا وكان سليمان فصيحا، لأن الوليد أقام مع أمه، وسليمان وغيره من إخوته سكنوا البادية فتعربوا ثم أدبوا فتأدبوا. (راجع الروض الأنف وشرح المواهب). ٢٠

(١) كذا فى ا. وفى سائر الأصول: «قال» ولعل تذكير الفعل على معنى الشخص.

(٢) ويقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لايقبل إلا على ثدى واحد، وكان يعرض عليه الثدى الآخر فيأباه، كأنه قد أشعر عليه الصلاة والسلام أن معه شريكا فى لبانها. (راجع الروض الأنف).

(٣) كذا فى أكثر الأصول والطبرى. وفى ا والروض الأنف: «رويا». ٢٥

(٤) كذا فى الأصول. يريد: اعلمى. وفى الطبرى: «أتعلمين... الخ».

قالت : ثم خرجنا وركبت [أنا][1] أتانى ، وحملتُه عليها معى . فوالله لقطعتْ بالرَّكب ، ما يَقْدِر عليها[2] شىء من حُمُرهم ، حتى إنّ صَواحبى ليقلْن لى : يابنة أبى ذُؤَيب ، ويحك ! اربَعى[3] علينا ، أليست هذه أتانك التى كنت خرجتْ عليها ؛ فأقول لهن : بلى والله ، إنها لهى هى ؛ فيقلن : والله إن لها لشأنا . قالت :

٥ ثم قَدِمْنا منازلَنا من بلاد بَنى سَعْد ، وما أعلم أرضاً من أرض الله أجدبَ منها ، فكانت غَنمى تروح علىّ حين قَدِمْنا به معنا شِباعاً لُبّناً ، فنحلُب ونشرب ، وما يحلُب إنسان قَطْرة لبن ، ولا يجدها فى ضَرع ، حتى كان الحاضرون من قَوْمنا يقولون لرُعْيانهم : ويلكم اسْرَحُوا حيث يسرَح راعى بنت أبى ذُؤَيب، فتروح أغنامهم جياعًا ما تَبِضّ بقطرة لبن ، وتروح غَنمى شِباعاً لُبنا . فلم نزل نتعرّف

١٠ من الله الزيادةَ والخير[4] حتى مضت سنتاه[5] وفصلتُه ، وكان يشِبّ شَبابا لا يشبّه الغِلمان ، فلم يبلغ سنَتيْه حتى كان غلامًا جَفْرا[6] . قالت : فقَدِمْنا به على أمّه ونحن أحرصُ شىء على مُكْثه فينا ، لما كنّا نرى من بَركته . فكلّمنا أمّه وقلت لها : لو تركتِ بُنَىّ عندى حتى يغلُظَ ، فإنى أخشى عليه وَبأ[7] مكة ، قالت : فلم نزل بها حتى ردّته معنا .

١٥ قالت : فرجعنا به ، فوالله إنه بعد مَقْدمنا [به][1] بأشهر مع أخيه لفى بَهْم[8] لنا خلف بيوتنا ، إذ أتانا أخوه يَشْتدّ[9] ، فقال لى ولأبيه :

حديث الملكين اللذين شقا بطنه صلى الله عليه وسلم

---

(١) زيادة عن ا .

(٢) فى ا : « علىّ » .

(٣) اربعى : أقيمى وانتظرى . يقال : ربع فلان على فلان ، إذا أقام عليه وانتظره . ومنه

٢٠ قول الشاعر :

* عودى علينا واربعى يا فاطما *

(٤) كذا فى أكثر الأصول . وفى ا : « الزيادة والخيرة » . وفى الطبرى : « زيادة الخير » .

(٥) فى الطبرى : « سنتان » .

(٦) الجفر : الغليظ الشديد .

٢٥ (٧) الوبأ (يهمز ويقصر) والوباء (بالمد) : الطاعون .

(٨) البهم : الصغار من الغنم ، واحدتها : بهمة .

(٩) اشتد فى عدوه : أسرع .

ذلك أخى القُرشىّ قد أخذه رجلان عليهما ثياب بِيض فأضجعاه ، فشقّا بطنَه ، فهما يَسُوطانه[1] . قالت : فخرجت أنا وأبوه نحوه ، فوجدناه قائمًا مُنْتقِعًا[2] وجهُه . قالت : فالتزمته والتزمه أبوه ، فقلنا له : مالك يا بُنى ؟ قال : جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض ، فأضجعانى وشقّا بطنى ، فالتمسا [فيه] شيئًا لا أدرى ما هو . قالت : فرجعنا [به][3] إلى خِبائنا .

رجوع حليمة به صلى الله عليه وسلم إلى أمه

قالت : وقال لى أبوه يا حَليمة ، لقد خشيتُ أن يكون هذا الغلامُ قد أُصيب ، فأَلحقيه بأهلِه قبل أن يظهر ذلك به ، قالت : فاحتملناه فقدِمنا به على أمه ، فقالت : ما أقْدمك به يا ظِئْر[4] وقد كنتِ حريصةً عليه ، وعلى مُكْثه عندك ؟ قالت : فقلت[5] : قد بلغ الله بابنى وقضيتُ الذى علىّ ، وتخوّفتُ الأحداث ، عليه فأدّيته إليك[6] كما تُحبّين ؛ قالت : ما هذا شأنك ، فاصدُقينى خَبَرَك . قالت : فلم تدعْنى حتى أخبرتُها . قالت : أفتخوّفتِ عليه الشيطانَ ؟ قالت : قلت : نعم ؛ قالت : كلاّ ، والله ما للشيطان عليه من سَبيل ، و إن لبُنَىَّ لشأنا ، أفلا أخبرُكِ خبرَه قالت : [قلت][3] بلى ؛ قالت : رأيتُ حين حملتُ به أنه خَرَج منّى نورٌ أضاء[7] لى قُصورَ بُصْرَى[8] من أرض الشام ، ثم حملتُ به ، فوالله ما رأيتُ من حَمْل قطُّ كان أخفّ [على][3]

(١) يقال : سطت اللبن أو الدم أوغيرهما أسوطه : إذا ضربت بعضه ببعض . ولهم العود الذى يضرب به : السوط .

(٢) منتقعا وجهه : أى متغيرا ، يقال : انتقع وجهه وامتقع (بالبناء للمجهول) : إذا تغير .

(٣) زيادة عن ا والطبرى .

(٤) الظئر (بالكسر) : العاطفة على ولد غيرها المرضعة له ، فى الناس وغيرهم ، فهو أعم من المرضعة ، لأنه يطلق على الذكر والأنثى .

(٥) كذا فى ا والطبرى . وفى سائر الأصول : « فعلت : نم قد بلغ . . . الخ » .

(٦) كذا فى الطبرى . وفى الأصول : « عليك » .

(٧) كذا فى ا والطبرى . وفى سائر الأصول : « أضاء لى به قصور . . . الخ) .

(٨) بصرى (بالضم والقصر) : من أعمال دمشق بالشام ، وهى قصبة كورة حوران ، مشهورة عند العرب قديماً وحديثا ، ولهم فيها أشعار كثيرة . (راجع معجم البلدان) .

ولا أيسرَ منه ، ووقع حين ولدته و إنه لواضعٌ يَدَيْه بالأرض ، رافعٌ رأسَه إلى السماء ، دَعِيه عنك وانطلقى راشدةً .

تعريفه صلى الله عليه وسلم بنفسه وقد سئل عن ذلك

قال ابن إسحاق وحدّثنى ثَوْر[1] بن يزيد عن بعض أهل العلم ، ولا أحسبه إلا عن خالد بن مَعْدان[2] الكَلاعى .

أنّ نفرًا من أصحاب رسول الله صلّى اللّه عليه وسلّم قالوا له : يا رسول الله : أخبِرْنا عن نَفْسك ؟ قال : نعم . أنا دعوة أبى إبراهيم[3] ، و بُشْرى [أخى][4] عيسى ، ورأتْ أمّى حين حملتْ بى أنه خرج منها نور أضاء لها قُصورَ الشام[5] ، واستُرضعتُ فى بَنى سَعْد بن بَكْر ، فبينا أنا مع أخٍ لى خلفَ بُيوتنا نرعى بَهْماً لنا ، إذ أتانى رجلان عليهما ثيابٌ بيض بطَسْت من ذهب مملوءة ثلجا ، ثم أخذانى فشقّا بطنى ، واستخرجا قَلْبى فشقّاه ، فاستخرجا منه علقةً سوداء فطرحاها ، ثم غسَلا قلبى و بَطْنى بذلك الثلج حتى أنْقَياه[6] ، ثم قال أحدُهما

---

(١) هو ثور بن يزيد الكلاعى ، ويقال الرحبى ، أبو خالد الحمصى أحد الحفاظ العلماء . روى عن خالد هذا وحبيب بن عبيد وصالح بن يحيى وغيرهم ، وروى عنه ابن مبارك ويحيى القطان ، وخلق كثير ، وكان يرى القدر . ومات سنة ثلاث وخمسين ومئة وهو ابن بضع وستين سنة ، وقيل مات سنة خمس وخمسين ومئة : (راجع تراجم رجال) .

(٢) هو خالد بن معدان بن أبى كريب الكلاعى أبو عبد الله الشامى الحمصى . روى عن ثوبان وابن عمرو وابن عمر وغيرهم . وروى عنه بجير بن سعيد ومحمد بن إبراهيم بن الحارث وغيرهما . توفى سنة ١٠٣ ، وقيل سنة ١٠٤ ، وقيل سنة ١٠٨ . (راجع تهذيب التهذيب) .

(٣) كذا فى أكثر الأصول والطبرى . وفى ا : « دعوة إبراهيم » .

(٤) زيادة عن الطبرى .

(٥) وتأويل هذا النور ما فتح الله عليه من تلك البلاد حتى كانت الخلافة فيها مدة بنى أمية ، واستضاءت تلك البلاد وغيرها بنوره صلى الله عليه وسلم . ويحكى أن خالد بن سعيد بن العاصى رأى قبل البعث بيسير نورا يخرج من زمزم حتى ظهرت له البسر فى نخيل يثرب ، فقصها على أخيه عمرو ، فقال له : إنها حفيرة عبد المطلب وإن هذا النور منهم . فكان ذلك سبب مبادرته إلى الإسلام . (راجع الروض الأنف) .

(٦) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « قال : ثم قال ... الخ »

لصاحبه زِنه بعشرة من أُمّته ، فوزَنَنى بهم فوزنتُهم ، ثم قال : زِنه بمئة من أُمّته ، فوزننى بهم فوزنتُهم ، ثم قال : زنه بألف من أُمّته ، فوزننى بهم فوزَنتُهم ؛ فقال : دعه عنك ، فوالله لو وزنتَه بأمّته لوزنها[1] .

قال صلى الله عليه وسلم : إنه هو والأنبياء قبله رعوا الغنم

قال ابن إسحاق :

وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يقول : ما من نبيّ إلا وقد رَعَى الغنم ؛ قيل : وأنت يا رسولَ الله قال : وأنا[2] .

اعتزازه صلى الله عليه وسلم بقرشيته واسترضاعه فى بنى سعد

قال ابن إسحاق .

وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول لأصحابه : أنا أعربكم . أنا قرشى واستُرضعتُ فى بنى سَعْد بن بكر .

افتقدته حليمة صلى الله عليه وسلم حين رجوعها به ووجده ورقة ابن نوفل

قال ابن إسحاق :

وزعم الناسُ فيما يتحدّثون ، والله أعلم : أنّ أُمّه السعديّة لما قدِمت به مكّةَ أضلّها فى الناس وهى مقبلةٌ به نحو أهله ، فالتمسته فلم تجده ، فأتت عبد المطّلب ، فقالت له : إنى قد قدمت بمحمّد هذه الليلةَ . فلما كنتُ بأعلَى مكّة أضلّنى ، فوالله ما أدرى أين هو : فقام عبد المطلب عند الكعبة يدعو اللهَ أن يردّه . فيزعمون أنه وجدَه ورقةُ بنُ نوفل بنِ أَسَد ، ورجلٌ آخر من قُريش ، فأَتَيا به عبدَ المطلب ، فقالا له : هذا أبنك وجدناه بأعلَى مكة ، فأخذه عبدُ المطلب ، فجعله عَلَى عُنقه وهو يطوف بالكعبة يُعوّذه ويدعو له ، ثم أرسل به إلى أمه آمنة .

---

(١) وزاد الطبرى بعد هذا : « قال ثم ضمونى إلى صدرهم ، وقبلوا رأسى وما بين عينى ، ثم قالوا : ياحبيب ، لم ترع ، إنك لوتدرى مايراد بك من الخير لقرت عينك » .

(٢) المعروف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رعى الغنم فى بنى سعد مع أخيه من الرضاعة ، وأنه رعاها بمكة أيضاً على قراريط لأهل مكة . (راجع الروض الأنف) .

قال ابن إسحاق : وحدّثني بعضُ أهل العلم :

أن ممّا هاج أمّه السَّعْدية عَلَى ردّه إلى أمه ، مع ماذكرتْ لأمه مما أخبرتْها عنه ، أنّ نَفَراً من الحَبشة نصارى ، رأوْه معها حين رجعتْ به بعدَ فِطامه ، فنظروا إليه وسألوها عنه وقلّبوه ، ثم قالوا لها : لنأخذنّ هذا الغلامَ، فلنذهبنّ به إلى مَلِكنا وبَلَدنا ، فإنّ هذا غلامٌ كائن له شأن نحن نعرف أمرَه ، فزعم الذى حدّثنى أنها لم تكَدْ تنفلت به منهم .

وفاة آمنة وحال رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جده عبد المطلب بعدها

وفاة آمنة

قال ابن إسحاق :

وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مع أمّه آمنة بنت وَهْب . وجدّه عبد المطلب بن هاشم فى كِلاَءة الله وحِفْظه ، يُنبته الله نباتا حسناً لما يريد به من كرامته ، فلما بلغ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ستّ سنين ، توفيت أمّه آمنة بنت وَهْب .

قال ابن إسحاق : حدّثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حَزم :

أن أم رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلّم آمنة تُوفّيت ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ابن ست سنين بالأبْواء . بين مكة والمدينة . كانت قد قَدِمت به على أخواله من بَنى عَدِىّ بن النجّار . تُزِيره إيّاهم ، فماتت وهى راجعة به إلى مكّة[1] .

سبب خؤولة بنى عدى بن النجار لرسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن هشام :

أم عبد المطلب بن هاشم : سَلْمى بنت عمرو النجّارية . فهذه الخؤولة التى

(١) ويقال إن قبر آمنة بنت وهب فى شعب أبى ذر بمكة . (راجع الطبرى) .

ذكرها ابنُ إسحاق لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيهم .

إكرام عبد المطلب له صلى الله عليه وسلم وهو صغير

قال ابن إسحاق :

فكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مع جدّه عبد المطلب بن هاشم ، وكان يُوضع لعبد المطلب فِراش فى ظلّ الكعبة ، فكان بَنوه يجلسون حول فِراشه ذلك حتى يخرج إليه . لا يجلس عليه أحدٌ من بنيه إجلالاً له . قال : فكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يأتى وهو غُلام جَفْر ، حتى يجلس عليه ، فيأخذه أعمامُه ليؤخّروه عنه ، فيقول عبدالمطلب ، إذا رأى ذلك منهم : دَعُوا ابْنى ، فوالله إن له لشأناً ؛ ثم يُجلسه معه على الفراش[1] ، ويمسح ظهرَه بيده ، ويسرّه مايراه يصنع .

وفاة عبد المطلب وما رُثى به من الشعر

وفاة عبد المطلب ، وما قيل فيه من الشعر

فلما بلغ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ثمانى سنين هلَك عبدُ المطّلب ابنُ هاشم . وذلك بعدَ الفِيل بثمانى سنين .

قال ابن إسحاق : حدثنى العبّاس[2] بن عبد الله بن مَعْبَد بن العباس عن بعض أهله :

أن عبد المطّلب تُوفى ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلم ابنُ ثمانى سنين[3] .

قال ابن إسحاق : حدّثنى محمد بن سَعيد بن المُسيِّب :

أن عبد المطلب لما حضرتْه الوفاةُ وعرَف أنه ميّت جمع بناتِهِ ، وكنّ

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « . . . معه عليه . . . الخ » .

(٢) هو العباس بن عبد الله بن معبد بن العباس بن عبد المطلب الهاشمى المدنى . روى عن أخيه إبراهيم وأبيه وعكرمة وغيرهم . وروى عنه ابن جريج وابن إسحاق ووهيب وسفيان بن عيينة والدراوردى . (عن تراجم رجال) .

(٣) وبعضهم يقول : توفى عبد المطلب ورسول الله ابن عشر سنين . (راجع الطبرى) .

ستّ نِسْوة : صفيّة ، وبَرّة ، وعاتكة ، وأم حَكيم البَيْضاء ، وأُمَيْمة ، وأَرْوى ، فقال لهن : أبكين عليّ حتى أسمع ما تقلن قبل أن أموت .

قال ابن هشام :

ولم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر ، إلا أنه لمّا[1] رواه

٥ عن محمد بن سَعيد بن المُسيِّب كتبناه .

رثاء صفية لأبيها عبد المطلب

فقالت صَفِيّة بنةُ عبد المطّلب تَبْكى أباها :

أَرِقتُ لصوت نائحةٍ بليْلٍ على رَجُل بقارعةِ الصَّعيدِ

ففاضت عند ذلكمُ دموعى[2] على خدّى كمُنْحدِرِ الفَريد[3]

على رَجُل كريم غيرِ وَغْل[4] له الفضلُ المُبين على العَبيد

١٠ على الفيّاض شَيْبة ذى المَعالى أبيكِ الخير وارثِ كلّ جُود[5]

صَدُوق فى المَواطن غيرِ نِكْس ولا شَخْت المقام ولا سَنِيد[6]

طَويل الباع أَرْوع شَيظَمِىّ[7] مُطاعٍ فى عَشيرته حَميد

رَفيع البيت أبْلجَ ذى فُضول وغَيْث الناس فى الزَّمن[8] الحَرُودِ[9]

---

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى ا : « إلا أنه رواه . . . كما كتبناه » .

١٥ (٢) كذا فى أكثر الأصول . وفى ا :

* ففاضت عند ذاك دموع عينى *

(٣) الفريد : الدر .

(٤) الوغل : الضعيف النذل الساقط المقصر فى الأشياء .

(٥) أرادت « الخير » بالتشديد فخففت ، ويجوز أن يكون الخير (هاهنا) : ضد الشر ، جعلته

٢٠ كله خيرا على المبالغة .

(٦) النكس : الرجل الضعيف الذى لاخير فيه . والشخت (بالفتح وبالتحريك) : الدقيق الضامر من الأصل لاهزالا والسنيد : الضعيف الذى لايستقل بنفسه حتى يسند رأيه إلى غيره .

(٧) الشيظمى : الفتى الجسيم .

(٨) فى ا : « فى الزمان » . ولا يستقيم بها الوزن .

٢٥ (٩) كذا فى أكثر الأصول . والحرود : الناقة القليلة الدر ، شبه الزمن فى جد به بها . وفى ا : « الجرود » . والجرود : جمع جرد ، وهو المكان لانبات فيه .

كريم الجدّ ليس بذِى وُصُوم[1] يَروق على المسوّد والمَسُود
عظيمِ الحِلْم من نفرٍ كِرام خضارمة ملاوثةٍ أُسود[2]
فلو خَلَد امرؤٌ لِقديم مَجْد ولكنْ لا سبيلَ إلى الخُلود
لكان مُخلَّداً أُخرَى الليالى لِفضْل المَجْد والحَسب التَّليد

رثاء برة لأبيها عبد المطلب

وقالت برّة بنت عبد المطلب تبكى أباها :

أعينىّ جُودا بدَمْع دُرَرْ عَلَى طَيّب الخِيم والمُعْتَصر[3]
عَلَى ماجدِ الجدّ وارى الزِّناد جميلِ المُحيّا عظيمِ الخَطَر
على شَيْبة الحَمْد ذى المَكْرُمات وذى المَجْد والعزّ والمُفْتخر
وذى الحِلْم والفَضْل فى النّائبات كثيرِ المَكارم جَمّ الفَجَر[4]
له فضلُ مَجْدٍ على قَوْمه مُنير يَلوحُ كضوء القَمر
أتتْه المَنايا فلم تَشْوِه[5] بصَرْف اللّيالى وَرَيب القدر[6]

رثاء عاتكة لأبيها عبد المطلب

وقالت عاتكةُ بنت عبد المطّلب تَبْكى أباها :

أعينىّ جُودَا ولا تَبْخلاَ بدَمْعكما بعد نَوْم النّيامْ
أعينىّ واسْتَحْنفِرَا واسْكُبا وشُوبَا بكاءَكما بالْتِدام[7]
أعينىّ واستَخْرِطا واسجُما عَلَى رَجُل غير نِكْس كَهام[8]

---

(١) الوصوم : جمع وصم ، وهو العار .

(٢) الخضارمة : جمع خضرم (كزبرج) . وهو الجواد المعطاء والسيد الحمول . والملاوثة : جمع ملوات ، من اللوثة ، وهى القوة ، ومنه قول المكعبر :

* عند الحفيظة إن ذو لوثة لانا *

(٣) الخيم (بالكسر) : السجية والطبيعة . ومعنى كونه طيب المعتصر ، أنه جواد عند المسألة .

(٤) الفجر : العطاء ، والكرم ، والجود ، والمعروف ، والمال وكثرته .

(٥) لم تشوه : لم تصب الشوى بل أصابت المقتل . والشوى : الأطراف .

(٦) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « وبيث القمر » وهو تحريف .

(٧) استحنفر المطر وغيره : كثر صبه . والالتدام : ضرب النساء وجوههن فى النياحة .

(٨) استخرط الرجل فى البكاء : لج فيه . والكهام : الرجل الكليل المسن . يريد أنه ليس بنكس ، أى ضعيف ولا كليل .

عَلَى الجَحْفل الغَمْر فى النائبات　　كريم المَساعى وَفىّ الذِّمام[1]

عَلَى شَيْبة الحَمْد وارى الزِّناد　　وذِى مَصْدق بعدُ ثَبْت المَقام

وسيفٍ لدَى الحَرْب صَمْصامة　　ومُرْدِى المُخاصم عند الخِصام

وسَهْل الخَليقة طَلْق اليَدَيْن　　وَفِى[2] عُدْ مُلِىّ صَمِيمٌ لُهام[3]

٥ تبنَّكَ فى باذخٍ . بَيْتُه　　رفيعُ الذُّؤابة صَعْب المَرام[4]

رثاء أم حكيم لأبيها عبد المطلب

وقالت أمُّ حَكيم البَيْضاء بنتُ عَبْد المطّلب تَبْكى أباها :

ألاَ يا عينُ جُودِى واستهلِّى　　وَبكِّى ذا النَّدَى والمَكْرُماتِ[5]

ألا يا عينُ وَيحكِ أسْعفينى[6] بدَمْع من دُموعٍ هاطلات

وَبكِّى خيرَ مَنْ رَكِب المَطايا　　أباكِ الخَير تيّار الفُرات[7]

١٠ طَويل البَاع شَيْبة ذا المَعالى　　كَرِيم الخِيم مَحْمود الهِبات[8]

وَصولاً للقَرابة هِبْرزِيّا　　وغَيْثاً فى السِّنين المُمْحلات[9]

ولَيْثاً حين تَشْتجر العوالِى　　تَروقُ له عُيون النّاظرات[10]

عَقيل بَنى كِنانة والمُرَجَّى　　إذا ما الدَّهرُ أقبلَ بالهَنات[11]

---

(١) الجحفل : الرجل العظيم ، والسيد الكريم .

١٥ (٢) خففت الياء من « وفى » ليستقيم الوزن .

(٣) العدملى : الضخم . واللهام (كغراب) : الكثير الخير .

(٤) تبنك : تأصل ، مأخوذ من البنك (بضم الباء) ، وهو أصل الشىء وخالصه . تريد أن بيته تأصل فى باذخ من الشرف .

(٥) استهلى : أظهرى البكاء . وبكى : أمر من بكاه (بالتشديد) ، بمعنى بكى عليه ورثاه .

٢٠ (٦) فى ا : « أسعدينى » . وأسعده : أعانه على البكاء .

(٧) أصله الخير (بالتشديد) خففت الياء . والتيار : معظم الماء . والفرات : الماء العذب .

(٨) الخيم : الطبيعة والسجية .

(٩) الهبرزى : الجميل الوسيم . ويقال : الحاذق فى أموره .

(١٠) تشتجر : تختلط . والعوالى : الرماح . تريد حين تجد الحرب .

٢٥ (١١) الهنات : جمع هنة ، وهى كناية عن القبيح .

وَمَفزعها إذا ماهاج هَيْجٌ بداهية وخَصْم المُعْضِلات (١)
فبكّيه ولا تَسْمى بحُزْن وَبكّى ، ما بَقيتِ ، الباكيات (٢)

رثاء أميمة لأبيها عبد المطلب

وقالت أُمَيْمة بنتُ عَبْد المطّاب تَبْكى أباها :

ألا هَلَكَ الرّاعى العشيرة ذو الفَقْدِ وساقِى الحَجيج وللُحامى عن المَجْدِ (٣)
ومن يُؤْلف الضيفَ الغريبَ بيوتَه إذا ما سماء الناسِ تَبْخَل بالرّعد ٥
كسبتَ وليداً خَيْرَ مايكسبُ الفتى فلم تَنفَكك تزدادُ يا شيبةَ الحَمْد
أبو الحارث الفيّاض خلّى مكانهُ فلا تبعدن فكلّ حيّ إلى بُعْد
فإنى لَباكٍ ما بقيتُ ومُوجَع وكان له أهلاً لما كان من وَجْدى (٤)
سقاكَ ولىُّ الناس فى القَبْر مُمْطِرًا فسوف أُبكّيه وإن كان فى اللَّحْد
فقد كان زَيْناً للعشيرة كلّها وكان حَميدًا حيث ما كان من حَمْد ١٠

رثاء أروى لأبيها عبد المطلب

وقالت أرْوى بنتُ عبد المطّاب تَبْكى أباها :

بكتْ عَيْنِى وحقّ لها البُكاء عَلَى سَمْحٍ سَجيّته الحَيا (٥)
عَلَى سَهْل الخَليقَة أبْطحىّ كريم الخِيم نِيَته العَلاء (٦)
عَلَى الفيّاض شَيْبة ذى المَعالى أبيك الخَيْر ليس له كِفاء (٧)

---

(١) مفزعها : ملجؤها . والهيج : الحرب ، وهو من التسمية بالمصدر . ١٥
(٢) ولا تسمى : أى لاتسأمى ، فسهل الهمزة بالنقل ثم حذف .
(٣) الراعى العشيرة : الحافظ لعشيرته . وفى الفقد : الذى يفقد ، تريد الباذل المعطى .
(٤) أخبرت بهذا الشطر عن نفسها إخبار المذكر ، على معنى الشخص ، كما قيل :
قامت تبكيه على قبره من لى من بعدك يا عامر
تركتنى فى الدار ذا غربة قد ذل من ليس له ناصر ٢٠
[تريد : شخصاً ذا غربة] .
(٥) السجية : الطبيعة .
(٦) أى من قريش البطاح : وهم الذين ينزلون بين أخشبي مكة .
(٧) الكفاء : المثل .

طويل الباع أملس شَيْظمىّ أغرّ كأنّ غرّته ضياء[1]
أقبّ الكَشْح أروع ذى فضول له المَجْد المقدّم والسّناء[2]
أبىّ الضَّيْم أبلج هِبْرزىّ قديم المجد ليس له[3] خفاء
ومَعْقل مالكٍ وربيع فِهْر وفاصلها[4] إذا التُمس القضاء
٥ وكان هو الفتى كرمًا وجُودًا وبأسًا حين تنسكب الدّماء
إذا هاب الكُماة الموتَ حتّى كأنّ قلوبَ أكثرهم هواء[5]
مضى قُدُمًا بذى رُبَد خَشيب[6] عليه حين تُبصره البَهاء[7]

قال ابن إسحاق:

فزعم لى محمد بن سَعيد بن المسيّب أنه أشار وقد برأسه أصْمَت[8]:

١٠ أن هكذا فأُبكينى.

نسب المسيب

قال ابن هشام: [و][9] المسيّب[10] ابنُ حَزْن[11] بن أبى وَهْب بن عَمْرو ابن عائذ بن عِمْران بن مَخْزوم.

---

(١) الشيظمى: المقول الفصيح.
(٢) الأقب: الضامر. والكشح: الخصر. والأروع: من يعجبك بحسنه،
١٥ ومنظره وشجاعته.
(٣) كذا فى ا: وفى سائر الأصول: «به».
(٤) كذا فى ا. والفاصل: الذى يفصل فى الخصومات. وفى سائر الأصول: «وفاضلها» بالضاد المعجمة، وما أثبتناه أولى للسياق.
(٥) الكماة: الشجعان. واحدهم: كمى.
٢٠ (٦) الربد (كصرد) الفرند. والخشيب: الصقيل.
(٧) ويروى: «الهباء». يريد به مايظهر على السيف المجوهر تشبيها بالغبار.
(٨) أصمت العليل: اعتقل لسانه.
(٩) زيادة عن ا.
(١٠) أهل العراق يفتحون الياء من «المسيب»، وأهل المدينة يكسرون، ونقل عن
٢٥ سعيد ابنه أنه كان يقول: سيب الله من سيب أبى، وحكى الكسر عياض وابن المدينى.
(١١) روى سعيد بن المسيب، قال: أراد النبى صلى الله عليه وسلم أن يغير اسم جدى ويسميه سهلا فأبى، وقال: لا أغير اسما سمانى به أبى. فما زالت تلك الحزونة فينا. (راجع شرح القاموس مادة حزن).

رثاء حذيفة لعبد المطلب

قال ابن إسحاق :

وقال[1] حُذَيفة[2] بن غانم أخو بنى عَدِىّ بن كَعْب بن لُؤَىّ ، يبكى عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف ، ويَذكر فضلَه وفضلَ قُصىّ على قُرَيش ، وفضلَ وَلَده من بعده عليهم ، وذلك أنه أُخذ بغُرْم أربعة آلاف درهم بمكة . فوقف بها فمرّ به أبو لَهَب عبدُ العزّى بن عبد المطّلب فافتكّه :

أعينىّ جُودَا بالدُّموع على الصَّدر ... ولا تَسْأما أُسْقيتما سَبَل القَطْر[3]

وجُودا بدَمع واسفَحا كلّ شارق ... بُكاءَ امرئٍ لم يُشْوِه نائبُ الدهر[4]

[وسُحّا وجُمّا واسجُما ما بَقيتما[5] ... على ذى حَياء من قُرَيش وذى سِتْر][6]

على رجل جَلْد القُوَى ذى حَفيظة ... جميل المُحَيّا غير نِكْس ولا هَذْر[7]

على الماجد البُهلول ذى الباع والندى[8] ... رَبيع لُؤَىّ فى القُحوط وفى العُسْر[9] ١٠

(١) ويقال إن الشعر لحذافة بن غانم ، وهو أخو حذيفة ، ووالد خارجة بن حذافة . وله يقول فى هذه القصيدة :

* فخارج إما أهلكن فلا تزل *

(٢) وهو والد أبى جُهم عبيد بن حذيفة ، وهو الذى أهدى الخَميصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إلى علمها فردها . وأم أبى جهم : يسير بنت عبد الله بن أذاة بن رياح . ١٥ وابن أذاة هو خال أبى قحافة . (راجع الروض الأنف) .

(٣) السبل : المطر .

(٤) كل شارق : أى عند طلوع الشمس كل يوم ، ولم يشوه : لم يخطئه .

(٥) سحا : صبا . وجا : أجما وأكثرا . واسجما : أسيلا .

(٦) زيادة عن ا . ٢٠

(٧) الحفيظة : الغضب مع عزة . والنكس من السهام : الذى نكس فى الكنانة ليميزه الرامى فلا يأخذه لرداءته ؛ وقيل : الذى انكسر أعلاه فنكس ورد أعلاه أسفله ، وهو غير جيد للرمى . والهذر : الكثير الكلام فى غير فائدة .

(٧) البهلول : السيد .

(٩) كذا فى أكثر الأصول . واللهى : العطايا . وفى ا : « والندا » . وفى رواية ٢٥ أخرى : « والنهى » . والنهى : جمع نهية ، وهى العقل .

على خَيْر حافٍ من مَعدّ وناعلٍ ... كريم المَساعى طيّب الخِيم والنَّجْر[1]

وخَيْرهُمُ أصــلاً وفرعًا ومَعْدِناً ... وأحظاهُمُ بالمُـكْرُمات وبالذّكر

وأولاهُمُ بالمجْــد والحِلْم والنُّهَى ... وبالفَضْل عند المُجْحِفات من الغُبْر[2]

على شَيْبة الحَمْد الذى كان وجهُهُ ... يُضِىء سَــوادَ اللّيل كالقمَر البَدْر

٥ وساقِى الحَجِيج ثم للخير هاشمٌ[3] ... وعبدُ مناف ذلك السيّد الفِهْرى[4]

طوَى زمزمًا عند المقام فأصبحتْ ... سِقايتُه فَخْراً عَلَى كلّ ذى فَخر

ليَبْك عليه كلُّ عانٍ بكُرْبة ... وَآل قُصَىّ من مُقِلّ وذى وفْر[5]

بَنوه سَراة كَهْلهمْ وشَبابُهم ... تفلّق عنهمْ بيْضة الطائر الصَّقْر[6]

قصَىٌّ الذى عادَى كِنانة كلها ... ورابط بيتَ الله فى العُسْر واليُسر

١٠ فإن تكُ غالتْه المنايا وصَرْفُها ... فقد عاش مَيْمونَ النَّقيبة والأمر[7]

وأبقَى رجالاً سادةً غيرَ عُزَّل ... مَصاليتَ أمثال الرُّدينيّة السُّمْر[8]

أبو عُتبة المُلقِى إلىّ حِباءَه ... أغرّ هِجان اللون من نَفَر غُرّ[9]

وحمزةُ مثل البَدْر يهتزّ للنّدى ... نقىّ الثياب والذّمام من الغَدْر

---

(١) النجر: الأصل.

١٥ (٢) المجحفات: التى تذهب بالأموال. والغبر: السنون المقحطات.

(٣) كذا فى ا. وفى سائر الأصول: «للخبز».

(٤) كذا فى الأصول. وفى شرح السيرة: «القهر» بالقاف. أى الذى يقهر الناس، فوصفه بالمصدر، كما تقول: رجل عدل، أو رجل صوم، أو رجل فطر.

(٥) العانى: الأسير.

٢٠ (٦) سراة: خيار.

(٧) النقيبة: النفس. وميمون النقيبة: منجح الفعال مظفر المطالب.

(٨) عزل: جمع أعزل. ولا يجمع أفعل على فعل، ولكن جاء هكذا لأن الأعزل فى مقابلة الرامح، وقد يحملون الصفة على ضدها. وقد يجوز أن يكون أجراه مجرى «حسر» جمع حاسر، لأنه قريب منه فى المعنى. ومصاليت: شجعان. والردينية: الرماح.

٢٥ (٩) الحباء: العطاء. وهجان اللون: بيض.

وعبدُ مناف ماجـــد ذو حَفيظة   وَ ولٌ لذى القُرْبى رَحيم بذى[1] الصِّهْر
كُهولهم خــيرُ الــكُهول ونَسْلهم   كنَسْل الملوك لا تبور ولا تحرى[2]
متى ما تلاقى منهمُ الدهرَ ناشئاً   تجِدْه بإجْرِيّا أوائله يجْرِى[3]
همُ ملئوا البَطْحاء مَجْداً وعزّةً   إذا استُبِق الخيرات فى سالف العَصْر
وفيهم بُناة للعُـــلا وعِمارةٌ   وعبدُ مناف جدّهم جابرُ الـكَسْر   ٥
بإنْـكاح عَوْف بنتَه ليُجيرَنا   مِن أعدائنا إذ أسْلمتنا بنو فِهْر
فسِرْنا تِهامىّ البـــلاد ونَجْدَها[4]   بأَمْنِهِ حتى خاضت العِيرُ فى البَحْر[5]
وهُمْ حَضروا والناسُ بادٍ فريقهُم   وليس بها إلا شيوخ بنى[6] عَمْرو[7]

---

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « لذى » .

(٢) لاتبور : لاتهلك . ولا تحرى : لاتنقص .   ١٠

(٣) الإِجريا (بالقصر والمد) : الوجه الذى تأخذ فيه وتجرى عليه .

(٤) يريد ما انخفض منها وماعلا .

(٥) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « بأمنة » . وهو تصحيف . وقد قال السهيلى فى التعليق على هذه الكلمة : « . . . حذف الياء من هاء الـكناية (الضمير) ضرورة ، كما أنشده سيبويه :   ١٥

* سأجعل عينيه لنفسه مقنعا *

فى أبيات كثيرة أنشدها سيبويه ، وهذا مع حذف الياء والواو وبقاء حركة الهاء ، فان سكنت الهاء بعد الحذف . فهو أقل فى الاستعمال من نحو هذا وأنشدوا :

* نضواى مشتاقان له أرقان *

وهذا الذى ذكرناه هو فى القياس أقوى لأنه من باب حمل الوصل على الوقف ، نحو   ٢٠
قول الراجز :

* لما رأى أن لادعه ولا شبع *

ومنه فى التنزيل كثير ، نحو إثبات هاء السكت فى الأصل ، وإثبات الألف من أنا ، وإثبات ألف الفواصل نحو : « وتظنون بالله الظنونا » . وهذا الذى ذكره سيبويه من الضرورة فى هاء الإضمار إنما هو إذا تحرك ما قبلها نحو به ، ولا يكون فى هاء المؤنث ألبتة لحفة الألف ،   ٢٥
فإن سكن ماقبل الهاء نحو فيه ، كان الحذف أحسن من الإثبات .

(٦) شيوخ بنى عمرو : يريد بنى هاشم ، لأن اسمه عمرو .

(٧) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « بنو » وهو تحريف .

بنوها دياراً جمة وطوّوْا بها بثاراً تسحّ الماء من ثبَجٍ بَحْرِ[1]
لكى يشربَ الحجّاج منها وغيرُهم إذا ابتدروها صُبْحَ تابعة النّحْرِ
ثلاثةُ أيّام تظَلّ رِكابُهم مُخيّسَة[2] بين الأخاشب والحِجْرِ[3]
وقِدْمًا غَنينا قبلَ ذلك حِقْبةً ولا نَسْتقى إلا بخُمّ أو الحَفْرِ[4]
٥ وهم يَغْفِرون الذنبَ يُنقَم دونه ويَعْفُون عن قولِ السّفاهة والهجْرِ[5]
وهم جَمعوا حِلْفَ الأحابيش كلّها وهم نَكّلوا عنّا غُواةَ بنى بَكْرِ[6]
فخَارِجَ ، إمّا أهلكنّ فلا تزل لهم شاكرًا حتى تُغيَّب فى القَبْرِ
ولا تنسَ ما أسدَى ابنُ لُبنى فإنه قد أسدى يدًا محقوقة منك بالشُّكرِ[7]
وأنت ابنُ لُبنى من قُصَىّ إذا انتموا بحيث انتهى قصدُ الفؤاد من الصَّدْرِ
١٠ وأنت تناولتَ العُلا فجمعتَها إلى مَحْتِدِ المَجْد ذى ثَبَج جَسْرِ[8]
سبقتَ وفُتَّ القومَ بَذْلاً ونائلاً وسُدْت وليدًا كلَّ ذى سُودَد غَمْرِ
وأمك سرٌّ من خُزاعة جَوْهر إذا حَصَّل الأنسابَ يومًا ذوو الْخبْرِ[9]
إلى سَبأ الأبطال تُنْمى وَتَنْتمى فأَكْرِم بها منسوبةً فى ذُرا الزُّهْرِ
أبو شَمِرٍ منهمْ وعَمْرو بنُ مالك وذو جَدَن من قومها وأبو الجَبْرِ[10]

---

١٥ (١) كذا فى ا . وثبج كل شىء : معظمه . وفى سائر الأصول : « ... ثبج البحر » .

(٢) كذا فى الأصول . ومخيسة : مذللة . ويروى : « محبسة » . والمحبسة : المحبوسة .

(٣) الأخاشب : جبال بمكة ، وهما جبلان ، فجمعها مع مايليهما .

(٤) خم والحفر : اسما بئرين . وقد تقدم الكلام عليهما .

(٥) الهجر : القبيح من الكلام الفاحش .

٢٠ (٦) الأحابيش : أحياء القارة ، انضموا إلى بنى ليث فى محاربتهم قريشا ، وقيل : حالفوا قريشا تحت جبل يسمى حبشيا ، فسموا بذلك . ونكلوا : صرفوا وزجروا .

(٧) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « محفوفة » . (بماءين) .

(٨) الجسر : الماضى فى أموره القوى عليها .

(٩) سر : خالصة النسب .

٢٥ (١٠) أبو شمر : مالك . ويقال له : الأملاك . وابنه شمر هو الذى بنى سمرقند ، ويحتمل أن يكون أراد أبا شمر الغسانى والد الحارث بن أبى شمر . وعمرو بن مالك : قد يكون عمرا =

وأسْعد قاد الناسَ عشرينَ حِجّةً   يُؤَيَّد فى تلك المَواطنِ بالنَّصْر(1)

قال ابن هشام :

« أمُّك سر من خزاعة » ، يعنى أبا لهب ، أمه لُبْنى بنت هاجر الخُزاعى .

وقوله : « بإجرِيّا أوائله » عن غير ابن إسحاق .

رثاء مطرود لعبد المطلب وبنى عبد مناف

قال ابن إسحاق :

وقال مَطْرود بن كَعْب الخُزاعى يَبْكى عبدَ المطلب وبَنِى عبد مناف :

يأيها الرجلُ المُحوِّل رحلَه   هلا سألتَ عن آل عبدِ مَنافِ

هبَلَتْكَ أمّك لو حَلَلتَ بدَارهم   ضَمِنوك من جُرْمٍ ومن إقْراف(2)

[الخالطين غنيّهم بفقيرهم   حتى يعودَ فقيرُهم كالكافِى](3)

المُنْعمِين إذا النجومُ تغيّرت   والظّاعنين لرِحْلة الإيلاف

والمُطْعِمين إذا الرِّياحُ تناوحت   حتى تغيبَ الشمسُ فى الرَّجّافِ(4)

= ذا الأذعار . وأبو الجبر : ملك من ملوك اليمن ، ويقال : إن سمية أم زياد كانت لأبى جبر هذا ، ودفعها إلى الحارث بن كلدة المتطبب فى طب طبه .

(1) أسعد : هو أسعد أبو حسان بن أسعد ، وهو ومن ذكرهم فى البيت السابق ، من التبابعة ، وإنما جعلهم مفخرا لأبى لهب لأن أمه خزاعية من سبأ ، والتبابعة كلهم من حمير بن سبأ .

(2) هبلتك : فقدتك . وهو على جهة الإغراء لاعلى جهة الدعاء ، كما تقول : تربت يداك ، ولا أبا لك ، وأشباههما . والإقراف : مقاربة الهجنة . أى منعوك من أن تنكح بناتك وأخواتك من لئيم فيكون الابن مقرفا للؤم أبيه وكرم أمه فيلحقك وصم من ذلك . ونحو منه قول مهلهل :

أنكحها فقدها الأراقم فى   جنب وكان الحباء من أدم

أى أنكحت لقربتها من غير كفء . وذلك أن مهلهلا نزل فى جنب ، وهو حى وضيع من مذحج ، فخطبت ابنته فلم يستطع منعها فزوجها ، وكان نقدها من أدم] .

(3) زيادة عن ا .

(4) تناوحت : تقابلت . والرجاف (هنا) : البحر .

إمّا هلكتَ أبا الفِعالِ فما جَرى ... من فوق مثلك عَقْد ذاتِ نِطاف[1]

إلا أبيك أخِي المَكارم وحدَه ... والفيض مُطّلب أبى الأضْياف[2]

ولاية العباس على سقاية زمزم

قال ابن إسحاق[3] :

فلما هلك عبدُ المطّلب بنُ هاشم وَلى زمزمَ والسقايةَ عليها[4] بعده العباسُ ابنُ عبد المطلب ، وهو يومئذ من أحدث إخوته سنّا ؛ فلم تزل إليه حتى قام الإسلامُ وهى بيده . فأقرّها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم له على ما مَضى من ولايته ، فهى إلى آل العبّاس ، بولاية العبّاس إياها ، إلى [هذا][5] اليوم .

كفالة أبى طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم

فكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بعد عبد المطّلب مع عمّه أبى طالب ، وكان عبدُ المطلب ـ فيما يزعمون ـ يُوصى به عمّه أباطالب ، وذلك لأنّ عبدَ الله ، أبا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وأبا طالب أخوان لأب وأم ، أمهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عبد بن عِمران بن مخزوم .

قال ابن هشام : عائذ ابنُ عِمْران بن مَخْزوم .

---

(١) النطاف : جمع نطفة ، وهى القرط الذى يعلق من الأذن . هذا على رواية من روى « عقد » بكسر العين ، ومن رواه بفتح العين جعل النطاف جمعا لنطفة ، وهى الماء القليل الصافى .

(٢) يريد أنه كان لأضيافه كالأب . والعرب تقول لكل جواد : أبو الأضياف ، كما قال مرة بن محكان :

أدعى أباهم ولم أقرف بأمهم ... وقد عمرت ولم أعرف لهم نسبا

(٣) زيادة عن ا .

(٤) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « عليهما » . وهو تحريف .

(٥) زيادة عن ا .

ولاية أبي طالب لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق :

وكان أبو طالب هو الذى يَلِى أمرَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعد جدّه فكان إليه ومعه .

نبوءة رجل من لهب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : حدثنى يحيى[1] بن عبّاد بن عبد الله بن الزُّبير أن أباه حدّثه .

أنّ رجلا من لِهْب ـ قال ابن هشام : ولِهْب : من أزد شَنُوءة[2] ـ كان عائفاً[3] ، فكان إذا قَدِم مكّة أتاه رجالُ قُرَيش بغِلْمانهم ينظر إليهم ويعتاف لهم فيهم . قال : فأَتى به أبو طالب وهو غلام ، مع من يأتيه ، فنظر إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ثم شغله عنه شيء ، فلما فرَغ قال : الغلام ، علىّ به . فلما رأى أبو طالب حِرْصَه عليه غَيَّبه عنه ، فجعل يقول : ويلكم ! رُدّوا علىّ الغلام الذى رأيت آنفاً ، فوالله ليكوننّ له شأن . قال : فانطلق أبو طالب .

---

(١) وكان يحيى ثقة كثير الحديث . روى عن أبيه وجده وعمه حمزة وابن عم أبيه عبد الله ابن عروة بن الزبير ؛ وعنه غير ابن إسحاق ابن عم أبيه هشام بن عروة وموسى بن عقبة وحفص بن عمر بن ثابت بن زرارة وعبد الله بن أبى بكر بن حزم ، ويزيد بن عبد الله بن الهاد . مات وهو ابن ست وثلاثين . (راجع تهذيب التهذيب ، وتراجم رجال) .

(٢) وقيل : هو لهب بن أحجن بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد . وهى القبيلة التى تعرف بالعيافة والزجر ، ومنهم اللهبى الذى زجر حين وقعت الحصاة بصلعة عمر رضى الله عنه فأدمته ، وذلك فى الحج فقال : أشعر أمير المؤمنين ، والله لايحج بعد هذا العام ، فكان كذلك . وفيهم يقول كثير :

تيممت لهبا أبتغى العــلم عندهم وقد رد علم العائفين إلى لهب

(راجع شرح القاموس مادة لهب ، والروض الأنف) .

(٣) العائف الذى يتفرس فى حلقة الإنسان فيخبر بما يؤول حاله إليه .

قصـــة بحيرى[1]

نزول أبى طالب ورسول الله صلى الله عليه وسلم ببحيرى

قال ابن إسحاق :

ثم إنّ أبا طالب خرج فى رَكْب تاجراً إلى الشام ، فلما تهيّأ للرحيل وأجمع المسيرَ صَبّ به[2] رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم — فيما يزعمون — فرقّ له [أبو طالب] . وقال : والله لأخرجنّ به معى ، ولا يفارقنى ، ولا أفارقه أبدا ، أو كما قال . فخرج به[3] معه ، فلما نزل الركبُ بُصْرى[4] من أرض الشام ، وبها راهبٌ يقال له بَحِيرى فى صَوْمعة له ، وكان إليه عِلْمُ أهْل النصرانية ، ولم يزل فى تلك الصومعة منذ قطّ راهبٌ ، إليه يصير علمهم عن كتاب فيها . فيما يزعمون ، يتوارثونه كابراً عن كابر . فلما نزلوا ذلك العامَ بَبَحِيرى ، وكانوا كثيراً ما يمرّون

(١) واسم بحيرى (بحيرى بفتح الموحدة وكسر الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية آخره راء مقصورا ، وقيل ممدودا) : جرجيس (بكسر الجيمين) . ويقال : سرجس ، كما يقال : جرجس . وكان حبرا من أحبار يهود تيماء ؛ كما قيل إنه كان نصرانيا من عبد القيس ، وهو ماذهب إليــه ابن إسحاق هنا . ويقال إنه سمع قبل الإسلام بقليل هاتف يهتف : ألا إن خير أهل الأرض ثلاثة : بحيرى ورباب الشنى ، والثالث المنتظر ، فكان الثالث رسول الله صلى الله عليه وسلم . (راجع المعارف ، ومروج الذهب ، والإصابة ، والروض ، وشرح المواهب) .

(٢) كذا فى الأصول والطبرى ، وشرح المواهب اللدنية (ج ١ ص ١٩٢ طبع المطبعة الأزهرية) . وصب به : مال إليه . وفى هامش الطبرى ، وشرح السيرة : « ضب به » بالضاد المعجمة . وضب به : تعلق به وامتسك . وفى رواية أخرى فى هامش الطبرى ، والروض ، وشرح المواهب : « ضبث » . وضبث به : لزمه . ومنه قول الشاعر :

* كأن فؤادى فى يد ضبثت به *

(٣) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ ذاك ابن تسع سنين ، وقيل ابن اثنتى عشرة سنة ، وقيل غير ذلك . (راجع الطبرى ، وشرح المواهب ، والروض) .

(٤) بصرى : مدينة حوران ، فتحت صلحاً لخمس بقين من ربيع الأوّل سنة ثلاث عشرة ، وهى أول مدينة فتحت بالشام ، وقد وردها صلى الله عليــه وسلم مرتين . (راجع شرح المواهب) .

به قبلَ ذلك فلا يكلِّمهم ولا يَعْرِض لهم ، حتى كان ذلك العام . فلما نزلوا به قريباً من صَوْمعته صَنَع لهم طَعامًا كثيراً ، وذلك فيما يزعمون عن شىء رآه وهو فى صَوْمعته . يزعمون أنّه رأى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وهو فى صَوْمعته ، فى الرَّكْب حين أقبلوا ، وغمامة تُظِلّه من بين القوم . قال : ثم أقبلوا فنزلوا فى ظلّ شجرة قريباً منه . فنظر إلى الغمامة حين أظلّت الشجرةَ ، وتَهصّرت[1] أغصانُ الشجرة على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حتى استظل تحتها ، فلما رأى ذلك بَحِيرَى نزل من صَوْمعته[2] ،ثم أَرْسل إليهم ، فقال : إنى قد صنعتُ لكم طعامًا يا معشرَ قُريش، فأنا أُحبّ أن تحضُروا كُلُّكم ، صغيرُكم وكبيرُكم ، وعبدُكم وحرّكم ؛ فقال له رجل منهم : والله يا بَحِيرَى إنّ لك لشأناً اليومَ ! فما كنتَ تصنع هذا بنا وقد كنا نمُرّ بك كثيراً ! فما شأنك اليومَ ، قال له بَحِيرى : صدقتَ ، قد كان ما تقول ، ولكنّكم ضَيْفٌ وقد أحببتُ أن أكرمكم وأصنعَ لكم طعامًا فتأكلوا[3] منه كلّكم . فاجتمعوا إليه ، وتخلّف رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم من بين القوم ، لحداثة سنّه ، فى رِحال القوم تحت الشجرة ، فلما نَظَرَ بَحِيرَى فى القوم لم يَرَ الصفةَ التى يعرِفُ ويجدُ عنده ، فقال : يا معشر قُريش ، لا يتخلفنّ أحدٌ منكم عن طَعامى ؛ قالوا له : يا بَحِيرى ، ما تخلّف عنك أحدٌ ينبغى له أنْ يَأْتيك إلا غلامٌ ، وهو أحدثُ القوم سِنًّا ، فتخلّف فى رِحالهم ؛ فقال : لا تفعلوا ، أُدعوه فليحضُر هذا الطعامَ معكم . قال : فقال رجل من قُرَيْش مع القوم ؛ واللاتِ والعزّى ، إنْ كان لَلُوْمٌ بنا أن يتخلّف

(١) تهصرت : مالت وتدلت ؛ وتقول : هصرت الغصن ، وذلك إذا جذبته إليك حتى يميل .
(٢) كذا فى الطبرى ، وفى الأصول : « . . . نزل من صومعته ، وقد أمر بذلك الطعام فصنع ثم أرسل . . . الخ » .
(٣) كذا فى شرح المواهب وفى ا . وفى سائر الأصول : «فتأكاون» . وهو تحريف .

ابن عبد الله بن عبد المطّلب عن طعامٍ من بيننا ، ثم قام إليه فاحتَضَنه[1] وأجلسه مع القوم . فلما رآه بَحِيرَى جعل يَلْحَظُه لحَظًا شديداً وَيَنْظُرُ إلى أشياء من جَسَدِه ، قد كان يَجِدُها عنده من صِفَته ، حتى إذا فَرَغ القومُ من طعَامهم وتفرقوا ، قام إليه بَحِيرَى ، فقال [له][2] : ياغلام ، أسألك بحق اللاتِ والعزّى إلاّ ما أخبرتَنى عَمّا أسألُك عنه ؛ و إنما قال له بَحِيرَى ذلك ، لأنه سَمِع قَومه يَحْلِفون بهما[3] . فزَعموا أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال [له][2] : لاتسألنى باللاتِ والعزّى ، فوالله ما أبغضتُ شيئا قطُّ بغضَهما ؛ فقال له بَحِيرَى : فبالله إلاّ ماأخبرتَنى عما أسألك عنه ؛ فقال له : سَلْنى عمّا بدا لك . فجعل يسأله عن أشياء من حالِه فى نَوْمه وهَيْئته وأموره ؛ فجعل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم يُخبره ، فيوافق ذلك ما عند بَحِيرَى من صِفَتِه ، ثم نظر إلى ظَهْره فرأى خاتَمَ[4] النبوّة بين كَتِفَيْه على موضعه من صفته التى عنده .

قال ابن هشام : وكان مثلَ أثر الْمِحْجَم[5] .

قال ابن إسحاق :

فلما فرغ أقبل على عَمّه أبى طالب ، فقال له : ما هذا الغلامُ منك ؟ قال : أبنى . قال له بحيرَى : ماهو بابنك ، وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حيّا ؛ قال : فإنه ابنُ أخى ؛ قال : فما فعل أبوه ؛ قال : مات وأمه حُبْلى به ؛ قال :

---

(1) احتضنه : أخذه مع حضنه ، أى مع جنبه .

(2) زيادة عن ا .

(3) ويقال إنه إنما سأله باللات والعزى اختبارا ، وهو أولى من قول ابن إسحاق . (راجع الشفاء ، وشرح المواهب اللدنية) .

(4) قيل سمى بذلك لأنه من العلامات التى يعرفه بها علماء الكتب السابقة . (راجع شرح المواهب) .

(5) المحجم : الآلة التى يحجم بها . يعنى أثر المحجمة القابضة على اللحم حتى يكون ناتئا . وفى الخبر أنه كان حوله خيلان فيها شعرات سود ، وأنه كان كالتفاحة ، أو كبيضة الحمامة . عند نغض (غضروف) كتفه اليسرى . (راجع شرح المواهب ، والروض) .

صدقت ، فارجع بابن أخيك إلى بلده ، وَاحْذَر عليه يهودَ ، فوالله لئن رأوْه وعَرَفوا منهُ ماعرفتُ لَيَبْغُنَّه[1] شرًّا ، فإنه كائنٌ لابنِ أخيك هذا شأنٌ عظيم ، فأسْرِعْ به إلى بلاده .

رجوع أبي طالب برسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان من زرير وصاحبيه

فخرج به عمُّه أبو طالب سريعاً حتى أقدمهُ مكة حين فرغ من تجارتِه بالشام ؛ فزعموا فيما رَوَى الناسُ : أن زُرَيْراً وتمّاما ودَرِيسا ،وهم نَفَر من أهل الكتاب ، قد كانوا رأَوْا من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مثل مارآه بَحِيرَى في ذلك السفر ، الذى كان فيه مع عمّه أبي طالب ، فأرادوه فردّهم عَنْهُ بَحِيرَى ، وذكّرهم اللهَ وما يجدون فى الكتاب من ذِكْرِه وَصِفَتِه ، وأنهم إن أجمعوا لما أرادوا به لم يخلُصوا إليه ، ولم يَزَلْ بهم حتى عرفوا ما قال لهم ،وصدّقوه بما قال ، فتركوه وانصرفوا عنه : فشبَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلّم ، والله تعالى يَكْلؤه ويحفظه ويحوطُه من أقذار الجاهلية ، لما يريد به من كرامته ورسالته ، حتى بلغ أنْ كان رجلاً ، وأفضلَ قومه مروءةً ، وأحسنَهم خلقاً ، وأكرمَهم حسباً ، وأحسنَهم جواراً ، وأعظمهم حِلْماً ، وأصدقَهم حديثاً ، وأعظمهم أمانةً ، وأبعدَهم من الفحش والأخلاق التى تُدَنس الرجال تنزُّهاً وتكرما ، حتى ما اسمه فى قومِهِ إلا الأمين ، لِمَا جمع الله فيه من الأمور الصالحة .

حديثه صلى الله عليه وسلم عن عصمة الله له فى طفولته

وكان رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم ــ فيما ذُكِر لى ــ يُحَدّث عمّا كان الله يحفظه به فى صِغَرِه وأمْر جاهليته ، أنه قال :

لقد رأيتنى فى غِلْمانِ قُرَيش ننقل حجارةً لبعض مايلعب به الغِلْمانُ ، كلّنا قد تعرّى ، وأخذ إزاره فجعله على رَقَبته ، يحمل عليه الحجارةَ ؛ فإنى لأُقبل معهم كذلك وأُدْبِر ، إذ لَكَمَنى لاَكِمٌ ما أراه ، لكمةً وجيعةً ، ثم قال : شُدَّ عليك

(١) كذا فى ا والطبرى وشرح المواهب . وفى سائر الأصول : « ليبغينه » ، وهو تحريف .

إزارَكَ ؛ قال : فأخذْتُه وشددتُه عليّ ، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتى وإزارى عَلَيّ من بين أصحابى[1] .

حرب الفجار[2]

قال ابن هشام :

سببها

٥ فلما بلغ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم أربعَ عشرةَ سنةً أو خمسَ عشرةَ

(١) قال السهيلى فى التعليق على هذا القصة : «وهذه القصة إنما وردت فى الحديث الصحيح فى حين بنيان الكعبة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل الحجارة مع قومه إليها ، وكانوا يحملون أزرهم على عواتقهم لتقيهم الحجارة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحملها على عاتقه وإزاره مشدود عليه ؛ فقال له العباس رضى الله عنه : يابن أخى ، لوجعلت إزارك ١٠ على عاتقك ؛ ففعل فسقط مغشيا عليه » ، ثم قال : إزارى إزارى . فشد عليه إزاره ، وقام يحمل الحجارة .

وفى حديث آخر : أنه لما سقط ضمه العباس إلى نفسه وسأله عن شأنه ، فأخبره أنه نودى من السماء : أن اشدد عليك إزارك يا محمد . قال : وإنه لأول مانودى .

وحديث ابن إسحاق ، إن صح أن ذلك كان فى صغره إذ كان يلعب مع الغلمان، فمحمله ١٥ على أن هذا الأمر كان مرتين ، مرة فى حال صغره ، ومرة فى أول اكتهاله عند بنيان الكعبة» .

(٢) الفجار (بالكسر) : بمعنى المفاجرة ، كالقتال والمقاتلة ، وذلك أنه كان قتالا فى الشهر الحرام ففجروا فيه جميعا ، فسمى الفجار .

وكان للعرب فجارات أربع ، آخرها فجار البراض هذا . وأما الفجار الأول فكان بين كنانة وهوازن ، وكان الذى هاجه أن بدر بن معشر ، أحد بنى عقال بن مليك من كنانة ، جعل له ٢٠ مجلسا بسوق عكاظ ، وكان حدثا منيعا فى نفسه ، ثم كان أن افتخر فى السوق وتصدى له الأحيمر بن مازن أحد بنى دهمان ، ثم تحاور الحيان عند ذلك حتى كاد أن تكون بينهما الدماء ، ثم تراجعوا ورأوا أن الخطب يسير .

وكان الفجار الثانى بين قريش وهوازن ، وكان الذى هاجه فتية من قريش تعرضوا لامرأة من بنى عامر بن صعصعة ، فهاجت الحرب . وكان بينهم قتال ودماء يسيرة ، فحملها حرب بن أمية ٢٥ وأصلح بينهم .

وكان الفجار الثالث بين كنانة وهوازن ، وكان الذى هاجه أن رجلا من بنى كنانة كان عليه دية لرجل من بنى نصر ، فأعدم الكنانى ، فعير النصرانى ذلك قومه بسوق عكاظ ، فقام إليه كنانى فضربه ، ثم تهايج الناس حتى كاد أن يكون بينهم قتال ، ثم تراجعوا . (راجع العقد الفريد ، والأغانى ج ١٩ ص ٧٤ — ٨٠ طبع بلاق) .

سنةً ، فيما حدثنى أبو عُبيدة النحوىّ عن أبى عَمْرو بن العلاء ، هاجت حربُ الفجار بين قُرَيش ، ومن معهم من كِنانة ، و بين قَيْس عَيْلان . وكان الذى هاجها أنَّ عُروة الرَّحال بن عُتْبَة بن جَعْفَر بن كِلاب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصعة ابن مُعاوية بن بَكْر بن هوازن ، أجار[1] لَطيمةً[2] للنعمان بن المُنْذر[3] ؛ فقال له البرّاض بن قَيْس ، أحد بَنِي ضَمْرة بن بَكْر بن عَبْد مَناة بن كِنانة : أتُجِيرها[4] على كِنانة ؟ قال : نعم ، وعلى الخَلْق [كله][5]. فخرج فيها عُروة الرَّحال وخرج البَرّاض يَطْلب غفلته ، حتى إذا كان بتَيْمَن[6] ذى طِلال بالعالية ، غَفل عُروة ، فَوثب عليه البَرّاض فقتله فى الشهر[7] الحرام ، فلذلك سُمِّى الفِجار . وقال البَرّاض[8] فى ذلك :

وَدَاهيةٍ تُهِمّ الناسَ قَبْلى ... شَدَدْتُ لها بنى بَكْر ضُلوعى[9]

(١) كذا فى ا والعقد الفريد . وفى سائر الأصول : « أجاز » بالزاى ، وهو تصحيف .

(٢) اللطيمة : الجمال التى تحمل التجارة ، الطيب والبز وأشباههما .

(٣) وذلك أن النعمان بن المنذر ملك الحيرة كان يبعث بسوق عكاظ فى كل عام لطيمة فى جوار رجل شريف من أشراف العرب يجيرها له حتى تباع هناك ، ويشترى له بثمنها من أدم الطائف ما يحتاج إليه . (راجع العقد الفريد ، والأغانى ج ١٩ ص ٧٥ طبع بلاق) .

(٤) كذا فى ا والعقد الفريد. وفى سائر الأصول : « أتجيزها » بالزاى ، وهو تصحيف.

(٥) زيادة عن ا .

(٦) تيمن ذو طلال : واد إلى جانب فدك ، فى قول بعضهم . والصحيح أنه بعالية نجد ، كما ذكر هنا (راجع معجم البلدان) .

(٧) ويقال إنما كان ذلك وعروة إلى جانب فدك ، إلى أرض يقال لها أوارة قريبة من تيمن، يشرب فيها من الخمر و تغنيه قينة، إلى أن قام فنام، فعندها دخل عليه البراض فناشده عروة وقال : كانت منى زلة ، وكانت الفعلة منى ضلة ؛ فلم يسمع له وقتله . (راجع العقد الفريد والأغانى) .

(٨) ويروى عن البراض أيضا رجز قاله بعد قتله لعروة ، قبل هذا الشعر، وهو يردد فيه قول عروة وندمه على ما كان منه :

قد كانت الفعلة منى ضله ... هلا على غيرى جعلت الزله

فسوف أعلو بالحسام القله

(٩) رواية هذا البيت فى العقد الفريد :

وداهية يهال الناس منها ... شددت على بنى بكر ضلوعى

هدمت بها بيوتَ بنى كِلابٍ وأرضعتُ المَوالى بالضُّروع[1]

رفعت له[2] بذى طلاّل كَفِّى[3] فخرّ يميدُ كالجِذْع الصَّرِيع[2]

وقال لَبِيد بن رَبيعة بن مالك بن جَعْفر بن كِلاب :

أبلغْ ، إنْ عرضت ، بنى كِلابٍ وعامرَ والخُطوبُ لها موالِى

٥ وبلغ ، إنّ عرضت ، بنى نُمَيْر وأخوالَ القَتيل بنى هِلال

بأنّ الوَافد الرَّحّال أمْسَى مُقيماً عند تَيْمَن ذى طِلال

وهذه الأبياتُ فى أبياتٍ له فيما ذكر ابنُ هشام .

نشوب الحرب بين قريش وهوازن

قال ابن هشام :

فأتى آتٍ قريشاً فقال : إنّ البَراضَ قد قَتل عُرْوةَ ، وهم فى الشهر الحرام

١٠ بعكاظ ، فارتحلُوا وهوازنُ لاتَشْعر [بهم][4] ، ثم بلغهم الخبرُ فأتْبعوهم ، فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم ، فاقتتلوا حتى جاء الليلُ ، ودخلوا الحرمَ ، فأمسكت عنهم هَوازن ، ثم التقَوْا بعد هذا اليوم أياما ، والقوم مُتساندون[5] ، على كل قَبِيل من قريش وكِنانة رئيسٌ منهم ، وعلى كل قَبيل من قَيْس رئيسٌ منهم .

حضور رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صغير فيها وعمره

وشهد رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بعضَ أيامهم ، أخرجه أعمامُه معهم .

---

١٥ (١) الضروع : جمع ضرع .. يريد : الحقت الموالى بمنزلتهم من اللؤم ورضاع الضروع ، وأظهرت فسالتهم ، وهتكت بيوت أشراف بنى كلاب وصرحائهم .

(٢) كذا ورد هذا الشطر فى أكثر الأصول ، و « طلال » فيه مشددة كما يقضى بذلك الوزن ، ولقد عقد أبو ذر والسهيلى بين « طلال » المشددة هنا ، و « طلال » المخففة فى بيت لبيد بعده موازنة ، التمسا فيها للبراض عذرا فى إيرادها مشددة ، ولو أنهما وقعا على

٢٠ رواية ا وهى :

* رفعت له يدى بذى طلال *

لغنيا عن تلمس المعذرة ، وعقد هذه الموازنة هنا . وعن الكلام على منع « طلال » من الصرف (على الرواية الأولى) على أنه اسم مؤنث معرف .

(٣) رواية هذا البيت فى العقد الفريد والأغانى :

٢٥ جمعت له يدى بنصال سيف أفل فخر كالجذع الصريع

(٤) زيادة عن ا .

(٥) متساندون : أى ليس لهم أمير واحد يجمعهم .

وقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم: كنت أُنَبِّل على أعمامى: أى أردّ عليهم[1] نَبْلَ عدوّهم إذا رَمَوْهم بها.

سبب تسميتها بذلك

قال ابن إسحاق.

هاجت حربُ الفِجار ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ابنُ عشرين سنة. وإنما سمّى يوم الفِجار، بما استحل هذان الحيّان، كنانة وقَيْس عَيْلان، فيه من المَحارمَ بينهم.

قواد قريش وهوازن فيها ونتيجتها

وكان قائدَ قريش وكنانة حَرْبُ [بن][2] أمية بن عَبْد شَمْس، وكان الظّفر فى أول النهار لقَيْس على كِنانة، حتى إذا كان فى وسط النهار كان الظّفر لكنانة على قيس.

قال ابن هشام:

وحديثُ الفِجار أطول ممّا ذكرت، وإنما منعنى من استقصائه قَطْعُه حديثَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

حديث تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة رضى الله عنها

سنه صلى الله عليه وسلم عند تزوجه من خديجة

قال ابن هشام:

فلما بلغ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خمساً وعشرين[3] سنة، تزوج خديجةَ[4] بِنتَ خُوَيلد بن أسَد بن عَبد العُزّى بن قُصَىّ بن كِلاب بن مُرّة

(١) فى الأصل: «عنهم». والتصويب عن كتب اللغة.

(٢) زيادة عن ا.

(٣) وقيل كان سنه صلى الله عليه وسلم إحدى وعشرين سنة، وقيل ثلاثين، كما قيل سبعا وثلاثين، وقيل غير ذلك. (راجع شرح المواهب، والاستيعاب).

(٤) وكان عمر خديجة إذ ذاك أربعين سنة. وقيل: خمسا وأربعين. وكانت تدعى فى الجاهلية بالطاهرة، لشدة عفافها وصيانتها. وكانت تحت أبى هالة بن زرارة =

ابن كَعْب بن لُؤَىّ بن غالب ، فيما حدّثنى غيرُ واحد من أهلَ العِلْم عن أبى عمرو المَدنى .

خروجه صلى الله عليه وسلم إلى الشام فى تجارة خديجة وما كان من بحيرى

قال ابن إسحاق :

وكانت خديجةُ بنتُ خُوَيلد امرأةً تاجرة ذاتَ شرف ومال ، تستأجر الرجال فى مالها وتُضاربهم[1] إياه ، بشىء تجعله لهم ، وكانت قُرَيش قومًا تجارا ، فلما بلغها عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ما بلغها، من صدْق حَديثه ، وعِظَم أمانته ، وكَرَمِ أخلاقه ، بعثتْ إليه ، فعرضتْ عليه أن يَخرُج فى مال لها إلى الشام تاجراً ، وتُعطيه أفضلَ ما كانت تُعطى غيرَه من التجار ، مع غُلام لها يقال له مَيْسرة ، فقَبِله رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم منها ، وخرج فى مالها ذلك ، وخرج معه غلامُها مَيْسرة حتى قَدِم الشام .

فنزل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى ظل شجرة قريباً من صَوْمعة راهب[2] من الرّهبان ، فاطّلع الراهبُ إلى مَيْسرةَ ، فقال له : من هذا الرجلُ الذى نزل تحت هذه الشجرة ؟ قال له مَيْسرة : هذا رجلٌ من قريش من أهل الحَرَم : فقال له الراهبْ : ما نزل تحت هذه الشجرة قطُّ إلا نبىّ[3]

= التميمى ، ومات أبو هالة فى الجاهلية ، وقد ولدت له خديجة هندا الصحابى . راوى حديث صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد شهد بدرا ، وقيل أحدا . وقد روى عنه الحسن بن على فقال : حدثنى خالى ، لأنه أخو فاطمة لأمها . وكان هند فصيحا بليغا وصافا ، وكان يقول : أنا أكرم الناس أبا وأما وأخا وأختا . أبى رسول الله صلى الله وعليه وسلم ، وأخى القاسم ، وأختى فاطمة ، وأمى خديجة ، رضى الله عنهم ، وقتل هند مع على يوم الجمل ؛ وقيل مات بالبصرة فى الطاعون . ويقال إن الذى مات بالطاعون ولده، واسمه هند أيضا .

كما ولدت خديجة أيضا لأبى هالة : هالة بن أبى هالة ، وكان له صحبة .

وبعد أن مات أبو هالة عن خديجة تزوجها عتيق بن عابد المخزومى، فولدت له بنتا اسمها هند ، وقد أسلمت وصحبت . (راجع شرح المواهب ، والاستيعاب) .

(١) تضاربهم : تقارضهم ؛ والمضاربة : المقارضة .

(٢) وكان اسم هذا الراهب نسطورا ، وليس هو بحيرى المتقدم ذكره .

(٣) يريد مانزل تحتها هذه الساعة إلا نبى ، ولم يرد ما نزل تحتها قط إلا نبى ، لبعد العهد

ثم باع رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم سلعَته التى خرج بها، واشترى ما أراد أن يشترى ، ثم أقبل قافلاً إلى مكة ومعه مَيْسرةُ . فكان ميسرةُ ـ فيما يزعمون ـ إذا كانت الهاجرةُ واشتدّ الحرّ يرى مَلَـكَيْن يُظِلاّنه من الشمس ـ وهو يسير على بعيره. فلما قَدِم مكةَ على خديجة بمالها، باعتْ ماجاء به، فأضْعف أو قريباً[1] . وحدّثها ميسرةُ عن قول الراهب، وعمّا كان يرى من إظلال المَلَـكَيْن إياه . وكانت خديجة أمرأةً حازمةً شريفة لبيبة ، مع ما أراد اللهُ بها من كرامته ، فلما أخبرها مَيْسرةُ بما أخبرها به بعثت[2] إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقالت له ، فيما يزعمون: يابن عمّ، إنى قد رَغبتُ فيك لقَرابتك ، وَسِطَتِكَ[3] فى قومك ، وأمانتك وحُسْن خُلقك ،

= بالأنبياء قبل ذلك . وإن كان فى لفظ الخبر « قط » فقد تكلم بها على جهة التوكيد للنفى ، والشجرة لاتعمر فى العادة هذا العمر الطويل، حتى يدرى أنه لم ينزل تحتها إلا عيسى أوغيره من الأنبياء عليهم السلام . ويبعد فى العادة أن تكون شجرة تخلو من أن ينزل تحتها أحد حتى يجىء نبى ، إلا أن تصح رواية من قال فى هذا الحديث : لم ينزل تحتها أحد بعد عيسى بن مريم عليه السلام ، وهى رواية عن غير ابن إسحاق ، فالشجرة على هذا مخصوصة بهذه الآية . (راجع الروض الأنف) .

(١) وروى الزرقانى عن الواقدى وابن السكن فى اختيار خديجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أن أبا طالب قال : يابن أخى ، أنا رجل لامال لى ، وقد اشتد الزمان علينا، وألحت علينا سنون منكرة ، وليس لنا مادة ولا تجارة ، وهذه عير قومك قد حضر خروجها إلى الشام ، وخديجة تبعث رجالا من قومك يتجرون فى مالها ويصيبون منافع ، فلو جئتها لفضلتك على غيرك، لما يبلغها عنك من طهارتك ، وإن كنت أكره أن تأتى الشام ، وأخاف عليك من يهود ، ولكن لانجد من ذلك بدا ؛ فقال صلى الله عليه وسلم : لعلها ترسل إلى فى ذلك ؛ فقال أبو طالب : إنى أخاف أن تولى غيرك .

فبلغ خديجة ما كان من محاورة عمه له . ثم كان أن أرسلت إليه ، لعلمها قبل هذا بصدقه وأمانته .

(٢) هذا قول ابن إسحاق : أنها عرضت عليه نفسها من غير وساطة ، ويذهب غيره إلى أنها عرضت عليه نفسها بوساطة ، وأن ذلك كان على يد نفيسة بنت منية ، والجمع ممكن ، فقد تكون بعثت نفيسة أولا لتعلم أيرضى أم لا . فلما علمت بذلك كلمته بنفسها . (راجع شرح المواهب) .

(٣) كذا فى ا ، وشرح المواهب ، وشرح السيرة ، والروض والطبرى. وسطتك : شرفك . مأخوذة من الوسط مصدر ، كالعدة والزنة ؛ والوسط من أوصاف المدح والتفضيل . وفى سائر الأصول : « وسلطتك » ، وهو تحريف .

وصدق حديثك ، ثم عرضت عليه نفسها . وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسباً ، وأعظمهن شرفا ، وأكثرهن مالاً ؛ كل قومها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدر عليه .

نسب خديجة

وهى خديجة بنت خُوَيْلد بن أَسَد بن عبد العُزّى بن قُصَىّ بن كِلاب ابن مُرّة بن كَعْب بن لُؤَىّ بن غالب بن فِهْر . وأمها : فاطمة بنت زائدة[1] بن الأصمّ ابن رَواحة بن حَجَر بن عَبْد بن مَعيص بن عامر بن لُؤَى بن غالب بن فهر . وأم فاطمة : هالة بنت عبد مناف بن الحارث بن عمرو بن مُنْقِذ بن عمرو ابن مَعِيص بن عامر بن لُؤَى بن غالب بن فهر . وأم هالة : قِلابة بنت سُعَيد بن سَعْد ابن سَهْم بن عَمْرو بن هُصَيْص بن كَعْب بن لُؤَىّ بن غالب بن فِهْر .

زواجه صلى الله عليه وسلم من خديجة

فلما قالت ذلك لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ذَكَر ذلك لأعمامه ، فخرج معه عمُّه حمزة[2] بنُ عبد المطلب ، رحمه الله ، حتى دخل على خُوَيْلد[3] بن أسَد فخطبها إليه فتزوّجها .

قال ابن هشام :

وأصْدَقَها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عشرين بَكْرةً ، وكانت أول امرأة تزوّجها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، ولم يتزوّج عليها غيرَها حتى ماتت ، رضى الله عنها .

---

(1) كذا فى ا والطبرى ، وفى سائر الأصول : « بنت زائد » .

(2) ويقال إن الذى نهض معه صلى الله عليه وسلم هو أبو طالب ، وهو الذى خطب خطبة النكاح . وقيل : لعلهما خرجا معه جميعا وخطب أبو طالب الخطبة ، لأنه كان أسن من حمزة . (راجع شرح المواهب ، والروض) .

(3) وذكر الزهرى أن خويلد أبرم هذا الزواج ، وهو سكران ، فلما أفاق أنكر ذلك ، ثم رضيه وأمضاه ، وفى ذلك يقول راجز من أهل مكة :

لاتزهدى خــديج فى محمد نجم يضىء كإضاء الفرقد

وذكر غير ابن إسحاق أن خويلدا كان إذ ذاك قد هلك ، وأن الذى أنكح خديجة رضى الله عنها هو عمها عمرو بن أسد . كما يقال أيضا بأن الذى أنكحها هو أخوها عمرو بن خويلد . (راجع شرح المواهب ، والروض) .

أولاده صلى الله عليه وسلم من خديجة

قال ابن إسحاق :

فولدت لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم وَلَدَه كلّهم إلا إبراهيم : القاسمَ ، وبه كان يُكنى صلّى الله عليه وسلّم ، والطاهرَ[(١)] ، والطّيب ، وزينبَ ، ورُقية ، وأمّ كُلثوم ، وفاطمةَ ، عليهم السلام .

قال ابن هشام :

أكبرُ بَنيه القاسمُ ، ثم الطّيب ، ثم الطّاهر ؛ وأكبر بناته رُقية ، ثم زينب ، ثم أم كُلثوم ، ثم فاطمة .

قال ابن إسحاق :

فأما القاسمُ ، والطّيب ، والطاهرُ فهلكوا[(٢)] فى الجاهلية ؛ وأما بناتُه فكلّهن أدركْنَ الإسلامَ ، فأسلمنَ وهاجرنَ معه صلّى الله عليه وسلّم .

أم إبراهيم

قال ابن هشام :

وأمّا إبراهيم فأمّه مارية [القبطية] . حدثنا عبد الله بن وَهْب عن ابن لَهِيعة قال :

أم إبراهيم : مارية سرية النبيّ صلّى الله عليه وسلّم التى أهداها إليه المقوقسُ من حَفْن من كورة أَنْصِنا[(٣)] .

---

(١) يشعر سياق الحديث هنا وفيما سيأتى ، أن الطاهر والطيب شخصان ، والمعروف أنهما لقبان لعبد الله ، وبهما كان يلقب . (راجع زاد المعاد ، والروض الأنف ، والمعارف) .

(٢) فى موت القاسم فى الجاهلية خلاف ، فقد ذكر السهيلى عن الزبير أن القاسم مات رضيعا ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على خديجة بعد موت القاسم ، وهى تبكى ، فقالت : يا رسول الله ، لقد درت لبينة القاسم [اللبينة تصغير لبنة ، وهى قطعة من اللبن] . فلو كان عاش حتى يستكمل رضاعه لهون على ؛ فقال : إن شئت أسمعتك صوته فى الجنة ؛ فقالت بل أصدق الله ورسوله . وفيما روى الزبير دليل على أن القاسم لم يهلك فى الجاهلية .

(٣) راجع الحاشية (رقم ٥ و٦ ص ٧ من هذا الجزء) .

حديث خديجة مع ورقة وصدق نبوءة ورقة فيه صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق :

وكانت خديجة بنت خُويلد قد ذكرت لوَرَقة[1] بن نَوفل بن أَسَد بن عبد العُزّى ، وكان ابن عمها ، وكان نصرانيا قد تتبّع الكتب وعَلِم من عِلْم الناس — ما ذكرلها غلامُها ميسرةُ من قولِ الراهب ، وما كان يرى منه إذ كان المَلَكان يُظلاّنه ؛ فقال ورَقَةُ : لئن كان هذا حقًّا يا خديجةُ ، إن محمداً لنبيُّ هذه الأمة ، وقد عرفتُ أنه كائنٌ لهذه الأمّة نبيٌّ يُنتظر ، هذا زمانهُ ، أو كما قال .

[قال][2] : فجعل ورقةُ يستبطئُ الأمْرَ ويقول : حتى متى ؟ فقال ورقةُ فى ذلك :

لَجِجْتُ وكنتُ فى الذكرى لَجوجًا ... لِهَمٍّ طالما بعث النَّشِيجا[3]
ووَصْفٍ من خديجةَ بعد وصْفٍ ... فقد طال انتظارى يا خديجا
ببطن المَكّتين[4] على رجائى ... حديثَك أن أرى منه خُروجا[5]
بما خَبَّرتِنا من قول قَسٍّ ... من الرهبان أكْرهُ أن يعُوجا
بأنّ محمداً سيَسود فينا ... ويَخْصِمُ من يكون له حَجيجا
ويظهر فى البلاد ضياءُ نور ... يُقيم به البريةَ أن تَمُوجا[6]
فَيلْقَى مَنْ يُحاربه خَساراً ... ويَلْقى من يُسالمه فُلوجا[7]

---

(1) أم ورقة : هند بنت أبى كبير بن عبد بن قصى . ولا عقب لورقة هذا ، وهو أحد من آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم قبل البعث . (راجع الروض) .

(2) زيادة عن ا .

(3) النشيج : البكاء مع صوت .

(4) ثنى « مكة » ، وهى واحدة لأن لها بطاحا وظواهر ، ومقصد العرب فى هذا الإشارة إلى جانبى كل بلدة ، أو الإشارة إلى أعلى البلدة وأسفلها ، فيجعلونها اثنين على هذا المغزى ، وقد قالوا : صدنا بقنوين ، وهو قنا : اسم جبل . وقال عنترة :

* شَرِبَتْ بماء الدُّحْرُضَيْنِ *

وقد ورد مثل هذا كثير فى شعر العرب .

(5) الهاء فى « منه » : راجعة على الحديث . وحرف الجر متعلق بالخروج .

(6) تموج : تضطرب .

(7) الفلوج : الظهور على الخصم والعدو .

فياليْتِي إذا ما كان ذاكم شَهِدْت فكنتُ أوّلَهُم وُلوجا[1]
وُلُوجًا فى الذى كرهتْ قُرَيشٌ ولَو عَجَّت بمَكّتها عَجيجا[2]
أُرجِّى بالذى كَرِهوا جميعاً إلى ذى العرش إن سفلوا عُروجا[3]
وهل أمرُ السّفالة غيرُ كُفْر بمَنْ يَختار مَنْ سَمَكَ البرُوجا
فإنْ يبقَوْا وأبقَ تكنْ أُمورٌ يضجُّ الكافرون لها ضَجيجا ٥
وإن أَهْلِكْ فكل فتى سيَلْقى من الأقدارِ مَتلفةً[4] حَروجا

حديث بنيان الكعبة وحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بين قريش فى وضع الحجر

سبب بنيان قريش للكعبة

قال ابن إسحاق :

فلما بلغ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم خمساً وثلاثين سنة ، اجتمعت قريش ١٠ لبنيان الكعبة[5] ، وكانوا يهمّون بذلك ليُسقّفوها ويهابون هَدْمها . وإنما

---

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « أكثرهم » .

(٢) عجت : ارتفعت أصواتها .

(٣) العروج : الصعود والعلو .

(٤) المتلفة : المهلكة . والحروج : الكثيرة التصرف . ١٥

ولورقة فى هذا المعنى شعر ذكره السهيلى ، وذكر أنه من رواية يونس عن ابن إسحاق ، منه :

أتبكر أم أنت العشية رائح وفى الصدر من إضمارك الحزن قادح

(٥) بنيت الكعبة خمس مرات . الأولى حين بناها شيث بن آدم . والثانية حين بناها إبراهيم . والثالثة حين بنتها قريش هذه المرة ، وكان ذلك قبل الإسلام بخمس سنين . ٢٠ والرابعة حين احترقت فى عهد ابن الزبير . فلما قام عبد الملك بن مروان هدمها ، لأنه لم يعجب بما فعل ابن الزبير فى بنائها ، وبناه على ما كانت عليه فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأما المسجد الحرام فأول من بناه عمر بن الخطاب ، ثم زاد فيه عثمان ، ثم زاد ابن الزبير فى إتقانه لا فى سعته ، ثم زاد عبد الملك بن مروان فى ارتفاع المسجد . (راجع تواريخ مكة للأزرقى ، والروض ، وشرح المواهب) . ٢٥

كانت رَضْماً[1] فوق القامة ، فأرادوا رَفعْها وتَسْقيفها[2] ، وذلك أن نفراً سرقوا كنزاً للكعبة ، وإنما كان يكون فى بئر فى جوف الكعبة ، وكان الذى وُجد عنده الكنز دُوَيْكاً[3] ، مولى لبنى مُلَيح بن عمرو ، من خزاعة . قال ابن هشام : فقطعت قريش يده ؛ وتزعم قريشٌ أنّ الذين سرقوه وضعوه عند دُوَيك .

٥ وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جُدّة لرجل من تجّار الروم فتحطّمت ، فأخذوا خَشَبها فأعدّوه لتَسْقيفها ، وكان بمكة رجل[4] قِبطى نجار ، فتهيأ لهم فى أنفسهم بعضُ مايُصلحها . وكانت حَيّة تخرج من بئر الكعبة التى كان يُطْرح فيها مايُهدى لها كل يوم ، فتتشرّق[5] على جدار الكعبة ، وكانت مما يهابون ، وذلك أنه كان لايدنو منها أحد إلا احْزَأَلّتْ وكَشّت[6] وفتحت فاها ، وكانوا يهابونها .

١٠ فبينا هى ذات يوم تتشرّق على جدار الكعبة ، كما كانت تصنع ، بعث الله إليها طائراً فاختطفها فذهب بها ؛ فقالت قريش : إنا لنرجو أن يكون اللهُ قد رضى ما أردنا عندنا عامل رفيق ، وعندنا خشب ، وقد كفانا الله الحيّة .

ماحدث لأبى وهب عند بناء قريش الكعبة

فلما أجمعوا أمرَهم فى هَدْمها و بنائها ، قام أبو وَهْب بن عَمْرو بن عائذ بن عَبْد ابن عِمْران بن مخزوم — قال ابن هشام : عائذ ابنُ عمران بن مخزوم —

---

١٥ (١) الرضم : أن تنضد الحجارة بعضها على بعض من غير ملاط .

(٢) وقيل إن الذى حمل قريشا على بنائها أن السيل أتى من فوق الردم الذى بأعلى مكة فأضر به ، فخافوا أن يدخلها الماء . وقيل بل كان الذى حملهم على هذا احتراقها ، وذلك أن امرأة أجمرت الكعبة فطارت شرارة فى ثيابها فأحرقتها . (راجع شرح المواهب) .

(٣) قد تقدم أن سارقا سرق من مالها فى زمن جرهم ، وأنه دخل البئر التى فيها كنزها، ٢٠ فسقط عليه حجر ، فحبسه فيها حتى خرج منها وانتزع المال منه ، ثم بعث الله حية لها رأس كرأس الجدى ، إلى آخر ما جاء فى الخبر هناك .

وقد نبهنا على ذلك هنا ليجتمع بين يدى القارئ ما قيل فى الخبر الواحد مما يباين بعضه بعضا ، مما ذكر غير متصل فى الكتاب .

(٤) وكان اسم ذلك الرجل : باقوم ، وقيل : باقول . (راجع الإصابة ، وشرح ٢٥ المواهب ، والروض) .

(٥) تتشرق : تبرز للشمس . ويقال : تشرقت : إذا قعدت للشمس لايحجبك عنها شىء .

(٦) احزألت : رفعت رأسها . وكشت : صوتت باحتكاك بعض جلدها ببعض .

فتناول من الكعبة حجراً، فوثب من يده، حتى رجع إلى موضعه، فقال: يامعشرَ قريش، لا تُدخلوا في بنائها من كَسْبكم إلا طيّبا، لايدخل فيها مَهْر بغيّ ولابيع رِباً، ولا مظلمة أحد من الناس[1]. والناس يَنْحلون هذا الكلامَ الوليدَ ابنَ المُغيرة بن عبد اللهِ بن عُمَر بن مَخْزوم.

قال ابن إسحاق: وقد حدّثني عبدُ الله بن أبي نَجيح المكّي أنه حُدّث عن عبد الله بن صَفْوان بن أُميّة بن خَلَف بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح بن عمرو ابن هُصَيص بن كَعْب بن لُؤَيّ.

أنه رأى ابناً لجَعْدَة بن هُبَيْرة بن أبي وَهْب بن عَمْرو يطوف بالبيت، فسأل عنه فقيل: هذا ابنُ لجَعْدة بن هُبيرة؛ فقال عبد الله بن صَفوان: عند ذلك جَدّ هذا، يعني أبا وهب، الذي أخذ حجرا من الكَعبة حين أجمعت قريش لهدمها، فوثب من يده، حتى رجع إلى موضعه، فقال عند ذلك: يامعشر قريش، لاتدخلوا في بنائها من كَسْبكم إلا طيّبا، لاتدخلوا فيها مَهْرَ بغيّ، ولا بَيْع رباً، ولا مظلمة أحد من الناس.

قرابة أبي وهب لرسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق:

وأبو وهب خالُ أبي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وكان شريفاً، وله يقول شاعر من العرب:

ولو بِأبي وَهْب أنختُ مَطيّتي ... غَدَتْ من نَداه رَحْلُها غيرُ خائبِ
بأبيضَ من فَرْعَيْ لُؤَيّ بن غالب ... إذا حُصّلت أنسابُها في الذوائب[2]
أبيّ لأَخْذِ الضّيم يرتاح للنّدى ... توسّط جَدّاه فروعَ الأطايب

---

(1) وفي رواية أخرى: لاتجعلوا في نفقة هذا البيت شيئا أصبتموه غصبا، ولا قطعتم فيه رحما، ولا أنهكتم فيه ذمة أحد بينكم وبين أحد من الناس.

(2) الذوائب: الأعالي، وأراد بها الأنساب الكريمة.

عظيم رَماد القِدْر يملا جِفانَه   من الُخبز يَعْلوهنّ مثلُ السبائب[1]

تجزئة الكعبة بين قريش ونصيب كل فريق منها

ثم إن قريشاً جَزّأت[2] الكعبةَ ، فكان شقّ[3] الباب لبنى عبد مناف وزُهرة ، وكان مابين الركن الأسود والركن اليمانى لبنى مَخْزوم وقبائل من قريش انضموا إليهم ، وكان ظهرُ الكعبة لبنى جُمح وسهم ، ابنى عمرو بن هُصَيص ابن كَعْب بن لُؤى ، وكان شقّ الحِجْر لبنى عبد الدار بن قُصَىّ ، ولبنى أسَد ابن العُزّى بن قُصَىّ ، ولبنى عدى بن كَعْب بن لُؤَىّ ، وهو الحَطِيم[4] .

الوليد بن المغيرة وهدم الكعبة وما وجدوه تحت الهدم

ثم إن الناس هابوا هَدْمها وفَرِقُوا منه ، فقال الوليدُ بن المُغيرة : أنا أبدؤكم فى هَدْمها ، فأخذ المِعولَ ، ثم قام عليها ، وهو يقول : اللهم لم تُرَعْ[5] ــ قال ابن هشام : ويقال : لم نزغ[6] ــ اللهم إنا لا نريد إلا الخير . ثم هدم من ناحية الركنَيْن ، فتربص الناسُ تلك الليلةَ ، وقالوا : ننظُر ، فإن أُصيب لم نهدم منها شيئاً ورَدَدْناها كما كانت ، وإنْ لم يُصِبه شىء ، فقد رضى الله صُنْعَنا ، فهدَمْنا . فأصبح الوليدُ من ليلته غادياً على عمله ، فهدمَ وَهَدَمَ الناسُ معه ، حتى إذا انتهى الهدمُ بهم إلى الأساس ، أساسِ إبراهيم ، عليه السلام ، أفْضَوا إلى حجارة خُضْر كالأسْنِمة[7] آخذٌ بعضُها بعضا .

---

(١) السبائب : جمع سبيبة ، وهى ثياب رقاق بيض ، فشبه الشحم الذى يعلو الجفان بها .

(٢) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « تجزأت » . ولا يستقيم بها الكلام .

(٣) الشق : الناحية والجانب .

(٤) قيل : سمى حطيا ، لأن الناس يزدحمون فيه حتى يحطم بعضهم بعضا ؛ وقيل بل لأن الثياب كانت تجرد فيه عند الطواف . (عن شرح السيرة لأبى ذر) .

(٥) لم ترع : لم تفزع . والضمير فيها يعود على الكعبة :

(٦) لم نزغ : أى لم نمل عن دينك ولا خرجنا عنه ، يقال : زاغ عن كذا ، إذا خرج عنه .

(٧) الأسنمة : جمع سنام ، وهو أعلى الظهر . وأراد أن الحجارة دخل بعضها فى بعض كما تدخل عظام السنام بعضها فى بعض ، فشبهها بها .

وتروى : « كالأسنة » . وهى جمع : سنان . شبهها بأسنة الرماح فى الخضرة .

قال ابن إسحاق : فحدثنى بعض منْ يَروى الحديث .

أن رجلاً من قريش ، ممن كان يهدمها ، أدخل عَتلةً بين حَجَرين منها ليقلع بها أحدَهما ، فلما تحرّك الحجر تنقضت[1] مكة بأسرها، فانتهَوا عن ذلك الأساس.

قال ابن إسحاق :

وحُدثت أن قريشاً وجدوا فى الركن كتاباً بالسريانية ، فلم يدروا ما هو ٥ حتى قرأه لهم رجل من يهود ، فإذا هو : أنا الله ذو بكّة[2] ، خلقتها يوم خلقتُ السموات والأرض ، وصورتُ الشمس والقمر ، وحففتها بسبعة أملاكٍ حُنفاء ، لا تزول حتى يزول أَخْشَبَاها[3] ، مبارك لأهلها فى الماء واللبن .

قال ابن هشام : أخشباها : جبلاها .

قال ابن إسحاق : ١٠

وحدثت أنهم وجدوا فى المقام كتاباً فيه : مكةَ بيت الله الحرام ، يأتيها رِزْقُها من ثلاثة سُبُل ، لا يُحلّها أولُ مِنْ أهلها[4]

قال ابن إسحاق :

وزعم ليثُ بن أبى سُليم أنهم وجدوا حجراً فى الكعبة قبل مَبْعث النبى صلّى الله عليه وسلّم بأربعين سنة ، إنْ كان ماذكر حقًّا ، مكتوباً فيه : من يزرع ١٥ خيراً يحصد غبطة ، ومن يزرع شرا يحصد ندامة . تعملون السيئات ، وتجزون الحسنات ! أجل ، كما لا يُجتنى من الشوك العِنَب .

---

(١) تنقضت : اهتزت .

(٢) فى ا : « ذو مكة » .

(٣) الأخشبان : جبلان بمكة . ٢٠

(٤) يريد: لا يحلها ابتداء بعض أهلها . وفى ذلك إشارة إلى ما كان من استحلال قريش القتال فيها أيام ابن الزبير وحصين ابن نمير ، ثم الحجاج بعده ، ولذلك قال ابن أبى ربيعة :

ألا من لقلب معنى غزل يحب المحلة أخت المحل

يعنى بالمحل : عبد الله بن الزبير لقتاله فى الحرم . (راجع الروض الأنف) .

اختلاف قريش فيمن يضع الحجر ولعقة الدم

قال ابن إسحاق :

ثمّ إنّ القبائل من قُرَيش جمَعت الحجارةَ لبنائها ، كل قَبيلة تجمع على حِدَة ، ثم بَنوْها ، حتى بلغ البنيانُ موضعَ الركن[1] ، فاختصموا فيه ، كلّ قبيلة تُريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى ، حتى تحاوزوا[2] وتحالفوا وأعدّوا للقتال ، فقرّبت بنو عبد الدار جَفْنة مملوءة دمًا ، ثم تعاقدوا هم وبَنو عدى بن كَعْب ابن لُؤَى على الموت ، وأدخلوا أيديهم فى ذلك الدم فى تلك الجفنة ، فسُموا لَعَقة الدم فمكثت قُرَيش على ذلك أربعَ ليال أو خمسا ، ثم إنهم اجتمعوا فى المسجد وتشاوروا وتناصفوا .

إشارة أبى أمية بتحكيم أول داخل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

فزعم بعضُ أهل الرواية : أن أبا أُميّة بن المُغيرة[3] بن عبد الله بن عُمَر ابن مَخْزوم ، وكان عامئذٍ أسنَّ قُرَيش كلها ؛ قال : يامعشرَ قُرَيش ، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أوّلَ من يدخل من باب[4] هذا المسجد يقضى بينكم فيه ، ففعلوا . فكان أوّل داخل عليهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ، رَضِينا ، هذا محمد ؛ فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبرَ ، قال صلّى الله عليه وسلّم : هلمّ إلىّ ثوبًا ، فأُتى به ، فأخذ الركن فوَضَعه فيه بيده ، ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية[5] من الثوب ، ثم ارفعوه جميعًا ، ففعلوا : حتى إذا

---

(١) يريد بالركن : الحجر الأسود . وسمى ركنا ، لأنه مبنى فى الركن .

(٢) كذا فى ا . وتحاوزوا : انحازت كل قبيلة إلى جهة . وفى سائر الأصول : « تحاوروا » بالراء المهملة .

(٣) ويروى أن المشير على قريش مهشم بن المغيرة ، ويكنى أبا حذيفة .

(٤) هو باب بنى شيبة ، وكان يقال له فى الجاهلية : باب بنى عبد شمس ، ويقال له الآن : باب السلام . وفى رواية : أول من يدخل باب الصفا .

(٥) أى بناحية من زواياه . ولما فعلوا كان فى ربع عبد مناف عتبة بن ربيعة ، وكان فى الربع الثانى زمعة ، وفى الثالث أبو حذيفة بن المغيرة ، وفى الرابع قيس بن عدى . وقد تم بناء الكعبة قبل الهجرة بثمان عشرة سنة ، بعد أن حلت كلمة الوفاق محل الشقاق ، ورضى الكل بحكمه صلوات الله عليه . وإلى قضية التحكيم يشير قول هبيرة بن أبى وهب المخزومى : =

بلغوا به موضعه وضعه هو بيده ، ثم بنى[1] عليه .

شعر الزبير فى الحية التى كانت قريش تهاب بنيان الكعبة لها

وكانت قُرَيشٌ تسمى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، قبل أن ينزل عليه الوحى : الأمين . فلما فرغوا من البنيان و بنوها على ما أرادوا ، قال الزُّبَيْرُ ابن عبد المطلب ، فيما كان من أمر الحيّة التى كانت قريش تهاب بنيان الكعبة لها : 5

عجبتُ لِمَا تَصَوَّبت العُقابُ ... إلى الثعبانِ وهى لها اضطرابُ

وقد كانت يكون لها كشيشٌ ... وأحياناً يكون لها وِثاب[2]

إذا قُمنا إلى التأسيس شَدّت ... تُهَيِّبنا البناء وقد تُهاب

فلما أن خَشينا الرِّجْزَ[3] جاءت ... عُقابٌ تَتَلْئِبُ[4] لها انْصباب

فضمّتْها إليها ثم خلّت ... لنا البُنيان ليس له حِجاب 10

فقُمنا حاشدين إلى بِناء ... لنا منه القواعدُ والتراب

غداةَ نُرَفّع التأسيسَ منه ... وليس على مُسَوّينا[5] ثياب[6]

= تشاجرت الأحياء فى فصل خطة ... جرت بينهم بالنحس من بعد أسعد

تلاقوا بها بالبغض بعد مودة ... وأوقد ناراً بينهم شر موقد

فلما رأينا الأمر قد جد جده ... ولم يبق شىء غير سل المهند 15

رضينا وقلنا العدل أول طالع ... يجىء من البطحاء من غير موعد

ففاجأنا هذا الأمين محمد ... فقلنا رضينا بالأمين محمد

(1) وأما وضع الركن حين بنيت الكعبة فى أيام ابن الزبير ، فقد وضعه فى الموضع الذى هو فيه الآن حمزة بن عبد الله بن الزبير ، وأبوه يصلى بالناس فى المسجد ، اغتنم شغل الناس عنه بالصلاة لما أحس منهم التنافس فى ذلك وخاف الخلاف ، فأقره أبوه . (راجع الروض الأنف) . 20

(2) الوثاب : الوثوب .

(3) الرجز : العذاب . ويروى : « الزجر » وهو المنع .

(4) تتلئب : تتابع فى انقضاضها .

(5) كذا فى ا . يريد به مسوى البنيان . وفى سائر الأصول : « مسوبنا » بالباء الموحدة وهو تصحيف . 25

(6) لقد كانوا ينقلون الحجارة عراة ويرون ذلك دينا ، وأنه من باب التشمير والجد فى الطاعة .

أعزَّ به المليكُ بَنِي لُؤيّ فليس لأصْله منهمْ ذَهاب
وقد حَشَدت هناك بنو عديّ ومُرّة قد تَقدَّمها كِلاب
فبوَّأنا[1] المليكُ بذاك عِزًّا وعند الله يُلتمسُ الثواب

قال ابن هشام : ويروى :

* وليس على مساوينا[2] ثياب *

ارتفاع الكعبة وأول من كساها الديباج

وكانت الكعبة على عهد رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ثمانى عَشْرةَ ذراعا ، وكانت تُكْسَى القَباطى[3] ، ثم كُسِيت البُرود[4] ، وأول من كساها الديباجَ الحجّاجُ بن يوسف[5] .

حديث الحمس

الحمس عند قريش

قال ابن إسحاق :

وقد كانت قُرَيش — لا أدرى أقبلَ الفيل أم بعده — ابتدعت رأى[6] الحُمْس[7] رأيًا رأوه وأداروه ؛ فقالوا : نحن بنو إبراهيم وأهلُ الُحرمة وولاة البيت وقطّان[8] مكة وساكنُها ، فليس لأحدٍ من العرب مثلُ حقّنا ، ولا مثلُ

---

(١) بوأنا : أحلنا وأوطننا .

(٢) يريد بالمساوى : السوآت .

(٣) القباطى : ثياب بيض كانت تصنع بمصر .

(٤) البرود : ضرب من ثياب اليمن .

(٥) وكساها ابن الزبير قبل الحجاج الديباج ، وكان خالد بن جعفر بن كلاب ممن كساها الديباج قبل الإسلام . (عن الروض الأنف) .

(٦) فى ا : « أمر » .

(٧) الحمس : جمع : أحمس . والأحمس : المشتد الصلب فى الدين . وسميت قريش حمسا لزعمهم بأنهم اشتدوا فى الدين ، وكانوا قد ذهبوا فى ذلك مذهب التزهد والتأله . فكانت نساؤهم لا ينسجن الشعر ولا الوبر . وسيعرض المؤلف لتفصيل هذا بعد قليل .

(٨) فى ا : « قاطن » .

منزلتنا ، وَلا تَعْرِفُ له العربُ مثلَ ما تعرف لنا ، فلا تعظموا شيئا من الحل كما تعظّمون الحرم ، فإنكم إنْ فعلتم ذلك استخفت العربُ بحُرْمتكم ، وقالوا : قد عظّموا من الحل مثل ماعظموا من الحرم. فتركوا الوقوفَ على عرَفة والإفاضة منها ، وهم يعْرِفون ويُقِرّون أنها من المَشاعر[1] والحجّ ودين إبراهيم صلّى الله عليه وسلّم ، ويَرَوْنَ لسائر العرب أن يَقفوا عليها ، وأن يُفيضوا منها ، إلا أنهم قالوا : نحن أهلُ الحَرم ، فليس ينبغى لنا أن نخرج من الُحرمة ولا نعظّم غيرها كما نُعظّمها نحن الحُمْس ، والحُمْس أهلُ الحرم ، ثم جعلوا لمن وَلدوا من العرب من ساكن الحل والحَرم مثلَ الذى لهم ، بولادتهم إياهم يحل لهم مايحل لهم ، ويحرُم عليهم مايحرم عليهم .

القبائل التى دانت مع قريش بالحمس

وكانت كِنانة وخُزاعة قد دخلوا معهم فى ذلك .

قال ابن هشام : وحدثنى أبو عُبَيدة النحوى : أن بنى عامر بن صَعْصعة ابن معاوية بن بَكْر بن هوازن دخلوا معهم فى ذلك ، وأنشدنى لعَمْرو بن مَعْد يكرب :

أعبَّاسُ لوكانت شِياراً جِيادُنا بتَثْليثَ مانَاصيتَ بعدى الأَحامِسا[2]

قال ابن هشام : تثليث : موضع من بلادهم . والشيار : [3] [السمان] الحسان . يعنى بالأحامس : بَنى عامر بن صَعْصعة . و بعبّاس : عباسَ بن مِرْداس السلمى ، وكان أغار على بَنِي زُبَيد بتثليث . وهذا البيت من قصيدة لعمرو .

وأنشدنى للقَيِط بن زُرارة الدّارمى فى[4] يوم جَبلة :

---

(١) المشاعر : المواضع المشهورة فى الحج ، لايتم إلا بها .

(٢) ناصيت : أخذت بناصيتهم ونازعتهم . ومنه حديث عائشة : لم تكن واحدة من نساء النبي صلى الله عليه وسلم تناصينى غير زينب : أى تنازعنى وتبارينى .

(٣) زيادة عن ا .

(٤) وكان يوم جبلة قبل الإسلام بأربعين سنة ، وهو عام مولد الرسول صلى الله عليه وسلم (راجع العقد الفريد ، والروض) .

أجْـــذِمِ[1] إليك إنها بنو عَبْس   المشرُ الجِلّة[2] فى القوم الحُمْس

لأن بنى عَبْس كانوا يوم جَبلة حُلفاء فى بَنى عامر بن صَعْصعة .

يوم جبلة

ويومُ جبلة يومٌ كان بين بَنى حَنْظلة بن مالك بن زَيد مناَة بن تَميم ، و بين بَنى عامر بن صَعْصعة[3] ، فكان الظَّفر فيه لبَنى عامر بن صَعْصعة على بَنى حَنْظلة ، وقُتِل يومئذ لَقيطُ بن زُرارة بن عُدس[4] ، وأُسِر حاجب بن زُرارة ابن عُدس ، وانهزم عَمْرو بن عَمْرو بن عُدس بن زَيْد بن عبد الله بن دارم ابن مالك بن حَنْظلة . ففيه يقول جرير للفرزدق :

كأنّك لم تَشْهد لَقِيطاً وحاجباً   وعَمْرَو بن عَمْرٍو إذْ دَعَوْا يالَدارمِ

وهذا البيتُ فى قصيدة له .

يوم ذى نجب

ثم التقوا يومَ ذى نَجَب[5] ، فكان الظَّفر لحَنْظلة على بَنى عامر ، وقُتل يومئذٍ حسّان بن مُعاوية الـكِنْدىّ ، وهو ابن[6] كَبْشة . وأُسِر يَزيد بن الصَّعِق الـكِلابىّ ، وانهزم الطُّفَيل بن مالك بن جَعْفر بن كِلاب ، أبو عامر بن الطُّفَيل . ففيه يقول الفرزدق[7] :

ومنهنّ إذْ نجّى طُفَيلُ بن مالك   على قُرْزل[8] رَجْلاً رَكُوضَ الهَزائمِ

---

(١) أجذم : زجر معروف للخيل .

(٢) كذا فى أكثر الأصول . والجلة : العظماء . وفى ا : « الحله » بالحاء المهملة . والحلة : الذين يسكنون فى الحل .

(٣) ذكر ابن عبد ربه فى كتابه « العقد الفريد » يوم شعب جبلة هذا . وقال إنه كان لعامر وعبس على ذبيان وتميم .

(٤) هو بضم الدال عند الجميع إلا أبا عبيدة ، فإنه عنده بفتحها ، وكل عدس فى العرب ، فإنه مفتوح الدال . (راجع الروض ، وشرح السيرة لأبى ذر ، ومؤتلف القبائل ومختلفها لابن حبيب) .

(٥) ذو نجب (محركة) : واد قرب ماوان . (راجع مايعول عليه ، ومعجم البلدان) .

(٦) كذا فى ا هنا وفيما سيأتى من جميع الأصول . وفى سائر الأصول هنا : « أبو كبشة »

(٧) نسب هذا الشعر فى معجم البلدان عند الكلام على ذى نجب لسحيم بن وثيل الرياحى .

(٨) قرزل (بالضم) : اسم فرس لطفيل بن مالك . وكان طفيل يسمى : فارس قرزل .

ونحنُ ضَرَبْنا هامةَ ابنِ خُوَيْلد[1] نزيد على أُمّ الفِراخ الجَوَاثم[2]

وهذان البيتان فى قصيدة له .

فقال جرير :

ونحن خَضَبْنا لابن كَبْشة تاجَه ولاقَى امرأ فى ضَمّة الخَيْل مِصْقَعا[3]

وهذا البيتُ فى قصيدة له .

وحديث يوم جَبَلة و يوم ذى نجب أطول مما ذكرنا ، و إنما منعنى من استقصائه ماذكرتُ فى حديث يوم الفِجار .

ما زادته العرب فى الحمس

قال ابن إسحاق :

ثم ابتدعوا فى ذلك أُموراً لم تكن لهم، حتى قالوا: لاينبغى للحُمْس أن يَأْتَقِطوا الأقِط[4] ، ولا يَسلئوا[5] السمن وهم حُرُم ، ولا يدخلوا بيتاً من شَعر ، ولا يستظلّوا إنِ اُستظلوا إلا فى بيوت الأَدَم[6] ما كانوا حُرُمًا ، ثم رفعوا فى ذلك فقالوا : لاينبغى لأهل الحِل أن يأكلوا من طعام جاءوا به معهم من الحلّ إلى الحرم ، إذا جاءوا حُجّاجا أو عُمّارا ، ولا يطوفوا بالبيت إذا قَدِموا أولَ طَوافهم إلا فى ثياب الحُمْس ، فإن لم يَجدوا منها شيئاً طافوا بالبيت عُراةً ، فإن تكرّم منهم مُتكرِّم من رجل أو امرأة ، ولم يجد ثِياب الحُمْس ، فطاف فى ثيابه التى جاء بها من الحلّ ، ألقاها

(1) رواية هذا البيت فى معجم البلدان :

ونحن ضربنا هامة ابن خويلد يزيد وضرجنا عبيدة بالدم

(2) أم الفراخ الجواثم : يريد الهامة ، وهى البوم ، وكانوا يعتقدون أن الرجل إذا قتل خرجت من رأسه هامة تصيح : اسقونى اسقونى ، حتى يؤخذ بثأره.

(3) المصقع (هنا) : مأخوذ من قولهم صقعه : إذا ضربه على شىء مصمت .

(4) الأقط (مثلثة ويحرك وككتف ورجل وإبل): شىء يتخذ من المخيض الغنمى . وجمعه أقطان . وأقط الطعام : عمله به .

(5) سلأت السمن واستلأته : إذا طبخ وعولج ، والاسم : السلاء (بالكسر ممدود) .

(6) بيوت الأدم : الأخبية التى تصنع من الجلد .

إذا فرغ من طَوافه ، ثم لم ينتفع بها ، ولم يَمَسّها هو ولا أحدٌ غيرُه أبدا .

اللقى عند الحمس وشعر فيه

فكانت العربُ تسمّى تلك الثيابَ اللَّقَى[1] . فحملوا على ذلك العربَ ، فدانت به . وقفوا على عرفات ، وأفاضوا منها ، وطافوا بالبيت عُراةً : أمّا الرجال فيطوفون عراة ، وأمّا النساء فتَضع إحداهنّ ثيابَها كلَّها إلا دِرْعًا مُفَرّجا[2] عليها ، ثم تَطوف فيه . فقالت امرأة[3] من العرب ، وهى كذلك تطوف بالبيت :

اليــــومَ يبدو بعضُه أو كلّه وما بدا منــــه فلا أُحِــلّه

ومَنْ طاف منهم فى ثيابه التى جاء فيها من الحِلّ ألقاها ، فلم ينتفع بها هو ولا غيره . فقال قائلٌ من العرب يذكر شيئاً تركه من ثيابه فلا يَقْربه ، وهو يُحبّه[4] :

كَفَى حَزَناً كَرِّى عليها كأنها[5] لَقًى بين أيدى الطَّائفين حَرِيمُ[6]

يقول : لا تُمَسّ .

حكم الاسلام فى الطواف وإبطال عادات الحمس فيه

فكانوا كذلك حتى بعث الله تعالى محمداً صلّى الله عليه وسلّم ، فأنزل عليه

---

(١) اللقى : الشىء الملقى ، ويقال : المنسى . وجمعه : ألقاء .

(٢) المفرج : المشقوق من قدام أو خلف .

(٣) يقال إن هذه المرأة هى ضباعة بنت عامر بن صعصعة ، ثم من بنى سلمة بن قشير ، ويذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبها، فذكرت له عنها كبرة فتركها . ولعل الذى أخرها عن أن تكون أما للمؤمنين وزوجا لرسول رب العالمين تكريم الله لنبيه وعلمه بغيرته ، والله أغير منه ، لما فى قولها :

* اليــوم يبدو بعضه أو كله *

من شىء فيه مافيه . (راجع الروض الأنف) .

(٤) ومن اللقى حديث فاختة أم حكيم بن حزام ، وكانت دخلت الكعبة ، وهى حامل متم بحكيم بن حزام ، فأجاءها المخاض ، فلم تستطع الخروج من الكعبة ، فوضعته فيها ، فلفت فى الأقطاع هى وجنينها ، وطرح مثبرها وثيابها التى كانت عليها ، فجعلت لقى لاتقرب

(٥) فى ا : * . . . عليه كأنه * .

(٦) حريم : محرم ، لايؤخذ ولاينتفع به .

حين أحكم له دينَه، وشَرع له سُنن حجّه: « ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » يعني قريشاً. والناس: العرب. فرفعهم في سنّة الحج إلى عرفات والوقوف عليها والإفاضة منها.

وأنزل الله عليه فيما كانوا حرّموا على الناس من طعامهم ولَبوسهم عند البيت، حين طافوا عُراةً وحرّموا ماجاءوا به من الحلّ من الطعام: « يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَٱشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ. قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ. قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ[1] ». فوضع اللهُ تعالى أمرَ الحُمْس، وما كانت قُرَيش ابتدعت منه على[2] الناس بالإسلام، حين بعث الله به رسولَه صلّى الله عليه وسلّم.

قال ابن إسحاق: حدّثني عبدُ الله بنُ أبي بَكْر بن محمد بن عَمْرو بن حَزْم، عن عثمان بن أبي سُلَيمان بن جُبير بن مُطْعِم، عن عمّه نافع بن جُبير، عن أبيه جُبَير ابن مطعم، قال:

لقد رأيت رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قبل أن ينزل عليه الوحيُ، وإنه لواقفٌ على بَعيرٍ له بعرَفات مع الناس من بين قومه حتى يدْفع معهم منها، توفيقاً[3] من الله له، صلّى الله عليه وآله وسلم تسليما كثيرا.

---

(1) المراد بالزينة في الآية اللباس وعدم التعرى. وقوله تعالى: « كلوا واشربوا ». إشارة إلى ما كانت الحمس حرمته من طعام الحج إلى طعام أحمسى.

(2) كذا في ا. وفي سائر الأصول: « عن ».

(3) وذلك حتى لايفوته صلى الله عليه وسلم ثواب الحج والوقوف بعرفة. ولقد قال جبير حين رآه واقفا بعرفة مع الناس: هذا رجل أحمسى، فما باله لايقف مع الحمس حيث يقفون. (راجع الروض الأنف).

إخبار الكهان من العرب، والأحبار من يهود، والرهبان من النصارى

قال ابن إسحاق :

معرفة الكهان والأحبار والرهبان بمبعثه صلى الله عليه وسلم

وكانت الأحبار من يهود ، والرُّهبان من النصارى ، والكُهّان من العرب قد تحدّثوا بأمر رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قبل مَبْعَثه ، لما تقارَب من زمانه . أمّا الأحبار من يَهود ، والرهبان من النصارى ، فعمّا وَجدوا فى كُتبهم من صِفته وصِفة زمانه ، وما كان من عَهْد أنبيائهم إليهم فيه . وأمّا الكُهّان من العرب فأتتْهم به الشياطينُ من الجنّ فيما تَسْترق من السمع ، إذ كانت وهى لاتُحجب عن ذلك بالقذْف بالنجوم . وكان الكاهنُ والكاهنة لا يزال يَقع منهما ذِكرُ بعضِ أموره ، لاتُلْقى العربُ لذلك فيه بالاً ، حتى بعثه الله تعالى، ووقعت تلك الأمور التى كانوا يَذْكرون ، فعرفوها .

قذف الجن بالشهب وآية ذلك على مبعثه صلى الله عليه وسلم

فلمّا تقارب أمْرُ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وحَضَر مَبْعثُه ، حُجِبت الشياطينُ عن السَّمْع ، وحِيل بينها و بين المَقاعد التى كانت تَقْعُد لاستراق السمع فيها ، فرُمُوا بالنجوم ، فعرفت الجنُّ أنّ ذلك لأمْر حَدَث من أمْرالله فى العباد[1] .

يقول الله تبارك وتعالى لنبيّه محمدٍ صلى الله عليه وسلَّم حين بعثه ، وهو يقُصّ عليه خبر الجنّ إذ حُجبوا عن السمع فعَرفوا ماعَرَفوا ، وما أنْكروا من ذلك حين رأوْا مارَأوْا: « قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنِّ فقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجبًا[2]

---

(١) وقد قالت قريش حين كثر القذف بالنجوم : قامت الساعة ؛ فقال عتبة بن ربيعة : انظروا إلى العيوق ، فإن كان رمى به فقد آن قيام الساعة وإلا فلا .

(٢) أى عجبا مباينا لسائر الكتب فى حسن نظمه وصحة معانيه . والعجب : ما يكون خارجا عن العادة ، وهو مصدر وضع موضع العجيب .

يَهْدِى إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً . وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ[1] رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلاَ وَلَدًا. وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللهِ شَطَطًا[2] . وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى اللهِ كَذِبًا . وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً » . إلى قوله : « وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَداً[3] . وَأَنَّا لاَ نَدْرِى أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِى الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً » .

فلما سمعت الجنُّ القرآنَ عرفتْ أنها إنما مُنعت من السَّمعِ قبل ذلك لئلا يُشْكِلَ الوحيُ بشيء من خَبَر السماء ، فيلتبس[4] على أهل الأرض ماجاءهم من الله فيه ، لوُقوع الحجّة ، وقَطْع الشبهة . فآمنوا وصدّقوا ، ثم . « وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ . قَالُوا يَاقَوْمَنا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسٰى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِى إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ » . الآية .

وكان قولُ الجن : « وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً » . أنه كان الرجلُ من العَرب من قُريش وغيرهم إذا سافر فنزل بَطْنَ وادٍ من الأرض ليَبيت فيه قال : إنى أعوذ بعَزيز هذا الوادى من الجن الليلةَ من شرّ مافيه

قال ابن هشام : الرهق : الطغيان والسَّفه . قال رؤبة بن العجَّاج :

---

(١) الجد : العظمة . يقال : جد فلان فى عينى : إذا عظم . ومنه قول سيدنا عمر رضى الله عنه : كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا : أى عظم فى عيوننا .

(٢) المراد به الكفر . من شطت الدار : إذا بعدت . فكأنهم بنسبتهم الصاحبة والولد إليه جل شأنه بعدوا عن الصواب .

(٣) الرصد : الراصد . أى يجد شهابا راصدا له . أو هو اسم جمع للراصد . على معنى : ذوى شهاب راصدين بالرجم ، وهم الملائكة الذين يرجونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع .

(٤) وكذلك كان رمى الجن بالنجوم فى الجاهلية ، إلا أنه لما جاء الإسلام غلظ وشدد .

* إذْ تَسْتَبِي الهَيَامَةَ المُرَهَّقا[1] *

وهذا البيت فى أرجوزة له . والرَّهق أيضا : طَلَبك الشىء حتى تدنو منه ، فتأخذه أوْ لاَ تأخذه . قال رُؤْبة بن العجّاج يصف حَمير وَحْش :

* بَصْبَصْن[2] واقشعررن من خَوْف الرَّهق *

وهذا البيت فى أرجوزة له . والرهق أيضاً : مصدر لِقَول الرجل للرجل : رَهِقتُ الإثم أو العسر ، الذى أرهقتنى رَهَقا شديدا ، أى حملتُ الإثم أو العسر الذى حملتنى حملاً شديدا وفى كِتاب الله تعالى : « فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً » . وقوله : « وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً » .

فزع ثقيف من رمى الجن بالنجوم وسؤالهم عمرو بن أمية

قال ابن إسحاق : وحدّثنى يعقوب[3] بن عُتْبة بن المُغِيرة بن الأخنس أنه حُدّث :

أن أول العرب فَزِع للرَّمى بالنجوم حين رُمى بها ، هذا الحىّ من ثقيف ، وأنهم جاءوا إلى رجل منهم يقال له عمرو بن أمية ، أحد بنى عِلاج ـ قال : وكان أدهى العرب وأنكرها[4] رأياً ـ فقالوا له : ياعمرو : أَلم تَرَ ماحدث فى السماء من القَذْف بهذه النجوم ؟ قال : بلى ، فانظروا فإن كانت معالم[5] النجوم

(1) تستبي : تذهب بعقله . والهيامة : الكثيرة الهيام . وأصل الهيام : داء يصيب الإبل فتشتد حرارة أجوافها ، فلا تروى من الماء إذا شربت .

(2) يريد : حركن أذنابهن .

(3) وقد رأى عتبة هذا ، السائب بن يزيد ، وروى عن أبان بن عثمان وعروة وسليمان بن يسار والزهرى. وروى عنه غير ابن إسحاق ، عبد العزيز بن الماجشون وإبراهيم بن سعد . وكان ثقة ورعا مسلما يستعمل على الصدقات ويستعين به الولاة. ومات سنة ثمان وعشرين ومئة . (يراجع تراجم رجال) .

(4) كذا فى ا . يريد : أحدها رأيا ، من النكر (بفتح النون) ، وهو الدهاء . ويروى بالباء . أى أشدهم إبداء لرأى لم يسبق إليه ، من البكور فى الشيء ، وهو أوله . وفى سائر الأصول : « أمكرها » .

(5) معالم النجوم : النجوم المشهورة .

التى يُهتدى بها فى البرّ والبحر ، وتعرف بها الأنواء من الصّيف والشتاء ، لِمَا يُصلح الناسَ فى معايشهم ، هى التى يُرمى بها ، فهو والله طىّ الدنيا ، وهلاكُ هذا الخَلق الذى فيها ؛ وإن كانت نجومًا غيرها ، وهى ثابتة على حالها ، فهذا لأمرٍ أراد اللهُ به هذا الخلق ، فما هو[1] ؟

حديثه صلى الله عليه وسلم مع الأنصار فى رمى الجن بالنجوم

قال ابن إسحاق : وذكر محمد بن مُسْلِم بن شِهاب الزهرى عن علىّ ابن الحُسين بن علىّ بن أبى طالب عن عبد الله بن العبّاس عن نفر من الأنصار :

أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال لهم : ماذا كنتم تقولون فى هذا النجم الذى يُرمى به ؟ قالوا : يا نبى الله ، كنّا نقول حين رأيناها يُرمى بها: مات مَلِك ، مُلِّكَ ملك ، وُلد مولود ، مات مولود ؛ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : ليس ذلك كذلك ، ولكن اللهَ تبارك وتعالى كان إذا قَضى فى خَلْقِه أمراً سمعه حَمَلةُ العرش ، فسبّحوا فسبّح مَنْ تحتهم ، فسبح لتسبيحهم مَنْ تحت ذلك ، فلا يزال التّسبيحُ يَهْبِط حتى ينتهى إلى السماء الدنيا فيسبّحوا ، ثم يقول بعضهم لبعض : مِمّ سبّحتم ؟ فيقولون : سبّح مَنْ فوقنا فسبّحنا لتسبيحهم ؛ فيقولون : ألا تسألون مَنْ فوقكم مِمّ سبّحوا ؟ فيقولون مثل ذلك ، حتى ينتهوا إلى حملة العرش ، فيقال لهم : مِمّ سبّحتم ؟ فيقولون : قضى اللهُ فى خَلْقِه كذا وكذا ، للأمر الذى كان ؛ فيهبطُ به الخبرُ من سماء إلى سماء حتى ينتهى إلى السماء الدنيا ، فيتحدّثوا به ، فتسترقه الشياطين بالسمع ، على توهّم واختلاف ، ثم يأتوا به الكُهان من أَهْلِ الأرض فيحدثوهم به فيخطئون ويصيبون، فيتحدث به الكُهّانُ ، فيصيبون بعضاً ويُخطئون بعضا . ثم إن الله عزّ وجل حجب الشياطين بهذه النجوم التى يُقْذفون بها ، فانقطعت الكَهانة اليومَ ، فلا كهانة[2] .

---

(1) ومثل هذا ماحدث لبنى لهب عند فزعهم للرمى بالنجوم ، فاجتمعوا إلى كاهن لهم . يقال له : خطر ، فبين لهم الخبر وما حدث من أمر النبوة . (راجع الروض الأنف) .

(2) يريد تخصيص ذلك الزمان . والذى انقطع اليوم وإلى يوم القيامة أن تدرك الشياطين ما كانت تدركه فى الجاهلية الجهلاء، وعند تمكنها من سماع أخبار السماء، وما يوجد اليوم من=

قال ابن إسحاق : وحدّثنى عَمْرو بن أبى جعفر عن محمد بن عبد الرحمن ابن أبى لَبِيبة[1] عن علىّ بن الحسين بن علىّ رضى الله عنه بمثل حديث ابن شهاب عنه .

الغيطلة وما حدّثت به بنى سهم

قال ابن إسحاق : وحدّثنى بعض أهل العلم :

إن أُمرأةً من بنى سَهْم ، يقال لها الغَيْطلة ، كانت كاهنةً فى الجاهلية ، جاءها صاحبها ليلةً من الليالى ، فانقض تحتها ، ثم قال : أَدْرِ ما أَدْرِ[2] . يوم عَقْر ونَحْر ؛ فقالت قريش حين بلغها ذلك: مايريد ؟ ثم جاءها ليلة أخرى، فانقض[3] تحتها ، ثم قال : شُعوب[4] ماشُعوب ، تُصْرع فيه كَعْبٌ[5] لِجُنوب . فلما بلغ ذلك

= كلام الجن على ألسنة المجانين إنما هو خبر منهم عما يرونه فى الأرض، مما لانراه نحن، كسرقة سارق، أو خبيئة فى مكان خفى ، أونحو ذلك . وإن أخبروا بما سيكون كان تخرصا وتظنيا، فيصيبون قليلا ويخطئون كثيراً ، وذلك القليل الذى يصيبون هو مما يتكلم به الملائكة . (راجع الروض الأنف) .

(١) كذا فى ا وتراجم رجال وتهذيب التهذيب ، وتقريب التهذيب ، ويقال فيه أيضا : «ابن لبيبة» بفتح اللام وكسر الموحدة . ويقال إن لبيبة أمه ، وأبا لبيبة أبوه، واسمه وردان . روى عن سعيد بن المسيب ، وعبدالله بن أبى سليمان ، والقاسم بن محمد ، وعمرو بن سعد بن أبى وقاص ، وعبد الله بن عمرو وغيرهم . وعنه ابن ابنه يحيى بن عبد الرحمن، ويحيى بن سعيد الأنصارى ، ويحيى بن أبى كثير وغيرهم . ولم نجد عمرا هذا من تلاميذه وكذلك لم نجد عليا من شيوخه فى المراجع التى بين أيدينا . وفى سائر الأصول : بن لبينة ، وهو تصحيف .

(٢) وفى رواية : « وما بدر » وهى أبين مما أثبته ابن إسحاق .

(٣) انقض : سقط ؛ يقال : انقض الطائر ، إذا سقط على الشىء . ويروى : « أنقض » : أى صوت وتكلم بصوت خفى ؛ تقول : سمعت نقيض الباب ونقيض الرجل : أى صوته .

(٤) قال السهيلى : « وشعوب (هاهنا) : أحسبه بضم الشين، ولم أجده مقيدا، وكأنه جمع شعب ، وقول ابن إسحاق يدل على هذا حين قال : فلم يدر ما قالت حتى قتل من قتل ببدر وأحد بالشعب » .

(٥) كعب (هاهنا) : هو كعب بن لؤى ، والذين صرعوا ببدر وأحد أشراف قريش ، معظمهم من كعب بن لؤى .

قريشاً. قالوا : ماذا يريد ؟ إن هذا الأمرِ هو كائن ؟ فانظروا ماهو؟ فما عرفوه حتى كانت وقعة بَدْر وأُحد بالشِّعب ، فعرفوا أنه الذى كان جاء به إلى صاحبته .

نسب الغيطلة

قال ابن هشام :

الغيطلة: من بنى مُرّة بن عَبْدمناة بن كِنانة، إخوة مُدْلج بن مُرّة، وهى أم الغياطل الذين ذكر أبو طالب فى قوله :

لقـــد سَفُهتْ أحلامُ قَوْمٍ تبدّلوا　　بَنى خَلَف قَيْضاً[1] بنا والغياطل[2]

فقيل لولدها : الغياطل ؛ وهم من بَنى سهم بن عَمْرو بن هُصيص . وهذا البيت فى قصيدة له سأذكرها فى موضعها إن شاء الله تعالى .

حديث كاهن جنب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدثنى على بن نافع الجرشىّ :

إن جَنْباً[3]: بطناً من اليمن ، كان لهم كاهنٌ فى الجاهلية ، فلما ذُكر أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وانتشر فى العرب ، قالت له جَنْب : انظُر لنا فى أمر هذا الرجل ، واجتمعوا له فى أسفل جبله ؛ فنزل عليهم حين طلعت الشمس ، فوقف لهم قائماً متكئاً على قوس له ، فرفع رأسه إلى السماء طويلاً ، ثم جعل ينزو[4] ، ثم قال : أيها الناس ، إن الله أكرم محمداً واصطفاه ، وطهّر قلبه وحشاه ، ومُكْثه فيكم أيها الناس قليل ، ثم أسْند[5] فى جبله راجعاً من حيث جاء .

---

(١) قيضا : عوضا .

(٢) ويقال إن الغيطلة : بنت مالك بن الحارث بن عمرو بن الصعق بن شنوق بن مرة ؛ وشنوق : أخو مدلج .

(٣) جنب : من مذحج . وهم : عيذ الله ، وأنس الله ، وزيد الله ، وأوس الله ، وجعفى والحكم ، وجروة ، بنو سعد العشيرة بن مذحج ؛ ومذحج : هو مالك بن أدد . وسموا جنبا ، لأنهم جانبوا بنى عمهم صداء ويزيد ابنى سعد العشيرة بن مذحج .

(٤) ينزو : يثب .

(٥) كذا فى ا . وأسند : علا وارتفع . وفى سائر الأصول : « اشتد » .

ماجرى بين عمر بن الخطاب وسواد بن قارب

قال ابن إسحاق : وحدّثنى من لاأتهم عن عبد الله بن كَعْب ، مولى عثمان ابن عفان ، أنه حدّث :

أن عمر بن الخطاب ، بينا هو جالس فى الناس فى مسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، إذ أقبل رجل[1] من العرب داخلاً المسجدَ ، يريد عمرَ بن الخطاب ، فلما نظر إليه عمرُ رضى الله عنه قال : إن هذا الرجل لعَلَى شِرْكه مافارقه بعدُ ، أو لقد كان كاهناً فى الجاهلية . فسلّم عليه الرجلُ ، ثم جلس ، فقال له عمر رضى الله عنه : هل أسلمتَ ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال له : فهل كنت كاهناً فى الجاهلية ؟ فقال الرجل : سبحان الله يا أمير المؤمنين ! لقد خِلْتَ[2] فىّ، واستقبلتنى بأمرٍ ما أراك قلته لأحد من رعيتك منذ وليتَ ما وليتَ ؛ فقال عمر : اللهم غَفراً[3] ، قد كنّا فى الجاهلية على شرٍّ من هذا ، نعبد الأصنام، ونعتنق الأوثان ، حتى أكرمنا الله برسوله و بالإسلام ؛ قال : نعم ، والله يا أمير المؤمنين ، لقد كنتُ كاهناً فى الجاهلية ؛ قال : فأخبرنى ما جاءك به صاحبُك ؛ قال : جاءنى قبل

---

(١) هذا الرجل هو سواد بن قارب ، كان كاهنا فى الجاهلية ثم أسلم .

(٢) هو من باب حذف الجملة الواقعة بعد خلت وظننت، كقولهم فى المثل : من يسمع يخل . ولا يجوز حذف أحد المفعولين مع بقاء الآخر، لأن حكمهما حكم الابتداء والخبر، فإذا حذفت الجملة كلها جاز لأن حكمها حكم المفعول، والمفعول قد يجوز حذفه ، ولكن لابد من قرينة تدل على المراد . ففى قولهم : من يسمع يخل ، دليل يدل على المفعول ، وهو يسمع . وفى قوله : « خلت فى » . دليل أيضا ، وهو قوله « فى » .

(٣) غفرا : كلمة تقولها العرب إذا أخطأ الرجل على الرجل . ومعناها : اللهم اغفرلى غفرا . ويقال إن عمر مازحه . فقال : ما فعلت كهانتك ياسواد ؟ فغضب وقال : قد كنت أنا وأنت على شر من هذا من عبادة الأصنام ، وأكل الميتات ، أفتعيرنا بأمر تبت منه ؟ فقال عمر حينذاك : اللهم غفرا . (راجع الروض الأنف) .

ولقد ساق السهيلى قصة سواد مع عمر عن غير ابن إسحاق فى سياقة حسنة ، وزيادة مفيدة رأينا أن نجتزىء بالإشارة إليها إذ يمنعنا طولها من إثباتها .

الإسلام بشهر أو شَيْعه[1] ، فقال : ألم ترَ إلى الجن و إبلاسها[2] ، و إياسها[3] من دينها ، ولُحوقها بالقِلاص[4] وأحْلاسها[5]

قال ابن هشام : هذا الكلام سجع ، وليس بشعر .

قال عبد الله بن كَعْب :

فقال عمر بن الخطاب عند ذلك يحدّث الناس : والله إنى لعند وَثَن من أوثان الجاهلية فى نَفَر من قريش ، قد ذَبح له رجل من العرب عجلاً ، فنحن ننتظر قَسْمه ليَقْسِم لنا منه ، إذ سمعت من جوف العجل صوتاً ماسمعت صوتاً قطُّ أنفذ منه، وذلك قبيل الإسلام بشهر أو شَيْعه ، يقول: ياذَرِيح[6] ، أمرٌ نَجِيح ، رجل يَصيح ، يقول : لاإله إلا الله .

قال ابن هشام :

ويقال رجل يصيح . بلسان فصيح ، يقول: لاإله إلا الله . وأنشدنى بعض أهل العلم بالشعر :

عَجِبتُ للجنّ وإبلاسِها ... وشَدِّها العيسَ بأحْلاسها

تَهْوى إلى مكّة تبغى الهُدَى ... مامؤمنو الجنّ كأنْجاسها

(١) شيعه : دونه بقليل .

(٢) كذا فى أكثر الأصول والطبرى ، وأبلس الرجل : إذا سكت ذليلا أو مغلوبا . وفى ا : « وإسلامها » . والإسلام : الانقياد .

(٣) الإياس : اليأس .

(٤) القلاص من الابل : الفتية .

(٥) الأحلاس : جمع حلس ، وهو كساء من جلد يوضع على ظهر البعير ، ثم يوضع عليه الرحل ، ليقيه من الدبر .

(٦) كذا فى الأصول . ولعله نداء للعجل المذبوح ، لقولهم : أحمر ذريحى ، أى شديد الحمرة . فصار وصفا للعجل الذبيح من أجل الدم .

ويروى : « ياجليح » ، ويقال إن جليح: اسم شيطان . والجليح (لغة):ماتطاير من رءوس النبات وخف ، نحو القطن وشبهه ، الواحدة : جليحة ، وهو على هـذا المعنى اللغوى وصف للعجل أيضاً ، على أن العجل قد جلح : أى كشف عنه الجلد .

قال ابن إسحاق : فهذا ما بلغنا من الكهّان من العرب .

إنذار يهود برسول الله صلى الله عليه وسلم

إنذار اليهود به صلى الله عليه وسلم ولما بعث كفروا به

قال ابن إسحاق : وحدّثنى عاصم بن عمر[1] بن قَتادة عن رجال من قومه قالوا[2] :

إن مما دعانا إلى الإسلام ، مع رحمة الله تعالى وهُداه لنا ، لَمَا كنّا نسمع من رجال يَهود ، [و][2] كنّا أهلَ شِرْك أصحابَ أوثان ، وكانوا أهلَ كتاب ، عندهم علمٌ ليس لنا ، وكانت لاتزال بيننا و بينهم شرور ، فإذا نِلْنا منهم بعضَ ما يكرهون قالوا لنا : إنه [قد][2] تقارب زمانُ نبيّ يُبعث الآن نقتلُكم معه قَتْلَ عادٍ و إرم ، فكنّا كثيراً مانسمع ذلك منهم . فلما بعث الله رسولَه صلَّى الله عليه وسلّم أجَبْناه ، حين دعانا إلى الله تعالى ، وعرّفنا ما كانوا يتوعّدوننا به ، فبادرناهم إليه ، فآمنا به وكفروا به ، ففينا وفيهم نزّل هؤلاءِ الآيات من البقرة : « وَلَمَّا جاءهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَاعَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ » .

قال ابن هشام :

يستفتحون : يستنصرون و يستفتحون [أيضاً][2] : يتحا كمون وفى كتاب الله تعالى : « رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ » .

حديث سلمة عن اليهودى الذى أنذر بالرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدّثنى صالحُ بن إبراهيم بن عَبْد الرحمن ابن عَوْف عن محمود بن لَبيد، أخى بَنى عَبْد الأَشْهل ، عن سَلَمة[3] بن سلامة

---

(1) كذا فى ا وتراجم رجال . وفى سائر الأصول هنا : « عمرو » ، وهو تحريف .
(2) زيادة عن ا .
(3) هو سلمة بن سلامة بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل الأنصارى ، =

ابن وقش[1] ، وكان سَلَمة من أصحاب بَدْر ، قال :

كان لنا جار من يهود فى بنى عَبْد الأشْهل ، قال : فخرج علينا يومًا من بيته حتى وقف على بنى عَبْد الأشهل ـ قال سَلَمة : وأنا يومئذ من أحدث مَنْ فيه سنًّا ، علىّ بُرْدة لى، مُضْطجع فيها بفِناء أهلى ـ فذكر القيامةَ والبَعْث والحِساب والمِيزان والجنّة والنار، قال:فقال ذلك لقوم أهلِ شِرْك أصحاب أوثان،لايَرَوْن أنّ بعثًا كائن بعد الموت ؛ فقالوا له : ويحك يافلان ! أو ترى هذا كائنًا ، أنّ الناس يُبعثون بعد موتهم إلى دارٍ فيها جنّة ونار يُجزون فيها بأعمالهم ؟ قال : نعم ، والذى يُحلف به ، ولَوَدّ أن له بحظّه من تلك النار أعظمَ تنّور فى الدار ، يُحمونه ثم يُدخلونه إياه فيطيِّنونه عليه ، بأن يَنْجو من تلك النار غدا ؛ فقالوا له : ويحك يافلان ! فما آية ذلك ؟ قال : نبىّ مَبْعوث من نحو هذه البلاد ، وأشار بيده إلى مكّة واليمن ؛ فقالوا : ومتى تراه ؟ قال : فنظر إلىّ ، وأنا مِنْ أحدثهم سنًّا، فقال : إن يَسْتنفد هذا الغلامُ عمرَه يُدركه . قال سَلَمة : فوالله ماذهب الليل والنهار حتى بعث الله محمداً رسولَه صلّى الله عليه وسلّم ، وهو حىّ بين أظهرنا ، فآمنّا به وكفر به بغياً وحسداً . قال : فقلنا له : ويحك يافلان ! ألستَ الذى قلتَ لنا فيه ماقلت ؟ قال : بلى ، ولكنْ ليس به .

إسلام ثعلبة وأسيد ابنى سعية وأسد ابن عبيد

قال ابن إسحاق : وحدّثنى عاصم بن عُمر بن قَتادة عن شيخ من بنى قُرَيظة قال لى :

هل تدرى عَمَّ كان إسلامُ ثَعْلبة بن سَعْية وأَسِيد[2] بن سَعْية

=وأمه سلمى بنت سلحة بن خالد بن عدى أنصارية حارثية، ويكنى أبا عوف. شهد العقبة الأولى والعقبة الآخرة ، فى قول جميعهم ، ثم شهد بدرا والمشاهد كلها . واستعمله عمر رضى الله عنه على اليمامة ، وتوفى سنة خمس وأربعين بالمدينة ، وهو ابن سبعين سنة . (راجع الاستيعاب) .

(١) هو بالفتح ، وقيل بالتحريك . (راجع شرح القاموس مادة وقش) .

(٢) قال السهيلى فى الروض عند الكلام على ضبط أسيد هذا : « وأما أسيد بن سعية ،

وأَسَد بن عبيد[1] ، نَفَرٍ من بنى هَدْل، إخوة[2] بنى قُريظة، كانوا معهم فى جاهليتهم، ثم كانوا سادتهم فى الإسلام. قال : قلت : لا والله؛ قال : فإن رجلاً من يَهود من أهل الشام ، يقال له : ابن الهَيِّبان[3] ، قَدِم علينا قُبَيل الإسلام بسنين ، فحلّ بين أظْهُرنا ، لا والله مارأينا رجلاً قطُّ لايصلّى الخمس أفضل منه ، فأقام عندنا.

٥ فكنّا إذا قَحِط عنا المطرُ قُلْنا له : اخرُج يابن الهيِّبان فاستسْق لنا ؛ فيقول : لا والله ، حتى تُقدّموا بين يدى مَخْرَجكم صدقةً ؛ فنقول له : كم ؟ فيقول : صاعًا من تَمر ، أومُدَّيْن من شَعير . قال : فنُخرجها ثم يَخْرج بنا إلى ظاهر حَرّتنا فيستسقى اللهَ لنا . فوالله ما يبرح مَجْلسه حتى يمرّ السحابُ ونُسْقَى ، قد فعل ذلك غيرَ مَرّة ولا مَرّتين ولا ثلاث . قال : ثم حَضَرَتْه الوفاةُ عندنا ، فلما عَرَف أنه

١٠ مَيّت قال : يا معشر يهود ، ما ترونه أخْرَجنى من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع؟ قال: قلنا: إنك أعلم؛ قال: فإنى إنما قَدِمتُ هذه البلدةَ أتَوَكّف[4] خروجَ نبىّ قد أظلّ[5] زمانُهُ ؛ وهذه البلدة مُهاجَره ، فكنت أرجو أن

فقال إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف المدنى عن ابن إسحاق ، وهو أحد رواة المغازى ، عنه : أسيد بن سعية ، بضم الألف . وقال يونس بن بكير عن ابن إسحاق ،

١٥ وهو قول الواقدى وغيره : أسيد ، بفتحها . قال الدارقطنى : وهذا هو الصواب ، ولا يصح ما قاله إبراهيم عن ابن إسحاق » . وسعية أبوهم ، ويقال له ابن العريض .

(١) عبارة الطبرى والاستيعاب عند الكلام على أسد بن عبيد القرظى ، وأسيد وثعلبة ابنى سعية : « وهم نفر من بنى هدل ، ليسوا من بنى قريظة ولا النضير ، نسبهم فوق ذلك ، هم بنو عم القوم » .

٢٠ (٢) فى الروض : « وأسد بن سعية » . وفى هؤلاء أنزل الله عز وجل : « من أهل الكتاب أمة قائمة » الآية .

(٣) هو من المسين بالصفات . يقال : قطن هيبان ، أى منفش خفيف . قال ذو الرمة :

تمج اللغام الهيبان كأنه حنى عشر تنفيه أشداقها الهدل

(راجع اللسان والروض) .

٢٥ (٤) أتوكف : أنتظر .

(٥) أظل : أشرف وقرب .

يَبعث فاتبعه، وقد أظلكم زمانُه ، فلا تُسبَقُنّ إليه يامعشر يهود، فإنه يُبعث بسَفْك الدماء وسَبْى الذرارى والنساء مِمّن خالفه ، فلا يمنعكم ذلك منه . فلما بُعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وحاصَرَ بنى[1] قُرَيظة ، قال هؤلاء الفِتْية ، وكانوا شبابا أحداثا : يابنى قُرَيظة ، والله إنه لَلنبيّ الذى كان عَهِد إليكم فيه ابنُ الهَيِّبان ؛ قالوا : ليس به؛ قالوا : بلى والله، إنه لهو بصفته ، فنزلوا وأسلموا وأحْرزوا دِماءَهم وأموالَهم وأهْليهم . ٥

قال ابنْ إسحاق : فهذا مابلغنا عن أخبار يَهود .

حديث إسلام سلمان رضى الله عنه

كان سلمان مجوسيا فر بكنيسة فتطلع إلى النصرانية

قال ابن إسحاق : وحدّثنى عاصمُ بن عُمر بن قَتادة الأنصارىّ عن محمود ابن لَبيد عن عبدالله بن عبّاس ، قال حدثنى سَلْمان الفارسى، وأنا أسمع مِنْ فِيه، قال: ١٠

كنتُ رجلاً فارسيّا من أهل أَصْبهان[2] من قَرْية يُقال لها جَىّ[3] ، وكان أبى دِهْقانَ[4] قَرْيته ، وكنتُ أَحَبَّ خَلْقِ اللهِ إليه ، لم يزل به حبّه إياى حتى حَبَسنى فى بيته كما تُحبس الجارية ، واجتهدت فى المجوسية حتى كنتُ

---

(١) يريد حين غزا صلى الله عليه وسلم بنى قريظة عقب منصرفه من غزوة الخندق .

(٢) أصبهان (بفتح الهمزة وهو الأكثر ، وقيل بكسرها) : مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها ، ويسرفون فى وصف عظمها حتى يتجاوزوا حد الاقتصاد إلى غاية الإسراف . وأصبهان : اسم للإقليم بأسره ، وكانت مدينتها أولاجيا ، ثم صارت اليهودية ، وقيل فى سبب تسمية أصبهان أقوال كثيرة . (راجع معجم البلدان لياقوت). ١٥

(٣) كذا فى ا ومعجم البلدان . وجى (بالفتح ثم التشديد) : مدينة ناحية أصبهان القديم . وهى الآن كالخراب منفردة ، وتسمى الآن عند العجم شهر ستان . وعند المحدثين المدينة . ٢٠

(٤) الدهقان : شيخ القرية العارف بالفلاحة وما يصلح بالأرض ، يلجأ اليه فى معرفة ذلك .

قَطِن[1] النار الذى يُوقدها ، لايتركها تخبو ساعةً . قال : وكانت لأبى ضيعةٌ عظيمة ، فشُغل فى بُنيانٍ له يومًا ، فقال لى : يابنىّ ، إنّى قد شُغلت فى بُنيانى هذا اليومَ عن ضَيْعتى ، فاذهب إليها فاطّلعْها . وأمَرنى فيها ببعض مايُريد ، ثم قال لى : ولا تحتبس عنّى فإنك إن احتبستَ عنّى كنتَ أهمّ إلىّ من ضَيْعتى ، وشَغَلْتَنِى

٥ عن كلّ شىء من أمرى . قال : فخرجت أريد ضيعَته التى بعثنى إليها ، فمررتُ بكَنيسة من كنائس النّصارى ، فسمعت أصواتَهم فيها وَهم يصلّون ، وكنت لا أدرى ما أمرُ الناس ، لِحَبْس أبى إياى فى بيته ، فلما سمعتُ أصواتَهم دخلتُ عليهم أنْظر مايَصْنعون ، فلما رأيتُهم أعجبتْنى صلاتُهم ورغبتُ فى أمرهم وقلت : هذا والله خيرٌ من الدين الذى نحن عليه ، فوالله مابَرِحْتُهم حتي غرَبت الشمسُ ،

١٠ وتركت ضيعة أبى فلم آتِها ؛ ثم قلت لهم : أينَ أصل هذا الدين ؟ قالوا : بالشام . فرجعت إلى أبى ، وقد بَعث فى طلبى ، وشغلتُه عن عمله كلّه ، فلما جئته قال : أى بنى ، أين كنت ؟ أولم أكُنْ عَهِدْتُ إليك ماعهدتُ ؟ قال : قلت له : يا أبتِ ، مررتُ بأناس يصلّون فى كنيسة لهم ، فأعجبنى مارأيتُ من دينهم ، فوالله مازلْت عندهم حتى غرَبت الشمس ؛ قال : أى بُنى ، ليس فى ذلك الدينِ خيرٌ ، دِينُك

١٥ ودينُ آبائك خيرٌ منه ؛ قال : قلت له : كلا والله ، إنه لَخيرٌ من ديننا . قال : فخافنى فجعل فى رِجْلى قيداً ، ثم حبسنى فى بيته .

اتفاق سلمان والنصارى على الهرب

قال : و بعثتُ إلى النّصارى فقلت لهم : إذا قَدِم عليكم رَكْبٌ من الشام فأخبِرونى بهم . قال : فقَدِم عليهم ركبٌ من الشام تجار من النصارى، فأخبرونى بهم ، فقلت لهم : إذا قَضَوْا حوائجَهم ، وأرادُوا الرجعة إلى بلادهم ، فآذنونى بهم .

٢٠ قال : فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم أخبرونى بهم ، فألقيتُ الجديدَ من رِجْلىّ ، ثم خرجتُ معهم حتى قَدِمْتُ الشام . فلما قَدِمتُها قلتُ : مَنْ أفضلُ أهلِ هذا الدين

(١) قطن النار : خادمها الذى يخدمها ويمنعها من أن تخبو ، لتعظيمهم إياها .

عِلْماً ؟ قالوا : الأسقفُ[1] فى الكنيسة .

سلمان وأسقف النصارى السيء

قال فجئته فقلت له: إنى قد رَغِبْتُ فى هذا الدين، فأحببتُ أن أكونَ معك، وأخدُمكَ فى كنيستك ، فأتعلّم منك، وأُصلّى معك ؛ قال : ادخُل ، فدخلتُ معه. قال : وكان رَجُلَ سَوْء، يأمرهم بالصدقة، و يرغّبهم فيها، فإذا جمعوا إليه شيئاً منها[2] أكتنزه لنفسه ، ولم يُعْطِه المَساكين ، حتى جمع سَبْع قِلال من ذهب وَوَرِق. قال: فأبغضتُه بغضاً شديداً لِمَا رأيتهُ يَصْنع ؛ ثم مات فاجتمعت إليه النصارى ليدفنوه ، فقلت لهم : إنّ هذا كان رجلَ سَوْء ، يأمركم بالصدقة و يرغبكم فيها ، فإذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ، ولم يُعْطِ المَساكينَ منها شيئاً . قال : فقالوا لى : وما عِلْمُكَ بذلك ؟ قال : قلت لهم : أنا أدلكم على كَنْزه ؛ قالوا : فَدُلّنا عليه ؛ قال : فأريتُهم موضِعَه ، فاستخرجوا منه سَبْع قِلال مملوءة ذهباً وَوَرِقاً . قال : فلما رأوها قالوا . والله لانَدْفنه أبداً . قال : فصَلبوه ورجموه بالحجارة ، وجاءوا برجل آخر فجعلوه مكانه .

سلمان والأسقف الصالح

قال : يقول سَلْمان : فما رأيتُ رجلاً لايصلّى الخمس ، أرَى أنه كان أفضلَ منه [و][3] أزهد فى الدنيا ، ولا أرغبَ فى الآخرة ولا أدأبَ ليلاً ونهاراً منه . قال : فأحببته حبّاً لم أحبّه شيئاً قبله[4]. قال: فأقمتُ معه زماناً طويلا ، ثم حضرتْه الوفاة ، فقلتُ له : يافلان ، إنى قد كنت معك وأحببتك حبّا لم أحبّه شيئاً قبلك ، وقد حَضَركَ ماترى من أمر الله تعالى ، فإلَى مَنْ تُوصى بى ؟ و بِمَ تأمرنى ؟ قال : أى بُنَىّ ، والله ماأعلم اليوم أحداً على ما كنتُ عليه ، فقد هلك الناسُ ، و بدّلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه ، إلا رجلاً بالمَوْصِل ، وهو فلان ، وهو على ما كنتُ عليه فالحقْ به .

(١) الأسقف (بالتشديد وبالتخفيف أيضا) : عالم النصارى الذى يقيم لهم أمر دينهم .
(٢) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « فيهم » ، وهو تحريف .
(٣) زيادة عن ا .
(٤) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « ... قبله مثله » .

سلمان وصاحبه بالموصل

قال: فلما مات وغُيّب لحقتُ بصاحب المَوْصل، فقلت له: يا فلان، إن فلاناً أوصانى عند موته أن ألحقَ بك، وأخبرنى أنك على أمره؛ فقال لى: أقِمْ عندى، فأقمتُ عنده، فوجدتُه خيرَ رجلٍ على أمرِ صاحبه، فلم يلبث أن مات. فلما حضرتْه الوفاة قلت له: يافلان، إن فلاناً أوصى بى إليك، وأمرنى باللحوق بك، وقد حضرك من أمر الله ماترى، فإلى من تُوصى بى؟ وبِمَ تأمرنى؟ قال: يابنى، والله ماأعلم رجلاً على مثل ما كنّا عليه، إلا رجلاً بنَصِيبين[1]، وهو فلان، فالحقْ به.

سلمان وصاحبه بنصيبين

فلما مات وغُيّب لحقت بصاحب نَصِيبين، فأخبرته خبرى، وماأمرنى به صاحبه، فقال: أقِمْ عندى، فأقمتُ عنده، فوجدته على أمر صاحبيه. فأقمتُ مع خَيْر رجلٍ، فوالله مالَبِث أن نزل به الموتُ، فلما حُضِر قلت له: يافلان. إن فلاناً كان أوصى بى إلى فلان، ثم أوصى بى فلان إليك. قال: فإلى مَنْ تُوصى بى؟ وبِمَ تأمرنى؟ قال: يابنى، والله ما أعلمه بَقِى أحدٌ على أمرنا آمرُك أنْ تأتيه إلا رجلاً بعَمُّورِيَة[2] من أرض الروم، فإنه على مثل مانحن عليه، فإن أحببتَ فاتِه فإنه على أمرِنا.

سلمان وصاحبه بعمورية

فلما مات وغُيّب لحقتُ بصاحب عمورية فأخبرته خَبرى؛ فقال: أقِمْ عندى، فأقمت عند خَيْر رجلٍ، على هَدْى أصحابه وأمْرِهم. قال: واكتسبتُ حتى كانت لى بقرات وغُنَيمة. قال: ثم نزل به أمرُ الله تعالى، فلما حُضِر قلت له: يافلان، إنى كنتُ مع فلان فأوصى بى إلى فلان، ثم أوصى بى فلان إلى فلان، ثم أوصى بى فلان إليك، فإلى مَنْ تُوصى بى؟ وبِمَ تأمرنى؟

(١) نصيبين (بالفتح ثم الكسر ثم باء، وعلامة الجمع الصحيح): مدينة من بلاد الجزيرة على جدة القوافل من الموصل إلى الشام، وكان فيها وفى قراها — على ماذكر أهلها — أربعون ألف بستان. وبينها وبين الموصل ستة أيام. وكانت الروم قد بنت عليها سورا وأتمه أنوشروان الملك عند فتحه إياها.

(٢) عمورية (بفتح أوله وتشديد ثانيه): بلد فى بلاد الروم غزاه المعتصم. وسميت بعمورية بنت الروم بن اليفز بن سام بن نوح. (راجع معجم البلدان).

قال : أى بنى ، والله ما أعلمه أصبح اليوم أحدٌ على مثل ما كنّا عليه من الناس آمرك به أن تأتيه ، ولكنه قد أظلّ زمان نبىّ ، وهو مبعوث بدين إبراهيم عليه السلام ، يخرج بأرض العرب ، مُهاجَره إلى أرضٍ بين[1] حَرّتين ، بينهما نخل به علامات لاتخفى ، يأكل الهديّة ، ولا يأكل الصدقة ، وبين كَتِفَيْه خاتَم النبوة ، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل .

سلمان وقلته إلى وادى القرى ثم إلى المدينة وسماعه ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم

قال ثم مات وغُيِّب، ومكثتُ بعمورية ماشاء الله أن أمكث ، ثم مرّبى نفر مِنْ كَلْب تجّار ، فقلت لهم : احملونى إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتى هذه وغُنَيمتى هذه ؛ قالوا : نعم . فأعطيتهموها وحملونى معهم ، حتى إذا بلغوا وادى القرى ظلمونى فباعونى من رجل يهودى عبداً ، فكنت عنده ، ورأيت النخلَ ، فرجوت أن يكون البلد الذى وَصَف لى صاحبى ، ولم يَحِقّ فى نفسى ، فبينا أنا عنده إذ قَدِم عليه ابنُ عم له من بَنى قُرَيظة مِن المدينة ، فابتاعنى منه ، فاحتملنى إلى المدينة ، فوالله ماهو إلا أن رأيتُها فعرفتها[2] بصِفَة صاحبى ، فأقمتُ بها ، وبُعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأقام بمكة ما أقام ، لاأسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق ، ثم هاجر إلى المدينة فوالله إنى لفى رأس عذق[3] لسيدى أعمل له فيه بعضَ العمل ، وسيّدى جالس تحتى ، إذ أقبل ابنُ عمٍ له حتى وقف عليه ، فقال : يا فلان ، قاتل الله بَنى قَيْلة ، والله إنهم الآن لمجتمعون بقُباء[4] على رجل قَدِم عليهم من مكّة اليوم يزعمون أنه نبىّ .

نسب قيلة

قال ابن هشام :

قيلة : بنت كاهل بن عُذْرة بن سَعْد بن زَيْد بن لَيْث بن سود بن أَسْلُم ابن الحافِ بن قُضاعة ، أم الأوس والخزرج .

(١) الحرة : كل أرض ذات حجارة سود .
(٢) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « عرفتها » .
(٣) العذق (بالفتح) : النخلة . والعذق (بالكسر) : الكباسة .
(٤) قباء (بالضم) أصله اسم بئر عرفت القرية بها ، وهى مساكن بنى عمرو بن عوف من الأنصار . وتقع قرية قباء على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة . (راجع معجم البلدان) .

قال النعمان بن بَشير الأنصارى يمدح الأوس والخزرج :

بَهاليل[1] مِنْ أولاد قَيْلة لم يَجِدْ ... عليهم خَليطٌ فى مُخالطة عَتْبَا

مَساميح أبطال يَراحون للندى ... يَرَوْن عليهم فِعْلَ آبائهم نَحْبا[2]

وهذان البيتان فى قصيدة له .

٥ قال ابن إسحاق : وحدّثنى عاصم بن عُمر بن قتادة الأنصارى عن محمود ابن لَبيد عن عبد الله بن عبّاس قال :

قال سَلْمان : فلما سمعتُها أخذَتْنى العُرَواء . فقال ابن هشام : والعرواء : الرعدة من البرد والانتفاض ، فإن كان مع ذلك عَرق فهى الرُّحَضاء ، وكلاهما ممدود - حتى ظننتُ أنى سأسقط على سيّدى ، فنزلت عن النخلة فجعلت ١٠ أقول لابن عمه ذلك : ماذا تقول ؟ [ماذاتقول][3] ؟ فغضب سيّدى فلكمنى لكمةً شديدة ، ثم قال : مالك ولهذا ! أقبل على عملك . قال : قلت : لاشىء ، إنما أردتُ أن أستثبته عما قال :

سلمان بين يدى الرسول صلى الله عليه وسلم بهديته يستوثق.

[قال][3] وقد كان عِندى شىء قد جمعته ، فلما أمسيتُ أخذتُه ، ثم ذهبت به إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو بقُباء[4] ، فدخلت عليه فقلت له : إنه ١٥ قدبلغنى أنك رجلٌ صالح ، ومعك أصحاب لك غُرباء ذوو حاجة ، وهذا شىء قد كان عندى للصَّدَقة ، فرأيتكم أحقَّ به من غيركم ، قال : فقرّبته إليه ؛ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لأصحابه : كلوا ، وأمسكَ يدَه فلم يأكل . قال : فقلت فى نفسى : هذه واحدة . قال : ثم انصرفتُ عنه فجمعت شيئاً ، وتحوّل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة ، ثم جئته به فقلت له : إنى قد رأيتك

---

٢٠ (١) البهاليل : جمع بهلول ، وهو السيد .

(٢) المساميح : الأجواد الكرام . ويراحون : يهتزون . والنحب : النذر ، وما يجعله الإنسان على نفسه .

(٣) زيادة عن ا .

(٤) راجع الحاشية (رقم ٤ ص ٢٣٢) .

لاتأكل الصدقة ، وهذه هَديّة أكرمتكَ بها . قال : فأكل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم منها، وأمر أصحابه فأكلوا معه . قال : فقلت فى نفسى : هاتان ثنتان ؛ ثم جئت رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم وهو ببَقِيع الغَرْقد[1] ، قد تَبِع جنازة رجلٍ منَ أصحابه[2] ،[و][3] علىّ شملتان[4] لى ، وهو جالس فى أصحابه ، فسلّمت عليه ، ثم استدرت أنظر إلى ظهره ، هل أرى الخاتَم الذى وَصف لى صاحبى ؛ ٥
فلما رآنى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم استدبرتُه[5] عرَف أنى أستثبت فى شى وُصف لى ، فألقى رداءه عن ظهره ، فنظرت إلى الخاتَم فعرفتُه ، فأكْببتُ عليه أقبّله وأبْكى ؛ فقال لى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: تحوّل ، فتحولت فجلست بين يديه ، فقصصتُ عليه حديثى كما حدّثتُك يابن عبّاس ، فأعْجب رسولَ الله صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم أن يسمع ذلك أصحابُه . ثم شغل سَلْمانَ الرقّ حتى ١٠
فاته مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بدرٌ وأُحُد .

أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لسلمان بالمكاتبة ليخلص من الرق

قال سَلْمانَ : ثم قال لى رسول الله صلّى الله وسلّم : كاتِبْ ياسَلْمان : فكاتبتُ صاحبى على ثلاث مئة نخلة أُحْييها له بِالفَقِير[6] ، وأربعين أُوقية . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لأصحابه : أعينوا أخاكم ، فأعانونى بالنخل ، الرجلُ بثلاثين وَدِيّةً[7] ، والرجل بعشرين وَدِيّةً ، والرجلُ بخَمْس عشرة ودية . . ١٥

(١) بقيع الغرقد : مقبرة أهل المدينة ، وهى داخل المدينة .

(٢) هو كلثوم بن الهدم ، وكان هو أول من توفى من المسلمين بعد مقدمه صلى الله عليه وسلم المدينة، لم يلبث إلا يسيرا حتى مات . (راجع الطبرى، والروض، وشرح السيرة) .

(٣) زيادة عن ا .

(٤) الشملة : الكساء الغليظ يشتمل به الإنسان ، أى يلتحف به . ٢٠

(٥) ويروى : « أستدير به » .

(٦) كذا فى الأصول . أى بالحفر وبالغرس ، يقال : فقرت الأرض : إذا حفرتها ، ومنه سميت البئر : فقيرا .

وفى رواية أخرى : « بالتفقير » . مصدر : « فقر » . ولعل هذه الرواية أنسب .

(٧) الودية : واحدة الودى ، وهو فراخ النخل الصغار . ٢٥

والرجل بعشرٍ ، يُعين الرجل بقَدر ماعنده ؛ حتى اجتمعت لى ثلاث مئة وديّةٍ ؛
فقال لى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : اذهب ياسَلْمان ففقّر[1] لها ، فإذا
فرغتَ فأتنِي أكُنْ أنا أضعها بيدى . قال : ففقّرت وأعاننى أصحابى ، حتى إذا
فرغتُ جئتُه فأخبرتُه ، فخرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم معى إليها ، فجعلنا
٥ نقرّب إليه الودىّ ، ويضعه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بيده ، حتى فرَغْنا .
فوالذى نفس سَلْمان بيده ما ماتت منها وَدِيّة واحدة[2] . قال : فأدّيتُ النخلَ وبَقِى
علىّ المالُ . فأُتى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بمثل بَيْضة الدّجاجة من ذهب ،
من بَعْض المَعَادن[3] ، فقال : مافعل الفارسىّ المُكاتب ؟ قال : فدُعيت له ، فقال :
خُذْ هذه فأدّها ممّا عليك يا سَلْمان ؛ قال : قلت : وأين تَقَع هذه يا رسول الله
١٠ ممّا علىّ ! فقال : خذها فإن الله سيؤدّى بها عنك . قال : فأخذتها فوزنت لهم
منها ــ والذى نفسُ سَلْمان بيدهِ ــ أربعينَ أوقية فأوفيتُهم حقَّهم منها ، وعَتَق
سَلْمان . فشهدتُ مع رسولِ الله صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم الخندقَ حُرًّا ، ثم
لَم يَفُتنى معه مَشْهدٌ .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى يزيد بن أبى حَبيب عن رجل من عَبْد القَيْس
١٥ عن سَلْمان أنه قال :

لَمّا قلت : وأين تقع هذه مِنَ الذى علىّ يا رسول الله ؟ أخذها رسولُ الله
صلّى الله عليه وسلّم فقلبها على لسانه ثم قال : خذها فأَوْفِهم منها ، فأخذتها
فأوفيتهم منها حقَّهم كلّه ، أربعين أوقية .

---

(١) فقر : احفر .

(٢) ويقال إن سلمان غرس بيده ، ودية واحدة وغرس رسول الله صلى الله عليه وسلم سائرها ، فعاشت كلها إلا التى غرس سلمان . (راجع الروض الأنف) .

(٣) المعادن : جمع معدن (كمجلس) : منبت الجواهر من ذهب وفضة وحديد ونحوه .

قال ابن إسحاق: وحدّثنى عاصم بن عُمَرَ بن قَتادة. قال حدّثنى من لا أتّهم عن عُمر بن عبد العزيز بن مَرْوان قال :

سلمان والرجل الذى كان يخرج بين غيضتين بعمورية

حُدثت عن سَلْمان الفارسى أنه قال لرسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم حين أخبره خبرَه: إنّ صاحبَ عمورِيّة قال له : أئت كذا وكذا من أرض الشام، فإنّ بها رجلاً بين غَيْضتين[1]، يخرج فى كل سنة مِن هذه الغَيْضة إلى هذه الغَيْضة مستجيراً، يعترضه ذَوُو الأسقام فلا يدعو لأحدٍ منهم إلا شُفى، فاسأله عن هذا الدين الذى تبتغى، فهو يخبرك عنه. قال سَلْمان : فخرجتُ حتى أتيتُ حيثُ وُصف لِى، فوجدتُ الناسَ قد اُجتمعوا بمَرْضاهم هنالك، حتى خرج لهم تلك الليلةَ مستجيراً من إحدى الغَيْضتين إلى أخرى، فغشيه الناسُ بمَرْضاهم، لا يدعو لمريض إلا شُفى، وغلبونى عليه، فلم أخلُص إليه حتى دخل الغَيْضةَ التى يريد أن يدخل، إلا مِنْكبه. قال : فتناولتُه ؛ فقال : مَنْ هذا ؟ والتفت إلىّ ؛ فقلت : يرحمك الله، أَخْبِرنى عن الحنيفية دين إبراهيم. قال : إنك لتسأل عن شىء ما يسأل عنه الناسُ اليومَ ! قد أظلّك زمان نبىّ يُبعث بهذا الدين من أهل الحرم، فأْتِه فهو يَحْملك عليه. قال : ثم دخل. قال : فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لسلمان : لئن كنتَ صَدَقتنى يا سلمان، لقد لقيْتَ عيسى بنَ مَرْيَم[2]، على نبيّنا وعليه السلام.

---

(١) الغيضة : الشجر الملتف.

(٢) قال السهيلى عند الكلام على هذا الحديث : «إسناد هذا الحديث مقطوع. وفيه رجل مجهول، ويقال إن الرجل هو الحسن بن عمارة، وهو ضعيف بإجماع منهم، فإن صح الحديث فلا نكارة فى متنه». ثم تصدى السهيلى لتأييده على فرض صحته ناقلا عن الطبرى فى كلام طويل رأينا أن نجتزئ هنا بالإشارة إليه.

ذكر ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وعبيد الله ابن جحش وعثمان بن الحويرث وزيد بن عمرو بن نفيل[1]

بحثهم في الأديان

قال ابن إسحاق :

واجتمعت قريش يومًا فى عِيدٍ لهم عند صنم من أصنامهم ، كانوا يعظّمونه وينحرون له ، ويعكِفون عنده ، ويُديرون[2] به ، وكان ذلك عيداً لهم فى كل سنة يومًا ، فخلَص منهم أربعةُ نفَر نجيًا[3] ، ثم قال بعضُهم لبعض : تصادقُوا وليكْتُمْ بعضُكم على بعض ؛ قالوا : أجل . وهم : وَرَقة بن نَوْفل بن أَسَد بن عبد العُزّى ابن قُصَىّ بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لؤىّ ؛ وعُبيد الله بن جَحْش بن رِئاب ابن يَعْمَر بن صَبْرة بن مُرّة بن كبير بن غَنْم بن دُودان[4] بن أَسَد بن خُزيمة ، وكانت أمه أُمَيْمة بنت عبد المطّلب ؛ وعثمان بن الحُوَيرث بن أسَد بن عبد العزّى بن قُصَىّ ؛ وزَيْد[5] بن عَمْرو بن نُفَيل بن عبد العزّى بن عبد الله بن قُرْط ابن رِياح[6] بن رَزاح[7] بن عدىّ بن كَعْب بن لؤىّ . فقال بعضهم لبعض :

---

(1) كذا فى أكثر الأصول . وفى ا : « أمر النفر الأربعة المتفرقين فى عبادة الأوثان فى طلب الأديان » .

(2) فى ا : « يدورون » . وهما بمعنى .

(3) النجى : الجماعة يتحدثون سرا عن غيرهم ، ويقع للاثنين والجماعة بلفظ واحد .

(4) كذا فى ا والقاموس وشرحه . وفى سائر الأصول : « داودان » وهو تحريف .

(5) وأم زيد : الحيداء بنت خالد الفهمية ، وهى امرأة جده نفيل ، ولدت له الخطاب ، فهو أخو الخطاب لأمه وابن أخته ، وكان ذلك مباحا فى الجاهلية . (راجع الروض) .

(6) المعروف فى نسب عمر بن الخطاب ، وهو ابن عم زيد بن عمرو ، أنه : عمر بن الخطاب ابن نفيل بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح ، بتقديم « رياح » على « عبد الله » . (راجع الروض الأنف) .

(7) رزاح : بفتح الراء . وقيل بكسرها ، وقيل إن الذى بالكسر هو رزاح بن ربيعة، أخو قصى لأمه . (راجع الروض الأنف) .

تعلموا والله ما قومُكم على شيء ! لقد أخطئوا دينَ أبيهم إبراهيم ! ما حَجَر نُطِيف به ، لا يسمع ولا يُبْصر ولا يضر ولا ينفع ! يا قوم ، التمسوا لأنفسكم [ديناً][1] فإنكم والله ما أنتم على شيء . فتفرّقوا فى البلدان يلتمسون الحنيفية ، دينَ إبراهيم .

ماوصل إليه ورقة وابن جحش

فأمّا ورقة بن نوفل فاستحكم فى النصرانيــة ، واتبع الـكتبَ من أهلها حتى علم علماً من أهل الـكتاب . وأمّا عُبيد الله بن جَحْش فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم ، ثم هاجر مع المسلمين إلى الحبشة ، ومعه أمرأتُه أم حَبيبة بنت أبى سفيان مُسْلِمةً ؛ فلما قدمها تنصّر ، وفارق الإسلام ، حتى هلك هنالك نَصْرانيًّا . ٥

ما كان يفعله ابن جحش بعد تنصره بمسلمى الحبشة

قال ابن إسحاق : فحدّثنى محمد بن جَعْفر بن الزُّبير قال : ١٠

كان عُبَيد الله بن جَحْش حين تنصّر يَمُرّ بأصحاب رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وهم هنالك من أرض الحبشة فيقول : فقَّحْنا وصأصأتم ، أى أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر ، ولم تُبْصِروا بعدُ . وذلك أن وَلَدَ الـكَلْب إذا أراد أن يفتح عينيه لينظر صأصأ لينظر . وقوله : فقّح : فتح عينيه .

زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من امرأة ابن جحش بعد موته

قال ابن إسحاق : ١٥

وخَلَف رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بعده على أمرأته أم حَبيبة بنت أبى سفيان بن حَرْب .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى محمد بن علىّ بن حُسَيْن :

أن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم بعث فيها إلى النجاشى عمْرَو بنَ أُمَيّة الضَّمْرىّ ، فخطبها عليه النجاشىّ ، فزوّجه إياها، وأصدقها عن رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم أربع مئة دينار . فقال محمد بنُ علىّ : ما نرى عبدَ الملك بن مَرْوان وَقَفَ صـداقَ النساء على أربع مئة دينار إلا عن ذلك . وكان الذى ٢٠

(١) زيادة ن ا .

أملكها النبيَّ[1] صلّى الله عليه وسلّم خالدُ بن سَعيد بن العاص .

تنصر ابن الحويرث وذهابه الى قيصر

قال ابن إسحاق :

وأمّا عثمان بن الحُوَيرث فقدِم على قيصر ملك الرُّوم فتنصّر ، وحسنت منزلته عنده .

٥ قال ابن هشام : ولعثمان بن الحُوَيرث عند قيصر حديثٌ منعنى من ذكره ما ذكرتُ فى حديث حرب الفِجار[2] .

زيدبن عمرو وما وصل اليه وشىء عنه

قال ابن إسحاق :

وأمّا زيد بن عَمرو بن نُفَيل فوقف فلم يدخل فى يهوديّة ولا نَصْرانية ، وفارق دِينَ قومه ، فاعتزل الأوثان والمَيْتة والدم والذبائح التى تذبح على الأوثان[3]

---

١٠ (١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « للنبى » . والمعروف أن : « أملك » . تتعدى إلى مفعولين .

(٢) وهذا الحديث هو أن قيصر كان قد توج عثمان وولاه أمر مكة ، فلما جاءهم بذلك أنفوا من أن يدينوا لملك، وصاح الأسود بن أسد بن عبد العزى : ألاإن مكة حى لقاح لاتدين لملك ؛ فلم يتم له مراده ، وقيل غير هذا .

١٥ وكان يقال لعثمان هذا البطريق ولا عقب له ، ومات بالشام مسموما ، سمّه عمرو بن جفنة الغسانى الملك . (راجع الروض الأنف) .

(٣) قال السهيلى بعد ما تعرض للكلام على ترك زيد لما ذبح علىالنصب : « وفيه سؤال ؛ يقال : كيف وفق الله زيدا إلى ترك أكل ماذبح على النصب ، ومالم يذكر اسم الله عليه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان أولى بهذه الفضيلة فى الجاهلية ؟ فالجواب من وجهين :

٢٠ أحدهما : أنه ليس فى الحديث حين لقيه ببلدح [يشير إلى لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ببلدح قبل أن ينزل الوحى ، فقدمت إلى النبى صلى الله عليه وسلم سفرة فأبى زيد أن يأكل منها وقال : إنى لست آكل مايذبح على النصب ولا آكل إلا ماذكر اسم الله عليه] فقدمت إليه السفرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل منها ، وإنما فى الحديث أن زيداً قال حين قدمت السفرة : لا آكل مما لم يذكر اسم الله عليه .

٢٥ الجواب الثانى : أن زيداً إنما فعل ذلك برأى رآه لابشرع متقدم ، وإنما تقدم شرع إبراهيم بتحريم الميتة لابتحريم ماذبح لغير الله ، وإنما نزل تحريم ذلك فى الإسلام . وبعض الأصوليين يقول : الأشياء قبل ورود الشرع على الإباحة ؛ فإن قلنا بهذا وقلنا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل مما ذبح على النصب ، فإنما فعل أمرا مباحا ، =

ونَهى عن قتل المَوْءودة[1] ، وقال : أَعْبُدُ ربَّ إبراهيم ؛ وبادى قومَه بعَيْبِ ماهم عليه .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى هشام بن عُرْوة عن أبيه عن أمّه أسماء بنت أبى بَكْر رضى الله عنهما قالت :

لقد رأيتُ زيدَ بن عمرو بن نُفَيل شيخاً كبيرًا مُسْنِدًا ظهرَه إلى الكعبة وهو يقول : يا معشر قريش ، والذى نفسُ زيدِ بن عمرو بيده ، ما أصبح منكم أحدٌ على دين إبراهيم غيرى ، ثم يقول : اللهم لو أنى أعلم أىّ الوجوه أحبّ إليك عَبَدتك به ، ولكنّى لا أعلمه ، ثم يسجد على راحته .

قال ابن إسحاق :

وحُدّثت أن ابنَه ، سعيدَ بن زَيْد بن عمرو بن نُفَيل ، وعُمَر بن الخطّاب ، وهو ابن عمّه . قالا لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم : أنَسْتغفِرُ[2] لزيد بن عمرو قال نعم ، فإنه يُبعث أمةً وحدَه .

= وإن كان لا يأكل منه فلا إشكال . وإن قلنا أيضاً : إنها ليست على الإباحة ، ولا على التحريم ، وهو الصحيح ، فالذبائح خاصة لها أصل فى تحليل الشرع المتقدم كالشاة والبعير ، ونحو ذلك ، مما أحله الله تعالى فى دين من كان قبلنا ، ولم يقدح فى ذلك التحليل المتقدم ما ابتدعوه ، حتى جاء الإسلام وأنزل الله سبحانه : «ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه» . ألا ترى كيف بقيت ذبائح أهل الكتاب عندنا على أصل التحليل بالشرع المتقدم ، ولم يقدح فى ذلك التحليل ما أحدثوه من الكفر وعبادة الصلبان ، فكذلك كان ماذبحه أهل الأوثان محلا بالشرع المتقدم حتى خصه القرآن بالتحريم .

(١) وكان زيد ـ فيما يقال ـ يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته : لا تقتلها ، أكفيك مؤونتها ، فيأخذها ، فإذا ترعرعت قال لأبيها : إن شئت دفعتها إليك ، وإن شئت كفيتك مؤونتها .

وقد كان صعصعة بن معاوية جد الفرزدق رحمه الله يفعل مثل ذلك ، ولما أسلم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل لى فى ذلك أجر ؟ فقال : لك من أجره إذ من الله عليك بالإسلام . وفى الفخر بمعاوية يقول الفرزدق :

ومنا الذى منـــع الوائدا ت وأحيا الوئيد فلم يوأد

(٢) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « استغفر » .

شعر زيد فى فراق دين قومه

وقال زيدُ بنُ عمرو بنِ نُفَيل فى فِراق دين قومه ، وما كان لَقِىَ منهم فى ذلك :

أربًّا واحــدًا أم ألفَ ربٍّ أَدِينُ إذا تُقُسِّمت الأُمورُ

عَزَلْتُ اللاتَ والعُزَّى [1] جميعاً كذلك يفعلُ الجَلْد الصَّبُورُ

٥ فلا العُزَّى أدينُ ولا ابنتَيْها ولا صَنَمَىْ بنى عَمْرٍو أَزُورُ [2]

ولا هُبَلا أدينُ وكان ربًّا [3] لنا فى الدهر إذ حِلْمِى يَسيرُ

عجبتُ وفى الليالى مُعْجِباتٌ وفى الأيام يَعْرِفها البَصــيرُ

بِأَنَّ اللهَ قد أَفْنَى رجالاً كثيرًا كان شَأْنَهم الفجورُ [4]

وأبقى آخرين بِبِرِّ قومٍ فَيَرْبِلُ منهمُ الطفلُ الصغيرُ [5]

١٠ وبينا المرءُ يفتِرُ [6] ثاب [7] يومًا كما يتروَّح الغُصْنُ المَطِيرُ [8]

---

(١) وكانت العزى نخلات مجتمعة ، وكان عمرو بن لحى قد أخبرهم ، فيما ذكر ، أن الرب يشتى بالطائف عند اللات ، ويصيف بالعزى ، فعظموها وبنوا لها بيتا ، وكانوا يهدون لها كما يهدون إلى الكعبة ؛ وهى التى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد ليهدمها فقال له سادنها : يا خالد ، احذرها فإنها تجدع وتكتم ، فهدمها خالد وترك منها جذمها ١٥ وأساسها، فقال قيمها : والله لتعودن ولتنتقمن ممن فعل بها هذا ، ثم كان أن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا باستئصال بقيتها ففعل .

(٢) كذا فى الأصول : يريد قبيل أبيه . وفى الأصنام لابن الكلبى (ص ٢٢) ، وبلوغ الأرب (ج ٢ ص ٢٢٠) : « بنى غنم » .

(٣) كذا فى كتاب الأصنام لابن الكلبى ، وهبل (كصرد) : صنم لهم . وقد تقدم ٢٠ الكلام عليه ، وفى جميع الأصول : « ولا غنما » . ولم نجد من بين أصنام العرب صنما له هذا الاسم .

(٤) رواية هذا البيت فى الأغانى :

ألم تعــلم بأن الله أفنى رجالا كان شأنهم الفجور

(٥) كذا فى الأصول وبلوغ الأرب . وربل الطفل يربل (من بابى نصر وضرب) : إذا شب ٢٥ وعظم وكبر . وفى الأغانى : « فيربو » .

(٦) كذا فى أكثر الأصول والأغانى وبلوغ الأرب . وفى ا : « يفتر » . وفتر الشىء يفتر (من بابى نصر وضرب) : سكن بعد حدته ، ولان بعد شدته وضعف .

(٧) ثاب : رجع .

(٨) يتروح : يهتز ويخضر ، وينبت ورقه بعد سقوطه .

ولكنْ أعبُد الرحمٰنَ ربّى ... ليَغفِرَ ذنبِىَ الربُّ الغفورُ

فتقوى اللهِ ربِّكمُ احفَظُوها ... متى ما تَحْفظوها لاَ تَبورُوا

تَرى الأبرار دارُهم جِنان ... وللكفَّار حاميةٌ سَعيرُ

وخِزْىٌ فى الحياة وإن يموتوا ... يُلاقُوا ما تَضيق به الصُّدورُ

وقال زيد بن عمرو بن نُفيل أيضاً ـ قال ابن هشام : هى لأُميّة بن أبى الصلت فى قصيدة له، إلا البيتين الأولين والبيت الخامس وآخرها بيتا . وعجز البيت الأول عن غير ابن إسحاق ـ :

إلى الله أُهْدِى مِدْحتى وثَنائِيا ... وقولاً رَصِينا[1] لاَ يَنِى الدهرَ باقيَا[2]

إلى الملِكِ الأعلى الذى ليس فوقه ... إلاهٌ ولا ربٌّ يكون مُدانِيا

ألا أيّها الإنسان إيّاك والرَّدَى[3] ... فإنك لاَ تُخْفِى مِنَ الله خافيا

وإياكَ لا تجعلْ مع الله غيرَه ... فإن سبيلَ الرشـد أصبحَ باديا

حَنَانيك[4] إنَّ الجِن[5] كانت رَجاءَهم ... وأنت إلاهى ربَّنا ورجائيا

رضيتُ بك اللهم ربًّا فلن أرى ... أدينُ إلاها[6] غيرك اللهُ[7] ثانيا

---

(1) كذا فى ا . والرصين : الثابت المحكم . وفى سائر الأصول : « وقولا رضينا » .

(2) لاينى : لايفتر ولا يضعف .

(3) الردى : الهلاك والموت ، وليس المراد تحذيره الموت ، وإنما المراد تحذيره ما يأتى به الموت ويبديه ويكشفه من جزاء الأعمال .

(4) حنانيك : أى حنانا بعد حنان ، كأنهم ذهبوا إلى التضعيف والتكرار ، لاإلى القصر على اثنين خاصة دون مزيد ، ويجوز أن يكون المراد : حنانا فى الدنيا وحنانا فى الآخرة ، وإذا خوطب بهذا اللفظ مخلوق ، كقول طرفة :

* حنانيك بعض الشر أهون من بعض *

فإنما يريد حنان دفع ، وحنان نفع ؛ لأن كل من أمل ملكا ، فإنما يؤمله ليدفع عنه ضيرا أو ليجلب إليه خيرا .

(5) قوله: إن الجن. قال فى القاموس: « والجن (بالكسر): حى من الجن، منهم الكلاب السود البهم ، أو سفلة الجن وضعفاؤهم ، أو كلابهم ، أو خلق بين الجن والإنس » اه .

(6) أدين إلاها : أى أدين لإله ، وحذف اللام وعدى الفعل ، لأنه فى معنى: أعبد إلاها .

(7) يريد : يا ألله .

[أدِينُ لربٍّ يُستجاب ولا أرى ... أدين لمن لم يسمع الدهرَ داعيا][1]

وأنت الذى مِنْ فضل مَنٍّ وَرَحْمة ... بعثتَ إلى موسى رسولاً مناديا

فقلت له: ياإذهب[2] وهارون[3] فادعُوَا ... إلى الله فرعون الذى كان طاغيا

وقولا له : أأنتَ سَوّيت هذه[4] ... بلا وتدٍ حتى اطمأنت كما هيا

٥ وقولا له : أأنت رفّعت هـذه[5] ... بلا عَمَد أرْفِقْ إذا بك بانيا[6]

وقولا له : أأنت سوّيت وَسْطها ... مُنيراً إذا ماجنّـه الليل هاديا

وقولا له : من يُرْسل الشمسَ غُدْوةً ... فيُصْبح مامسّت من الأرض ضاحيا

وقولا له : من يُنْبت الحبَّ فى الثّرى ... فيُصبح منـه البَقْل يَهْتزّ رابيا[7]

ويُخرِج منه حبَّه فى رءوســـه ... وفى ذاك آياتٌ لمن كان وَاعيا

١٠ وأنت بفضلٍ منك نَجّيت يُونُسًا ... وقد بات فى أضعاف حُوتٍ لياليا

وإنى[8] [و][9] لوسبّحت باسمك ربّنا ... لأُكْثِر، إلا ما غفرتَ ، خطائيا[10]

---

(١) زيادة عن الأغانى .

(٢) يا اذهب : على حذف المنادى . كأنه قال : ألا ياهذا اذهب ؛ كما قرئ : « ألا يا اسجدوا » يريد: ياقوم اسجدوا ؛ وكما قال غيلان :

١٥ * ألا يا اسلمى يا دارمىّ على البلى *

(٣) يصح عطف « هارون » على الضمير المستتر فى الفعل « اذهب » مع عدم توكيده بضمير فصل ، وهو قبيح . والجيد نصب « هارون » على المفعول معه .

(٤) يريد الأرض ، وأشار إليها للعلم بها .

(٥) يريد السماء .

٢٠ (٦) أرفق : فعل تعجب ، وعليه فالباء فى « بك » زائدة . وهى فى محل رفع فاعل . ويكون المعنى : رفقت .

(٧) رابيا : ظاهرا على وجه الأرض .

(٨) ويروى : « وإنى إن . . . الخ » .

(٩) زيادة عن ا .

٢٥ (١٠) يريد : إنى لأكثر من هذا الدعاء الذى هو : باسمك ربنا إلا ماغفرت . وما بعد إلا زائدة ؛ ولو سبحت : اعتراض بين اسم إن وخبرها . والتسبيح (هنا) : الصلاة : أى لا أعتمد وإن صليت إلا على دعائك واستغفارك من خطاياى

فربَّ العبادِ ألقِ سَيْباً ورحمةً[1] علىَّ وبارِك فى بَنِىَّ وماليا

وقال زيد بن عمرو يعاتب امرأته صفية بنت الحضرمى ـ .

قال ابن هشام .

الحضرمى

واسم الحضرمى : عبدُ الله بن عماد[2] [بن أ كبر][3] أحد الصَّدف ، واسم لصدِف : عمرو بن مالك أحد السَّكون بن أشْرس بن كِنْدى ؛ ويقال: كِنْدة ابنُ ثَور بن مرتع بن عفير بن عدىّ بن الحارث بن مُرّة بن أدد بن زيد ابن مهسع بن عمرو بن عَريب بن زَيد بن كهلان بن سبأ ؛ ويقال : مرتع ابنُ مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ .

شعر زيد فى عتاب زوجته على اتفاقها مع الخطاب فى معاكسته

قال ابن إسحاق :

وكان زيد بن عمرو قد أجمع الخروجَ من مكة ليضرب فى الأرض يطلب الحنيفية دِين إبراهيم صلّى الله عليه وسلّم ، فكانت صَفيّة بنت الحضرمىّ كلّما رأته قد تهيّأ للخروج وأراده آذنت به الخطّاب بن نُفَيل ، وكان الخطّاب ابنُ نُفَيل عمه[4] أخاه لأمه ، وكان يُعاتبه على فِراق دين قومه ، وكان الخطّاب قد وَكّل صفيّة به ، وقال : إذا رأيتيه قد همّ بأمر فآذنينى به ـ فقال زيد :

لا تحبسينى فى الهوا ن صَفِىّ مادابى ودابُهْ[5]

إنى إذا خِفْتُ الهوا نَ مُشَيَّعٌ ذُلُل رِكابُه[6]

---

(١) السيب : العطاء .

(٢) فى الأصول : « عباد » . والتصويب عن شرح السيرة والروض والاستيعاب .

(٣) زيادة عن ا .

(٤) وذلك أن أم زيد ، وهى جيداء بنت خالد بن جابر بن أبى حبيب بن فهم ، كانت عند نفيل بن عبد العزى، فولدت له الخطاب، أبا عمر بن الخطاب ؛ ثم مات عنها نفيل فتزوجها ابنه عمرو فولدت له زيدا ، وكان هذا نكاحا ينكحه أهل الجاهلية . (راجع الأغانى ج ٣ ص ١٣٣ طبع دار الكتب) .

(٥) الدأب : العادة . وسهلت همزته للقافية .

(٦) المشيع : الجرىء الشجاع . والذلل : السهلة التى قد ارتاضت .

دُعموص[1] أبواب الملو ك وجائبٌ للخرق نابه[2]
قَطَّاع أسباب تَذِ لّ بغـــير أقرانٍ صِعابه[3]
وإنما أخـــذ الهوا ن العير إذ يُوهى إهابه[4]
ويقول إنى لا أذ لّ بصك جَنْبيه صِلابه[5]
٥ وأخى ابن أُمّى ثم عَمْـــمِى لا يُواتينى خِطابه[6]
وإذا يعاتبُنى بسُو ء قلتُ أعيانى جَـــوابه
ولو أشاء لقلت ما عندى مَفاتحُهُ وبابه[7]

شعر زيد حين كان يستقبل الكعبة

قال ابن إسحاق : وحُدثت [عن][8] بعض أهل زَيْد بن عمرو بن نُفَيل : أن زيداً كان إذا استقبل الكعبة داخلَ المسجد قال :

١٠ لبّيك حقًا حقا تعبُّدًا ورِقا .

عُذْت بما عاذ به إبراهِمْ مستقبلَ القبلة وهو قائمْ

إذ قال :

أَنفِى لك اللَّهُمَّ عانٍ راغمْ مهما تُجشّمنى فإنى جاشمْ[9]

البرَّ أَبْغى لا الخالَ[10] ، ليس مُهجِّر كمن[11] قال .

---

١٥ (١) الدعموص : دويبة تغوص فى الماء مرة بعد مرة، يشبه بها الرجل الذى يكثر الولاج فى الأشياء . يريد : ولاجاً فى أبواب الملوك ، وأنه يكثر الدخول عليهم .

(٢) جائب : قاطع ، والخرق : الفلاة الواسعة .

(٣) الأقران : جمع قرن ، وهو الحبل .

(٤) يوهى : يشق . واهاب : الجلد . وفى البيت خرم .

٢٠ (٥) أى يقول العير ذلك بصك جنبيه صلابه ، أى صلاب مايوضع عليه . وأضافها إلى العير لأنها عبؤه وحمله .

(٦) لايواتينى : لايوافقنى .

(٧) فى البيت خرم .

(٨) زيادة عن ا .

٢٥ (٩) العانى : الأسير . وتجشمنى : تكلفنى .

(١٠) الخال : الخيلاء والكبر .

(١١) المهجر : الذى يسير فى الهاجرة : أى القائلة ، وقال يقيل : إذا نام فى القائلة : أى ليس من هجر كمن آثر القائلة والنوم .

قال ابن هشام : ويقال : البرُّ أبقَى لا الخال ، ليس مهجّر كمن قال . قال :
وقوله « مستقبل الكعبة » عن بعض أهل العلم .

قال ابن إسحاق : وقال زيد بن عمرو بن نُفيل:

وأسلمتُ وَجْهى لمن أسلمتْ ... له الأرضُ تحمِلُ صخرًا ثقالاَ
دَحاها فلما رآها استوتْ ... على الماء أرْسى عليها الجبالا[1]
وأسلمتُ وَجْهى لمن أسلمتْ ... له ، المُزْن تَحْمِل عذباً زُلالا[2]
إذا هى سِيقت إلى بلدة ... أطاعت فَصَبَّتْ عليها سِجالا[3]

الخطاب ووقوفه فى سبيل زيد ابن نفيل وخروج زيد إلى الشام وموته

وكان الخطّاب قد آذى زيدًا حتى أخرجه إلى أعلى مكة ، فنزل حِراء[4] مقابلَ مكة، ووكّل به الخطابُ شباباً من شباب قريش وسُفهاء من سفهائهم ، فقال لهم : لا تتركوه يدخل مكة ؛ فكان لا يدخلها إلا سرًّا منهم ، فإذا علموا بذلك آذنوا به الخطّاب فأخرجوه وآذوْه كراهيةَ أن يُفْسد عليهم دينَهم ، وأن يُتابعه أحدٌ منهم على فِراقه . فقال وهو يعظّم حُرْمته على من استحلّ منه ما استحلّ من قومه :

لاهُمَّ إنى مُحْرِمٌ لا حِلَّهْ[5] ... وإن بَيْتى أوسطُ المَحِلَّهْ
عند الصَّفا ليس بذى مَضَلَّهْ

ثم خرج يطلب دينَ إبراهيم عليه السلام ، ويسأل الرهبان والأحبار ، حتى بلغ الموصل والجزيرة كلَّها ، ثم أقبل فجال الشَّامَ كلَّه ، حتى أنتهى إلى راهب بميْفعة[6] من أرضِ البلقاء[7] كان ينتهى إليه عِلْمُ أهلِ النصرانية فيما يزعمون ،

---

(١) دحاها : بسطها . وأرسى : أثبت عليها وثقلها بها .
(٢) المزن : السحاب ؛ وقيل الأبيض منها .
(٣) السجال : جمع سجل ، وهى الدلو المملوءة ماء ، فاستعارها لكثرة المطر .
(٤) حراء (بكسر الحاء المهملة والمد) : جبل بينه وبين مكة نحو ثلاثة أميال ، على يسار الذاهب إلى منى .
(٥) محرم : ساكن بالحرم . والحلة : أهل الحل ؛ يقال للواحد والجميع : حلة .
(٦) الميفعة : الأرض المرتفعة .
(٧) البلقاء : كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادى القرى قصبتها عمان ، وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة. (راجع معجم البلدان) .

فسأله عن الحنيفيَّة دينِ إبراهيم ؛ فقال : إنك لتطلب ديناً ما أنت بواجد مَنْ يحملك عليه اليومَ ، ولـكن قد أظلّ زمانُ نبيّ يخرج من بلادِك التي خرجت منها، يُبعث بدين إبراهيم الحنيفية فالحَق بها ، فإنه مبعوثٌ الآن ، هذا زمانه . وقد كان شام[1] اليهوديةَ والنصرانيةَ فلم يَرْضَ شيئاً منهما ، فخرج سَرِيعاً ، حين قال له ذلك الراهبُ ما قال ، يريد مكة ، حتى إذا توسّط بلاد لَخْم عَدَوْا عليه فقتلوه . فقال ورقة بن نوفل بن أسَد يبكيه :

رثاء ورقة لزيد

رشدتَ وأنعمت ابنَ عمرو وإنما[2] تجنبتَ تنورًا من النار حامِياً
بدينكَ ربًّا ليس ربّ كمِثْله وتركَكَ أوثانَ الطواغى كما هِيا[3]
وإدراكِك الدينَ الذى قد طلبتَه ولم تَكُ عن توْحيد ربِّك ساهيا
فأصبحتَ فى دارٍ كريمٍ مُقامُها تُعلَّل فيها بالكرامة لاهيا
تُلاقى خليل الله فيها ولم تَكُنْ من الناس جَبَّاراً إلى النارِ هاويا
وقد تدرك الإنسانَ رحمةُ ربّه ولو كان تحت الأرض سبعين واديا[4]

قال ابن هشام : يروى لأميَّة بن أبى الصلت البيتان الأولان منها ، وآخرها بيتاً فى قصيدة له ، وقوله : « أوثان الطواغى » عن غير ابن إسحاق .

---

(١) شام : استخبر ، استعاره من الشم .
(٢) أنعمت : أى بالغت فى الرشد .
(٣) الطواغى : جمع طاغية ، وهو (هنا) : ماعبد من دون الله .
(٤) نصب « سبعين » على الحال ، لأنه قد يكون صفة للنكرة ، كما قال :

* فلو كنت فى جب ثمانين قامة *

وما يكون صفة للنكرة يكون حالا من المعرفة ، وهو هنا حال من « البعد » ، كأنه قال : ولو بعد تحت الأرض سبعين ؛ كما تقول : بعد طويلا ، أى بعدا طويلا ، وإذا حذفت المصدر وأقمت الصفة مقامه لم تكن إلا حالا .

صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الانجيل

تبشير يحنس الحوارى برسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق :

وقد كان ، فيما بلغنى عما كان وَضَع عيسى بنُ مريم فيما جاءه من الله فى الإنجيل لأهل الإنجيل من صِفَة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، مما أثبت يُحَنّسُ الحوارىُّ لهم ، حين نَسخ لهم الإنجيلَ عن عهد عيسى بنِ مريم عليه السلام ، فى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إليهم أنه قال : من أبغضنى فقد أبغض الربّ ، ولولا أنى صنعت بحضرتهم صنائعَ لم يَصْنعها أحدٌ قبلى ما كانت لهم خطيئةٌ ، ولكن من الآن بَطِروا وظَنّوا أنهم يَعِزُّوننى[1] ، وأيضاً للربّ ، ولكن لا بُدّ من أن تتم الكلمة التى فى الناموس : أنهم أبْغضونى مَجّاناً[2] ، أى باطلاً . فلو قد جاء الْمُنْحَمَنّا هذا الذى يُرسله الله إليكم من عند الربّ ، [و][3] روح القُدُس[4] ، هذا الذى من عند الربّ خَرَج ، فهو شَهيدٌ علىّ وأنتم أيضاً ، لأنكم قديماً كنتم معى ؛ فى هذا قلتُ لكم لكيما لا تشكوا .

والْمُنْحَمَنّا [بالسريانية][3] : محمد ؛ وهو بالرومية : البَرَقْلِيطس ، صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم .

---

(١) يعزوننى : يغلبوننى ؛ يقال : عز الرجل الرجل : إذا غلبه .

(٢) وكذلك جاء فى الحكمة : يابن آدم ، علم مجانا ، كما علمت مجانا : أى بلا ثمن .

(٣) زيادة عن ا .

(٤) كذا فى أكثر الأصول . والقدس : التطهير . وفى ا . « القسط » . والقسط : العدل .

مبعث النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما

قال ابن إسحاق[1] :

فلما بلغ محمدٌ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أربعين سنةً بعثه[2] الله تعالى رحمةً للعالمين ، وكافّةً للناس بشيراً ، وكان الله تبارك وتعالى قد أخذ الميثاق على كلّ نبي بعثه قبلَه بالإيمان به ، والتصديق له ، والنصر له على مَنْ خالفه ، وأَخَذ عليهم أن يؤدّوا ذلك إلى كل مَنْ آمن بهم وصدّقهم ، فأدّوا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه . يقول الله تعالى لمحمد صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم : « وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذٰلِكُمْ إِصْرِي » أى ثِقَل ما حمّلتكم من عَهْدِى « قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ » . فأَخَذ الله ميثاق النّبيّين جميعاً بالتصديق له والنصر له ممّن خالفه ، وأدّوْا ذلك إلى مَنْ آمن بهم وصدّقهم من أهل هذين الكتابَيْن .

أول مابدئ به الرسول صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة

قال ابن إسحاق : فذَكَر الزُّهرى عن عُرْوة بن الزُّبَير عن عائشة رضى الله عنها أنها حدّثته :

أنّ أول ما بُدِئَ به رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم من النُّبوّة ، حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به ، الرُّؤْيا الصادقة ، لايرى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن إسحاق المطلبى قال . . . الخ » .

(٢) ويقال إن بعثه صلى الله عليه وسلم كان يوم الاثنين ، ويستدلون على ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم لبلال : لا يفتك صيام يوم الاثنين ، فإنى قد ولدت فيه ، وبعثت فيه ، وأموت فيه . وقيل غير ذلك . (راجع شرح المواهب ، والروض) .

رؤيا فى نومه إلا جاءت كفلَق الصبح . قالت : وحَبَّب اللهُ تعالى إليه الخَلْوة ، فلم يكن شىء أحبَّ إليه مِنْ أن يخلوَ وحدَه .

تسليم الحجارة والشجر عليه صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدّثنى عبد الملك بن عُبَيد الله بن أبى سُفْيان بن العلاء ابن جارية الثَّقفى ، وكان واعيةً[1] ، عن أهل العلم .

أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم حين أراده الله بكرامته وابتدأه بالنبوّة ، كان إذا خرج لحاجته أبْعَدَ حتى تحسّر[2] عنه البيوتُ ويُفضِى إلى شِعاب[3] مكة وبُطون أَوْديتها ، فلا يَمُرّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بحَجر ولا شَجَر إلا قال : السلام عليك يارسول الله[4] . قال : فيلتفت رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم حولَه وعن يَمينه وشماله وخلفَه فلا يرى إلا الشجَر والحِجارة . فمكث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم كذلك يرى ويسمع ، ما شاء اللهُ أن يَمكث ، ثم جاءه جبريل عليه السلام بما جاءه من كرامة الله ، وهو بِحراء فى شهر رمضان .

---

(1) واعية : حافظا ، والتاء فيه للمبالغة .

(2) تحسر عنه البيوت : تبعد عنه ويتخلى عنها .

(3) الشعاب : المواضع الخفية بين الجبال .

(4) قال السهيلى : « وهذا التسليم الأظهر فيه أن يكون حقيقة ، وأن يكون الله أنطقه إنطاقا، كما خلق الحنين فى الجذع ، ولكن ليس من شرط الكلام الذى هو صوت وحرف ، الحياة والعلم والإرادة ، لأنه صوت كسائر الأصوات ، والصوت عرض فى قول الأكثرين ، ولم يخالف فيه إلا النظام ، فإنه زعم أنه جسم ، وجعله الأشعرى اصطكاكا فى الجواهر بعضها لبعض . وقال أبو بكر : ليس الصوت نفس الاصطكاك، ولكنه معنى زائد عليه . . » إلى أن قال : ولوقدرت الكلام صفة قائمة بنفس الحجر والشجر، والصوت عبارة عنه ، لم يكن بدّ من اشتراط الحياة والعلم مع الكلام ، والله أعلم أىّ ذلك كان : أكان كلاما مقرونا بحياة وعلم ، فيكون الحجر به مؤمنا ؛ أو كان صوتا مجردا غير مقترن بحياة؛ وفى كلا الوجهين هو علم من أعلام النبوة . . . وقد يحتمل تسليم الحجارة أن يكون مضافا فى الحقيقة إلى ملائكة يسكنون تلك الأماكن ويعمرونها ، فيكون مجازا من باب قوله تعالى : « واسأل القرية » .

ابتداء نزول جبريل عليه السلام

قال ابن إسحاق : وحدّثنى وَهَب[1] بنُ كَيْسان ، مولى آل الزبير. قال : سمعتُ عبدَ الله بنَ الزُّبير وهوَ يقول لعُبَيد بن عُمَير بن قَتادة الليثىّ : حَدِّثنا يا عُبيد ، كيف كان بدء ما أبتُدِئ به رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم من النبوّة حين جاءه جبريلُ عليه السلام ؟ قال : فقال : عبيدٌ ـ وأنا حاضرٌ يُحدِّث عبدَ الله ابن الزبير ومَنْ عنده من الناس ـ : كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يُجاور[2] فى حِراء من كل سنة شهراً ، وكان ذلك مما تحنّث به قريشٌ فى الجاهلية . والتحنث : التبرُّر .

قال ابن إسحاق : وقال أبو طالب :

وثَورٍ ومَنْ أرْسَى ثَبيراً مكانَه ... وراقٍ ليَرْقَى فى حِراء ونازِلِ

بحث لغوى لابن هشام فى معنى التحنث

قال ابن هشام : تقول العرب : التحنّث والتحنّف ، يريدون الحنفيّةَ ، فيُبْدِلون الفاء[3] من الثاء ، كما قالوا جَدَثَ وجَدَف ، يريدون القبْر . قال رؤبة ابن العجاج :

* لو كان أحْجارى مع الأجْداف[4] *

يريد الأجداث . وهذا البيت فى أرجوزة له . و بيت أبى طالب فى قصيدة له سأذكرها إن شاء الله فى موضعها .

---

(١) هو وهب بن كيسان القرشى مولى : آل الزبير أبو نعيم المدنى المعلم المكى . روى عن أسماء بنت أبى بكر وابن عباس وابن عمر وابن الزبير وغيرهم . وعنه هشام بن عروة وأيوب وعبيد الله بن عمر وغيرهم . توفى سنة سبع وعشرين ومئة ، وقيل سنة تسع . (راجع تهذيب التهذيب) .

(٢) يجاور : يعتكف .

(٣) وفى الرد على ابن هشام . قال أبو ذر : « . . . والجيد فيه أن يكون فيه التحنث هو الخروج من الحنث : أى الإثم ، كما يكون التأثم ، الخروج عن الإثم ، لأن تفعل قد تستعمل فى الخروج من الشىء ، وفى الانسلاخ عنه ، ولا يحتاج فيه إلى الإبدال الذى ذكره ابن هشام » .

(٤) فى هذا الشعر شاهد ورد على ابن جنى حيث زعم أن « جدف » بالفاء لايجمع على أجداف (راجع الروض) .

قال ابن هشام : وحدّثنى أبو عُبيدة أن العرب تقول : فُمَّ ، فى موضع ثُمَّ ، يبدلون الفاء من الثاء .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى وهب بنُ كَيْسان قال قال عُبيد :

فكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يُجاور ذلك الشهرَ من كل سنةٍ ، يُطْعم مَنْ جاءه من المساكين ، فإذا قضى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم جواره من شهره ذلك ، كان أولُ ما يبدأ به ، إذا انصرف من جواره ، الكعبةَ ، قبل أن يدخل بيتَه ، فيطوف بها سَبْعاً أو ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته ، حتى إذا كان الشهرُ الذى أراد اللهُ تعالى به فيه ما أراد من كرامته ، من السَّنَة التى بعثه اللهُ تعالى فيها ؛ وذلك الشهر [شهر][1] رمضان ، خرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى حِراء كما كان يخرج لِجواره ومعه أهلُه ، حتى إذا كانت الليلةُ التى أكْرمه اللهُ فيها برسالته ، ورَحِم العبادَ بها ، جاءه جبريلُ عليه السلام بأمر الله تعالى . قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : فجاءنى جبريلُ ، وأنا نائم ، بنَمَط[2] من ديباج فيه كتابٌ[3] ، فقال : اقرأ ؛ قال : قلت : ما أقرأ[4] ؟ قال : فغتّنى[5] به حتى ظننتُ أنه الموتُ ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ ؛ قال قلت : ما أقرأ ؟ قال : فغتّنى به حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ ؛ قال . قلت : ماذا أقرأ ؟ قال : فغتّنى به حتى ظننتُ أنه الموت ، ثم أرسلنى[6] ، فقال :

---

(١) زيادة عن ا .

(٢) النمط : وعاء كالسفط .

(٣) قال بعض المفسرين : فى قوله تعالى : « الم ذلك الكتاب لاريب فيه » إنها إشارة إلى الكتاب الذى جاء به جبريل حين قال له : اقرأ . (راجع الروض) .

(٤) كذا فى الأصول والطبرى . وفى شرح المواهب : « ما أنا بقارئ » . يريد أن حكى كسائر الناس من أن حصول القراءة إنما هو بالتعلم ، وعدمها بعدمه .

(٥) كذا فى الأصول والطبرى . والغتّ : حبس النفس . وفى المواهب : « فغطنى » وهى بمعنى غت .

(٦) لعل الحكمة فى تكرير : « اقرأ » الإشارة إلى انحصار الإيمان الذى ينشأ عنه الوحى بسببه فى ثلاث : القول ، والعمل ، والنية ، وأن الوحى يشتمل على ثلاث : التوحيد . والأحكام . والقصص . (راجع شرح المواهب) .

أقرأ ؛ قال : فقلت : ماذا أقرأ ؟ ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود لى بمثل ما صنع بى ؛ فقال : « اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَالَمْ يَعْلَمْ » . قال : فقرأتها ثم انتهى فانصرف عنّى وهببتُ من[1] نومى ، فكأنما كتبتْ فى قلبى كتابًا .

٥ قال : فخرجتُ حتى إذا كنتُ فى وَسط من الجبل سمعت صوتاً من السماء يقول : يامحمد ، أنت رسولُ الله وأنا جبريلُ ؛ قال : فرفعت رأسى إلى السماء أنظرُ ، فإذا جبريلُ فى صورة رجل صافٍّ قَدَمَيْهِ فى أفق السماء يقول : يا محمد ، أنت رسولُ الله وأنا جبريل . قال : فوقفت أنظر إليه فما أتقدّم وما أتأخّر ، وجعلت أصْرِف وجهى عنه فى آفاق السماء . قال : فلا أنظر فى ناحية منها إلا رأيتُه

١٠ كذلك ، فما زِلتُ واقفاً ما أتقدّم أمامى وما أرجع ورائى حتى بَعثتْ خديجةُ رُسلَها فى طلبى ، فبلغوا أعْلَى مكة ورجعوا إليها وأنا واقف فى مكانى ذلك ؛ ثم انصرف عنّى .

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص على خديجة ما كان من أمر جبريل معه

وانصرفتُ راجعاً إلى أهلى حتى أتيتُ خديجةَ فجلست إلى فخذها مُضيفاً[2] إليها ؛ فقالت : يا أبا القاسم ، أين كنتَ ؟ فوالله لقد بعثت رُسلى فى

١٥ طلبك حتى بلغوا مكةَ ورجعوا لى ؛ ثم حدّثْتها بالذى رأيتُ ، فقالت : أبشر

---

(١) قال السهيلى : « قال فى الحديث : فأتانى وأنا نائم ؛ وقال فى آخره : فهببت من نومى فكأنما كتبت فى قلبى كتابا . وليس ذكر النوم فى حديث عائشة ولا غيرها ، بل فى حديث عروة مايدل ظاهره على أن نزول جبريل حين نزل بسورة « اقرأ » كان فى اليقظة ، لأنها قالت فى أول الحديث : أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة ،

٢٠ كان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب إليه الخلاء . . . إلى قولها حتى جاءه الحق ، وهو بغار حراء ، فجاءه جبريل . فذكرت فى هذا الحديث أن الرؤيا كانت قبل نزول جبريل على النبى عليه السلام بالقرآن ، وقد يمكن الجمع بين الحديثين بأن النبى صلى الله عليه وسلم جاءه جبريل فى المنام قبل أن يأتيه فى اليقظة توطئة وتيسيرا عليه ورفقا به ، لأن أمر النبوة عظيم وعبئها ثقيل والبشر ضعيف » .

٢٥ (٢) مضيفا : ملتصقا ، يقال : أضفت إلى الرجل ، إذا ملت نحوه ولصقت به ؛ ومنه سمى الضيف ضيفا .

يا بنَ عمّ وأثبُتْ ، فوالذى نفسُ خديجةَ بِيَدِه إنى لأرجو أن تكون نبىَّ هذه الأمّة .

خديجة بين يدى ورقة تحدثه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثم قامت فجمعت عليها ثيابَها ، ثم انطلقت إلى وَرَقَة بن نوفل بن أسَد ابن عبد العُزّى بن قُصَىّ ، وهو ابن عمّها ، وكان ورقة قد تنصَّر وقرأ الكتبَ ، وسَمِع من أهل التوراة والإنجيل ، فأخبرتْه بما أخبرها به رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، أنه رأى وسمع ؛ فقال ورقةُ بن نوفل : قُدُّوس قُدُّوس[1] ، والذى نفسُ ورقةَ بيده ، لئن كنت صَدَقْتِينى يا خديجةُ لقد جاءه الناموسُ[2] الأكبرُ الذى كان يأتى موسَى ، وإنه لنبىُّ هذه الأمة ، فقولِى له : فليثبُتْ . فرجعت خديجة إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم فأخبرته بقول وَرَقة بنِ نوفل ، فلما قضى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم جِوارَه وانصرف ، صنع كما كان يصنع ، بدأ بالكعبةَ فطاف بها ، فلقيه ورقةُ بن نوفل وهو يطوف بالكعبة فقال : يا بن أخى ، أخبرنى بما رأيتَ وسمعتَ ، فأخبره رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ فقال له ورقةُ : والذى نفسى بيده ، إنك لنبىُّ هذه الأمّة ، ولقد جاءك الناموسُ الأكبرُ الذى جاء موسى وَلَتُكَذَّبَنَّهْ ولتُؤْذَيَنَّهْ ولَتُخْرَجَنَّهْ ولتقاتَلَنَّهْ[3] ، ولئن أنا أدركتُ ذلك اليومَ لأنصرنّ اللهَ نصراً يعلمه ، ثم أدنى رأسه منه فقبّل يا فوخه[4] ، ثم انصرف رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى منزله .

امتحان خديجة برهان الوحى

قال ابن إسحاق : وحدّثنى إسماعيل بن أبى حَكيم[5] مولى آل الزبير :

---

(١) قدوس قدوس : أى طاهر طاهر ، وأصله من التقديس ، وهو التطهير .

(٢) الناموس (فى الأصل) : صاحب سر الرجل فى خيره وشره ، فعبر عن الملك الذى جاءه بالوحى به .

(٣) الهاء فى هذه الأفعال للسكت .

(٤) اليافوخ : وسط الرأس .

(٥) هو إسماعيل بن أبى حكيم القرشى . روى عن سعيد بن المسيب والقاسم بن محمد وعبيدة ابن شعبان الحضرمى وغيرهم ، وعنه مالك وابن إسحاق وإسماعيل بن جعفر وأبو الأسود وغيرهم . وكان عاملا لعمر بن عبد العزيز . وتوفى سنة ١٣٠ . (راجع تهذيب التهذيب) .

أنه حُدّث عن خديجة رضى الله عنها أنها قالت لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم : أى ابْنَ عمّ ، أتستطيعُ أن تُخْبرنى بصاحبك هذا الذى يأتيك إذا جاءك ؟ قال : نعم ؛ قالت : فإذا جاءك فأخْبرنى به . فجاءه جبريلُ عليه السلام كما كان يصنع ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لخديجة : يا خديجة ، هذا جبريلُ قد جاءنى ؛ قالت : قم يا بن عم فاجلس على فخذى اليسرى ؛ قال فقام رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فجلس عليها ؛ قالت : هل تراه ؟ قال : نعم ؛ قالت : فتحوّلْ فاجلس على فخذى اليمنى ؛ قالت : فتحوّلَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فجلس على فخذها اليُمنى ؛ فقالت : هل تراه ؟ قال : نعم . قالت : فتحوّلْ فاجلس فى حجرى ؛ قالت : فتحوّل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فجلس فى حجرها ؛ قالت : هل تراه ؟ قال : نعم ؛ قال : فتحسّرت وألقت خِمارها ورسولُ الله صلى الله عليه وسلّم جالس فى حِجرها ، ثم قالت له : هل تراه ؟ قال : لا ؛ قالت يا بن عم ، اُثبتْ وأبْشِر ، فوالله إنه لَمَلَكٌ وما هذا بشيطان .

قال ابن إسحاق : وقد حدثتُ عبدَ الله[1] بن حسن هذا الحديثَ فقال : قد سمعتُ أمى فاطمة بنت حُسين تحدّث بهذا الحديث عن خديجة ، إلا أنى سمعتُها تقول : أدخلتْ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم بينها و بين دِرْعها ، فذهب عند ذلك جبريلُ ، فقالت لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم : إن هذا لَمَلَكٌ وما هو بشيطان .

---

(١) هو عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب ، وأمه فاطمة بنت الحسن أخت سكينة ، واسمها آمنة وسكينة لقب لها ، التى كانت ذات دعابة ومزح . وفى سكينة وأمها الرباب يقول الحسين بن على :

كأن الليـــل موصول بليل   إذا زارت سكينة والرباب

[أى زارت قومها ، وهم بنو عليم بن جناب بن كلب] وعبد الله بن حسن هو والد الطالبيين القائمين على بنى العباس ، وهم : محمد ويحيى وادريس . مات إدريس فى افريقية فارا من الرشيد . (راجع الروض) .

ابتداء تنزيل القرآن

قال ابن إسحاق :

فابتدئ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلَّم بالتنزيل فى شهر رمضان ، بقول الله عز وجل : « شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ » . وقال الله تعالى : « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ . لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ . تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ . سَلَامٌ هِىَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ » ، وقال الله تعالى . « حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ . إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ . فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ » ، وقال تعالى . « إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ » . وذلك مُلتقى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلَّم والمُشركين ببدر .

قال ابن إسحاق وحدّثنى أبو جَعْفر محمد بن علىّ بن حُسَين .

أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم التقى هو والمُشركون ببَدْر يومَ الجمعة صبيحةَ سَبْعَ عشرة من رمضان .

قال ابن إسحاق :

ثم تتامّ الوحىُ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . وهو مؤمنٌ بالله مُصَدِّق بما جاءه منه ، قد قبِلَه بقَبوله ، وتحمّل منه ما حمله على رضا العباد وسخطهم ، والنبوّةُ أثقال ومُؤْنة ، لا يحملها ولا يستطيع بها إلا أهل القوة والعزم من الرسل بعون الله تعالى وتوفيقه، لما يَلْقَوْن من الناس وما يُرَدّ عليهم مما جاءوا به عن الله سبحانه وتعالى .

قال فمضى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على أمْرِ الله ، على ما يَلْقَى من قومه من الخلاف والأذى .

إسلام خديجة بنت خويلد

وآمنت به خديجةُ بنتُ خُوَيلد ، وصدّقت بما جاءه من الله ، ووازرتْه على أمره ، وكانت أول من آمن بالله وبرسوله ، وصدّق بما جاء منه . فخفف الله بذلك عن نبيه صلّى الله عليه وسلّم ، لايسمع شيئاً مما يكرهُه من ردٍّ عليه وتكذيب له ، فيَحزنه ذلك ، إلاّ فرّج الله عنه بها إذا رَجَعَ إليها ، تثبّته وتخفّف عليه ،وتصدقه وتهون عليه أمر الناس ، رحمها الله تعالى !

تبشير الرسول لخديجة ببيت من قصب

قال ابن إسحاق : وحدّثنى هشام بن عُرْوة عن أبيه عُرْوة بن الزُّبير عن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه ، قال :

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : أُمِرْتُ أنْ أُبشّر خديجة ببيتٍ من قَصب ، لاصَخَب فيه ولا نَصب[1] .

قال ابن هشام : القصب [ههنا][2] : اللؤلؤ المجوّف .

قال ابن هشام : وحدّثنى مَنْ أثق به :

جبريل يقرئ خديجة السلام

أنّ جبريل عليه السلام أتَى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ فقال : أقرئْ خديجةَ السلامَ من ربها ؛ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : يا خديجة ، هذا جبريلُ يُقرئك السلام من ربك ، فقالت خديجة : اللهُ السلامُ ، ومنه السلامُ ، وعلى جبريل السلام .

فترة الوحى ونزول سورة الضحى

قال ابن إسحاق :

ثم فَتَرَ الوحى عن رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم فترة من ذلك ، حتى شقّ ذلك عليه فأحزنه ؛ فجاءه جبريلُ بسورة الضحى ، يُقسم له ربه ، وهو الذى

---

(1) هذا حديث مرسل ، وقد رواه مسلم متصلا عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : ماغرت على أحد ماغرت على خديجة ، ولقد هلكت قبل أن يتزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين ، ولقد أمر أن يبشرها ببيت من قصب فى الجنة . (راجع الروض الأنف) .

(2) زيادة عن ا .

أكرمه بما أكرمه به ، ما ودّعه وما قلاه ، فقال تعالى : « وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى . مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى » . يقول ماصرمك فتركك ، وما أبغضك منذ أحبّك . « وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى » أى : لَما عندى من مَرْجعك إلى ، خيرٌ لك مما عجّلتُ لك من الكرامة فى الدنيا . « وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى » من الفُلج فى الدنيا ، والثواب فى الآخرة . « أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى . وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى . وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى » يعرّفه الله ما ابتدأه به من كرامته فى عاجل أمره ، ومنّه عليه فى يُتمه وعَيْلته وضَلالته ، واستنقاذه من ذلك كلّه برحمته .

تفسير ابن هشام لمفردات سورة الضحى

قال ابن هشام : سجى : سكن . قال أمية بن أبى الصلت الثقفى .

إذْ أتى مَوْهِنًا وقد نام صَحْبِى   وسَجَا الليـلُ بالظلام البَهيمِ[1]

وهذا البيت فى قصيدة له ، ويقال للعين إذا سكن طرفُها ساجية، وسجا طرفُها . قال جرير [بن الخَطَفَى][2] :

ولقد رَمَيْنَك حين رُحْن بأعينٍ   يَقتُلن من خَلَل السُّتورِ سَواجِى

وهذا البيت فى قصيدة له . والعائل : الفقير . قال أبو خِراش الهُذلى :

إلى بيتِه يأوى الضَّريكُ إذا شَتا   ومُسْتنبحٌ بَالِى الدَّريسين عائِلُ[3]

وجمعه : عالة وعيل . وهذا البيت فى قصيدة له سأذكرها فى موضعها إن شاء الله . والعائل [أيضا][2] : الذى يعول العيال . والعائل [أيضا][2] ، الخائف . وفى كتاب الله تعالى : « ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا » . وقال أبو طالب :

---

(١) الموهن : ساعة من الليل . والبهيم : الشديد السواد ليس فيه ضياء .

(٢) زيادة عن ا .

(٣) الضريك : الفقير والضعيف المضطر . والمستنبح : الذى يضل عن الطريق فى ظلمة الليل فينبح نباح الكلاب لتسمعه الكلاب فتجاوبه ، فيعلم موضع البيوت فيقصدها . والدريس : الثوب الخلق ، وثناه لأنه أراد به الإزار والرداء ، وهو أقل ما يكون للرجل من اللباس .

بِميزانِ قِسْطٍ لايَخِسُّ شــعيرةً   له شاهدٌ من نفسه غـــيرُ عائل

وهذا البيت فى قصيدة له سأذكرها إن شاء الله فى موضعها والعائل [أيضاً][1] : الشيء المُثْقِل المُعْيِي . يقول الرجل : قد عالنى هذا الأمرُ : أى أثقلنى وأعيانى . قال الفرزدق[2] :

٥ تَرَى الغُرَّ الجَحاجِحَ من قُرَيشٍ   إذا ما الأَمْرُ فى الحَدَثانِ عَالاَ[3]

وهذا البيت فى قصيدة له .

« فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ . وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ » . أى لا تكن جبّاراً ولا متكبراً ، ولا فحّاشا فظّا على الضعفاء من عباد الله . « وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ » : أى بما جاءك من الله من نعمته وكرامته من النبوة فحدّث ، أى اذكرها وادْعُ إليها .

١٠ فجعل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يذكر ما أنعم الله به عليه وعلى العباد به من النبوة سرًّا إلى مَنْ يطمئن إليه من أهله .

ابتداء فرض الصلاة[4]

وافتُرِضت الصلاة عليه ، فصلّى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وآله ، والسلام عليه وعليهم ورحمة الله وبركاته .

---

١٥ (١) زيادة عن ا .

(٢) يمدح الفرزدق بهذا الشعر سعيد بن العاص بن أمية ، وكان حينئذ أمير المدينة من قبل معاوية رحمه الله ، وكان يوليه معاوية سنة ، ويولى مروان سنة أخرى ، فأنشد الفرزدق سعيد بن العاص بحضرة مروان هذه القصيدة ، وفيها :

قياما ينظرون إلى سـعيد   كأنهم يرون به الهـلالا

٢٠ فقال له مروان : بل قعودا ينظرون ؟ فقال : لا أقول إلا قياما ، وإنك يا أبا عبد الملك لصافن من بينهم [صفن الفرس : إذا وقف على ثلاث قوائم ورفع واحدة . وصفن الرجل أيضاً : إذا رفع إحدى قدميه ووقف على الأخرى] . (راجع الروض ، وشرح السيرة ، والأغانى) .

(٣) الغر : المشهورون . وأصله البيض ، وهو جمع أغر . والجحاجح : السادة ، واحدهم : جحجاح . وكان الوجه أن يقال الجحاجيح (بالياء) فحذفها لإقامة وزن الشعر .

٢٥ الحدثان : حوادث الدهر .

(٤) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « ابتداء ما افترض الله سبحانه وتعالى على النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة وأوقاتها » .

افترضت الصلاة ركعتين ثم زيدت

قال ابن إسحاق وحدّثنى صالح بن كَيْسان عن عُروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها قالت :

افتُرِضت الصلاة على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أول ما افترضت عليه ركعتين ركعتين ، كل صلاة ؛ ثم إن الله تعالى أتمها فى الحضر أربعاً ، وأقرّها فى السفر على فرضها الأول ركعتين[1] .

تعليم جبريل الرسول صلى الله عليه وسلم الوضوء والصلاة

قال ابن إسحاق : وحدّثنى بعضُ أهل العلم :

أن الصلاة حين افتُرضت على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، أتاه جبريل وهو بأعلى مكة ، فهمز له بعَقِبه فى ناحية الوادى ، فانفجرتْ منه عين ، فتوضأ جبريلُ عليه السلام ، ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ينظر إليه ، ليُرِيَه كيف

---

(١) قال السهيلى: « وذكر المزنى أن الصلاة قبل الإسراء كانت صلاة قبل غروب الشمس ، وصلاة قبل طلوعها ، ويشهد لهذا القول قوله سبحانه : « وسبح بحمد ربك بالعشى والإبكار » . وقال يحيى بن سلام مثله ، وقال : كان الإسراء وفرض الصلوات الخمس قبل الهجرة بعام ، فعلى هذا يحتمل قول عائشة : « فزيد فى صلاة الحضر » . أى زيد فيها حين أكملت خمسا ، فتكون الزيادة فى الركعات وفى عدد الصلوات ، ويكون قولها : « فرضت الصلاة ركعتين » أى قبل الإسراء ، وقد قال بهذا طائفة من السلف ، منهم ابن عباس . ويجوز أن يكون معنى قولها : « فرضت الصلاة » أى ليلة الإسراء حين فرضت الخمس ، فرضت ركعتين ركعتين ، ثم زيد فى صلاة الحضر بعد ذلك ، وهذا هو المروى عن بعض رواة هذا الحديث عن عائشة . وممن رواه هكذا الحسن والشعبى أن الزيادة فى صلاة الحضر كانت بعد الهجرة بعام أو نحوه ، وقد ذكره أبو عمرو ، وقد ذكره البخارى من رواية معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة، قالت : « فرضت الصلاة ركعتين ركعتين ، ثم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ففرضت أربعا » . هكذا لفظ حديثه . وهاهنا سؤال ، يقال : أهذه الزيادة فى الصلاة نسخ أم لا ؟ فيقال : أما زيادة ركعتين أو ركعة إلى ما قبلها من الركعات حتى تكون صلاة واحدة فنسخ ، لأن النسخ رفع الحكم ؛ وقد ارتفع حكم الإجزاء من الركعتين وصار من سلم منهما عامدا أفسدهما ، وإن أراد أن يتم صلاته بعد ما سلم وتحدث عامدا لم يجزه إلا أن يستأنف الصلاة من أولها . فقد ارتفع حكم الاجزاء بالنسخ . وأما الزيادة فى عدد الصلوات حين أكملت خمسا بعد ما كانت اثنتين ، فيسمى نسخا على مذهب أبى حنيفة ، فإن الزيادة عنده على النص نسخ ، وجمهور المتكلمين على أنه ليس بنسخ ، ولاحتجاج الفريقين موضع غير هذا » .

الطهور للصلاة ، ثم توضأ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم كما رأى جبريلَ تَوَضأ ، ثم قام به جبريلُ فصلّى به، وصلّى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بصلاته ، ثم انصرف جبريلُ عليه السلام .

تعليم الرسول صلى الله عليه وسلم خديجة الوضوء والصلاة

فجاء رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم خديجة، فتوضأ لهـا ليُريها كيف الطّهور للصلاة كما أراه جبريل ، فتوضأت كما توضأ لهـا رسولُ الله عليه السلام ، ثم صلّى بها رسولُ الله عليه السلام كما صلّى به جبريلُ ، فصلّتْ بصلاته[1] .

تعيين جبريل أوقات الصلاة للرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدّثنى عُتبة بن مُسْلم ، مولى بنى تيم ، عن نافع ابن جُبَير بن مُطْعِم ، وكان نافع كثيرَ الرواية ، عن ابن عبّاس قال :

لمـا افتُرضت الصلاة على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أتاه جبريلُ عليه السلام فصلّى به الظهر حين مالت الشمسُ ، ثم صلّى به العصر حين كان ظلّه مثله ، ثم صلّى به المغرب حين غابت الشمس ، ثم صلّى به العشاء الآخرة حين ذهب الشفق ، ثم صلّى به الصبحَ حين طلع الفجر ، ثم جاءه فصلّى به الظهر من غدٍ

(١) قال السهيلى : « هذا الحديث مقطوع فى السيرة ، ومثله لا يكون أصلا فى الأحكام الشرعية ، ولـكنه قد روى مسندا إلى زيد بن حارثة يرفعه . غير أن هـذا الحديث المسند يدورعلى عبد الله بن لهيعة ، وقد ضعف ولم يخرج عنه مسلم ، ولا البخارى لأنه يقال إن كتبه احترقت ، فكانَ يحدث من حفظه . وكان مالك بن أنس يحسن فيه القول . ويقال إنه الذى روى عنه حديث بيع العربان فى الموطأ : مالك عن الثقة عنده عن عمرو بن شعيب . فيقال إن الثقة هاهنا ابن لهيعة . ويقال إن ابن وهب حدث به عن ابن لهيعة ، وحديث ابن لهيعة هذا أخبرنا به أبو بكر الحافظ محمد بن العربى ، قال حدثنا أبو المطهر سعد بن عبد الله ابن أبى الرجاء عن أبى نعيم الحافظ ، قال حدثنا أبو بكر أحمد بن يوسف العطار قال حدثنا ابن أبى أسامة ، قال حدثنا الحسن بن موسى عن ابن لهيعة عن عقيل بن خالد عن الزهرى عن عروة عن أسامة بن زيد ، قال حدثنى زيد بن حارثة : أن رسول الله صلى الله عليه وسـلم أول ما أوحى إليـه أتاه جبريل عليه السلام فعلمه الوضوء ، فلما فرغ من الوضوء أخذ غرفة من ماء فنضح بها فرجه . وحدثنا به أيضاً أبو بكر محمد بن طاهر عن أبى على الغسانى عن أبى عمر النمرى عن أحمد بن قاسم عن قاسم بن أصبغ عن الحارث بن أبى أسامة بالإسناد المتقدم .

فالوضوء على هذا الحديث مكى بالفرض ، مدنى بالتلاوة ، لأن آية الوضوء مدنية .

حين كان ظله مثله ، ثم صلى به العصر حين كان ظلّه مثليه ، ثم صلّى به المغربَ حين غابت الشمسُ لوقتها بالأمس ، ثم صلّى به العشاءَ الآخرة حين ذهب ثلثُ الليل الأول ، ثم صلّى به الصبحَ مُسْفِراً غير مُشْرِق ، ثم قال : يامحمد ، الصلاة فيما بين صلاتك اليوم وصلاتك بالأمس[1] .

ذكر أن على بن أبى طالب رضى الله عنه أول ذكر أسلم ٥

قال ابن إسحاق :

ثم كان أوّلَ ذَكَرٍ من الناس آمن برسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وصلّى معه وصدّق بما جاءه من الله تعالى : عَلِيُّ بن أبى طالب بن عبد المطّلب بن هاشم ، رضوان الله وسلامه عليه ، وهو يومئذٍ ابنُ عَشرِ سِنينَ .

نشأته فى حجر الرسول صلى الله عليه وسلم وسبب ذلك

وكان مما أنعم اللهُ [به] على عَلِيّ بن أبى طالب رضى الله عنه أنه كان ١٠ فى حِجْر رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم قبل الإسلام .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى عبد الله بن أبى نَجيح عن مجاهد بن جَبْر[2] أبى الحجّاج قال :

كان من نعمة الله على علىّ بن أبى طالب ، ومما صنع الله له ، وأراده به

---

(١) قال السهيلى : « وهذا الحديث لم يكن ينبغى أن يذكره فى هذا الموضع ، لأن أهل ١٥ الصحيح متفقون على أن هذه القصة كانت فى الغد من ليلة الإسراء ، وذلك بعد مانبىء بخمسة أعوام . وقد قيل : إن الإسراء كان قبل الهجرة بعام ونصف ، وقيل بعام ، فذكره ابن إسحاق فى بدء نزول الوحى ، وأول أحوال الصلاة » .

(٢) كذا فى ا وتهذيب التهذيب . وهو مجاهد بن جبر المكى أبو الحجاج المخزومى المقرى مولى السائب بن أبى السائب . روى عن على وسعد بن أبى وقاص والعبادلة الأربعة وغيرهم ، ٢٠ وعنه أيوب السختيانى وعطاء وعكرمة وغيرهم . وكان مولده سنة إحدى وعشرين فى خلافة عمر ، ومات سنة أربع ومئة . وفى سائر الأصول : « . . . جبر بن أبى الحجاج » . وكلمة « ابن » مقحمة .

من الخَيْر أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة ، وكان أبو طالب ذا عِيال كثير ؛ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم للعبّاس عمّه ، وكان من أيْسر بنى هاشم : يا عبّاس، إنّ أخاك أبا طالب كثيرُ العيال ، وقد أصاب الناسَ ما ترى من هذه الأزمة[1] ، فانطلِقْ بنا إليه فلْنخفّف عنه من عياله ، آخذُ من بَنيه رجلاً وتأخذ أنت رجلاً

٥ فنكلهما[2] عنه؛ فقال العبّاس: نعم . فانطلقا حتى أتيا أباطالب، فقالا له : إنا نريد أن نخفّف عنك مِنْ عيالك حتى ينكشف عن الناس ماهم فيه ؛ فقال لهما أبوطالب: إذا تركتما لى عقِيلاً فاصنعا ماشئتما ــ قال ابن هشام : ويقال : عقيلاً وطالباً[3] .

فأخذ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عليًّا فضمّه إليه ، وأخذ العباسُ جعفرًا فضمّه إليه ؛ فلم يزل علىٌّ مع رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم حتى بعثه الله تبارك

١٠ وتعالى نبيًّا ، فاتبعه علىٌّ رضى الله عنه ، وآمن به وصدّقه ؛ ولم يزل جعفرٌ عند العبّاس حتى أسلم واستغنى عنه .

خروج على مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شعاب مكة يصليان ووقوف أبى طالب على أمرهما

قال ابن إسحاق :

وذكر بعضُ أهل العلم أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم كان إذا حضرت الصلاةُ خرج إلى شعاب مكة ، وخرج معه علىٌّ بن أبى طالب مُستخفياً من أبيه

١٥ أبى طالب ، ومِنْ جميع أعمامه وسائر قومه ، فيصلّيان الصلواتِ فيها ، فإذَا أمْسيا رجعا . فمكثا كذلك ماشاء الله أن يمكثا . ثم إن أبا طالب عثر عليهما يومًا وهما يصلّيان ، فقال لرسول الله صلّى الله وسلّم : يا بن أخى ! ما هذا الدينُ الذى أراكَ تَدِين به ؟ قال : اى عمّ ، هذا دين الله ، ودين ملائكته ، ودين رُسله ، ودين أبينا إبراهيم ــ أو كما قال صلّى الله عليه وسلّم ــ بعثنى اللّهُ به رسولاً إلى العباد ،

---

٢٠ (١) الأزمة : الشدة ، وأراد بها سنة القحط والجوع .

(٢) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « فنكفهما » .

(٣) وكان من ولد أبى طالب غير هؤلاء جعفر . وكان علىّ أصغر من جعفر بعشر سنين ، وجعفر أصغر من عقيل بعشر سنين ، وعقيل أصغر من طالب بعشر سنين . وكلهم أسلم إلا طالبا .

وأنت أى عم ، أحقُّ مَنْ بذلتُ له النصيحةَ ، ودعوته إلى الهُدى ، وأحقّ مَنْ أجابنى إليه وأعاننى عليه ، أو كما قال ؛ فقال أبو طالب : أى ابنَ أخى ، إنى لا أستطيع أن أفارق دينَ آبائى وما كانوا عليه ، ولـكن واللهِ لا يُخلَص[1] إليك بشىء تكرهه ما بقيتُ .

وذكروا أنه قال لعلىّ : أى بُنَى ، ما هذا الدينُ الذى أنت عليه ؟ فقال : يا أبتِ ، آمنتُ بالله وبرسول الله ، وصدّقته بما جاء به ، وصلّيت معه لله واتبعته . فزعموا أنه قال له : أما انه لم يَدْعُك إلا إلى خيرٍ فالزمْه .

إسلام زيد بن حارثة ثانيا

قال ابن إسحاق :

ثم أسْلَمَ زيدُ بن حارثة بن شُرَحْبيل بن كَعْب بن عبد العزّى بن امرى القيس الـكلبى ، مولى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وكان أول ذَكَرٍ أسلم ، وصلّى بعد على بن أبى طالب .

نسبه وسبب تبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم له

قال ابن هشام : زيد ابنُ حارثة بن شَرَاحيل بن كَعْب بن عبد العُزّى ابن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عَبْد ودّ بن عَوْف بن كِنانة ابن بكر بن عَوْف بن عُذْرة بن زيد اللات[2] بن رُفَيْدة بن ثور بن كلب ابن وَبْرة. وكان حكيم بن حزام بن خُويلد قدم من الشام برقيق[3] ، فيهم زيدُ بن حارثة وصيف، فدخلتْ عليه عمته خديجةُ بنت خُوَيلد، وهى يومئذ عند رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال لها : اختارى يا عمّة أى هؤلاء الغلمان شِئْتِ فهو لك ؛ فاختارت زيدًا فأخذته ، فرآه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عندها، فاستوهبه منها، فوهبته له،

---

(١) لايخلص إليك : لايوصل إليك .

(٢) كذا فى ا ، وفى سائر الأصول : « الله » .

(٣) وذلك أن أم زيد ، وهى سعدى بنت ثعلبة ، من بنى معن من طيء ، كانت قد خرجت بزيد لتزيره أهلها ، فأصابته خيل من بنى القين بن جسر فباعوه بسوق حباشة ، وهو من أسواق العرب ؛ وزيد يومئذ ابن ثمانية أعوام .

فأعتقه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وتبنّاه ، وذلك قبلَ أن يوحَى إليه .

شعر حارثة حين فقد ابنه زيداً وقدومه على الرسول صلى الله عليه وسلم يسأله رده عليه

وكان أبوه حارثة قد جزع عليه جزعاً شديدًا، و بكي عليه حين فقده ، فقال:

بكيتُ على زيدٍ ولم أدرِ ما فعَلْ ... أحيٌّ فيُرْجَى أم أتى دونَه الأجَلْ

فوالله ما أدْرِى و إنى لسائِلٌ ... أغالَكَ بعدِى السَّهلُ أم غالك الجَبَلْ[1]

و ياليت شِعْرى هل لك الدهر أوْبةٌ ... فحَسْبى من الدنيا رجوعُك لى بَجَلْ[2]

تُذَكِّرنيه الشمسُ عنــد طلوعها ... وتَعرض ذِكْراه إذا غرْبُها أفَل[3]

و إن هبّت الأرواحُ هَيّجْن ذِكْرَه ... فياطُول ما حُزْنى عليه وما وَجَل[4]

سأُعمِل نصَّ العيس فى الأرض جاهدًا ... ولا أسْأم التَّطْواف أو تَسْأم الإبل[5]

حياتىَ أو تأتى علىَّ مَنِيّتى ... فكُل أمرئٍ فانٍ و إن غرّه الأمَل[6]

ثم قدم عليه وهو عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال له رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : إن شئتَ فأقِم عندى ، و إن شئت فانطلق مع أبيك ! فقال : بل أقيم عندك . فلم يزل عند رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم حتى بعثه الله فصدّقه[7] وأسلم ، وصلّى معه ؛ فلما أنزل الله عزّ وجلّ : « أُدْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ » . قال : أنا زيد بن حارثة .

---

(١) غال : أهلك .

(٢) بجل : بمعنى حسب .

(٣) الأفول : غيبوبة الشمس . ونسب الأفول إلى الغروب اتساعا ومجازا .

(٤) الأرواح : جمع ريح ، جمعه على الأصل ، لأن الأصل فيه الواو . والوجل : الخوف .

(٥) النص : أرفع السير .

(٦) وزاد السهيلى بعد هذا البيت :

سأوصى به قيسا وعمرا كليهما ... وأوصى يزيدا ثم أوصى به جبل

[يعنى بيزيد : كعبا ، وهو ابن عم زيد وأخوه ؛ ويعنى بجبل : جبلة بن حارثة أخا زيد ، وكان أسن منه] .

(٧) ويقال إنه لما بلغ زيدا قول أبيه قال :

أحن إلى أهلى وإن كنت نائيا ... بأنى قعيد البيت عنــد المشاعر =

إسلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه وشأنه

نسبه

قال ابن إسحاق :

ثم أسلم أبو بَكْر بن أبي قُحافة ، واسمه عتيق ، واسم أبي قُحافة عثمان ابن عامر بن عمرو بن كَعْب بن سعد بن تَيْم بن مُرّة بن كَعْب بن لُؤَيّ بن غالب ابن فهر . ٥

قال ابن هشام : واسم أبي بكر : عبد الله ، وعتيق : لقب لحسن وَجْهه وعتقه (١)

قال ابن إسحاق :

إسلامه

فلما أسلم أبو بكر رضي الله عنه : أظهر إسلامه ، ودعا إلى الله وإلى رسوله .

= فكفوا من الوجد الذي قد شجاكم ولا تعملوا في الأرض نص الأباعر

فإني بحمد الله في خير أسرة كرام معد كابرا بعد كابر ١٠

فبلغ أباه فجاء هو وعمه كعب حتى وقفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، وذلك قبل الإسلام ، فقالا له : يا بن عبد المطلب ، يابن سيد قومه ، أنتم جيران الله ، وتفكون العاني وتطعمون الجائع ، وقد جئناك في ابننا عبدك ، فتحسن إلينا في فدائه ؟ فقال : أو غير ذلك ؟ فقالا : وماهو ؟ فقال : أدعوه ، وأخبره ، فإن اختاركما فذاك ، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي اختار على من اختارني أحدا ؟ فقالا له : قد زدت على النصف ، فدعاه رسول الله ١٥ صلى الله عليه وسلم ، فلما جاء قال : من هذان ؟ فقال : هذا أبي حارثة بن شراحيل ، وهذا عمي كعب بن شراحيل ؟ فقال : قد خيرتك ، إن شئت ذهبت معهما ، وإن شئت أقمت معي ؟ فقال : بل أقيم معك ؟ فقال له أبوه : يازيد ، أتختار العبودية على أبيك وأمك وبلدك وقومك ؟ فقال : إني قد رأيت من هذا الرجل شيئا ، وما أنا بالذي أفارقه أبدا ، فعند ذلك أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ، وقام به إلى الملأ من قريش فقال : اشهدوا أن هذا ابني وارثا وموروثا . فطابت نفس أبيه عند ذلك ، وكان يدعى زيد بن محمد ، حتى أنزل الله تعالى : « ادعوهم لآبائهم » . . .

(١) وقيل سمي عتيقا ، لأن أمه كانت لا يعيش لها ولد ، فنذرت إن ولد لها ولد أن تسميه عبد الكعبة ، وتتصدق به عليها ، فلما عاش وشب سمي عتيقا ، كأنه أعتق من الموت . وكان يسمى أيضا عبد الكعبة إلى أن أسلم ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم : عبد الله . وقيل ٢٥ سمي عتيقا لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له حين أسلم : أنت عتيق من النار ، وقيل بل كان لأبيه ثلاثة من الولد : معتق ومعيتق وعتيق ، وهو أبو بكر .

منزلته في قريش ودعوته للإسلام

وكان أبو بكر[1] رجلاً مألفاً[2] لقومه محبّباً سهلاً ، وكان أنسبَ قريش لقريش وأعلم قريش بها وبما كان فيها من خير وشر ، وكان رجلاً تاجرًا ذا خلق ومعروف ، وكان رجالُ قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر لعلمه ، وتجارته وحسن مجالسته ، فجعل يدعو إلى الله وإلى الإسلام مَنْ وثق به من قومه ، ممن يغشاه ، ويجلس إليه .

ذكر من أسلم من الصحابة بدعوة أبي بكر رضي الله عنه

إسلام عثمان

قال : فأسلم بدعائه ـ فيما بلغني ـ عثمانُ بن عفّان بن أبي العاص بن أُمَيّة بن عبد شَمْس بن عبد مناف بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لؤيّ بن غالب[3] .

إسلام الزبير

والزُّبير[4] بن العوّام بن خُوَيلد بن أَسَد بن عبد العزّى بن قُصَيّ بن كِلاب

---

(1) وأم أبي بكر أم الخير بنت صخر بن عمرو ، بنت عم أبي قحافة ، واسمها سلمى ، وهي من المبايعات ، وأم أبيه عثمان أبي قحافة : قيلة بنت أذاة بن رياح بن عبد الله بن قرط . وامرأة أبي بكر ، أم ابنه عبد الله ، قتلة بنت عبد العزى .

[اعتمدنا أمهات المراجع في الترجمة لكل من سيرد عنهم شيء هنا ممن اسلموا كالاستيعاب والإصابة ، وأسد الغابة ، والتهذيب . ونحن نكتفي بالإشارة هنا إلى هذه المراجع تفاديا من تكرار الإشارة إليها عند كل ترجمة] .

(2) كذا في ا . والمألف : الذي يألفه الإنسان ، وفي سائر الأصول : « مؤلفا » .

(3) ويكنى عثمان أبا عبد الله وأبا عمرو ، كنيتان مشهورتان له ، وأبو عمرو أشهرهما ؛ قيل إنه ولدت له رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنا فسماه عبد الله ، واكتنى به ومات ، ثم ولد له عمرو ، فاكتنى به إلى أن مات رحمه الله . وقيل إنه كان يكنى أبا ليلى . وولد عثمان في السنة السادسة بعد الفيل ، وأمه أروى بنت كرز بن ربيعة ، وأمها البيضاء أم حكيم بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم . هاجر إلى الحبشة فارا بدينه مع زوجته رقية ، وكان أول خارج إليها ثم تابعه سائر المهاجرين . ولم يشهد بدرا لتخلفه على تمريض زوجته رقية ، وكانت عليلة ، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتخلف عليها . وقيل : بل تخلف لأنه كان مريضاً بالجدري . وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة .

(4) ويكنى أبا عبد الله ، وأمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم ، عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأسلم الزبير وهو ابن خمس عشرة سنة ، وقيل وهو ابن اثنتى عشرة سنة ، كما قيل إنه أسلم هو وعلى وهما ابنا ثماني سنين . وولد الزبير هو وعلى وطلحة وسعد بن أبي وقاص في عام واحد . ولم يتخلف الزبير عن غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ،=

إسلام عبد الرحمن ابن مُرّة بن كَعْب بن لُؤَىّ . وعبد الرحمن[1] بن عَوْف بن عَبْد عَوْف بن عبد

إسلام سعد ابن الحارث بن زُهرة بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لؤىّ ، وسَعْد[2] بن أبى

وقّاص ، واسم أبى وقّاص مالك بن أُهَيْب[3] بن عبد مناف بن زُهْرة بن مُرّة

إسلام طلحة ابن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لؤىّ ، وطَلْحة[4] بن عُبَيد الله بن عُثْمان

= وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين عبد الله بن مسعود حين آخى بين المهاجرين ٥ بمكة ، فلما قدم المدينة وآخى بين المهاجرين والأنصار آخى بين الزبير وبين سلمة بن سلامة ابن وقش ، ويقال إن الزبير أول رجل سل سيفه فى الإسلام ، كما يقال : إنه كان له ألف مملوك يؤدون إليه الخراج فما يدخل بيته منها درهم واحد . يعنى أنه كان يتصدق بذلك كله . وقتل رحمه الله فى منصرفه من وقعة الجمل ، قتله عميرة بن جرموز وفضالة بن حابس ونفيع ، وكانت سنة إذ ذاك سبعا وستين ، وقيل ستا وستين. ١٠

وكان للزبير من الولد عشرة : عبد الله وعروة ومصعب والمنذر وعمرو وعبيدة وجعفر وعامر وعمير وحمزة .

(١) ويكنى أبا محمد ، وكان اسمه فى الجاهلية عبد عمرو ، وقيل عبد الكعبة ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم : عبد الرحمن . وأمه الشفاء بنت عوف بن عبد ابن الحارث بن زهرة . ولد بعد الفيل بعشر سنين وأسلم قبل أن يدخل رسول الله صلى الله ١٥ عليه وسلم دار الأرقم . وكان من المهاجرين الأولين، جمع الهجرتين جميعا، هاجر إلى أرض الحبشة، ثم قدم قبل الهجرة وهاجر إلى المدينة . وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد ابن الربيع . شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى دومة الجندل إلى بنى كلب ، وقال له : إن فتح الله عليك فتزوج بنت شريفهم ؛ وكان الأصبغ بن ثعلبة الكلبي شريفهم ، فتزوج بنته تماضر بنت الأصبغ ، وهى ٢٠ أم ابنه أبى سلمة الفقيه . وتوفى عبد الرحمن بن عوف بالمدينة سنة إحدى وثلاثين ، وقيل سنة اثنتين وثلاثين ، وهو ابن خمس وسبعين سنة ، ودفن بالبقيع .

(٢) وأم سعد : حمدونة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس ، ويكنى أبا إسحاق . وهو أحد العشرة ، دعا له النبي صلى الله عليه وسلم أن يسدد الله سهمه ، وأن يجيب دعوته. فكان دعاؤه أسرع الدعاء إجابة . وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : احذروا ٢٥ دعوة سعد ، ولقد مات سعد فى خلافة معاوية .

(٣) وأهيب هذا هو عم آمنة بنت وهب ، أم النبي صلى الله عليه وسلم .

(٤) وأمه الحضرمية ، اسمها الصعبة بنت عبد الله بن عماد بن مالك بن ربيعة بن أكبر ابن مالك بن عويف بن مالك بن الخزرج ، ويعرف أبوها عبد الله بالحضرمى . ويكنى طلحة أبا محمد الفياض . ولما قدم طلحة المدينة آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين كعب ٣٠ ابن مالك حين آخى بين المهاجرين والأنصار . وقتل طلحة رحمه الله وهو ابن ستين سنة يوم الجمل

ابن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى ، فجاء بهم إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين استجابوا له فأسلموا وصلّوا ، وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول ، فيما بلغنى : مادعوتُ أحدًا إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كَبْوة[1] ، ونَظَر وتردّد ، إلا ما كان من أبى بَكْر بن أبى قُحافة ، ما عَكَم عنه حين ذكرتُه له ، وما تردّد فيه .

قال ابن هشام : قوله : « بدعائه » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن هشام : قوله : عكم : تلبث . قال رُؤبة بن العجّاج :

• وأنصاع[2] وثابٌ بها وما عَكَم •

قال ابن إسحاق :

فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا الناس بالإسلام ، فصلّوا وصدّقوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بما جاءه من الله .

إسلام أبى عبيدة

إسلام أبى سلمة

ثم أسلم أبو عُبيدة[3] بن الجرّاح ، واسمه عامر[4] بن عبد الله بن الجرّاح بن هِلال[5] ابن أُهَيب بن ضَبَّة بن الحارث بن فِهْر . وأبو سَلَمة[6] ، واسمه عبد الله بن عبد

(١) الكبوة : التأخير وقلة الإجابة . وهو من قولهم كبا الزند : إذا لم يور نارا .

(٢) انصاع : ذهب .

(٣) وأم أبى عبيدة أميمة بنت غنم بن جابر بن عبد العزى بن عامرة بن وديعة . شهد بدرا مع النبي صلى الله عليه وسلم وما بعدها من المشاهد كلها ، وهو الذى انتزع من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقتى الدرع يوم أحد فسقطت ثنيتاه ، وهو أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة . وتوفى رحمة الله عليه ، وهو ابن ثمان وخمسين سنة فى طاعون عمواس سنة ثمانى عشرة بالأردن من الشام ، وبها قبره .

(٤) وقيل اسمه عبد الله بن عامر . والصحيح أن اسمه عامر . (راجع الاستيعاب)

(٥) فى الاستيعاب : « حلال » .

(٦) وأمه برة بنت عبد المطلب بن هاشم . وكان ممن هاجر بامرأته أم سلمة بنت أبى أمية إلى أرض الحبشة ، ثم شهد بدرا بعد أن هاجر الهجرتين وجرح يوم بدر جرحا اندمل ، ثم انتقض فمات منه ، وذلك لثلاث مضين لجمادى الآخرة سنة ثلاث من الهجرة . وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأته أم سلمة.

الأسد بن هِلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم بن يَقَظة بن مُرّة بن كَعْب بن لؤىّ.

إسلام الأرقم — والأرقم(1) بن أبى الأرْقم. واسم أبى الأرقم عبد مناف بن أسَد — وكان أسَد يُكْنى أبا جُنْدب — بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يَقَظة بن مُرّة بن كَعْب ابن لؤىّ.

إسلام أبناء مظعون — وعثمان(2) بن مَظْعون بن حبيب بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح ابن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب بن لؤىّ. وأخواه قُدامة وعبد الله ابنا مَظْعون ابن حبيب.

إسلام عبيدة ابن الحارث — وعُبَيدة(3) بن الحارث بن المطّلب بن عبد مناف بن قصىّ

---

(1) ويكنى أبا عبد الله. وأمه من بنى سهم بن عمرو بن هصيص، واسمها أميمة بنت عبد الحارث. ويقال: بل اسمها تماضر بنت حذيم، من بنى سهم. وكان من المهاجرين الأولين، أسلم بعد عشرة أنفس. وفى دار الأرقم بن أبى الأرقم هذا كان النبى صلى الله عليه وسلم مستخفيا من قريش بمكة يدعو الناس فيها إلى الاسلام فى أول الإسلام حتى خرج عنها، وكانت داره بمكة على الصفا فأسلم فيها جماعة كثيرة، وهو صاحب حلف الفضول، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار أبى الأرقم عند الصفا حتى تكاملوا أربعين رجلا مسلما. وكان آخرهم إسلاما عمر بن الخطاب، فلما تكاملوا أربعين رجلا خرجوا. وتوفى الأرقم يوم مات أبو بكر الصديق رضى الله عنه، وقيل توفى سنة خمس وخمسين بالمدينة، وهو ابن بضع وثمانين سنة.

(2) ويكنى أبا السائب. وأمه سخيلة بنت العنبس بن أهبان بن حذافة بن جمح. وهى أم السائب وعبد الله. وأسلم عثمان بن مظعون بعد ثلاثة عشر رجلا، وهاجر الهجرتين وشهد بدرا. وكان أول رجل مات بالمدينة من المهاجرين بعد مارجع من بدر، وكان أول من دفن بقيع الغرقد.

وكان عثمان بن مظعون أحد من حرم الخمر فى الجاهلية، وقال: لا أشرب شرابا يذهب عقلى، ويضحك بى من هو أدنى منى، ويحملنى على أن أنكح كريمتى. فلما حرمت الخمر أتى وهو بالعوالى فقيل له: ياعثمان، قد حرمت؟ فقال: تبا لها، قد كان بصرى فيها ثاقبا [وفى هذا نظر لأن تحريم الخمر عند أكثرهم بعد أحد].

(3) ويكنى أبا الحارث، وقيل أبو معاوية: وكان أسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر سنين، وكان إسلامه قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم، وكانت هجرته إلى المدينة مع أخويه الطفيل والحصين، وكان لعبيدة بن الحارث قدر ومنزلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم،

إسلام سعيد ابن زيد وامرأته

ابن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لؤىّ . وسَعيد[1] بن زيد بن عمرو بن نُفَيل ابن عبد العزّى بن عبد الله بن قُرْط بن رِياح[2] بن رَزاح بن عدىّ بن كَعْب ابن لؤىّ ؛ وامرأته فاطمةُ بنت الخطّاب بن نُفيل بن عبد العزّى بن عبد الله ابن قُرْط بن رِياح بن رَزاح بن عدىّ بن كَعْب بن لؤىّ ، أخت عُمر بن الخطّاب.

إسلام أسماء وعائشة وخباب

٥ وأسماء[3] بنت أبى بَكْر . وعائشة بنت أبى بكر ، وهى يومئذ صَغيرة . وخَبّاب[4] بن الأرتّ ، حليف بنى زهرة .

قال ابن هشام : خبّاب بن الأرتّ من بنى تميم ، ويقال هو من خُزاعة .

---

(١) ويكنى أبا الأعور ، وأمه فاطمة بنت بعجة بن خلف الخزاعية . وهو ابن عم عمر ابن الخطاب وصهره ، وكانت تحته فاطمة بنت الخطاب أخت عمر بن الخطاب ، وكانت أخته ١٠ عاتكة بنت بن عمرو تحت عمر بن الخطاب . وبسبب زوجة سعيد كان إسلام عمر بن الخطاب.

وقد أقطع عثمان سعيدا أرضا بالكوفة فنزلها وسكنها إلى أن مات وسكنها من بعده من بنيه الأسود بن سعيد ، وكان له غير الأسود : عبد الله وعبد الرحمن وزيد ، وكلهم أعقب وأنجب . وتوفى سعيد بأرض العقيق . ودفن رحمه الله بالمدينة فى أيام معاوية سنة خمسين أو إحدى وخمسين ، وهو ابن بضع وسبعين سنة .

١٥ (٢) فى الاستيعاب : « ... عبد العزّى بن رباح بن عبد الله بن قرط » وقد تقدم الكلام على هذا عند الكلام على نسب زيد بن عمرو بن نفيل .

(٣) وأم أسماء قيلة ، وقيل : قتيلة بنت عبدالعزى بن عبد أسد . وكانت أسماء تحت الزبير ابن العوام ، وكان إسلامها قديما ، بمكة وهاجرت إلى المدينة وهى حامل بعبد الله بن الزبير . وتوفيت أسماء بمكة فى جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين بعد قتل ابنها عبد الله بن الزبير ٢٠ بيسير ، وكانت تسمى ذات النطاقين . ويقال إنها عمرت مئة سنة .

(٤) اختلف فى نسب خباب كما ترى ، فقيل إنه خزاعى وقيل تميمى ، والصحيح أنه تميمى النسب ، لحقه سباء فى الجاهلية فاشترته امرأة : [هى أم أغار بنت سباع الخزاعية] من خزاعة وأعتقته . وكانت من حلفاء بنى عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة ، فهو تميمى بالنسب، خزاعى بالولاء ، زهرى بالحلف . وهو خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد بن خزيمة ٢٥ ابن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وكان قينا يعمل السيوف فى الجاهلية ، وقد شهد بدرا ، وما بعدها من المشاهد . ويكنى أبا عبد الله ، وقيل أبو يحيى وقيل أبو محمد ، وكان قديم الإسلام ممن عذب فى الله وصبر على دينه . نزل الكوفة ومات بها سنة سبع وثلاثين . وكانت سنة ثلاثا وستين . وقيل بل مات سنة تسع عشرة بالمدينة .

اسلام عمير وابن مسعود وابن القارى

قال ابن إسحاق :

وعُمَيْر[1] بن أبى وقّاص ، أخو سَعْد بن أبى وقّاص وعبد الله[2] ابن مَسْعود بن الحارث بن شَمْخ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل[3] بن الحارث ابن تميم بن سَعْد بن هُذيل[4] ، حليف بنى زُهْرة . ومسعود بن القارى ، وهو مَسْعود[5] بن رَبيعة بن عمرو بن سعد[6] بن عبد العزّى بن حَمالة بن غالب ابن مُحلِّم بن عائذة بن سُبَيع[7] بن الهُون بن خزيمة من القارة .

شىء عن القارة

قال ابن هشام: والقارة[8] : لقب [لهم][9] ولهم يقال :

---

(١) وقد قتل عمير هذا يوم بدر ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استصغر سنه يومها وأراد أن يرده فبكى ، ثم أجازه ، بعد قتله ، فقتل يومئذ وهو ابن ست عشرة سنة . (راجع الاستيعاب) .

(٢) ساق نسبه ابن عبد البر فى الاستيعاب ، وهو يختلف عما هنا قال : « عبد الله ابن مسعود بن غافل (بالغين المنقوطة والفاء) بن حبيب بن شمخ بن فار بن مخزوم » ثم اتفق مع الأصل فيما بعد ذلك .

(٣) يروى بفتح الهاء ، كأنه سمى بالفعل من كاهل يكاهل : إذا أسن وقوى .

(٤) ويكنى عبد الله : أبا عبد الرحمن . وأم عبد الله : أم عبد بنت عبد ودّ بن سواء ابن قديم بن صاهلة ، من بنى هذيل أيضاً . وكان إسلامه قديماً فى أول الإسلام حين أسلم سعيد بن زيد وزوجته فاطمة ، وكان سبب إسلامه أنه كان يرعى غنما لعقبة بن أبى معيط فمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ شاة حائلا من تلك الغنم فدرت عليه لبنا غزيرا. ولقد شهد بدرا والحديبية . وشهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنة ، ومات بالمدينة سنة ثنتين وثلاثين ودفن بالبقيع ، وكان يوم توفى ابن بضع وستين سنة .

(٥) ويكنى أبا عمير. وقد أسلم مسعود قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم وشهد بدرا ، وهو أحد حلفاء بنى زهرة ، وقد مات سنة ثلاثين ، وقد زاد سنه على الستين.

(٦) فى الاستيعاب : « عمرو بن عبد العزّى » .

(٧) كذا فى ا . وفى م « سبيع » . وفى ر : « سميع » .

(٧) والقارة قبيلة ، وهم عضل والديش ابنا الهون بن خزيمة ، وإنما سموا قارة لاجتماعهم لما أراد الشداخ أن يفرقهم فى بنى كنانة ، فقال شاعرهم :

دعونا قارة لا تنفرونا فنجفل مثل إجفال الظليم

(٩) زيادة عن ا .

* قد أَنْصَفَ القَارَةَ مَنْ راماها[1] *

وكانوا قوما رُماة[2] .

اسلام سليط وأخيه

قال ابن إسحاق : وسَليط[3] بن عمرو بن عبد شَمْس بن عبد ودّ بن نصر ابن مالك بن [حِسْل بن][4] عامر بن لؤىّ بن غالب بن فهر ؛ [وأخوه حاطب ابن عمرو][4] وعيّاش[5] بن أبى ربيعة[6] بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مَخزوم بن يَقظة بن مرّة بن كَعْب بن لؤىّ ؛ وامرأته أسماء[7] بنت سلامة[8] بن مُخرِّبة التميمية .

اسلام عياش وامرأته

---

(١) هذا مثل ، يقال إنه قيل فى حرب كانت بين قريش وبين بكر بن عبد مناف بن كنانة . وكانت القارة مع قريش ، وهم قوم رماة . فلما التقى الفريقان راماهم الآخرون ، فقيل: قد أنصفهم هؤلاء إذ ساووهم فى العمل الذى هو شأنهم وصناعتهم . (راجع الأمثال ، وفوائد اللآل ، والروض) .

(٢) يزعمون أن رجلين التقيا أحدهما قارى ، فقال القارى : إن شئت صارعتك ، وإن شئت سابقتك ، وإن شئت راميتك ؛ فقال الآخر : قد اخترت المراماة ؛ فقال القارى : قد أنصفتنى ، وأنشأ يقول :

قد علمت سلمىٰ ومن والاها أنا نرد الخيل عن هواها
نردها راميــة كلاها قد أنصف القارة من راماها
إنا إذا ما فئــة نلقاها نرد أولاها عــلى أخراها

(راجع الأمثال ، والروض) .

(٣) وهو أخو سهيل بن عمرو ، وكان من المهاجرين الأولين ، وهو الذى بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هوذة بن على الحنفى وإلى ثمامة بن أثال الحنفى ، وهما رئيسا اليمامة ، وذلك فى سنة ست أو سبع . وقتل سليط سنة أربع عشرة .

(٤) زيادة عن ا .

(٥) ويكنى عياش : أبا عبد الرحمن ، وقيل أبو عبد الله ، وهو أخو أبى جهل بن هشام لأمه ، أمهما أم الجلاس أسماء بنت مخرمة . وأخو عبد الله بن أبى ربيعة لأبيه وأمه . وكان إسلامه قبل أن يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم . وهاجر عياش إلى أرض الحبشة مع امرأته أسماء بنت سلمة ، وولد له بها ابنه عبد الله ، ثم هاجر إلى المدينة ، ومات بمكة.

(٦) واسم أبى ربيعة : عمرو .

(٧) وكانت من المهاجرات ، هاجرت مع زوجها إلى الحبشة . وولدت له عبد الله ، ثم هاجرت إلى المدينة ، وتكنى أم الجلاس .

(٨) وقيل : أسماء بنت سلمة .

إسلام خنيس وخُنَيس[1] بن حُذافة بن قيس بن عدىّ بن سعد[2] بن سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب بن لؤىّ.

إسلام عامر وعامر[3] بن رَبيعة، من[4] عَنْز[5] بن وائل، حليف آل الخطّاب بن نُفيل بن عبد العزّى.

قال ابن هشام: عَنز بن وائل أخو بَكْر بن وائل، من ربيعة بن نزار.

قال ابن إسحاق:

إسلام ابنى جحش وعبد الله[6] بن جَحْش بن رِئاب بن يَعْمَر بن صَبِرة بن مُرّة بن كَبِير[7] ابن غَنْم بن دُودان بن أسَد بن خُزَيمة. وأخوه أبو أحمد بن جَحْش، حليفاً بنى

---

(1) وكان خنيس على حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قبله، وكان من المهاجرين الأولين، شهد بدرا بعد هجرته إلى أرض الحبشة، ثم شهد أحدا ونالته جراحة مات منها بالمدينة، وهو أخو عبد الله بن حذافة السهمى.

(2) كذا فى الاستيعاب، وشرح السيرة. وفى الأصول: «سعيد» وهو تحريف. قال السهيلى: «وحيثما تكرر نسب عدى بن سعد بن سهم، يقول فيه ابن إسحاق: سعيد. والناس على خلافه، إنما هو سعد... وإنما سعيد بن سهم أخو سعد، وهو جد آل عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم. وفى سهم سعيد آخر وهو ابن سعد المذكور، وهو جد المطلب بن أبى وداعة. واسم أبى وداعة عوف بن جبيرة ابن سعيد بن سعد».

(3) فى نسب عامر خلاف، فمن النسابين من ينسبه إلى عنز، ومنهم من ينسبه إلى مذحج فى اليمن، إلا أنهم مجمعون على أنه حليف للخطاب بن نفيل، لأنه تبناه. وأسلم عامر وهاجر إلى الحبشة مع امرأته، ثم هاجر إلى المدينة، وشهد بدرا وسائر المشاهد، وتوفى سنة ثلاث وثلاثين، وقيل سنة اثنتين وثلاثين، كما قيل سنة خمس وثلاثين، وكان يكنى أبا عبد الله.

(4) كذا فى ا. وفى سائر الأصول: «ابن» وهو تحريف لأن بين ربيعة وعنز غير واحد من الآباء.

(5) هو بسكون النون، وقيل بفتحها، والسكون أعرف. (راجع الروض).

(6) وأم عبد الله أميمة بنت عبد المطلب، وكان عبد الله حليفا لبنى عبد شمس، أسلم قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم، وكان هو وأخوه أبو أحمد عبد ابن جحش من المهاجرين الأولين، ممن هاجر الهجرتين. ولقد تنصر أخوهما عبيد الله ابن جحش بأرض الحبشة، ومات بها نصرانيا، وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجته أم حبيبة، ولقد شهد عبد الله بدرا، واستشهد يوم أحد.

(7) فى الاستيعاب: «ابن كثير».

إسلام جعفر وامرأته
إسلام أولاد الحارث ونسائهم

أميّة بن عبد شمس[1] . وجعفر[2] بن أبى طالب ؛ وامرأته أسْماء[3] بنت عُمَيس[4] بن النعمان بن كَعْب بن مالك بن قُحافة ، من خَثْعم[5] . وحاطب[6] ابن الحارث بن مَعْمر بن حَبيب بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح بن عمرو بن هُصَيص ابن كَعْب بن لؤىّ؛ وامرأته فاطمة بنت المجلّل بن عبدالله بن أبى قَيْس بن عبد ودّ ابن نَضْر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر ؛ وأخوه حطّاب[7] بن الحارث ؛ وامرأته فُكَيهة بنت يَسَار . ومَعْمَر[8] بن الحارث

(١) وقيل بل كانا حليفين لحرب بن أمية . (راجع الاستيعاب فى ترجمة عبد الله وأخيه أبى أحمد) .

(٢) وكان جعفر يكنى أبا عبد الله ، وكان أشبه الناس خلقا وخلقا برسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وكان أكبر من على بعشر سنين ، كما كان عقيل أكبر من جعفر بعشر سنين ، وكان طالب أكبر من عقيل بعشر سنين . ولقد هاجر جعفر إلى أرض الحبشة وقدم منها على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فتح خيبر ، فتلقاه النبى صلى الله عليه وسلم واعتنقه وقال : ما أدرى بأيهما أنا أشد فرحا بقدوم جعفر ، أم بفتح خيبر ، وقتل جعفر فى غزوة مؤتة .

(٣) وأم أسماء هند بنت عوف بن زهير ، وأسماء أخت ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، وأخت لبابة أم الفضل زوجة العباس . وهاجرت أسماء مع زوجها جعفر إلى الحبشة فولدت له هناك محمدا وعبد الله وعونا ، ثم هاجرت إلى المدينة ، فلما قتل جعفر زوجها تزوجها أبوبكر، فولدت له محمد بن أبى بكر، ثم مات عنها، فتزوجها على بن أبى‌طالب ، فولدت له يحيى بن على بن أبى طالب .

(٤) فى الاستيعاب : « عميس بن مالك بن النعمان . . . الخ » .

(٥) وقيل فى نسبها : إنها أسماء بنت عميس بن سعد بن الحارث بن تيم بن كعب بن مالك ابن قحافة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن معاوية بن زيد بن مالك بن بشر بن وهب بن شهران ابن عفرس بن خلف بن أقبل ، وهو جماعة خثعم بن أنمار .

(٦) ولقد مات حاطب بأرض الحبشة ، وكان خرج إليها مع امرأته فاطمة بنت المجلل مهاجرين ، وولدت له فاطمة هناك ابنيه : محمد بن حاطب، والحارث بن حاطب ، وأتى بهما من هناك غلامين .

(٧) كذا فى الاستيعاب. وفى الأصول خطاب «بالخاء المعجمة» وهو تصحيف ؛ ولقد هاجر حطاب مع أخيه إلى أرض الحبشة، فمات فى الطريق . وقيل إنه مات فى الطريق منصرفه منها.

(٨) وهو أخو حاطب وحطاب ، وهو ممن أسلموا قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم ، ولقد شهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها ، وتوفى فى خلافة عمر رضى الله عنه .

إسلام السائب

إسلام المطلب وامرأته

إسلام نعيم ونسبه

ابن مَعْمَر بن حَبيب بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح بن عمرو بن هُصَيص ابن كعب بن لؤى . والسائب[1] بن عثمان بن مَظْعون بن حَبيب بن وَهْب . والمطّلب[2] بن أزْهر بن عبد عَوْف بن عَبْد بن الحارث بن زُهْرة بن كِلاب ابن مُرّة بن كعب بن لؤىّ ، وامرأته : رَمْلة بنت أبى عَوْف بن صُبَيْرة[3] ابن سُعَيد [بن سعد][4] بن سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤىّ . ٥

والنحّام، واسمه نُعَيم[5] بن عبد الله بن أسِيد، أخو بنى عدىّ بن كَعْب بن لؤىّ .

قال ابن هشام : هو نُعَيم بن عبد الله بن أسيد[6] بن عبد عَوْف بن عَبيد ابن عَوِيج بن عدىّ بن كَعْب بن لؤىّ ، وإنما سُمّى النحّامَ ، لأن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال : لقد سمعت نَحْمَه فى الجنة .

قال ابن هشام : نحمه : صوته . [ونحمه] :[7] حِسّه[8] ١٠

---

(١) ولقد هاجر السائب مع أبيه عثمان بن مظعون ، ومع عميه قدامة وعبد الله إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية ، وقتل السائب وهو ابن بضع وثلاثين سنة ، قتل يوم اليمامة شهيدا .

(٢) وهو أخو عبد الرحمن وطليب ابنى أزهر ، وكان المطلب وطليب من مهاجرة الحبشة وبها ماتا ، وكان خروج المطلب إلى الحبشة مع امرأته رملة ، وقد ولدت له بأرض الحبشة عبد الله بن المطلب . ١٥

(٣) كذا فى أكثر الأصول . وفى ا : « ضبيرة » ، بالضاد المعجمة ، وهى لغة فيه . وهو الذى كان شابا جيلا يلبس حلة ، ويقول للناس : هل ترون بى بأسا ؟ إعجابا بنفسه ، فأصابته المنية بغتة فقال الشاعر فيه :

من يأمن الحدثان بعد ضبيرة القرشى ماتا

سبقت منيته المشيب وكان ميتته افتلاتا ٢٠

(٤) زيادة يقتضيها السياق . (راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٧٤) .

(٥) ويقال إن نعيم هذا أسلم بعد عشرة نفر قبل إسلام عمر بن الخطاب ، وكان يكتم إسلامه ، ومنعه قومه لشرفه فيهم من الهجرة، لأنه كان ينفق على أرامل بنى عدى . وأيتامهم ويمونهم ، وقتل بأجنادين شهيدا سنة ثلاث عشرة فى آخر خلافة أبى بكر ، وقيل : قتل يوم اليرموك شهيدا فى رجب سنة خمس عشرة فى خلافة عمر . ٢٥

(٦) كذا فى الاستيعاب وشرح السيرة . وفى الأصول : « . . . أسيد بن عبد الله ابن عوف . . . الخ » . وهو تحريف .

(٧) زيادة عن ا .

(٨) كذا فى ا ، ط . وفى سائر الأصول : « حسنه » .

إسلام عامر ابن فهيرة ونسبه

قال ابن إسحاق :

وعامر بن فُهَيْرة ، مولى أبى بكر الصّدّيق رضى الله عنه .

قال ابن هشام : عامر بن فُهَيْرة[1] مولَّد من مولّدى الأسْد ، أسود ، اشتراه أبو بكر رضى الله عنه منهم .

إسلام خالد ابن سعيد وامرأته أمينة

قال ابن إسحاق :

وخالد بن سَعيد[2] بن العاص بن أمية بن عبد شَمْس بن عبد مناف ابن قُصىّ بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لؤىّ ؛ وامرأته أُمَيْنة[3] بنت خَلَف ابن أسعد بن عامر بن بَيَاضة بن سُبَيع بن جِعْثِمة[4] بن سعد بن مُلَيح بن عمرو، من خزاعة .

قال ابن هشام : ويقال : هُمَينة[5] بنت خَلف .

إسلام حاطب وأبى حذيفة

قال ابن إسحاق :

وحاطب بن عمرو[6] بن عبد شمس بن عبد وِدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤىّ بن غالب بن فِهْر . وأبو حُذَيفة ، واسمه مهْشَم[7] - فيما قال ابن هشام - بن عُتبة بن رَبيعة بن عبد شَمْس بن عَبْد

---

(١) وفهيرة أمه ، وكان عبدا للطفيل بن الحارث بن سخبرة . وأسلم عامر قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الأرقم ، وقتله عامر بن الطفيل يوم بئر معونة .

(٢) ويكنى خالد: أبا سعيد ، ويقال إنه أسلم بعد أبي بكر الصديق ، فكان ثالثا أورابعا ، وقيل كان خامسا . وقد هاجر إلى الحبشة مع امرأته الخزاعية ، وولد له بها ابنه سعيد ابن خالد ، وابنته أم خالد ، وهاجر معه إلى أرض الحبشة أخوه عمرو بن سعيد بن العاص .

(٣) فى الاستيعاب : « أميمة » وقد نص أبو ذر على أن ما أثبتناه هو الصواب .

(٤) فى الأصول : خثعمة . والتصويب عن شرح السيرة .

(٥) فى الاستيعاب وفى الأصول : « همية » .

(٦) وهو أخو سهيل وسليط والسكران أبناء عمرو ، وقد أسلم حاطب قبل دخول الرسول صلى الله عليه وسلم دار الأرقم ، وقد هاجر إلى الحبشة الهجرتين جميعا ، وهو أول من قدم الحبشة فى الهجرة الأولى .

(٧) قال السهيلى : « قال ابن هشام : واسمه مهشم ، وهو وهم عند أهل النسب ، فإن مهشما إنما هو أبو حذيفة بن المغيرة أخو هاشم وهشام ابنى المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وأما أبو حذيفة بن عتبة فاسمه قيس ، فيما ذكروا .

إسلام واقد وشيء عنه

مناف بن قُصىّ بن كِلاب بن مرّة بن كَعْب بن لؤىّ . وواقد[1] بن عبد الله ابن عبد مناف بن عَرِين بن ثعلبة بن يَرْبوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، حليف بنى عدىّ بن كَعْب .

قال ابن هشام : جاءت به باهلةُ ، فباعوه من الخطّاب بن نُفيل ، فتبنّاه ، فلمّا أنزل اللهُ تعالى : « أُدْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ » قال : أنا واقد بن عبد الله ، فيما قال أبو عمرو المدنى

إسلام بنى البكير

قال ابن إسحاق :

وخالد[2] وعامر[3] وعاقل[4] وإياس[5] بنو البُكَير[6] بن عبد ياليل

---

(١) ولقد أسلم واقد قبل دخول رسول الله صلى الله عليه دار الأرقم ، وهو الذى قتل عمرو بن الحضرمى، وشهد واقد مع الرسول صلى الله عليه وسلم بدرا وأحدا والمشاهد كلها ، وتوفى فى خلافة عمر بن الخطاب

(٢) ولقد شهد هو وإخوته بدرا ، وقتل يوم الرجيع فى صفر سنة أربع من الهجرة ، وكان يوم قتل ابن أربع وثلاثين سنة ، وكانت السرية يوم الرجيع مع عاصم بن ثابت بن أبى الأفلح ومرثد بن أبى مرثد الغنوى ، قاتلوا هذيلا ورهطا من عضل والقارة حتى قتلوا ومن معهم وأخذ خبيب بن عدى ثم صلب ، وله يقول حسان :

ألا ليتنى فيها شهدت ابن طارق وزيدا ومانفـــنى الأمانى ومرثدا
فدافعت عن حبى خبيب وعاصم وكان شفاء لوتداركت خالدا

(٣) وشهد عامر بدرا مع إخوته ، ومابعدها من المشاهد ، وقتل يوم اليمامة شهيدا .

(٤) شهد مع إخوته بدرا وقتل بها ، قتله مالك بن زهير الجشمى ، وهو ابن أربع وثلاثين سنة ، وكان اسمه غافلا فلما أسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عاقلا ، وكان من أول من أسلم وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار الأرقم .

(٥) ولقد شهد إياس بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان إسلامه وإسلام أخيه عامر فى دار الأرقم . وإياس هذا هو والد محمد ابن إياس بن البكير الذى يروى عن ابن عباس وابن عمر وأبى هريرة ، فيمن طلق امرأته ثلاثا قبل أن يمسها أنها لاتحل له .

(٦) قال ابن عبد البر : « هـــذا كلام ابن إسحاق وغيره . وقال الواقدى . . . أبى البكير » .

ابن ناشب بن غِيَرة بن[1] سعد بن لَيْث بن بكر بن عبد مناة بن كِنانة ، حلفاء بنى[2] عدىّ بن كعب . وعمّار بن ياسر[3] ، حليف بنى مخزوم بن يَقَظة .

سلام عمار ابن ياسر

قال ابن هشام : عمّار بن ياسر عَنْسِىّ من مَذْحج[4]

قال ابن إسحاق :

إسلام صهيب ونسبه

وصُهَيب بن سِنان[5] ، أحد النَّمِر بن قاسط ، حليف بنى تَيْم بن مُرّة .

قال ابن هشام : النَّمِر ابنُ قاسط بن هِنْب بن أَفْصى بن جَديلة بن أَسَد ابن رَبيعة بن نزار ، ويقال : أفصَى ابنُ دُعْمِىّ بن جَديلة بن أسَد ؛ ويقال :

---

(١) كذا فى ا والاستيعاب . وفى سائر الأصول : « غيرة من بنى سعد » .

(٢) وذلك أن عبد يا ليل كان قد حالف فى الجاهلية نفيل بن عبد العزى جد عمر ابن الخطاب رضى الله عنه .

(٣) وكان عمار وأمه سمية ممن عذب فى الله ، ثم أعطاهم عمار ما أرادوا بلسانه واطمأن بالإيمان قلبه ، فنزلت فيه : « إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان » . وهاجر عمار إلى أرض الحبشة ، ولقد شهد بدرا والمشاهد كلها ، وأبلى ببدر بلاء حسنا ، ثم شهد اليمامة فأبلى فيها أيضا ويومئذ قطعت أذنه ، وقتل فى صفين ، وكانت سنه إذ ذاك تزيد على التسعين .

(٤) وقال الواقدى وطائفة من أهل العلم بالنسب والخبر : « إن ياسرا والد عمار عرنى قحطانى مذحجى من عنس فى مذحج ، إلا أن ابنه عمارا مولى لبنى مخزوم ، لأن أباه ياسرا تزوج أمة لبعض بنى مخزوم فولدت له عمارا ، وذلك أن ياسرا والد عمار قدم مكة مع أخوين له أحدهما يقال له الحارث ، والثانى مالك ، فى طلب أخ لهم رابع ، فرجع الحارث ومالك إلى اليمن وأقام ياسر بمكة فحالف أبا حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، فزوجه أبو حذيفة أمة له يقال لها سمية بنت خياط فولدت له عمارا ، فأعتقه أبو حذيفة ؛ فمن هذا هو عمار مولى لبنى مخزوم . . . . وللحلف والولاء الذى بين بنى مخزوم وابن عمار وأبيه ياسر كان اجتماع بنى مخزوم إلى عثمان حين نال من عمار غلمان عثمان مانالوا من الضرب حتى انفتق له فتق فى بطنه . فاجتمعت بنو مخزوم وقالوا : والله لئن مات ماقتلنا به أحدا غير عثمان »

(٥) وهو ممن شهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان إسلامه هو وعمار ابن ياسر فى يوم واحد ، ومات صهيب بالمدينة سنة ثمان وثلاثين فى شوال ، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة ، وقيل ابن تسعين ، ودفن بالبقيع .

صُهَيب : مولى عبد الله[1] بن جُدْعان بن عمرو بن كَعْب بن سَعْد بن تيم ، ويقال : إنه روميّ . فقال بعضُ مَنْ ذكر أنه من النَّمِر بن قاسط : إنما كان أسيراً فى أرض الروم ، فاشتُرى منهم . وجاء فى الحديث عن النبى صلّى الله عليه وسلّم : صهيب سابق الروم .

مباداة رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه وما كان منهم ٥

أمر الله له صلى الله عليه وسلم بمباداة قومه

قال ابن إسحاق :

ثم دخل الناس فى الإسلام أَرسالاً من الرجال والنساء ، حتى فشا ذكر الإسلام بمكة وتُحدِّث به . ثم إن الله عزّ وجل أمر رسولَه صلّى الله عليه وسلّم أن يصدع بما جاءه منه ، وأن يبادىَ الناسَ بأمره ، وأن يدعوَ إليه ؛ وكان بين ما أخفَى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أمرَه واستتر به إلى أن أمره الله تعالى ١٠ بإظهار دينه ثلاثُ سنين ـ فيما بلغنى ـ من مَبْعثه ؛ ثم قال الله تعالى له : « فَاصْدَعْ[2] بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ » . وقال تعالى :

---

(١) وذلك أن أباه سنان بن مالك أو عمه كان عاملا لكسرى على الأبلة ، وكانت منازلهم بأرض الموصل فى قرية من شط الفرات مما يلى الجزيرة والموصل ، فأغارت الروم على تلك الناحية فسبت صهيبا وهو غلام صغير ، فنشأ صهيب بالروم فصار ألكن فابتاعته منهم كلب ثم ١٥ قدمت به مكة فاشتراه عبد الله بن جدعان التيمى منهم فأعتقه ، فأقام معه بمكة حتى هلك عبد الله ابن جدعان ، وبعث النبي صلى الله عليه وسلم . وأما صهيب وولده فيزعمون أنه إنما هرب من الروم حين عقل وبلغ ، فقدم مكة فحالف عبد الله بن جدعان ، وأقام معه إلى أن هلك .

(٢) قال السهيلى : « والمعنى : اصدع بالذى تؤمر به ، ولكنه لما عدى الفعل إلى الهاء حسن حذفها ، وكان الحذف هاهنا أحسن من ذكرها لأن « ما » فيها من الإبهام أكثر ٢٠ مما يقتضيه « الذى » . وقولهم «ما» مع الفعل بتأويل المصدر ، راجع إلى معنى «الذى» إذا تأملته ، وذلك أن «الذى» تصلح فى كل موضع تصلح فيه « ما » التى يسمونها المصدرية . نحو قول الشاعر : =

« وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ » .

تفسير ابن هشام لبعض المفردات

قال ابن هشام : اصدع : افرُق بين الحق والباطل . قال أبو ذُؤَيب الهذلىّ ، واسمه خُويلد بن خالد ، يصف أُتن[1] وحش وفحلها :

وكأنهن رِبابةٌ وكأنه يَسَرٌ يُفيض على القِداح ويَصْدعُ[2]

اى يُفرّق على القِداح ويبين أنصباءها . وهذا البيت فى قصيدة له . وقال رؤبة بن العجّاج :

أنت الحليمُ والأميرُ المنتقمْ تَصْدعُ بالحقّ وتنفِى مَنْ ظَلَمْ

وهذان البيتان[3] فى أرجوزة له .

خروج الرسول صلى الله عليه وسلم بأصحابه الى شعاب مكة وما فعله سعد

قال ابن إسحاق :

وكان أصحابُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذا صلّوا ذهبوا فى الشِّعاب فاستَخْفَوْا بصلاتهم من قومهم ، فبينا سَعْد بن أبى وقّاص فى نَفَرٍ من أصحاب

= عسى الأيام أن يرجعــن يوما كالذى كانوا

أى كما كانوا . فقول الله عز وجل إذا : « فاصدع بما تؤمر » . إما أن يكون معناه بالذى تؤمر به من التبليغ ونحوه، وإما أن يكون معناه اصدع بالأمر الذى تؤمره، كما تقول عجبت ... من الضرب الذى تضربه ، فتكون «ما» هاهنا عبارة عن الأمر الذى هو أمر الله تعالى ، ولا يكون للباء فيه دخول ولا تقدير . وعلى الوجه الأول تكون «ما» مع صلتها عبارة عما هو فعل للنبي صلى الله عليه وسلم . والأظهر أنها مع صلتها عبارة عن الأمر الذى هو قول الله ووحيه، بدليل حذف الهاء الراجعة إلى ما ، وإن كانت بمعنى الذى فى الوجهين جميعا ، إلا أنك إذا أردت معنى الأمر لم تحذف إلا الهاء وحدها ، وإذا أردت معنى المأمور به حذفت باء وهاء ، فحذف واحد أيسر من حذفين ، مع أن صدعه وبيانه إذا علقته بأمر الله ووحيه كان حقيقة ، وإذا علقته بالفعل الذى أمر به كان مجازا ، وإذا صرحت بلفظ الذى لم يكن حذفها بذلك الحسن . وتأمله فى القرآن تجده كذلك ، نحو قوله تعالى : « وأعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون » . وإنما كان الحذف مع « ما » أحسن لما قدمناه من إبهامها ، فالذى فيها من الإبهام قربها من « ما » التى هى للشرط لفظا ومعنى» .

(1) الأتن : جمع أتان ، وهى الأنثى من الحمر .

(2) الربابة (بكسر الراء) : خرقة تلف فيها القداح . وتكون أيضا جلدا . واليسر : الذى يدخل فى الميسر . والقداح : جمع قدح ، وهو السهم .

(3) هذا على أنهما من شطور الرجز .

رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى شِعْب من شِعاب مكة ، إذ ظهر عليهم نفرٌ من المشركين وهم يصلّون ، فناكروهم ، وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم ، فضرب سعدُ بن أبى وقاص يومئذٍ رجلاً من المشركين بلَحْيِ[1] بعير فشجّه[2] ، فكان أولَ دم هُريق فى الإسلام .

إظهار قومه صلى الله عليه وسلم العداوة له وحدب عمه أبى طالب عليه

قال ابن إسحاق : ٥

فلما بادى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قَومه بالإسلام وصدَع به كما أمره الله ، لم يبعد منه قومُه ولم يردّوا عليه — فيما بلغنى — حتى ذكر آلهتهم وعابها ، فلمّا فعل ذلك أعظموه وناكروه وأجمعوا خِلافَه وعداوتَه ، إلا مَنْ عصَم الله تعالى منهم بالإسلام ، وهم قليل مستخفُون ، وحَدِب[3] على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عمّه أبو طالب ، ومنعه وقام دونه ، ومضى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على أمْر ١٠ الله مظهراً لأمره ، لا يردّه عنه شيء . فلما رأت قريش أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لا يُعْتبهم[4] مِنْ شيء أنكروه عليه ، مِنْ فراقهم وعَيْب آلهتهم ، ورأوْا أن عمّه أبا طالب قد حَدِب عليه ، وقام دونه ، فلم يُسْلمه لهم ، مشى رجالٌ من أشراف قُريش إلى أبى طالب ، عتبةُ وشَيْبة ابْنا ربيعة بن عبد شَمْس ابن عبد مناف بن قُصَىّ بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤىّ بن غالب . ١٥

---

(١) اللحى : العظم الذى على الفخذ ، وهو من الإنسان : العظم الذى تنبت عليه اللحية .

(٢) شجه : جرحه.

(٣) أصل الحدب : الانحناء فى الظهر ، ثم استعير فيمن عطف على غيره ورق له ، كما قال النابغة :

حدبت علىّ بطون ضنة كلها إن ظالما فيهم وإن مظلوما ٢٠

وقد يكون الحدب أيضا مستعملا فى معنى المخالفة إذا قرن بالقعس ، كقول الشاعر :

وإن حدبوا فاقعس وإن هم تقاعسوا لينتزعوا ماخلف ظهرك فاحدب

(٤) لايعتبهم من شيء : أى لايرضيهم ؛ يقال استعتبنى فأعتبته ، أى أرضيته وأزلت العتاب عنه .

وابو سفيان بن حرب بن اميّة بن عبد شَمْس بن عبد مناف بن قصىّ بن كِلاب ابن مُرّة بن كَعْب بن لؤىّ بن غالب بن فهر.

قال ابن هشام: واسم أبى سفيان: صَخْر.

قال ابن إسحاق:

وأبو البَخترى، واسمه العاص بن هشام بن الحارث بن أسَد بن عبد العزّى ابن قصىّ بن كِلاب بن مرّة بن كعب بن لؤىّ.

قال ابن هشام: أبو البخترى: العاص بن هاشم[1].

قال ابن إسحاق:

والأسود بن المطّلب بن أسَد بن عبد العزّى بن قُصىّ بن كِلاب بن مرّة ابن كَعْب بن لؤىّ. وأبو جهل ـ واسمه عمرو، وكان يكنى أبا الحَكَم ـ ابن هشام بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم بن يَقَظة بن مرّة بن كعب ابن لؤىّ. والوليد بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مَخْزوم بن يَقَظة بن مرّة ابن كعب بن لؤىّ. ونُبيه ومنبِّه ابنا الحجّاج بن عامر بن حُذَيفة بن سعد بن سَهْم ابن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤىّ. والعاص بن وائل.

قال ابن هشام: العاص ابنُ وائل بن هاشم[2] بن سُعَيد بن سهم بن عمرو ابن هُصَيص بن كعب بن لؤىّ.

وفد قريش مع أبى طالب فى شأن الرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق:

أو مَنْ مشى منهم. فقالوا: يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد سبّ آلهتنا

---

(١) قال السهيلى: «الذى قاله ابن إسحاق هو قول ابن الكلبى، والذى قاله ابن هشام هو قول الزبير بن أبى بكر وقول مصعب، وهكذا وجدت فى حاشية كتاب الشيخ أبى بحر سفيان بن العاص».

(٢) كذا فى ا. وفى سائر الأصول «هشام».

وعاب ديننا وسفّه أحلامنا وضلّل آباءنا ، فإمّا أن تَكفّه عنّا ، وإما أنْ تخلّى بيننا وبينه ، فإنك على مثل مانحن عليه من خِلافه فنَكْفيكه ؛ فقال لهم أبو طالب قولا رفيقا ، وردّهم ردًّا جميلا ، فانصرفوا عنه .

استمرار رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دعوته ورجوع وفد قريش إلى أبى طالب ثانية

ومضى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على ماهو عليه ، يُظْهِر دينَ الله ويدعو إليه ، ثم شرى[1] الأمرُ بينه وبينهم حتى تباعد الرجالُ وتضاغنوا[2] ، وأكثرت قريشٌ ذِكْرَ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم بينها ، فتذامروا[3] فيه ، وحضّ بعضُهم بعضاً عليه ، ثم إنهم مَشَوْا إلى أبى طالب مرّة أخرى ، فقالوا له : يا أبا طالب ، إن لك سنًّا وشرفًا ومنزلةً فينا ، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تَنْهه عنّا ، وإنا والله لا نَصْبر على هذا مِنْ شَتْم آبائنا ، وتَسْفيه أحلامنا ، وعَيْب آلهتنا ، حتى تكفّه عنّا ، أو نُنازله وإياك فى ذلك حتى يَهْلِك أحدُ الفريقين ، أو كما قالوا له . [ثم][4] انصرفوا عنه ، فعظم على أبى طالب فراقُ قومه وعَداوتهم ، ولم يَطِبْ نفساً بإسلام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لهم ولا خِذْلانه .

ب أبى طالب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم الكف عن الدعوة وجوابه له

قال ابن إسحاق : وحدّثنى يعقوب بن عُتْبة بن المُغيرة بن الأخْنس أنه حُدِّث .

أنّ قريشاً حين قالوا لأبى طالب هذه المقالة ، بعث إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم فقال له : يا بن أخى ، إنّ قومك قد جاءونى ؛ فقالوا لى كذا وكذا ، للذى كانوا قالوا له ، فأبْقِ علىّ وعلى نفسك ، ولا تُحَمّلنى من الأمر مالا أُطيق ؛ قال : فظن رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أنه قد بدا لعمه فيه بَدَاء[5] أنه خاذله

(١) شرى : كثر واشتد .

(٢) تضاغنوا : تعادوا .

(٣) تذامروا : حض بعضهم بعضا .

(٤) زيادة عن ا .

(٥) كذا فى ا . والبداء : الاسم من بدا . يريد : ظهر له رأى ، فسمى الرأى بداء لأنه شىء يبدو بعد ماخفى . وفى سائر الأصول : « بدو » .

ومُسْلمه ، وأنه قد ضعُف عن نصرته والقيام معه . قال ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : ياعمّ ، والله لو وضعوا الشمسَ فى يَمينى والقمرَ فى يَسارى[1] على أن أتركَ هذا الأمرَ حتى يُظهره الله أو أهلك فيه ، ما تركتُه . قال : ثم استَعْبر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فبكَى ثم قام ، فلما ولّى ناداه أبو طالب ، فقال : أَقْبِل يا بن أخى . قال : فأقبل عليه رسولُ اللّه صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : اذهب يا بن أخى فقل ما أحببتَ ، فوالله لا أُسْلمك لشىء أبداً .

مشى قريش إلى أبى طالب ثالثة بعمارة ابن الوليد المخزومى

قال ابن إسحاق :

ثم إن قريشاً حين عرفوا أن أبا طالب قد أبَى خذلان رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم و إسلامه ، و إجماعَه لفراقهم فى ذلك وعداوتهم ، مشَوْا إليه بعُمارة ابن الوليد بن المُغيرة ، فقالوا له ؛ فيما بلغنى : يا أبا طالب ، هذا عُمارة بن الوليد ، أنهد[2] فتًى فى قريش وأجمله ، فخذْه فلك عَقْله ونَصْرُه ، واتّخذْه ولداً فهو لك ، وأسْلِمْ إلينا ابنَ أخيك هذا الذى قد خالف دينَك ودينَ آبائك ، وفرّق جماعةَ قومك ، وسفّه أحلامَهم ، فنقتله ، فإنما هو رجل برجل ؛ فقال : والله لبئس ما تَسومونى[3] ! أتُعطونى ابنَكم أغذوه لكم ، وأُعطيكم ابنى تقتلونه ! هذا والله مالا يكون أبدًا . قال : فقال المُطْعم بن عدىّ بن نوفل بن عبد مناف بن قصىّ : والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومُك ، وجهدوا على التخلّص مما تكرهه ، فما أراك

---

(١) قال السهيلى : « خص الشمس باليمين لأنها الآية المبصرة ، وخص القمر بالشمال لأنها الآية المحوة ، وقد قال عمر رحمه الله لرجل قال له : إنى رأيت فى المنام كأن الشمس والقمر يقتتلان ومع كل واحد منهما نجوم ؛ فقال عمر : مع أيهما كنت ؟ فقال : مع القمر ؛ قال : كنت مع الآية المحوة ، اذهب فلا تعمل لى عملا . وكان عاملا له فعزله ، فقتل الرجل فى صفين مع معاوية ، واسمه حابس بن سعد . وخص رسول الله صلى الله عليه وسلم النيرين حين ضرب المثل بهما لأن نورهما محسوس والنور الذى جاء به من عند الله » .

(٢) أنهد : أشد وأقوى . وأصل هذه الكلمة للتقدم ، يقال : نهد ثدى الجارية ، أى برز قدما .

(٣) تسومونى : تكلفونى .

تريد أن تقبل منهم شيئاً ؛ فقال أبو طالب للمُطْعم : والله ما أنْصفونى ، ولكنّك قد أجمعتَ خذلانى ومُظاهرة القوم علىّ ، فاصنع ما بدا لك ، أو كما قال . فحَقَبَ[1] الأمر ، وحميت الحربُ ، وتنابذ القومُ ، وبادى بعضُهم بعضا .

شعر أبى طالب فى التعريض بالمطعم ومن خذله من بنى عبد مناف

فقال أبو طالب عند ذلك يعرّض بالمُطْعم بن عدىّ ، ويعُمُّ مَنْ خَذَله من بنى عبد مناف ، ومَنْ عاداه من قبائل قريش ، ويذكر ما سألوه وما تباعد من أمرهم : ٥

ألاَ قُلْ لعمرو والوليد ومُطْعمٍ ... ألا ليتَ حظّى من حِياطتكم بكْرُ[2]

من الخُور[3] حَبْحاب[4] كثيرٌ رُغاؤه ... يُرَشّ على الساقين من بَوله قَطْر

تخلّف خَلْف الوِرْد ليس بلاحق ... إذا ما علا الفَيْفاءَ قِيل له وَبْرُ[5]

أرى أخوَيْنا من أَبينا وأُمِّنا ... إذا سُئلا قالاَ إلى غيْرنا الأمْر

بلَى لهما أمرٌ ولكنْ تَجَرْجَما[6] ... كما جُرجمتْ من رأس ذى[7] عَلَق الصَّخر[8] ١٠

---

(١) حقب : زاد واشتد ؛ وهو من قولك . حقب البعير : إذا راغ عنه الحقب من شدة الجهد والنصب ، واذا عسر عليه البول أيضا لشدة الحقب على ذلك الموضع .

(٢) يريد : أى أن بكرا من الإبل أنفع لى منكم ، فليته لى بدلا من حياطتكم ، كما قال طرفة فى عمرو بن هند : ١٥

ليت لنا مكان الملك عمرو ... رغوثا حول قبتنا تخور

(٣) الخور : الضعاف .

(٤) كذا فى الأصول . والحبحاب : القصير . ويروى : « جبجاب » بالجيم . وهو الكثير الهدر . كما يروى « خبخاب » بالخاء ، وهو الضعيف .

(٥) الوبر : دويبة على شكل الهرة . يشبهه بها لصغره ، ويحتمل أن يكون أراد أنه يصغر فى العين لعلو المكان وبعده . ٢٠

(٦) تجرجم . سقط وانحدر .

(٧) ذو علق : جبل فى ديار بنى أسد .

(٨) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « صخر » . وعلى الرواية الأولى يكون حذف التنوين من « علق » لالتقاء الساكنين ، كما قرئ : « قل هو الله أحد الله الصمد » . بحذف التنوين من «أحد». وعلى الرواية الثانية يكون ترك صرف « علق » على أنه اسم بقعة ، واما لأنه اسم علم، وترك صرف الاسم العلم سائغ فى الشعر، وإن لم يكن مؤنثا ولا أعجميا، نحو قول عباس بن مرداس : ٢٥

وما كان حصن ولا حابس ... يفوقان مرداس فى المجمع

أخُصّ خصوصاً عبدَ شمس ونوفلاً ... هما نَبذانا مثلَ ما يُنبذ الجمر

هما أغمزا[1] للقوم فى أخوَيْهما ... فقد أصبحا منهم أكفّهما[2] صِفْر[3]

هما أشركا فى المَجْد مَنْ لا أبالَه ... من الناس إلا أن يُرَسّ[4] له ذِكْر

وتَيْم ومَخْزوم وزُهرة منهمُ ... وكانوا لنا مولًى إذا بُغى النَّصْر

فوالله لا تنفكّ منّا عداوةٌ ... ولا منهمُ ما كان من نَسْلنا شَفْر[5]

فقد سفُهت أحلامُهم وعقولُهم ... وكانوا كَجَفْر بئس ماصنعت جَفْر

قال ابن هشام : تركنا منها بيتين أقذع فيهما

قال ابن إسحاق :

ذكر ما فتنت به قريش المؤمنين وعذبتهم على الإيمان

ثم إن قريشاً تذامروا بينهم على مَنْ فى القبائل منهم مِنْ أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الذين أسلموا معه ، فوثبتْ كلُّ قبيلة على مَنْ فيهم من المسلمين يعذّبونهم وَيَفتنونهم عن دينهم ، ومَنَع اللهُ رسولَه صلّى الله عليه وسلّم منهم بعمّه أبى طالب ، وقد قام أبوطالب ، حين رأى قريشاً يصنعون مايصنعون ، فى بنى هاشم و بنى المطلب ، فدعاهم إلى ما هو عليه ، مِنْ مَنْع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم والقيام دونه ؛ فاجتمعوا إليه ، وقاموا معه ، وأجابوه إلى ما دعاهم إليه ، إلا ما كان من أبى لهب عدوّ الله الملعون .

شعر أبى طالب فى مدح قومه لحدبهم عليه

فلما رأى أبو طالب من قومه ما سرّه فى جهدهم معه ، وحَدَبهم عليه ، جعل يمدحهم ويذكر قديمَهم ، ويذكر فضلَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيهم ، ومكانَه منهم ليشدّلهم رأيَهم، وليَحْدَبوا معه على أمره ، فقال :

---

(١) كذا فى أكثر الأصول . وأغمز فلان فى فلان : إذا استضعفه وعابه وصغر شأنه . وفى ا : « أغمرا » .

(٢) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « أكفهم » .

(٣) الصفر : الخالى .

(٤) يرس : يذكر . يقال : رسست الحديث ، إذا حدثت به فى خفاء .

(٥) شفر : أحد .

إذا اجتمعت يومًا قريشٌ لمَفخر   فعبْدُ مناف سِرُّها وصَميمُها[1]
وإن حُصِّلت أشرافُ عبدِ منافها[2]   فَفِي هاشم أشرافُها وقديمُها
وإن فخرتْ يومًا فإنّ محمداً   هو المصطفَى مَنْ سرّها وكريمُها
تداعت قريشٌ غَثُّها وسَمِينُها   علينا فلم تظفَرَ وطاشت حلومُها[3]
وكُنَّا قديماً لا نُقِرّ ظُلامةً   إذا ما ثنَوْا صُعْر الخُدود نُقيمُها[4]   ٥
ونَحْمِى حِماها كلّ يوم كَرِيهة   ونَضْرِب عن أجحارها من يَرُومها[5]
بنا انتعش العُود الذَّواء وإنّما   بأكنافنا تندَى وتَنْمى أرُومُها[6]

تحير الوليد بن المغيرة فيما يصفه به القرآن

اجتماعه بنفر من قريش ليبيتوا ضد النبي صلى الله عليه وسلم

ثم إن الوليدَ بن المُغيرة اجتمع إليه نفرٌ من قريش، وكان ذا سنّ فيهم، وقد حضَر الموسمَ فقال لهم: يا معشَر قريش، إنه قد حضر هذا الموسمُ، وإن وفود العرب ستقدَم عليكم فيه، وقد سَمعوا بأمر صاحبكم هذا، فاجمعوا فيه رأياً واحداً، ولا تختلفوا فيكذِّب بعضُكم بعضاً، ويردّ قولُكم بعضُه بعضاً؛ قالوا: فأنتَ يا أبا عبد شمس، فقُلْ وأقِم لنا رأياً نقول[7] به؛ قال: بل أنتم فقولوا   ١٠

---

(١) سرها، وسطها. وصميمها: خالصها.

(٢) وفى رواية: «أنساب».   ١٥

(٣) الغث: فى الأصل، اللحم الضعيف فاستعاره هنا لمن ليس نسبه هنالك. وطاشت: ذهبت.

(٤) ثنوا: عطفوا. وصعر الخدود: المائلة. يقال: صعر خده، إذا أماله إلى جهة، فعل المتكبر. قال الله تعالى: «ولا تصعر خدك للناس».

(٥) كذا فى الأصول. يريد بها حصونها ومعاقلها. وفى رواية: «أجحارها». والأجحار: جمع جحر، والجحر (هنا): مستعار، وإنما يريد: عن بيوتها ومساكنها.   ٢٠

(٦) الذواء: الذى جفت رطوبته. والأروم: جمع أرومة، وهى الأصل.

(٧) كذا فى ا. وفى سائر الأصول: «نقل».

أسمع ؟ قالوا : نقول كاهن ؟ قال : لا والله ماهو بكاهن ، لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة[1] الكاهن ولا سجعه ؛ قالوا : فنقول : مجنون ؛ قال : ماهو بمجنون . لقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته ؛ قالوا : فنقول : شاعر ؛ قال : ماهو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر ؛ قالوا : فنقول: ساحر ؛ قال : ماهو بساحر ، لقد رأينا السحار وسحرهم ، فما هو بنفثهم ولا عقدهم[2] ؛ قالوا : فما نقول ياأبا عبد شمس ؟ قال : والله إن لقوله لحلاوة ، وإن أصله لعذق[3] وإن فرعه لجناة ــ قال ابن هشام : ويقال لغدق[4] ــ وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل ، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر، جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته . فتفرقوا عنه بذلك ، فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم ، لايمر بهم أحد إلا حذروه إياه ، وذكروا لهم أمره .

اتفاق قريش على أن يصفوا الرسول صلى الله عليه وسلم بالساحر وما أنزل الله فيهم

فأنزل الله تعالى فى الوليد بن المغيرة وفى ذلك من قوله : « ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً وَبَنِينَ شُهُوداً وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً » أى خصيما .

قال ابن هشام : عنيد : معاند مخالف . قال رؤبة بن العجاج :

---

(١) الزمزمة : الكلام الخفى الذى لايسمع .

(٢) إشارة إلى ما كان يفعل الساحر بأن يعقد خيطا ثم ينفث فيه . ومنه قوله تعالى : « ومن شر النفاثات فى العقد » . يعنى الساحرات .

(٣) العذق (بالفتح) : النخلة . يشبهه بالنخلة التى ثبت أصلها وقوى وطاب فرعها إذا جنى .

(٤) الغدق : الماء الكثير . ومنه يقال : غيدق الرجل : إذا كثر بصاقه . وكان أحد أجداد النبي صلى الله عليه وسلم يسمى الغيدق ، لكثرة عطائه .

* ونحن ضرّابون رأس[1] العُنَّدِ[2] *

وهذا البيت فى أرجوزة له .

« سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً إِنَّهُ فَكَّرَ وقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ » .

قال ابن هشام : بسر : كرّه وَجْهه قال العجّاج : ٥

* مُضبَّرَ اللَّحْيين بَسْرًا مِنْهَسا[3] *

يصف كراهية وجهه . وهذا البيت فى أرجوزة له :

« ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هٰذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هٰذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ » .

ما أنزله الله فى النفر الذين كانوا مع ابن المغيرة

قال ابن إسحاق : ١٠

وأنزل الله تعالى :[4] فى النفر الذين كانوا معه يصنّفون القولَ فى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وفيما جاء به من الله تعالى : « كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ . الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ . فَوَرَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ » .

قال ابن هشام : واحدة العضين : عِضة ، يقول : عَضَّوه : فرقوه . قال رؤبة بن العجّاج : ١٥

* وليس دينُ الله بالمُعَضَّى *

وهذا البيت فى أرجوزة له .

---

(١) فى ا : « هام » .

(٢) فى استشهاد ابن هشام ببيت رؤبة عقب تفسيره لكلمة « العنيد » مايشعر بأن « عند » : جمع « لعنيد » . والذى فى اللسان والراغب أن عند : جمع لعاند ، وهى مماثلة . ٢٠

(٣) المضبر : الشديد الخلق . واللحيان : العظمان اللذان فى الوجه ، والمنهس : الذى يأخذ اللحم بمقدم أسنانه ، وقد روى هذا البيت فى اللسان (مادتى ضبر ونهس) هكذا :

* مضبر اللحيين نسرا منهسا *

ونسبه ابن منظور فى مادة (نهس) للعجاج ، قال : « . . . وفى الحديث : أنه أخذ عظما فنهس ما عليه من اللحم ، أى أخذه بفيه . ونسر منهس . قال العجاج » ثم ساق البيت . ٢٥

(٤) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « أنزل الله تعالى فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيما جاء به من الله تعالى و . . . الخ » .

قال ابن إسحاق :

تفرق النفر في قريش يشوهون رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم

فجعل أولئك النفرُ يقولون ذلك فى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لِمَنْ لَقُوا من الناس ، وصدرت العربُ من ذلك الموسم بأمر رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ فانتشر ذكره فى بلاد العرب كلّها .

شعر أبى طالب فى استعطاف قريش

فلما خَشِى أبو طالب دَهْماء العرب أن يركبوه مع قومه ، قال قصيدته التى تعوّذ فيها بحُرَم مكة و بمكانه منها ، وتودّد فيها أشرافَ قومه ، وهو على ذلك يُخبرهم وغيرَهم فى ذلك من شعره أنه غير مُسْلِمٍ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ولا تاركه لشىء أبداً حتى يهلِك دونه ، فقال :

ولما رأيتُ القومَ لاوُدّ فيهمُ ... وقد قطعوا كلّ العُرَى والوَسائلِ

وقد صارحونا بالعداوة والأذى ... وقد طَاوعُوا أمْرَ العدو المُزايل

وقد حالفوا قومًا علينا أَظِنَّةً ... يَعَضُّون غيظاً خَلْفنا بالأنامل

صبرتُ لهم نَفْسى بسَمْراء سَمْحةٍ ... وأبيضَ عَضْب من تُراث المَقاول(١)

وأحضرتُ عندالبيت رَهْطى وإخوتى ... وأمسكتُ من أثوابه بالوصائل(٢)

قيامًا معاً مُسْتقبلين رِتاجَـه ... لدى حيثُ يَقْضى حَلْفَه كلُّ نافل(٣)

وحيث يُنيخ الأشْعرون رِكابَهم ... بمُفْضَى السُّيول من إساف ونائل

مُوسَّمة الأعضادِ أو قَصَراتِها ... مُخَيَّسة بين السَّديس وبازل(٤)

---

(١) المقاول : الملوك ، يريد بهم آباءه ؛ ولم يكونوا ملوكا ولا كان فيهم من ملك ، بدليل حديث أبى سفيان حين قال له هرقل : هل كان فى آبائه من ملك ؟ فقال : لا . ويحتمل أن يكون هذا السيف الذى ذكره أبو طالب من هبات الملوك لأبيه ، فقد وهب ابن ذى يزن لعبد المطلب هبات جزيلة حين وفد عليه مع قريش يهنئونه بظفره بالحبشة ، وذلك بعد مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعامين .

(٢) الوصائل : ثياب حمر فيها خطوط ، كان يكسى بها البيت .

(٣) كل نافل : أى كل متبرئ ؛ يقال : انتقل من كذا ، إذا تبرأ منه ، فاستعمل اسم الفاعل من الثلاثى غير المزيد . قال الأعشى :

* لاتلفنا من دماء القوم ننتفل *

(٤) موسمة : معلمة ؛ ويقال لذلك الوسم الذى فى الأعضاد : السطاع والرقة أيضا ، وللذى =

ترى الوَدْعَ فيها والرخام وزينةً بأعناقها معقودةً كالعثاكل(١)

أعوذ برَبِّ الناس من كلِّ طاعنٍ علينا بسُوءٍ أو مُلحٍّ بباطل

ومِنْ كاشِحٍ يَسْعَى لنا بمَعيبة ومن مُلْحِقٍ فى الدين مالم نُحاول

وثَوْرٍ ومَنْ أرْسَى ثَبِيرًا مكانَهُ وراقٍ لِيَرْقَى فى حِراء ونازل(٢)

وبالبيت،حقِّ البيت ، من بطن مكة وباللهِ إنّ اللهَ ليس بغافل ٥

وبالحَجر المُسْودّ إذ يَمْسحونه إذا اكتنفوه بالضُّحى والأصائل(٣)

ومَوْطئ(٤) إبراهيم فى الصخر رَطْبة على قدَمَيْه حافياً غيرَ ناعل

وأشْواطِ بين المَرْوتين إلى الصّفا وما فيهما من صُورة وتَماثِلِ(٥)

ومَنْ حجّ بيتَ اللهِ مِنْ كل راكب ومِنْ كلِّ ذى نَذْرٍ ومِنْ كل راجل

= فى الفخذ : الخياط ، وللذى فى الكشح : الكشاح ؛ ولما فى قصرة العنق : العلاط . ١٠
والقصرات : جمع قصرة ، وهى أصل العنق ، وخفضها بالعطف على الأعضاد . والخبسة : المذللة . والسديس من الإبل : الذى دخل فى السنة الثامنة . والبازل : الذى خرج نابه ، وذلك فى السنة التاسعة .

(١) الودع (بالسكون والفتح) : خرزات تنظم ويتحلى بها النساء والصبيان . قال الشاعر :

إن الرواة بلا فهم لما حفظوا مثل الجمال عليها يحمل الودع ١٥
لا الودع ينفعه حمل الجمال له ولا الجمال بحمل الودع تنتفع

والرخام : أى ماقطع من الرخام . والعثا كل : الأغصان التى ينبت عليها الثمر ، واحدها عثكول . وجمعها : عثاكيل ، وحذفت الياء للضرورة .

(٢) ثور وثبير وحراء . جبال بمكة ؛ ويقال إن ثبيرا سمى كذلك باسم رجل من هذ مات فيه فعرف به . ٢٠

(٣) اكتنفوه : أحاطوا به .

(٤) يعنى موضع قدميه ، وذلك فيما يقال : حين غسلت كنته رأسه وهو راكب ، فاعتمد بقدمه على الصخرة حتى أمال رأسه ليغسل ، وكانت سارة قد أخذت عليه عهدا حين استأذنها فى أن يطالع تركته بمكة ، فحلف لها أنه لاينزل عن دابته ، ولايزيد على السلام واستطلاع الحال ، غيرة من سارة عليه من هاجر ، فحين اعتمد على الصخرة أبقى الله فيها أثر قدمه آية . (راجع الروض الأنف) . ٢٥

(٥) الشوط : الجرى إلى الغاية مرة واحدة ؛ وأراد بالأشواط السعى بين الصفا والمروة . والمروتين : يريد الصفا والمروة ، فغلب . والتماثل : الصور ، وأصلها تماثيل وواحدها : تمثال ، وأسقط الياء ضرورة .

وبالمَشْعر [1] الأقصى إذا عَمدوا له إلال إلى مُفْضَى الشِّراج القَوابل [2]
وتَوْقافِهم فوق الجبال عشيَّةً يُقيمون بالأيدي صدورَ الرّواحل
وليلةِ جَمْع [3] والمنازل من مِنًى وهَلْ فوقها من حُرْمة ومَنازل
وجَمْع إذا ما الْمُقْرَبات أجِــزْنَه سِراعاً كما يَخْرُجْنَ من وَقْع وابِل [4]
٥ وبالجَمْرة الـكُبْرى إذا صَمَدُوا لهـا يؤمُّون قَذْفًا رأسَها بالجَنادل
وكِنْدة إذ هم بالِحصاب عشيَّة تُجيز بهم حُجَّاج بَكْر بْن وائل [5]
حَليفان شَدّا عَقْدَ ما احتلفا له وردَّا عليــه عَاطفات الوَسائل
وحَطْمِهم [6] سُمْر [7] الصِّفاح [8] وسَرْحه [9]
وشِبْرِقه [10] وَخْــدَ النَّعام الجَوافل [11]

---

١٠ (١) المشعر الأقصى : عرفة .
(٢) إلال (كسحاب وكتاب) : جبل بعرفات ، أو جبل رمل عن يمين الإمام بعرفة .
قال النابغة :

* يزرن إلالا سيرهن التدافع *

وسمى كذلك لأن الحجيج إذا رأوه ألوا في السير : أي اجتهدوا فيه ليدركوا الموقف .
١٥ قال الراجز :

مهر أبى الحبحاب لاتشــلى بارك فيك الله من ذى أل

أى من فرس ذى سرعة . والشراج : جمع شرج ، وهو مسيل الماء . والقوابل : المتقابلة .
(٣) جمع : المزدلفة ، معرفة ، وسميت المزدلفة بذلك لاجتماع الناس بها .
(٤) المقربات : الخيل التى تقرب مرابطها من البيوت لـكرمها ، والوابل : المطر الشديد .
٢٠ (٥) الحصاب : موضع رمى الجمار ، مأخوذ من الحصباء ، وهو مصدر نقل إلى المكان .
(٦) الحطم : الـكسر .
(٧) قال أبو ذر . والسمر : «من شجر الطلح ، وسكن الميم تخفيفا ، كما قالوا فى عضد : عضد (بالإسكان) . ومن ضم السين فإنه نقل حركة الميم إليها ، ثم أسكن الميم » . وقال السهيلى : « يجوز أن يكون أراد به السمر ، يقال فيه : سمر وسمر (بسكون الميم) ، ويجوز
٢٥ نقل ضمة الميم إلى ماقبلها إلى السين ، كما قالوا فى حسن : حسن ، وكذا وقع فى الأصل بضم السين ، غير أن هذا النقل إنمـا يقع غالبا فيما يراد به المدح أو الذم نحو حسن وقبح ، كما قال : وحسن ذا أدبا ، أى حسن ذا أدبا . وجائز أن يراد بالسمر هاهنا : جمع أسمر وسمراء ، ويكون وصفا للنبات والشجر ، كما يوصف بالدهمة إذا كان مخضرا . وفى التنزيل : « مدهامتان » . أى خضراوان إلى السواد » .
٣٠ (٨) كذا فى والصفاح : جمع صفح ، وهو عرض الجبل ، ويقال هو أسفله حيث يسيل ماؤه . وفى سائر الأصول : « الرماح » .
(٩) السرح : شجر عظام ؛ وقيل : كل شجر لاشوك له .
(١٠) الشبرق : نبات يقال ليا الحلى ، ولرطبه الشبرق .
(١١) الوخد : السير السريع . والجوافل : الذاهبة المسرعة .

فهل بعد هـذا من معاذٍ لعائذٍ ... وهل مِنْ مُعيذ يتّقى اللهَ عاذل

يُطاع بنا العُدّى وودّوا لو أُنّنا[1] ... تُسد بنا أبوابُ تُرْك وكابلُ[2]

كذبتمُ و بيتِ الله نَترك مكّةَ ... ونَظْعن إلا أمرُكم فى بَلابل[3]

كذبتم و بيتِ الله نُبْزَى محمداً ... ولمّا نُطاعن دونه ونُناضل[4]

ونُسْلمه حتّى نصرَّع حولَه ... ونَذْهل عن أبنائنا والحَلائل[5]

وَيَنْهض قومٌ فى الحديد[6] إليكمُ ... نهوضَ الرّوايا تحت ذات الصّلاصل[7]

وحتى ترى ذا الضِّغن يركب رَدْعه ... من الطعن فِعلَ الأنْكَبِ المُتحامل[8]

و إنّا لعمرُ الله إن جدّ ما أرى ... لتَلْتَبِسَنْ أسيافُنا بالأماثل

بكفَّىْ فتًى مثل الشهاب سَمَيْدع ... أخِى ثقةٍ حامى الحقيقة باسل[9]

شُهوراً وأيامًا وحَوْلاً مُجرَّما[10] ... علينا وتأتى حِجّةٌ بعدَ قابل

---

(١) كذا ورد هذا الشطر فى ا . والعدى : جمع عاد ، من عدا عليه يعدو . كما قالوا : غاز وغزى ، وعاف وعفى . وفى سائر الأصول :

* يطاع بنا أمر العـدا ود أننا *

(٢) ترك وكابل : جبلان . (راجع شرح السيرة لأبى ذر) .

(٣) كذا فى الأصول . والبلابل : وساوس الهموم ، واحدها بلبال . ويروى : « فى تلاتل » . أى فى حركة واضطراب .

(٤) نبزى محمدا : أى نسلبه ونغلب عليه . ورواية اللسان والنهاية: « يبزى محمد » أى يقهر ويغلب، أراد « لايبزى » فحذف « لا » من جواب القسم وهى مرادة . ونناضل: نرامى بالسهام.

(٥) الحلائل : الزوجات ، واحدتها : حليلة .

(٦) فى ا : « فى الحديد » .

(٧) الروايا : الإبل التى تحمل الماء والأسقية ؛ واحدتها : راوية . وأصل هذا الجمع : رواوى ، ثم يصير فى القياس روائى ، مثل حوائل جمع حائل ، ولكنهم قلبوا الكسرة فتحة بعد ماقدموا الياء قبلها ، وصار وزنه فوالع . وإنما قلبوه كراهية اجتماع واوين : واو فواعل والواو التى هى عين الفعل . ووجه آخر : وهو أن الواو الثانية قياسها أن تنقلب همزة فى الجمع لوقوع الألف بين واوين ، فلما انقلبت همزة قلبوها ياء كما فعلوا فى خطايا وبابه ، مما الهمزة فيه معترضة فى الجمع . والصلاصل : المزادات لها صلصلة بالماء .

(٨) الضغن : العداوة . وركب ردعه : إذا خر صريعا لوجهه . والأنكب : المائل إلى جهة ، والذى مشى على شق .

(٩) السميدع : السيد . والباسل : الشجاع .

(١٠) حولا مجرما : حولا كاملا ؛ يقال : تجرم العام ، والشتاء ، والصيف : تصرم . وجرّمناه : قطعناه ، وأتممناه ، وعام مجرم ، وفى الأصول : « محرما » بالحاء المهملة ، وهو تصحيف .

وما تركُ قومٍ ، لا أبالك ، سيِّداً يَحُوط الذمار غير ذَرْب مُوا كِلِ[1]
وأبيض يُسْتسقى الغمام بوَجْهه ثِمالُ اليَتامى عِصْمةٌ للأرامل[2]
يلوذُ به الهلاّك من آل هاشم فهمْ عنده فى رَحْمة وفواضِل
لعمْرى لقد أجْرى أسيدٌ وبكْرُه إلى بُغْضنا وَجزّ آنا لآكل[3]
٥ وعثمانُ لم يَرْبَع علينا وقُنفذٌ[4] ولكن أطاعا أمْرَ تلك القبائل
أطاعا أُبيًّا وابنَ عَبْد يَغوثهم ولم يرقُبا فينا مقالةَ قائل
كما قد لَقِينا من سُبَيع ونَوْفَل وكُلٌّ تولّى مُعْرِضاً لم يُجامل
فإن يُلْقيا[5] أو يُمْكنِ الله منهما نَكِلْ لهما صاعًا بِصاعِ المُكايل
وذاك أبو عَمْرو أَبَى غيرَ بُغْضنا ليُظْعِننا فى أَهْل شاء وجامل[6]
١٠ يُناجي بنا فى كلّ مُمْسًى ومُصْبَح فناجِ أبا عَمْرٍو بنا ثم خاتل[7]
ويُؤْلِي[8] لنا بالله ما إنْ يَغُشّنا بلَى قَد نراه جَهْرةً غيرَ حائل
أضاق عليه بُغْضُنا كلَّ تَلْعة من الأرض بين أخْشَبٍ فمجادل[9]
وسائلْ أبا الوليد ما ذا حَبَوْتنا بسَعْيك فينا مُعْرِضاً كالمُخاتِل

---

(١) الذمار : ما يلزمك حمايته . والذرب (مخففا) : الفاحش المنطق . والمواكل : الذى
١٥ لاجد عنده ، فهو يكل أموره إلى غيره .
(٢) ثمال اليتامى : الذى يثمالهم ويقوم بهم ؛ يقال : هو ثمال مال : أى يقوم به .
(٣) سيعرض ابن إسحاق للكلام على الأعلام التى وردت فى هذه القصيدة بعد الفراغ منها .
(٤) لم يربع : لم يقم ولم يعطف .
(٥) كذا فى ا . ويريد بالإلقاء: التسليم والخضوع . وفى سائر الأصول : «يلفيا» بالفاء .
٢٠ (٦) كذا فى ا . والشاء : اسم للجمع . والجامل : اسم لجماعة الجمال ، ومثله الباقر ، اسم لجماعة البقر . وفى سائر الأصول : « ليطفنا . . . الخ » .
(٧) الختل : الخداع والمكر .
(٨) يؤلى : يقسم ويحلف .
(٩) التلعة : المشرف من الأرض . وأخشب (بضم) الشين : جمع الأخشبين ، وهى
٢٥ جبلان بمكة ، جمعهما مع ما اتصل بهما على غير قياس ، إذ القياس : أخاشب ، ويروى ، بفتح الشين على الإفراد ، ويراد به التثنية لشهرة الأخشبين . والمجادل : القصور والحصون فى رؤوس الجبال . كأنه يريد مابين جبال مكة فقصور الشام والعراق .

وكنتَ أمرأً ممن يُعاش برَأيه ... ورَحْمته فينا ولستَ بجاهل

فعُتْبة لا تَسْمع بنا قولَ كاشِح[1] ... حَسُود كَذُوب مُبْغض ذى دَغاوِل[2]

ومَرَّ أبو سُفْيان عَــنِّىَ مُعْرِضاً ... كما مرَّ قَيْلٌ[3] من عِظام المَقاول

يَفِرُّ إلى نَجْدٍ وبَرْدِ مِياهه ... ويزعُم أنى لستُ عنكم بغافل

ويُخْــبرنا فعلَ المُناصِح أنه ... شَفيقٌ ويُخْفى عارمات[4] الدَّواخل[5] ٥

أمُطْعِمُ لم أخذُلْك فى يوم نَجْدةٍ ... ولا مُعْظِمٍ عند الأمور الجلائل

ولا يومِ خَصْم[6] إذا أتوْك ألدّة[7] ... أولى جَدَل من الخُصوم المَساجِل[8]

أمُطْعم إنّ القومَ ساموك خُطَّةً ... وإنى متى أُوكَلْ فلستُ بوائل[9]

جَزَى اللهُ عنّا عبدَ شمس ونَوْفلاً ... عُقوبةَ شرٍّ عاجلاً غــيرَ آجل

بميزان قِسْط لا يَخِسّ[10] شَعيرةً ... له شاهدٌ من نفسه غيرُ عائل[11] ١٠

---

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « كاسح » بالسين ، وهو تصحيف .

(٢) الدغاول : الأمور الفاسدة ؛ وقيل : الدغاول : الغوائل .

(٣) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « قبل » . بالموحدة ، وهو تصحيف .

(٤) كذا فى الأصول . والعارمات : الشديدات . ويروى : « عازمات » بالزاى . أى التى عزم على إنفاذها . ١٥

(٥) كذا فى الأصول . والدواخل : النمائم والإفساد بين بين الناس . ويروى : « الذواحل » ، والذواحل : العداوات ، مأخوذ من الذحل . وهو الثأر .

(٦) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « خسم » وهو تحريف .

(٧) فى ا : « أشدة » .

(٨) كذا فى الأصول . والمساجل : الذين يعارضونه فى الخصومة ويغالبونه ، وأصله من المساجلة ، وهو أن يأتى الرجل بمثل ما أتى به صاحبه . ويروى : « بالمساحل » بالحاء المهملة . والمساحل : الخطباء البلغاء ، واحدهم : مسحل . ٢٠

(٩) ساموك خطة : كلفوك . ولست بوائل : لست بناج . يقال : ماوأل من كذا : أى ما نجا . وفى الخبر : فلا وألت نفس الجبان : أى لا نجت .

(١٠) كذا فى ا . وأخس : أنقص . وفى سائر الأصول : « لايخيس » وهو من قولهم : خاس بالعهد ، إذا نقضه وأفسده . ويروى : « يحص » بالصاد . من حص الشعر : إذا أذهبه . ٢٥

(١١) العائل : الجائر .

لقد سَفُهت أحـلامُ قوم تبدّلوا بنى خَلَفٍ قَيْضًا بنا والغَياطل[1]
ونحنُ الصميمُ من ذُؤابة هاشمٍ وآل قُصىٍّ فى الخُطوب الأوائل
وسَهْمٌ ومَخْزوم تَمالَوْا وأَلَّبُوا علينا العِدَا من كل طِمْلٍ وخاملِ[2]
فعبد مناف أنتمُ خـيرُ قَوْمكم فلا تُشْرِكوا فى أمْركم كلَّ واغل[3]
٥ لعمرى لقـد وَهَنتمُ وعَجَزْتمُ وجئتم بأمرٍ مُخطِئٍ للمَفاصِل[4]
وكنتم حديثاً حَطْبَ قِدْرٍ وأنتمُ ألآنَ حِطابُ أقدُرٍ ومَراجل[5]
ليَهْنِئْ بنى عبـد مناف عُقُوقُنا وخـذلانُنا وترْكُنا فى المَعاقل
فإنْ نك قومًا نَتَئِر ما صنعتمُ[6] وتَحْتلبوها لِقْحة غـيرَ باهِل[7]
وسائط كانت فى لؤىّ بن غالب نَفَاهم إلينا كلُّ صَقْر حُلاحِل[8]
١٠ ورهطُ نُفَيل شَرُّ مَنْ وَطِئَ الحَصَى وألأم حافٍ من مَعدٍّ وناعِل
فأبلغ قُصيّا أنْ سيُنشر أمرُنا وبَشِّر قصيًّا بعـدَنا بالتخاذل
ولو طرقت ليلاً قصيًّا عظيمةٌ إذاً ما لجأنا دونهم فى المَداخل

(١) قيضا : عوضا . والغياطل : بنو سهم ، قيل سموا كذلك لأن رجلا منهم قتل جانا طاف بالبيت سبعا ، ثم خرج من المسجد فقتاه ، فأظلمت مكة حتى فزعوا من شدة الظلمة التى
١٥ أصابتهم . والغيطلة . الظلمة الشديدة .

(٢) ألبوا : اجتمعوا . والطمل : الرجل الفاحش ، والفقير أيضا .

(٣) الواغل : الداخل على القوم وهم يشربون ولم يدع .

(٤) مخطئ المفاصل : أى بعيد عن الجادة والصواب .

(٥) حطب : اسم للجمع ، مثل ركب ، وليس بجمع لأنك تقول فى تصغيره : حطيب .
٢٠ وحطاب : جمع حاطب . والمراجل : القدور ، واحدها : مرجل . وقيل : هى القدور من النحاس خاصة ، ومعنى البيت : كنتم متفقين لاتحطبون إلا لقدور واحدة ، فأنتم الآن بخلاف ذلك .

(٦) كذا فى الأصول . ونتئر : نأخذ بثأرنا منكم . ويروى : « نبتئر » أى ندخره حتى ننتصف منكم ؛ يقال : ابتأرت الشىء : إذا خبأته وادخرته .

٢٥ (٧) اللقحة : الناقة ذات اللبن . والباهل : الناقة التى لاصرار على أخلافها ، فهى مباحة الحلب .

(٨) الحلاحل : السيد فى عشيرته ، الشجاع الركين فى مجلسه ، وهذا البيت والذى بعده ساقطان من ا .

ولو صَدَقوا ضَرْبًا خلال بُيوتِهم ... لـكنَّا أُسَى عند النساء المَطافل[1]
فـكلُّ صديقٍ وابنِ أختٍ نعدُّه ... لعمرى وَجَـدنا غِبَّه غـيرَ طائل
سوى أنّ رهطاً من كِلاب بن مرّة ... براء[2] إلينا من معقَّة خاذِل
وَهَنّا لهم حـتى تبدّد جمعُهم ... ويَحْسُرَ عنّا كلُّ باغٍ وجاهل[3]
وكان لنا حوضُ السقاية فِيهمُ ... ونحنُ الـكُدى من غالب والـكَواهل[4] ٥
شباب من المطيِّبين وهاشِم ... كبِيض السيوفِ بين أيدِى الصَّياقل
فـما أدركوا ذَحْلا ولاسفـكوا دمًا ... ولا حالفوا إلاّ شِرار القَبائل
بضربٍ ترى الفِتيان فيه كأنهم ... ضَوارى أُسود فوق لحم خَرادِل[5]
بنى أَمَةٍ محبوبةٍ هِنْدِكيّة[6] ... بنى جُمح عُبَيد قيس بن عاقل
ولـكنّنا نسلٌ كرامٌ لسادةٍ ... بهم نُعِيَ الأقوام عند البواطل ١٠
ونعم ابنُ أختِ القوم غيرَ مكذَّب ... زهيرٌ حُسامًا مفرداً مِنْ حَمائل
أشمّ من الشمّ البَهاليل يَنتمى ... إلى حسبٍ فى حَوْمة المَجْد فاضل
لعمرى لقد كُلِّفتُ وجدًا بأحمد ... و إخوته دَأْبَ المُحِبِّ المُواصل

(١) الأسى : جمع أسوة ، أى لاقتدى بعضنا ببعض فى الدفع عنهم . والمطافل : ذوات الأطفال .

(٢) قال السهيلى : « يقال قوم براء ، (بالفتح وبالـكسر) . فأما براء (بالـكسر) فجمع برىء ، مثل كريم وكرام . وأما براء (بالفتح) فمصدر مثل سلام . والهمزة فيه وفى الذى قبله لام الفعل ؛ يقال : رجل براء ورجلان براء . وإذا كسرتها أو ضممتها لم يجز فى الجمع . وأما براء (بضم الباء) فالأصل فيه برآء مثل كرماء ، فاستثقلوا اجتماع الهمزتين فحذفوا الأولى ، وكان وزنه فعلاء ، فلما حذفوا التى هى لام الفعل صار وزنه فعاء وانصرف لأنه أشبه فعالا . والنسب إليه ، إذا سميت به براوى . والنسب الى الآخرين : برائى وبرائى . وزعم بعضهم الى أن براء (بضم أوله) من الجمع الذى جاء على فعال . ١٥ ٢٠

(٣) هذا البيت والأبيات الستة التى بعده غير موجودة فى ا .

(٤) الـكدى : جمع كدية ، وهى الصفاة العظيمة الشديدة . يشبههم بها فى المنعة والعزة ، والـكواهل : جمع كاهل ، وهو سند القوم وعمدتهم . ٢٥

(٥) الخرادل : القطع العظيمة .

(٦) هندكى (بكسر الهاء والدال) : من أهل الهند ، وليس من لفظه ، لأن الـكاف ليست من حروف الزيادة .

فلا[1] زال فى الدنيا جمالاً لأهلها وزيناً لمن والاه ربُّ المشاكل[2]

فَمَنْ مِثْلُه فى الناس أىّ مُؤَمَّل إذا قاسه الحُكّام عند التفاضل

حليمٌ رشيد عادل غيرُ طائش يُوالى إلاهاً ليس عنـــه بغافل

فوالله لولا أنْ أجىء بسُنّة[3] تُجَرّ على أشياخنا فى المَحافل

٥ لـكنّا أتبعناه على كل حالة من الدّهر جدًّا غير قول التهازل

لقد علموا أنّ ابنَنا لا مُـكَذَّبٌ لدينا ولا يُعنَى بقَوْل الأباطل

فأصبح فينا أحمـــدُ فى أرومة تُقَصِّر عنه سَــوْرَةُ المُتطاول[4]

حَدِبْتُ بنفسى دونه وحَمَيْتُه ودافعتُ عنه بالذُّرا والـكَلاكِل[5]

فأيَّدَه ربُّ العباد بنَصْره وأظهر ديناً حقُّه غــــيرُ باطل[6]

١٠ رجالٌ كِرامٌ غـيرُ مِيلٍ نَماهُم إلى الخير آباءٌ كِرام المَحاصل[7]

فإن تكُ كعبٌ من لؤىّ صُقَيْبَةً[8] فلا بدَّ يومًا مَرّة مِنْ تَزايُل

قال ابن هشام : هذا ما صحّ لى من هذه القصيدة ، و بعضُ أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها .

---

(١) هذا البيت ساقط فى ا .

١٥ (٢) كذا فى الأصل : ولعله يريد بها العظيمات من الأمور . وإن صح أن هذا اللفظ من هذا البيت فما أقربه به إلى أنه مصنوع ، وبلاحظ أن الأبيات التى استبعدتها « ا » ولم تثبتها ، على أكثرها ، إن لم يكن كلها ، مسحة الضعف والانحطاط عن مستوى القصيدة ، حتى ليكاد يبلغ الظن بها إلى أنها دخيلة ، ويرجح ذلك عدم تعرض السهيلى وأبى ذر لها بشىء مما يدل على أنهما لم يقعا على شىء منها .

٢٠ (٣) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « بسبة » .

(٤) السورة (بضم السين) : المنزلة . والسورة (بفتح السين) : الشدة والبطش .

(٥) حدبت : عطفت ومنعت . والذرا : جمع ذروة ، وهى أعلى ظهر البعير . والكلاكل : جمع كلكل ، وهو عظم الصدر .

(٦) هذا البيت والبيتان اللذان بعده ساقطة فى ا .

٢٥ (٧) ميل : جمع أميل ، وهو الجبان والذى لايحسن الركوب ؛ أو الذى لايميل عن الحق .

(٨) الصقب (بوزان فرح) الفريب .

دعا صلى الله عليه وسلم للناس حين أقحطوا فنزل المطر وودلو أن أبا طالب حى فرأى ذلك

قال ابن هشام : وحدّثنى مَنْ أثق به قال :

أقحط أهلُ المدينة فأتَوْا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فشَكَوْا ذلك إليه ، فصَعِد رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم المنبرَ فاستسقى ، فما لبث أنْ جاء من المطر ما أتاه أهلُ الضواحي[1] يَشْكُون منه الغَرقَ ؛ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم: اللّهم حَوَالَيْنا ولا علينا[2] ، فانجاب السحابُ عن المدينة فصار حوالَيْها كالإكليل ؛ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : لو أدركَ أبو طالب هذا اليومَ لسرّه ! فقال له بعضُ أصحابه : كأنك يا رسولَ الله أردت قولَه : ٥

وأبيض يُسْتسقى الغمامُ بوَجْهه ... ثِمال اليَتامى عِصْمة للأرامِلِ

قال : أجل[3] .

قال ابن هشام : وقوله « وشبرقه » عن غير ابن إسحاق . ١٠

(١) الضواحى : جمع ضاحية ، وهى الأرض البراز التى ليس فيها ما يكن من المطر ولا منجاة من السيول . وقيل : ضاحية كل بلد : خارجه .

(٢) هو من حسن الأدب فى الدعاء ؛ لأنها رحمة الله ونعمته المطلوبة منه ، فكيف يطلب منه رفع نعمته وكشف رحمته .

(٣) قال السهيلى : « فإن قيل كيف قال أبو طالب : ١٥

* وأبيض يستسقى الغمام بوجهه *

ولم يره قط استسقى ، وإنما كانت استسقاآته عليه السلام بالمدينة فى سفر وحضر ، وفيها شوهد ما كان من سرعة إجابة الله له ؟ فالجواب : أن أبا طالب قد شاهد من ذلك أيضاً فى حياة عبد المطلب مادله على ماقال . روى أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم البستى النيسابورى أن رقيقة بنت أبى صيفى بن هاشم قالت : تتابعت على قريش سنو جدب قد أقحلت الظلف وأرقت العظم ، فبينا أنا راقدة للهم أو مهدمة ومعى صنوى . إذا أنا بهاتف صيت يصرخ بصوت صحل يقول : يا معشر قريش ، إن هذا النبي المبعوث منكم ، هذا إبان نجومه ، فحيهلا بالحيا والخصب ، ألا فانظروا منكم رجلا طوالا عظاما أبيض أشم العرنين له فخر يكظم عليه ، ألا فليخلص هو وولده وليدلف إليه من كل بطن رجل فليشنوا من الماء وليمسوا من الطيب وليطوفوا بالبيت سبعا إلا وفيهم الطيب الطاهر لذاته ، ألا فليدع الرجل وليؤمن القوم ، إلا فغثتم أبدا ماعشتم . قالت : فأصبحت مذعورة قد قف جلدى ، ووله عقلى ، فاقتصصت رؤياى ، فوالحرمة والحرم ، إن بقى أبطحى إلاقال هذا شيبة الحمد ، وتتامت عنده قريش وانقض إليه الناس من كل بطن رجل فشنوا ومسوا واستلموا وطوفوا ، ثم ارتقوا أباقبيس وطفق القوم يدفون حوله ما إن يدرك سعيهم مهلة حتى قروا بذروة الجبل ، واستكفوا جنابيه . فقام عبد المطلب فاعتضد ابن ابنه محمدا صلى الله عليه وسلم فرفعه على عاتقه ، وهو يومئذ غلام قد أيفع ، أو قد كرب ثم قال : اللهم ساد الخلة وكاشف الكربة أنت عالم غير معلم ، ومسئول غير مبخل ، وهذه عبداؤك وإماؤك بعذرات حرمك يشكون إليك سنتهم فاسمعن اللهم وأمطرن علينا غيثا مريعا مغدقا . فما راموا والبيت حتى انفجرت السماء بمائها وكظ الوادى بثجيجه » . ٢٠ ٢٥ ٣٠

الأسماء التى وردت فى قصيدة أبى طالب

قال ابن إسحاق :

والغياطل : من بنى سهم بن عمرو بنُ هُصَيص ، وأبو سفيان ابنُ حرب ابن أُمَيَّة . ومُطعم ابنُ عدىّ بن نَوْفل بن عبد مناف . وزُهير ابنُ أبى أُمَيَّة ابن المغيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم ، وأمه عاتكة بنت عبد المطلب .

٥ قال ابن إسحاق :

وأسيد ،و بِكْرُهُ:عتّابُ بن أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عَبْد شمس بن عَبْد مناف بن قصىّ . وعثمان ابنُ عُبيد الله ، أخو طلحة بن عُبيد الله التَّيمى . وقُنْفذ ابنُ عُمير بن جُدْعان بن عَمْرو بن كَعْب بن سعد بن تَيْم بن مُرّة . وأبو الوليد عُتْبةُ بنُ ربيعة . وأبىّ الأخنس ابنُ شريق الثقفى ، حليف بنى زهرة بن كلاب.

١٠ قال ابن هشام : وإنما سمى الأخنس . لأنه خَنس بالقوم يوم بدْر ، وإنما اسمُه أُبَىّ ، وهو من بنى عِلاج ، وهو عِلاج بن أبى سَلمة بن عوْف ابن عُقْبة . والأسود ابنُ عَبْد يغوث بن وَهْب بن عبد مناف بن زُهرة بن كلاب. وسُبَيع ابنُ خالد ، أخو بَلْحارث بن فِهْر . ونوفل ابنُ خُوَيلد بن أسد بن عبد العزّى بن قُصَىّ ، وهو ابنُ العَدَويَّة . وكان من شياطين قُرَيش ، وهو الذى

١٥ قَرَن بين أبى بكر الصديق وطَلْحة بنِ عُبَيد الله رضى الله عنهما فى حَبْل حين أسْلما ، فبذلك كانا يُسمّيان القَرينين ؛ قتله علىٌّ بنُ أبى طالب عليه السلام يوم بَدْر . وأبو عمرو قُرظَة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف . «وقوم علينا أظنّة» : بنو بكر بن عبد مناة بن كِنانة ، فهؤلاء الذين عدّد أبو طالب فى شعره من العرب .

انتشار ذكر الرسول فى القبائل ولا سيما فى الأوس والخزرج

٢٠ فلما انتشر أمرُ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم فى العرب وبَلَغ البلدانَ ، ذُكر بالمدينة ، ولم يكن حىٌّ من العرب أعلمَ بأمْر رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم حين ذُكر وقبلَ أن يُذكر من هذا الحىّ من الأوس والخزرج ، وذلك لِمَا

كانوا يسمعون من أحبار اليهود ، وكانوا لهم حلفاء ومعهم فى بلادهم . فلما وقع ذِكره بالمدينة وتحدّثوا بما بين قريش فيه من الاختلاف . قال أبو قَيْس ابن الأسلت[1] . أخو بَنى واقف .

نسب أبى قيس بن الأسلت

قال ابن هشام : نَسَب ابنُ إسحاق أبا قَيْس هذا هاهنا إلى بنى واقف، ونسبه فى حديث الفِيل إلى خَطْمة ، لأن العرب قد تنسب الرجلَ إلى أخى جدّه الذى هو أشهر منه .

قال ابن هشام : حدّثنى أبو عُبيدة :

أنّ الحَكم بن عَمْرو الغِفارى من ولد نُعَيلة أخى غِفار . وهو غِفار بن مُلَيل، ونُعيلة ابنُ مُليل بن ضَمْرة بن بَكْر بن عبد مناة ، وقد قالوا عُتْبة ابنُ غزوان السُّلمى ، وهو من ولد مازن بن منصور ، وسُليم ابنُ منصور.

قال ابن هشام : فأبو قيس بن الأسلت : من بنى وائل ، ووائل وواقف وخطمة إخوة من الأوس .

شعر ابن الأسلت فى الدفاع عن الرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق :

فقال أبو قَيْس بن الأسلت ـ وكان يحبّ قريشاً ، وكان لهم صهراً ، كانت عنده أَرْنب بنت أَسَد بن عبد العُزّى بن قُصىّ ، وكان يُقيم عندهم السنينَ بامرأته ـ قصيدةً يعظّم فيها الحُرمة ، وينهى قريشاً فيها عن الحَرب ، ويأمرهم بالكفّ بعضهم عن بعض ، ويذكر فضلَهم وأحلامَهم ، ويأمرهم بالكفّ عن رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، ويذكّرهم بلاءَ الله عندهم ، ودَفْعَه عنهم الفِيل وكيدَه عنهم ، فقال :

يا راكباً إمّا عرضَت فبلِّغن ... مُغلغلةً عنّى لؤىَّ بنَ غالبِ[2]

(1) واسم الأسلت : عامر .

(2) المغلغلة الرسالة . وقال السهيلى : «المغلغلة : الداخلة إلى أقصى مايراد بلوغه منها» .

وسولُ امرئٍ قد راعه ذاتُ بَيْنِكم | على النأيِ مَحْزونٍ بذلك ناصبِ [1]
وقد كان عندى للهموم مُعرَّسٌ | فلم أقضِ منها حاجتى ومآربى [2]
نُبِّئتُكم شَرْجَيْن كلُّ قبيلةٍ | لها أَزْمَلٌ مِنْ بين مُذْكٍ وحاطب [3]
أُعيذُكمُ باللهِ مِنْ شرِّ صُنْعِكم | وَشَرِّ تَباغيكم ودسِّ العَقارب
٥ وإظهارِ أخلاقٍ ونَجْوَى سَقيمةٍ | كَوَخْزِ الأشافى وَقْعُها حقٌّ صائب [4]
فذَكِّرْهُمُ باللهِ أوّلَ وَهْـلةٍ | وإحلال أحْرام الظّباء الشوازب [5]
وقُلْ لهمُ واللهُ يحكم حُـكْمه | ذَرُوا الحربَ تذهبْ عنكمُ فى المَراحب [6]
متى تَبْعثوها تبعثوها ذَميمةً | هى الغُولُ للأَقْصَيْن أو للأقارب [7]
تُقطِّعُ أرحامًا وتُهلِكُ أُمَّةً | وتَبْرى السَّديفَ من سَنام وغارب [8]
١٠ وتَستبدلوا بِالأَتْحميَّة بعدها | شَليلاً وأصـداءً ثيابَ المُحارب [9]
وبالمِسْك والكافور غُبْرًا سَوابغًا | كأنَّ قَتيرَيْها عيونُ الجَنادب [10]

---

(١) الناصب : المعي التعب .
(٢) المعرس : المكان ينزل فيه المسافرون فى آخر الليل ، يقعون فيه وقعة للاستراحة ثم يرتحلون .
١٥ (٣) شرجين : نوعين . والأزمل : الصوت المختلط . والمذكى : الذى يوقد النار . والحاطب : الذى يحطب لها . ضرب هذا مثلا لنار الحرب . كما قال الآخر :

أرى خلل الرماد وميض نار | ويوشك أن يكون لها ضرام
فإن النار بالعودين تذكى | وإن الحرب أولها كلام

(٤) الأشافى : جمع إشفى ، وهى التى يخرز بها .
٢٠ (٥) أحرام الظباء : هى التى يحرم صيدها فى الحرم . يقال لمن دخل فى الشهر الحرام . أو فى البلد الحرام محرم. والشوازب : الضامرة البطون. أى أن بلدكم بلد حرام تأمن فيه الظباء الشوازب التى تأتيه من بعد لتأمن فيه ، فهى شازبة ضامرة من بعد المسافة ، وإذا لم تحلوا بالظباء فيه فأحرى ألا تحلوا بدمائكم .
(٦) المراحب : المواضع المتسعة .
٢٥ (٧) الغول : الهلاك .
(٨) تبرى : تقطع . والسديف : لحم الظهر . والغارب : أعلى الظهر .
(٩) الأتحمية : ثياب رقاق تصنع باليمن . والشليل : درع قصيرة . والأصداء : جمع صدأ الحديد .
(١٠) القتير : حلق الدرع ، شبهها بعيون الجراد . وأخذ هذا المعنى التنوخى فقال .
٣٠ كأثواب الأراقم مزقتها | غماطتها بأعينها الجراد

فإياكمُ والحربَ لا تَعْلَقَنَّكم ... وحَوْضاً وَخِيم الماء مُرَّ المَشارب
تَزَيَّن للأقوام ثم يَرَوْنها ... بعاقبةٍ إذ بَيَّنت ، أمَّ صاحب[1]
تحرّق لا تُشْوِى ضعيفاً وتنتحى ... ذوى العزِّ منكم بالحُتوف الصَّوائب[2]
ألم تعلموا ما كان فى حرب دَاحسٍ ... فتعتبروا أو كان فى حَرْب حاطِب[3]
وكم قد أصابتْ من شَريف مُسوَّد ... طويلِ العِماد ضيفُه غيرُ خائب
عظيمِ رمَاد النَّار يُحْمَد أمرُه ... وذى شيمةٍ مَحْضٍ كريم المَضارب[4]
وماء هُرِيق فى الضَّلال[5] كأنما ... أذاعت به ريحُ الصَّبا والجَنائب[6]
يخبِّركمُ عنها امرؤٌ حقّ عالمٍ ... بأيامها والعِلْمُ عِلْمُ التجارب
فبيعُوا الحِرابَ مِلْمُحارب واذكُروا ... حِسابَكم واللهُ خيرُ مُحاسِب
وَلِيّ امرىء فاختار ديناً فلا يكُنْ ... عليكم رقيباً غيرَ رَبّ الثواقب[7]
أقيموا لنا ديناً حَنيفاً فأنتمُ ... لنا غايةٌ قد يُهتدى بالذَّوائب[8]
وأنتم لهذا الناسِ نورٌ وعِصْمةٌ ... تُؤَمُّون ، والأحلام غَيْرُ عَوازب[9]
وأنتم ، إذا ما حُصِّل الناسُ، جَوْهرٌ ... لكم سُرَّة البَطْحاء شُمُّ الأرانب[10]

---

(١) بينت : اتضحت . وأم صاحب : أى عجوزا كأم صاحب لك ؛ إذ لا يصحب الرجل إلا رجل فى سنه .

(٢) لاتشوى : لاتخطىء . وتنتحى : تقصد .

(٣) سيعرض ابن إسحاق للكلام على داحس وحاطب بعد الانتهاء من القصيدة .

(٤) كذا فى الأصول . يريد أن مضارب سيوفه غير مذمومة ولا راجعة عليه إلا بالثناء ، والحمد والوصف بالمكارم . ويروى : « الضرائب » . والضرائب : الطباع .

(٥) كذا فى الأصول . ويروى : « فى الصلال » . والصلال : جمع صلة ، وهى الأرض التى لاتمسك الماء .

(٦) أذاعت به : بددته . والجنائب : جمع جنوب . يريد ريح الشمال وريح الجنوب .

(٧) الثواقب : النجوم .

(٨) الذوائب : الأعالى .

(٩) الأحلام : العقول . وعوازب : بعيدة .

(١٠) سرة الشىء : خيره وأعلاه . وشم : مرتفعة . والأرانب : جمع أرنبة ، وهى التى فيها تقب الأنف .

تَصونون أجساداً كِرامًا عَتيقةً ... مُهذَّبةَ الأنساب غيْرَ أشائبِ[1]
ترى طالبَ الحاجات نحوَ بُيوتِكم ... عصائبَ هَلْكى تَهْتَدِى بعَصائب
لقد علِم الأقوامُ أنّ سَراتَكم ... على كلّ حال خيرُ أهل الجَباجب[2]
وأفضله رأياً وأعلاه سنّة ... وأقوله للحقّ وَسْط المَواكب
٥ فقُومُوا فصَلُّوا ربكم وتَمسّحوا ... بأركان هذا البيتِ بين الأخاشب[3]
فعِنْدكمُ منه بلاءٌ ومصدَق ... غَداةَ أبى يَكْسوم هادِى الكَتائب
كتيبتُه بالسَّهل تُمسِى ورَجْلُه ... على القاذفات فى رُءوس المَناقب[4]
فلما أتاكم نَصْرُ ذى العَرْش ردَّهم ... جنودُ المليك بين سافٍ وحاصِب[5]
فولَّوْا سِراعًا هاربِينَ ولم يَؤُبْ ... إلى أهله مِلْحِبْش[6] غيرُ عَصائب
١٠ فإن تَهْلِكوا نَهْلِكْ وتَهْلِكْ مَواسمٌ ... يُعاش بها، قولُ امرىء غيرِ كاذب

قال ابن هشام : أنشدنى بيتَه : « وماء هريق » ، وبيتَه : « فبيعوا الحراب » ، وقولَه : « ولى أمرىء فاختار » ، وقوله :

* على القاذفات فى رءوس المناقب *

أبو زيد الأنصاريّ وغيرُه .

حرب داحس

١٥ قال ابن هشام : وأما قوله :

* ألم تعلموا ما كان فى حَرْب داحس *

---

(١) غير أشائب : غير مختلطة ، يعنى أنها خالصة النسب .

(٢) الجباجب : المنازل . واحدها جبجبة .

(٣) صلوا : ادعوا . والأخاشب : أراد الأخشبين، وهما جبلا مكة ، فجمعهما مع ماحولهما .

٢٠ (٤) القاذفات : أعالى الجبال . والمناقب : الطرق فى أعالى الجبال ، واحدها : منقبة .

(٥) السافى : الذى أصابه الغبار . والحاصب الذى أصابته الحصباء ؛ وهو على معنى النسب، كما قالوا: تامر ولابن. وقد يكون السافى : الذى يثير الغبار ؛ والحاصب : الذى يثير الحصباء، أى يقتلعها .

(٦) فى : « ملجيش » .

فحدثنى أبو عُبيدة النحوى :

أن داحساً فَرَس كان لقَيْس بن زُهير بن جَذِيمة بن رَواحة بن رَبيعة بن الحارث بن مازن بن قُطَيْعة بن عَبْس بن بَغيض بن رَيْث بن غَطَفان ؛ أجراه مع فرس لحُذَيفة بن بَدْر بن عَمْرو بن زيد[1] بن جُوَيّة بن لَوْذان بن ثعلبة بن عدىّ بن فَزارة بن ذُبيان بن بَغيض بن رَيْث بن غَطَفان ، يقال لها : الغَبْراء . ٥
فدسّ حُذيفة قومًا وأمرهم أن يضربوا وَجْه داحس إن رأوه قد جاء سابقًا ، فجاء داحس سابقاً فضربوا وجهه ، وجاءت الغبراء . فلما جاء فارسُ داحس أخبر قيساً الخبرَ ، فوثب أخوه مالكُ بن زُهَير فاطم وجهَ الغبراء ، فقام حَمَلُ بنُ بدر فلطم مالكاً . ثم إنّ أبا الجُنَيْدب العَبْسى لقى عوفَ بن حُذيفة فقتله ، ثم لقى رجلٌ من بَنى فَزارة مالكاً فقتله ، فقال حَمَلُ بن بَدْر أخو حُذيفة بن بَدْر : ١٠

قتلنا بعَوْفٍ مالكاً وهو ثَأرُنا فإن تطلبوا منّا سوى الحقّ تَندَمُوا

وهذا البيت فى أبيات له . وقال الربيع بن زياد العَبْسى :

أفبعدَ مقْتل مالكِ بنِ زُهَير ترجو النساء عواقبَ الأطهار[2]

وهذا البيت فى قصيدة له .

فوقعت الحرب بين عَبْس وفَزارة ، فقُتِلَ حُذيفة بن بدر وأخوه حَمَل بن بدر ، فقال قيس بنْ زُهَير بن جَذيمة يرثى حُذَيفة ، وجَزِع عليه : ١٥

كم فارسٍ يُدعى وليس بفارسٍ وعلى الهَباءة فارسٌ ذو مَصْدَقِ[3]
فابكوا حُذيفة لن تُرَثّوا مثلَه[4] حتى تَبيد قبائلٌ لم تُخْلَق

وهذان البيتان فى أبيات له . وقال قيس [بن][5] زهير :

---

(١) فى ا : « . . . بن عمرو بن جؤية . . . الخ » . ٢٠
(٢) الأطهار : جمع طهر . وهو كقول الأخطل :
قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم دون النساء ولوباتت بأطهار
(٣) الهباءة : موضع فى بلاد غطفان .
(٤) لن ترثوا : من الرثاء . ومن رواه : تربوا ، (بضم التاء) فهو من التربية . ومن رواه : تربوا (بفتح التاء) فمعناه تصيرونه ربا عليكم ، أى أميرا . ٢٥
(٥) زيادة عن ا .

على أنّ الفتى حَمَلَ بنَ بَدْرٍ بغَى والظلمُ[1] مرتعهُ وخيمُ

وهذا البيت فى أبيات له. وقال الحارث بن زُهير أخو قَيْس بن زهير:

تركتُ على الهَباءة غيرَ فَخْرٍ حُذَيفةَ عنده قِصَدُ العَوالِي[2]

وهذا البيت فى أبيات له.

٥ قال ابن هشام:

ويقال أرسل قيسٌ داحساً والغَبْراء، وأرسل حُذَيفةُ الخطّارَ والحَنْفاء، والأول أصح الحديثين. وهو حديث طويل مَنعنى من استقصائه قَطْعُه حديثَ سيرة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

قال ابن هشام: وأما قوله: «حرب حاطب». فيَعْنى حاطبَ بنَ الحارث ابن قَيْس بن هَيْشَة بن الحارث بن أمية بن معاوية بن مالك بن عَوْف بن عَمْرو ابن عَوْف بن مالك بن الأوس، كان قتل يهوديًّا جاراً للخَزْرج، فخرج إليه يزيدُ[3] بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحمرَ بن حارثة بن ثَعْلبة بن كعب ابن الخزرج بن الحارث بن الخزرج – وهو الذى يقال له: ابن فُسْحمُ، وفُسْحمُ[4] أمه، وهى امرأة من القَيْن بن جَسْر – ليلاً فى نفر من بَنى الحارث بن الخزرج فقتلوه، فوقعت الحرب بين الأوس والخزرج فاقتتلوا قتالا شديداً، فكان الظفر للخزرج على الأوس، وقُتل يومئذٍ سُوَيد بن صامت بن خالد بن عطيّة بن حَوْط ابن حَبيب بن عَمْرو بن عوف بن مالك بن الأوس، قتله المُجذَّر بن[5] ذِياد البلوى، واسمه عبد الله، حليف بنى عَوْف بن الخزرج. فلما كان

حرب حاطب

(١) فى ا: «والبغى».

(٢) القصد: جمع قصدة، وهى القطعة المتكسرة. والعوالى: الرماح.

(٣) كذا فى ا. وفى سائر الأصول: «زيد». وهو تحريف. (راجع شرح القاموس مادة فسحم).

(٤) كذا فى ا. وفى سائر الأصول: «قسحم» بالقاف فى الموضعين وهو تصحيف. (راجع شرح القاموس مادة فسحم).

(٥) ضبط فى شرح: أسماء أهل بدر للدبرتى المخطوط والمحفوظ بدار الكتب المصرية (تحت رقم ١٤٢٠ تاريخ) بضم الميم وفتح الجيم وتشديد الذال المعجمة المفتوحة ثم راء. وذياد: بكسر الذال المعجمة وتخفيف المثناة من تحت بعدها ألف آخره دال مهملة، ويقال فيه ذياد بفتح الدال المعجمة وتشديد المثناة.

يوم أُحد خرج المجذّر بن ذياد مع رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وخرج معه الحارث بن سُوَيد بن صامت ، فوجد الحارثُ بن سُوَيد غِرّة[1] من المُجذَّر فقتله بأبيه . وسأذكر حديثَه فى موضعه إن شاء الله تعالى . ثم كانت بينهم حروب منعنى من ذكرها واستقصاء هذا الحديث ما ذكرت فى [حديث][2] حرب داحس.

شعر حكيم ابن أمية فى صد قومه عن عداوة النبى صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق :

وقال حَكيم بن أمية بن حارثة بن الأَوْقص السُّلمى ، حليف بنى أمية ، وقد أسلم ، يورّع[3] قومَه عمّا أجمعوا عليه من عداوة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وكان فيهم شريفاً مُطاعا :

هل قائلٌ قولاً هو[4] الحق قاعدٌ ... عليه وهل غَضْبانُ للرُّشْد سامعُ
وهل سيِّد تَرجو العشيرةُ نَفْعَه ... لأقصَى المَوالى والأقارب جامعُ
تبرّأتُ إلا وجهَ مَنْ يملكُ الصَّبا ... وأهجُرُكم ما دام مُدْلٍ ونَازِع[5]
وأُسْلِم وَجْهى للإله ومنْطقى ... ولو راعنى مِنَ الصَّديق روائع

ذكر ما لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه

سفهاء قريش ورميه صلى الله عليه وسلم بالسحر والجنون

قال ابن إسحاق :

ثم إن قريشا اشتد أمرهم للشقاء الذى أصابهم فى عداوة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومَنْ أسلم معه منهم، فأَغْرَوْا برسول الله صلّى الله عليه وسلّم : سفهاءَهم ، فكذّبوه وآذَوْه ورموه بالشعر والسِّحر والكَهانة والجُنون ، ورسولُ الله صلّى الله

---

(١) غرة : غفلة .
(٢) زيادة عن ا .
(٣) يورع . يصرف ويرد .
(٤) كذا فى ا وفى سائر الأصول : « من الحق » .
(٥) المدلى : المرسل الدلو . والنازع : الجاذب لها .

عليه وسلّم مُظْهِرٌ لأمر الله لا يَستخفى به، مُبادٍ لهم بما يكرهون من عَيْب دينهم، واعتزال أوثانهم، وفراقه إيّاهم على كفرهم.

حديث ابن العاص عن أكثر مارأى قريشا نالته من رسول الله صلى الله عليه سلم

قال ابن إسحاق: فحدّثنى يَحْيى بنُ عروة بن الزبير عن أبيه عُرْوة ابن الزبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال:

٥ قلت له: ما أكثرُ ما رأيتَ قريشاً أصابوا من رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم فيما كانوا يُظْهِرون من عداوته؟ قال: حضرتُهم، وقد اجتمع أشرافهم يومًا فى[1] الحِجْر، فذكروا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فقالوا: ما رأينا مثلَ ما صَبَرْنا عليه من أمر هذا الرجل قطُّ، سفّه أحلامَنا، وشتم آباءنا، وعاب دِيننا، وفرّق جماعَتنا، وسبّ آلهتنا، لقد صبرنا منه على أمرٍ عظيم، أو كما قالوا. فبينا هم ١٠ فى ذلك إذ طلع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فأقبل يمشى حتى استلم الركنَ، ثم مرّ بهم طائفاً بالبيت، فلما مرّ بهم غمزوه[2] ببعض القول. قال: فعرفت ذلك فى وجه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. قال: ثم مضى، فلما مرّ بهم الثانيةَ غمزوه بمثلها، فعرفتُ ذلك فى وجه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؛ ثم مرّ بهم الثالثةَ فغمزوه بمثلها، فوقف ثم قال: أتسمعون يامعشرَ قُريش، أما والذى ١٥ نفسى بيده، لقد جِئْتكم بالذَّبْح[3]. قال: فأخذت القومَ كلمتُه حتى مامنهم رجلٌ إلا كأنما على رأسه طائرٌ واقع، حتى إن أشدّهم فيه وصاةً[4] قَبْلَ ذلك لَيَرْفَؤُه[5] بأحسن مايجدُ من القول، حتى إنه ليقول انصرفْ يا أبا القاسم، فوالله ما كنتَ جهولاً. قال: فانصرف رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم، حتى إذا كان

---

(١) كذا فى ا. وفى سائر الأصول: يوافى الحجر، وهو تحريف.

٢٠ (٢) غمزوه: طعنوا فيه.

(٣) كذا فى ا. والنهاية لابن الأثير (مادة رفأ). ولعله مجاز عن الهلاك. ومنه فى حديث القضاء: من تصدى للقضاء وتولاه، فقد تعرض للذبح فليتحذره. وفى سائر الأصول: «الذبيح».

(٤) الوصاة: الوصية.

٢٥ (٥) يرفأه: يهدئه ويسكنه ويرفق به ويدعو له.

القدُ اجتمعوا فى الحِجْر وأنا معهم ؛ فقال بعضُهم لبعض ذكرتم مابلغ منكم ، وما بلغكم عنه ، حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه. فبينماهم فى ذلك طلع [عليهم][1] رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فوثبوا إليه وثبةَ رجلٍ واحد، وأحاطوا به يقولون : أنت الذى تقول كذا وكذا ، لِمَا كان يقول من عَيْب آلهتهم ودينهم ؛ فيقول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : نعم ، أنا الذى أقول ذلك . قال : فلقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجمع ردائه . قال : فقام أبو بكر رضى الله عنه دونه ، وهو يبكى ويقول : أتقتلون رجلاً أنْ يقول ربّى الله ! ثم انصرفوا عنه فإنّ ذلك لأشدّ مارأيتُ قريشاً نالوا منه قطُّ .

بعض ما نال أبا بكر فى سبيل الرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق وحدّثنى بعضُ آل أُمّ كلثوم بنت أبى بكر، أنها قالت : [لقد][1] رجع أبو بكر يومئذٍ وقد صَدَعوا[2] فَرْق[3] رأسه ، ممّا جَبذوه بلحْيته ، وكان رجلاً كثيرَ الشعر .

أشد ما أوذى به الرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن هشام : حدثنى بعض أهلِ العلم :

إن أشد مالقى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من قريش أنه خرج يومًا فلم يَلْقه أحدٌ من الناس إلا كذّبه وآذاه ، لاحُرٌّ ولا عَبْد ، فرجع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى منزله ، فتدثّر من شدّة ما أصابه ، فأنزل الله تعالى عليه : « يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ[4] » .

---

(١) زيادة عن ا .

(٢) صدعوا : شقوا .

(٣) الفرق : حيث يتفرق الشعر فى مقدم الجبهة .

(٤) قال السهيلى : « قال بعض أهل العلم : فى تسميته إياه بالمدثر فى هذا المقام ملاطفة وتأنيس ، ومن عادة العرب إذا قصدت الملاطفة أن تسمى المخاطب باسم مشتق من الحالة التى هو فيها ، كقوله عليه السلام لحذيفة : قم يانومان . وقوله لعلى بن أبى طالب ، وقد ترب جنبه : قم أبا تراب . فلوناداه سبحانه وهو فى تلك الحال من الكرب باسمه ، =

إسلام حمزة رحمه الله[1]

أذاةأبي جهل للرسول صلى الله عليه وسلم ووقوف حمزة على ذلك

قال ابن إسحاق : حدّثنى رجلٌ من أَسْلَم ، كان واعيةً :

أن أبا جهل مرّ برسول الله صلّى الله عليه وسلّم عند الصّفا فآذاه وشتمه ونال منه بعضَ ما يكره ، من العَيْب لدينه والتضعيف لأمره ، فلم يكلّمه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، ومولاةٌ لعبد الله بن جُدْعان بن عمرو بن كَعْب بن سَعْد ابن تَيْم بن مُرّة فى مَسْكَن لها تسمع ذلك ، ثم انصرف عنه ، فعَمَد إلى نادٍ[2] من قريش عند الكعبة فجلس معهم . فلم يلبث حمزةُ بن عبد المطلب رضى الله عنه أن أَقْبل متوشّحا[3] قوسَه راجعاً من قَنَص[4] له ، وكان

= أو بالأمر المجرد من هذه الملاطفة لما له ذلك ، ولكن لما بدئ يأيها المدثر أنس ، وعلم أن ربه راض عنه ، ألا تراه كيف قال عند مالقى من أهل الطائف من شدة البلاء والكرب مالقى : رب إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى . إلى آخر الدعاء ، فكان مطلوبه رضا ربه ، وبه كانت تهون عليه الشدائد » . ثم قال : « فإن قيل : كيف ينتظم « يأيها المدثر » مع قوله : « قم فأنذر » ؟ وما الرابط بين المعنيين حتى يلتئما فى قانون البلاغة ويتشاكلا فى حكم الفصاحة ؟ قلنا : من صفته عليه السلام ما وصف به نفسه حين قال : أنا النذير العريان . وهو مثل معروف عند العرب ، يقال لمن أنذر بقرب العدو وبالغ فى الإنذار : هو النذير العريان . وذلك أن النذير الجاد يجرد ثوبه ، وهو يشير به إذا خاف أن يسبق العدو صوته . وقد قيل : إن أصل المثل لرجل من خثعم ، سلبه العدو ثوبه ، وقطعوا يده ، فانطلق إلى قومه نذيرا على تلك الحال ، فقوله عليه السلام : أنا النذير العريان ، أى مثلى مثل ذلك . والتذير بالثياب مضاد للتعرى ؛ فكان فى قوله : « يأيها المدثر » . مع قوله : « قم فأنذر » ، والنذير الجاد يسمى العريان ، تشاكل بين ، والتئام بديع ، وسياقة فى المعنى ، وجزالة فى اللفظ » .

(١) وأم حمزة : هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة ، وأهيب عم آمنة بنت وهب ، تزوجها عبد المطلب وتزوج ابنه عبد الله آمنة فى ساعة واحدة ، فولدت هالة لعبد المطلب حمزة ، وولدت آمنة لعبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أرضعتهما ثويبة .

(٢) النادى : مجلس القوم .

(٣) متوشحا : متقلدا .

(٤) القنص (بالفتح وبالتحريك) : الصيد .

صاحب قَنَص يَرْميه ويخرج له ، وكان إذا رجع من قنصه لم يصلْ إلى أهله حتى يطوف بالـكعبة ، وكان إذا فعل ذلك لم يمرّ على نادٍ من قُريش إلا وقف وسلّم وتحدّث معهم ، وكان أعزّ فتى فى قريش وأشدّ شَكِيمة . فلما مر بالمَوْلاة ، وقد رجع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى بيته ، قالت له : ياأبا عُمارة ، لورأيتَ مالقى ابنُ أخيك محمدٌ آنفاً من أبى الحَـكَم بن هشام : وَجَده هاهنا جالساً فآذاه وسبّه و بلغ منه مايكره ، ثم انصرف عنه ولم يكلّمه محمدٌ صلّى الله عليه وسلّم

إيقاع حمزة بأبى لهب وإسلامه

فاحتمل حمزةَ الغضبُ لِما أراد الله به من كرامته ، فخرج يسعى ولم يَقِفْ على أحد ، مُعِدّاً لأبى جهل إذا لَقِيه أن يُوقع به ، فلما دخل المسجدَ نظر إليه جالساً فى القومِ فأقبل نحوه ، حتى إذا قام على رأسه رفع القوسَ فضربه بها فشجّه شجةً مُنكرة ثم قال : أتشتمُه وأنا على دينه أقول ما يقول ؟ فرُدَّ ذلك علىّ إن استطعتَ . فقامت رجالٌ من بَنى مَخْزوم إلى حَمْزة لينصروا أبا جهل ؛ فقال أبو جهل : دعُوا أبا عُمارة ، فإنى والله قد سَبَبْتُ ابنَ أخيه سَبًّا قبيحا ، وتَمّ حمزةُ رضى الله عنه على إسلامه ، وعلى ما تابع عليه رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم من قوله . فلما أسلم حمزةُ عرفت قريشٌ أن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قد عزّ وامتنع ، وأنّ حمزةَ سيمنعه ، فكفُّوا عن بعض ما كانوا ينالون[1] منه .

---

(١) وزاد غير ابن إسحاق فى إسلام حمزة أنه قال : لما احتملنى الغضب وقلت : أنا على قوله ، أدركنى الندم على فراق دين آبائى وقومى ، وبت من الشك فى أمر عظيم لا أكتحل بنوم ، ثم أتيت الكعبة وتضرعت إلى الله سبحانه أن يشرح صدرى للحق ويذهب عنى الريب ، فما استتممت دعائى حتى زاح عنى الباطل وامتلأ قلبى يقينا ، فغدوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بما كان من أمرى فدعا لى بأن يثبتنى الله . وقال حمزة حين أسلم أبياتا ، منها :

حمدت الله حين هدى فؤادى　　إلى الإسلام والدين الحنيف
لدين جاء من رب عزيز　　خبير بالعباد بهم لطيف
إذا تليت رسائله علينا　　تحدر دمع ذى اللب الحصيف
رسائل جاء أحمد من هداها　　بآيات مبينة الحروف

قول عتبة بن ربيعة فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

ما دار بين عتبة وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدّثنى يزيد بن زياد عن محمد بن كَعْب القرظىّ قال : حُدِّثت أن عُتبة بن ربيعة ، وكان سيّداً ، قال يوما وهو جالس فى نادى قريش، ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم جالس فى المسجد وحدَه : يامعشر قريش ، ألا أقوم إلى محمد فأكلِّمَه وأعْرِضَ عليه أموراً لعلّه يقبل بعضَها فنعطيه أيّها شاء ، ويكفّ عنا ؟ وذاك حين أسلم حمزةُ ورأوا أصحابَ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم يَزيدون ويكثُرون ؛ فقالوا بلى ياأبا الوليد ، قُمْ إليه فكلِّمه ؛ فقام إليه عُتبةُ حتى جلس إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم فقال : يابن أخى ، إنك منّا حيث قد علمتَ من السِّطة[1] فى العشيرة، والمكان فى النسب، وإنك قد أتيتَ قومك بأمر عظيم فرّقت به جماعتهم ، وسفّهت به أحلامهم ، وعِبْت به آلهتهم ودينَهم ، وكفّرت به مَنْ مضى من آبائهم ، فاسمع منِّى أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها[2] بعضَها . قال : فقال له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : قُلْ يا أبا الوليد ، أَسْمَع ؛ قال : يابن أخى ، إن كنت إنما تريد بما جئتَ به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكونَ أكثرنا مالاً ، وإن كنتَ تريد به شرفاً سوّدناك علينا ، حتى لا نقطع أمرًا دونك ، وإن كنت تريد به مُلْكاً ملّكناك علينا ؛ وإن كان هذا الذى يأتيك رَئِيًا[3] تراه لا تَستطيع ردَّه عن نفسك، طَلَبْنا لك الطبَّ ، وبذلنا فيه أموالَنا حتى نُبرئك منه ، فإنه ربما

---

(١) كذا فى ا . والسطة : الشرف . وفى سائر الأصول : « البسطة » .

(٢) فى ا : « منا » .

(٣) الرئى (بفتح الراء وكسرها) : ما يتراءى للإنسان من الجن .

غلب التابعُ[1] على الرجل حتى يُداوَى منه ، أو كما قال له . حتى إذا فرغ عتبةُ ، ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يستمع منه ، قال : أقد فرغتَ يا أبا الوليد ؟ قال : نعم ؛ قال فَاسمعْ منّى ؛ قال : أفعل ؛ فقال : « بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . حٰمٓ . تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ . وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِى أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ » . ثم مضى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فيها يقرؤها عليه . فلما سمعها منه عتبةُ أنصت لها وألْقَى يَدَيْهِ خَلْفَ ظهره معتمداً عليهما يسمع منه ؛ ثم انتهى رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلّم إلى السجدة منها ، فسجد ثم قال : قد سمعتَ يا أبا الوليد ما سمعتَ ، فأنت وذاك .

ما أشار به عتبة على أصحابه

فقام عتبةُ إلى أصحابه ، فقال بعضُهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوَجْه الذى ذهب به . فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال ورائى أنّى قد سمعتُ قولاً والله ما سمعتُ مثلَه قطُّ ، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكِهانة ، يامعشرَ قُريش ، أطيعونى واجعلوها بى ، وخلّوا بين هذا الرجل و بين ما هو فيه فاعتزِلوه ، فوالله ليكوننّ لقوله الذى سمعتُ منه نبأٌ عظيم ، فإن تُصبْه العربُ فقد كُفيتموه بغيركم ، و إن يَظْهَرْ على العرب فمُلْكُه مُلْككم ، وعزّه عزّكم ، وكنتم أسعدَ الناس به ؛ قالوا : سَحَرك والله يا أبا الوليد بلسانه ؛ قال هذا رَأْيى فيه ، فاصنعُوا ما بدا لكم .

---

(1) التابع : من يتبع من الجن .

ما دار بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين رؤساء قريش وتفسير لسورة الكهف

استمرار قريش على تعذيب من أسلم

قال ابن إسحاق :

ثم إن الإسلام جعل يَفْشو بمكة فى قبائل قُريش فى الرجال والنّساء ، وقريش تحبِس مَنْ قَدَرت على حَبْسه وتَفْتِن من استطاعت فِتْنَتَه من المسلمين ثم إن أشراف قُريش من كل قَبيلة ، كما حدّثنى بعضُ أهل العلم عن سَعيد ابن جبير وعن عِكْرمة مولى ابنْ عبّاس عن عبدالله بن عبّاس رضى الله عنهما قال

حديث رؤساء قريش مع الرسول صلى الله عليه وسلم

اجتمع عُتْبة بن ربيعة ، وشَيْبة بن ربيعة ، وأبو سُفيان بن حَرْب ، والنَّضْر ابن الحارث [بن كَلَدة][1] ، أخو بنى عبد الدّار ، وأبو البَخْترى بن هشام ، والأسودُ ابن المطّلب بن أسَد ، وزَمَعة بن الأسود ، والوليد بن المُغيرة ، وأبو جهل بن هشام وعبدُ الله بن أبى أُمية ، والعاصُ بن وائل ، ونبيه ومنبّه ابنا الحجّاج السَّهْميّان[2] ، وأُمية بن خلف ، أو من اجتمع منهم . قال : اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظَهْر الكعبة ، ثم قال بعضهم لبعض : ابعثوا إلى محمد فكلّموه وخاصموه حتى تُعْذِروا فيه فبعثوا إليه : إن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلّموك ، فأتِهم ؛ فجاءهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم سريعاً ، وهو يظن أنْ قد بدا لهم فيما كلّمهم فيه بَداء ، وكان عليهم حريصاً يحبّ رشدَهم ويعزّ عليه عَنَتهم[3] ، حتى جلس إليهم ؛ فقالوا له : يا محمد ، إنا قد بعثنا إليك لنكلّمك ، وإنا والله ما نعلم رجلاً من العرب أَدْخل على قومه مثلَ ما أدخلتَ على قومك ، لقد شتمتَ الآباء ، وعِبْتَ الدينَ ، وشتمتَ الآلهة ، وسفّهت الأحلامَ ، وفرّقت

---

(١) زيادة عن ا .

(٢) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « . . . الحجاج والسهميان » . وهو تحريف .

(٣) العنت : ماشق على الإنسان فعله .

الجماعة ، فما بقى أمرٌ قبيح إلا قد جِئتَه فيما بيننا و بينك ـ أو كما قالوا له ـ فإن كنتَ إنما جئتَ بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرَنا مالاً ، وإن كنتَ إنما تطلب به الشرَفَ فينا فنحن نسوّدك علينا ، وإن كنتَ تريد به مُلكاً ملّكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك رَئِيًا تراه قد غلب عليك ـ وكانوا يسمون التابع من الجن رئيا ـ فربما كان ذلك ، ٥ بذلنا لك أموالَنا فى طَلب الطبّ لك حتى نُبرئك منه ، أو نُعذِر فيك ؛ فقال لهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : ما بى ما تقولون ، ما جئتُ بما جئتُكم به أطلبُ أموالَكم ولا الشرفَ فيكم ، ولا المُلْك عليكم ، ولكنّ اللهَ بعثنى إليكم رسولاً ، وأنزل علىّ كتاباً ، وأمرنى أن أكون لكم بشيرًا ونذيرًا ، فبلّغتكم رسالاتِ ربى ونصحتُ لكم ، فإن تقبلوا منّى ما جئتُكم به فهو حظّكم فى الدنيا والآخرة ، ١٠ وإن تردّوه علىّ أصبرْ لأمر الله ، حتى يحكم اللهُ بينى و بينكم ، أو كما قال صلّى الله عليه وسلّم . قالوا : يا محمد ، فإن كنت غيرَ قابل منّا شيئاً مما عرَضْناه عليك فإنك قد علمتَ أنه ليس من الناس أحدٌ أضيقَ بلداً ، ولا أقلّ ماء ، ولا أشدّ عيشاً منّا ، فسَلْ لنا ربّك الذى بعثك بما بعثك به فليسيّر عنّا هذه الجبالَ التى قد ضيّقت علينا ، وليبسط لنا بلادَنا ، وليفجّر[1] لنا فيها أنهارًا كأنهار الشام والعراق ، ١٥ وليبعث لنا مَن مضى من آبائنا ، وليكن فيمن يُبعث لنا منهم قُصىّ بن كِلاب ، فإنه كان شيخَ صدْق ، فنسألهم عما تقول : أحقّ هو أم باطل ، فإن صدّقوك وصنعتَ ما سألناك صدّقناك ، وعرَفنا به منزلتَك من الله ، وأنه بعثك رسولاً كما تقول . فقال لهم صلواتُ الله وسلامُه عليه : ما بهذا بُعِثْتُ إليكم ، إنما جئتُكم من الله بما بعثنى به ، وقد بلّغتكم ما أُرْسِلت به إليكم ، فإن تقبلوه ٢٠ فهو حظّكم فى الدنيا والآخرة ، وإن تردّوهُ علىّ أصبر لأمر الله تعالى حتى

(١) فى ا : « وليخرق » .

يحكم اللهُ بينى[1] و بينكم ؛ قالوا : فإذ لم تفعل هذا لنا فخُذْ لنفسك ، سَلْ ربَّك أن يبعث معك ملكاً يصدّقك بما تقول ، و يراجعنا عنك ، وسَلْه فليجعل لك جِناناً وقُصورًا وكنوزاً من ذهب وفضّة يُغنيك بها عما نراك تَبْتغى ؛ فإنك تقوم بالأسواق كما نقوم ، وتلتمس المعاشَ كما نلتمسه ، حتى نعرفَ فضلك ومنزلَتك من

(١) قال السهيلى : « وذكر ماسأله قومه من الآيات وإزالة الجبال عنهم وإنزال الملائكة عليه وغير ذلك جهلا منهم بحكمة الله تعالى فى امتحانه الخلق وتعبدهم بتصديق الرسل ، وأن يكون إيمانهم عن نظر وفكر فى الأدلة ، فيقع الثواب على حسب ذلك ، ولوكشف الغطاء وحصل لهم العلم الضرورى بطلت الحكمة التى من أجلها يكون الثواب والعقاب ، إذ لايؤجر الإنسان على ماليس من كسبه كما لايؤجر على ماخلق فيه من لون وشعر ونحو ذلك ، وإنما أعطاهم من الدليل مايقتضى النظر فيه العلم الكسبي ، وذلك لايحصل إلا بفعل من أفعال القلب ، وهو النظر فى الدليل وفى وجه دلالة المعجزة على صدق الرسول ، وإلا فقد كان قادرا سبحانه أن يأمرهم بكلام يسمعونه ويغنيهم عن إرسال الرسل إليهم ، ولكنه سبحانه قسم الأمر بين الدارين فجعل الأمر بعلم فى الدنيا بنظر واستدلال وتفكر واعتبار ، لأنها دار تعبد واختبار ، وجعل الأمر بعلم فى الآخرة بمعاينة واضطرار لايستحق به ثواب ولاجزاء ، وإنما يكون الجزاء فيها على ماسبق فى الدار الأولى ، حكمة دبرها وقضية أحكمها ، وقد قال الله تعالى : « وما منعنا أن نرسل بالآيات إلاأن كذب بها الأولون » ، يريد فيما قال أهل التأويل: أن التكذيب بالآيات نحو ما سألوه من إزالة الجبال عنهم ، وإنزال الملائكة يوجب فى حكم الله ألا يلبث الكافرين بها ، وأن يعاجلهم بالنقمة كما فعل بقوم صالح وبآل فرعون ، فلو أعطيت قريش ماسألوه من الآيات وجاءهم بما اقترحوا ثم كذبوا لم يلبثوا ، ولكن الله أكرم محمداً فى الأمة التى أرسله إليهم، إذ قد سبق فى علمه أن يكذب به من يكذب ويصدق به من يصدق، وابتعثه رحمة للعالمين بر وفاجر وأما البر فرحمته إياهم فى الدنيا والآخرة ، وأما الفاجر فإنهم أمنوا من الخسف والغرق وإرسال حاصب عليهم من السماء ، كذلك قال بعض أهل التفسير فى قوله : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » . مع أنهم لم يسألوا ماسألوا من الآيات إلا تعنتا واستهزاء لاعلى جهة الاسترشاد ودفع الشك ، فقد رأوا من دلائل النبوة مافيه شفاء لمن أنصف . قال الله سبحانه : « أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب » الآية . وفى هذا المعنى قيل :

لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت بداهية تنبيك بالخبر

وقد ذكر ابن إسحاق فى غير هذه الرواية أنهم سألوه أن يجعل لهم الصفا ذهبا ، فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو الله لهم فنزل جبريل فقال لهم : ما شئتم ، إن شئتم فعلت ماسألتم ، ثم لانلبثكم إن كذبتم بعد معاينة الآية ؛ فقالوا : لاحاجة لنا بها » .

ربك إن كنت رسولاً كما تزعم ؛ فقال لهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : ماأنا بفاعل ، وما أنابالذى يسأل ربَّه هذا ، ومابُعِثْت إليكم بهذا ، ولكن الله بعثنى بشيراً ونذيراً ـ أو كما قال ـ فإن تقبلوا ما جئتُكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وإن تردُّوه علىّ أصبرْ لأمر الله حتى يحكم الله بينى و بينكم ؛ قالوا : فاسْقِطالسماءعلينا كِسَفاً كما زعمتَ أن ربَّكَ إنْشاء فعل ، فإنّا لانؤمن لك إلا أن تفعل قال : فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : ذلك إلى الله، إن شاء أن يفعله بكم فعل ؛ قالوا : يا محمد ، اما عَلِم ربُّك أنّا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه ، ونطلب منك مانطلب ، فيتقدّم إليك فيُعلمك ماتُراجعنا به ، و يخبرك ما هو صانعٌ فى ذلك بنا ، إذ لم نقبل منك ما جئتنا به ! إنه قد بلغنا أنك إنما يعلّمك هذا رجلٌ باليمامة يقال له : الرحمن ، و إنا والله لا نؤمن بالرحمن أبدًا ، فقد أَعْذرنا إليك يا محمد ، و إنا والله لا نتركك وما بلغتَ منّا حتى نُهْلِكك أو تُهْلِكنا .
وقال قائلهم : نحن نعبد الملائكة، وهى بنات الله . وقال قائلهم : لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قَبيلاً .

حديث عبد الله ابن أبى أمية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

فلما قالوا ذلك لرسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، قام عنهم ، وقام معه عبدُ الله ابن أبى أُمَيَّة بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم ـ وهو ابن عمّته ، فهو لعاتكة بنت عبد المطلب ـ فقال له : يا محمد . عَرَض عليك قومُك ما عَرضوا فلم تقبلْه منهم ، ثم سألوك لأنفسهم أمورًا ليعرفوا بها منزلَتك من الله كما تقول ، ويصدّقوك ويَتّبعوك فلم تفعل ، ثم سألوك أن تأخذَ لنفسك ما يَعْرفون به فضلَك عليهم ومنزلَتك من الله فلم تفعل ، ثم سألوك أن تعجّل لهم بعضَ ما تخوّفهم به من العذاب فلم تفعل ـ أو كما قال له ـ فوالله لا أُومن بك أبدًا حتى تتّخذ إلى السماء سُلّماً ، ثم ترقَى فيه وأنا أنظر إليكَ حتى تأتيها ، ثم تأتىَ معك أربعةٌ من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول ، وايمُ الله ، لو فعلتَ ذلك ما ظننتُ أنّى أُصدقك[1] ، ثم

(١) وقد أسلم أبو أمية قبل فتح مكة .

انصرف عن رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم . وانصرف رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى أهله حزيناً آسفاً لما فاته مما كان يطمع به من قومه حين دَعَوْه ، ولما رأى من مُباعدتهم إياه .

ماتوعدبهأبو جهل رسول الله صلى الله عليه وسلم

فلما قام عنهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم . قال أبو جهل : يا معشر قريش ، إن محمداً قد أبى إلا مَا تَرَوْن من عَيْب ديننا ، وشَتْم آبائنا ، وتَسْفيه أحلامنا ، وشتْم آلهتنا ، وإنى أُعاهد الله لأجْلسَنّ له غداً بحَجَر ما أُطيق حَمْله ـ أو كما قال ـ فإذا سجد فى صلاته فَضَخْتُ به رأسه ، فأسْلِمونى عند ذلك أو امنعونى ، فليصنَعْ بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم ؛ قالوا والله لا نُسْلمك لشىء أبداً ، فامضِ لما تريد .

ماحدث لأبى جهل حين هم بإلقاء الحجر على الرسول صلى الله عليه وسلم

فلما أصبح أبو جهل أخذ حجراً كما وصف ، ثم جلس لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ينتظره ، وغدا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم كما كان يغدو . وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بمكّة وقِبْلته إلى الشام ، فكان إذا صلّى صلّى بين الركن اليمانى والحجر[1] والأسود ، وجعلَ الكعبة بينه وبين الشام ، فقام رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يصلّى ، وقد غدتْ قريش فجلسوا فى أَنْديتهم يَنْتظرون ما أبو جهل فاعل ، فلما سَجَد رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم احتمل أبوجهل الحَجَر ، ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه رَجَع منهزمًا منتقعاً لونهُ[2] مرعوبًا

---

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « . . . بين الركنين البرانى والأسود » . وقد عرض ابن بطوطة فى رحلته فى الجزء الأول (ص ٣١٥ طبع أوربا) للكلام على الأركان فقال : «ومن عند الحجر الأسود مبتدأ الطوف ، وهو أول الأركان التى يلقاها الطائف ، فإذا استلمه تقهقر عنه قليلا ، وجعل الكعبة الشريفة عن يساره ومضى فى طوافه ، ثم يلقى بعده الركن العراقى ، وهو إلى جهة الشمال ، ثم يلقى الركن الشامى وهو إلى جهة الغرب ، ثم يلقى الركن اليمانى وهو إلى جهة المغرب ، ثم يعود إلى الحجر الأسود وهو إلى جهة الشرق» .

(٢) منتقع : متغير .

قد يَبِست يداه على حَجَره ، حتى قَذَف الحَجَر من يده ، وقامت إليه رجالُ قُريش ، فقالوا له : ما لَك يا أبا الحكم ؟ قال : قمتُ إليه لأفعلَ به ما قلتُ لكم البارحةَ ، فلما دنوتُ منه عرَض لى دونه فَحْلٌ من الإبل ، لا والله مارأيتُ مثلَ هامَتِه ولا مثل قَصَرته[1] ولا أنيابه لِفَحْل قطُّ ، فهمّ بى أن يأكلنى[2]

قال ابن إسحاق :

فذُكِر لى أن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قال : ذلك جبريلُ عليه السلام ، لو دنا لأخذه .

نصيحة النضر لقريش بالتدبر فيما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم

فلما قال لهم ذلك أبو جَهْل ، قام النضرُ بن الحارث بن كَلَدَة بن عَلْقمة ابن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصىّ .

قال ابن هشام: ويقال النضر بنُ الحارث بن عَلْقمة بن كَلَدة بن عبد مناف .

قال ابن إسحاق :

فقال : يا معشر قريش ، إنه والله قد نزل بكم أمرٌ ما أتيتُم له بحيلة بعد ، قد كان محمد فيكم غلامًا حَدَثا أرْضاكم فيكم ، وأصدَقكم حديثاً ، وأعظمكم أمانة ، حتى إذا رأيتم فى صُدْغيه الشَّيبَ، وجاءكم بما جاءكم به، قلتم ساحرٌ، لاوالله ماهو بساحر، لقد رأينا السحرةَ ونَفْثهم وعَقْدهم[3]؛ وقلتم كاهن ، لاوالله ماهو بكاهن، قد رأينا الكَهنة وتخالُجهم ، وسَمِعْنا سَجْعهم ؛ وقلتم شاعر ، لا والله ماهو بشاعر ، قد رأينا الشعرَ وسَمِعْنا أصنافَه كلّها : هَزَجه ورَجزه ؛ وقلتم مجنون ، لا والله ماهو بمجنون ، لقد رأينا الجنونَ فما هو بخَنْقه ، ولا وَسْوسته ، ولا تَخْليطه ، يا معشر قريش ، فانظروا فى شأنكم ، فإنه والله لقد نزل بكم أمرٌ عظيمٌ .

---

(١) القصرة : أصل العنق .

(٢) وروى هذا الحديث النسوى بإسناده إلى أبى هريرة قال قال أبو جهل ، وذكر الحديث « . . . فقالوا : مالك ؟ فقال: إن بينى وبينه لخندقا من نار وهولا وأجنحة ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لودنا لاختطفته الملائكة عضوا عضوا » . (راجع الروض) .

(٣) العقد : بفتح وسكون ، أو بضم ففتح على أن يكون جمع عقدة ، وهى التى يعقدها الساحر فى الخيط ينفخ فيها بشىء يقوله بلا ريق أو معه .

ما كان يؤذى به النضر ابن الحارث رسول الله صلى الله عليه وسلم

وكان النَّضْر بن الحارث من شياطين قريش ، وممن كان يؤذِى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ويَنْصِب له العداوةَ ، وكان قد قَدِم الحِيرةَ ، وتعلّم بها أحاديثَ ملوك الفرس وأحاديث رُسْتُمَ واسبنديار[1] ، فكان إذا جلس رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم مجلساً فذكّر فيه بالله ، وحذّر قومه ما أصاب مَنْ قبلَهم من الأمم من نِقْمة الله ، خَلَفه فى مجلسه إذا قام ، ثم قال : أنا والله يا معشرَ قريش ، أحسنُ حديثاً منه ، فهلمّ إلىّ ، فأنا أحدّثكم أحسنَ من حديثه ، ثم يحدّثهم عن ملوك فارس ورُستم واسبنديار[1] ثم يقول: بماذا محمدٌ أحسنُ حديثاً منّى؟

قال ابن هشام : وهو الذى قال فيما بلغنى : سأُنزل مثلَ ما أنزل الله .

قال ابن إسحاق :

وكان ابن عبّاس رضى الله عنهما يقول ، فيما بلغنى : نزل فيه ثمان آيات من القرآن : قولُ الله عز وجل : « إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ » . وكلّ ما ذُكر فيه من الأساطير من القرآن .

أرسلت قريش النضر وابن أبى معيط إلى أحبار يهود يسألانهم عن محمد صلى الله عليه وسلم

فلما قال لهم ذلك النضرُ بن الحارث بعثوه ، وبعثوا معه عُقْبة بن أبى مُعَيط إلى أحبار يهود بالمدينة ، وقالوا لهما : سَلاهم عن محمّد ، وصِفاَ لهم صِفَته ، وأَخْبراهم بقَوْله ، فإنهم أهلُ الكتاب الأول ، وعندهم عِلْمٌ ليس عندنا من علم الأنبياء . فخرجا حتى قدما المدينةَ ، فسألا أحبارَ يهود عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ووَصَفا لهم أمْره ، وأخبراهم ببعض قوله ، وقالا لهم: إنكم أهلُ التوراة ، وقد جِئْناكم لتُخْبِرونا عن صاحبنا هذا ؛ فقالت لهما أحبار يهود : سَلوه عن ثلاثٍ نأمُركم بهنّ ، فإن أخبركم بهنّ فهو نبىّ مُرْسَل ، وإن لم يفعل فالرجلُ مُتقوِّل ، فَرَوْا فيه رَأيَكم . سَلوه عن فِتْيةٍ ذهبوا فى الدّهر الأول ما كان أمرهم ؛ فإنه قد كان لهم حديثٌ عَجب ؟ وسَلوه عن رجل طَوّاف قد بلغ مشارقَ الأرض ومغاربَها ،

(١) كذا فى ا . و فى م : « اسفنديار » . وفى سائر الأصول : « اسفندياذ »

ما كان نَبَؤُه ؟ وَسَلوه عن الرّوح ما هى ؟ فإذا أخبركم بذلك فاتّبعوه ، فإنه نبىّ ، وإن لم يفعل ، فهو رجلٌ متقوّلٌ ، فاصنعوا فى أمْره ما بدا لكم فأقبل النضرُ بن الحارث ، وعُقْبة بن أبى مُعيط بن أبى عمرو بن أمية بن عبدشَمْس بن عبد مناف ابن قُصَىّ حتى قدِما مكةَ على قُريش ، فقالا : يا معشر قريش ، قد جِئْناكم بفَصْل ما بينكم وبين محمّد ، قد أخبرَنا أحبارُ يهود أنْ نسأله عن أشياء أمَرونا بها ، فإن أخبركم عنها فهو نبىّ ، وإن لم يفعل فالرجلُ متقوّل ، فرَوْا فيه رأيكم .

سؤال قريش له صلى الله عليه وسلم عن أسئلة وإجابته لهم

فجاءوا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فقالوا : يا محمد ، أَخْبرنا عن فِتْية ذهبوا فى الدهر الأول قد كانت لهم قصّة عجب ؛ وعن رجل كان طوّافا قد بلغ مشارقَ الأرض ومغاربها ؛ وأَخْبرنا عن الرّوح ما هى ؟ قال : فقال لهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : أخبركم بما سألتم عنه غداً ولم يَسْتثن[1] ، فانصرفوا عنه . فمكث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم — فيما يذكرون — خمسَ[2] عشرةَ ليلةً لا يُحْدِث الله إليه فى ذلك وَحْياً ، ولا يأتيه جبريلُ ، حتى أرْجف[3] أهلُ مكة وقالوا : وَعَدَنا محمدٌ غداً واليوم خمسَ عشرةَ ليلةً ، قد أصبحنا منها لا يُخْبرنا بشىء مما سألناه عنه ، وحتى أحزنَ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم مُكثُ الوحى عنه ، وشقّ عليه ما يتكلّم به أهلُ مكة ؛ ثم جاءه جبريلُ من الله عزّوجلّ بسورة أصحاب الكهف ، فيها معاتبته إياه على حُزْنه عليهم ، وخبر ما سألوه عنه من أمر الله : الفِتية ، والرجل الطّواف ، والروح .

---

(١) كذا فى ا . يريد : لم يقل : إن شاء الله . وفى سائر الأصول : « لم يستثن » .

(٢) وفى سير التيمى وموسى بن عقبة : إن الوحى إنما أبطأ عنه ثلاثة أيام، ثم جاءه جبريل بسورة الكهف . (راجع الروض .

(٣) أرجف القوم : خاضوا فى الأخبار السيئة وذكر الفتن على أن يوقعوا فى الناس الاضطراب من غير أن يصح عندهم شىء .

ما أنزل الله في قريش حين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ففاب عنه الوحي مدة

قال ابن إسحاق :

فذُكر لى أن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قال لجبريل حين جاءه : لقد احتبستَ عنّى يا جبريل حتى سُؤت ظنًّا ؛ فقال له جبريل : « وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا » .

٥ فافتتح السورة تبارك وتعالى بحَمده وذِكْر نبوّة رسوله . لِمَا أنكروه عليه من ذلك ، فقال : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ » يعنى محمداً صلّى الله عليه وسلّم ، إنك رسول منّى : أى تحقيقٌ لما سألوه عنه من نبوّتك . « وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّماً » أى معتدلاً لا اختلاف فيه . « لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ » أى عاجل عقوبته فى الدنيا . « وَعَذَابًا أَلِيماً فى الْآخِرَةِ »

١٠ أى من عند ربك الذى بعثك رسولاً . « وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا » أى دار الخلد . « لاَ يَمُوتُونَ فِيهاً » الذين صدّقوك بما جئت به مما كذّبك به غيرهم وعملوا بما أمرتهم به من الأعمال . « وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا » يعنى قريشاً فى قولهم : إنا نعبد الملائكة ، وهى بناتُ الله . « مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلاَ لِآبَائِهِمْ » الذين

١٥ أعظموا فراقهم وعيْب دينهم . « كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ » أى لقولهم : إن الملائكة بناتُ الله. « إِنْ يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ » يا محمد « عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً » أى لحزنه عليهم حين فاته ما كان يرجو منهم ، أى لا تفعل .

قال ابن هشام : باخعُ نفسك ، أى مُهْلِك نفسَك ، فيما حدثنى أبو عُبيدة .

٢٠ قال ذو الرّمة :

أَلا أيّهذا الباخع الوَجْدُ نفسَه ... لشىء نَحَتْه عن يدَيْه المَقادِرُ

وجمعه : باخعون و بَخَعة . وهذا البيت فى قصيدة له . وتقول العرب : قد بخعتُ

له نُصْحى ونَفْسى ، أى جَهَدْت له . « إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً » .

قال ابن إسحاق : أى أيهم أتبع لأمْرِى، وأعمل بطاعتى . « وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزاً » أى الأرض ، وإن ما عليها لفانٍ وزائل ، وإن المرجع إلىَّ فأجزى كلاًّ بعمله ، فلا تأسَ ولا يحزنك ما تسمع وترى فيها . ٥

قال ابن هشام : الصعيد : الأرض ، وجمعه : صُعُد . قال ذو الرمّة يَصِف ظَبْياً صغيراً :

كأنّه بالضُّحى تَرْمى الصعيدَ به دَبّابةٌ فى عِظام الرأسِ خُرْطومُ[1]

وهذا البيت فى قصيدة له . والصعيد [أيضاً] : الطريق . وقد جاء فى الحديث : إياكم والقعودَ على الصُّعُدات . يريد الطرق . والجُرز : الأرض التى لا تُنبت شيئاً ، ١٠ وجمعها : أجراز . ويقال : سَنة جُرز ، وسنون أجراز ، وهى التى لا يكون فيها مطر ، وتكون فيها جُدوبة ويَبْس وشدّة . قال ذو الرمة يصف إبلاً :

طوى النحزُ[2] والأجْرازُ ما فى بُطونها فما بقيتْ إلا الضلوعُ الجَراشعُ[3]

وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : ١٥

ما أنزله الله تعالى فى قصة أصحاب الكهف

ثم استقبل قصه الخبر فيما سألوه عنه من شأن الْفتْية فقال : « أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً » أى قد كان من آياتى فيما وضعت على العباد من حُجَجى ما هو أعجب من ذلك .

قال ابن هشام : والرّقيم : الكتاب الذى رُقِم فيه بخبرهم[4]، وجمعه : رُقُم .

(١) كذا فى ا . والدبابة : الخمر . وفى سائر الأصول : « ذبابة » . وهو تصحيف . والخرطوم . الخمر أيضاً . ٢٠

(٢) كذا فى ا . والنحز : النخس . وفى سائر الأصول : « النحر » . بالراء المهملة ، وهو تصحيف .

(٣) الجراشع : المنتفخة المنسعة ، واحدها : جرشع .

(٤) كما قيل بأن الرقيم هو اسم الجبل الذى كان فيه الكهف ، أو اسم القرية التى كانوا فيها - كما قيل بأنه الدواة ، حكاه ابن دريد . ٢٥

قال العجّاج .

* ومستقرّ المُصْحف المرقَّم *

وهذا البيت فى أرجوزة له.

قال ابن إسحاق :

ثم قال تعالى : « إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا . فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِى الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا . ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا » . ثم قال تعالى : « نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ » أى بصدق الخبر عنهم « إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلٰهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا » أى لم يشركوا بى كما أشركتم بى ما ليس لكم به علم .

قال ابن هشام : والشطط : الغلوّ ومجاوزة الحق . قال أعشى بنى[1] قَيْس ابن ثعلبة .

لا يَنتهون ولا يَنْهى ذَوِى شَطَط كالطَّعْن يذهبُ[2] فيه الزيتُ والفُتُلُ

وهذا البيت فى قصيدة له :

« هٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ » .

قال ابن إسحاق : أى بحجة بالغة .

« فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّٰهِ كَذِبًا . وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللّٰهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا . وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِنْهُ » .

قال ابن هشام : تزاور : تميل ، وهو من الزور . وقال امرؤ القيس بن حُجْر:

---

(١) كذا فى ا وفى سائر الأصول : « بن » .

(٢) فى ا : « يهلك » .

وإنى زَعِيمٌ[1] إن رجعتُ مملَّكا ... بسَــيْرٍ ترى منه الفُرانِق أزْوَرا[2]

وهذا البيت فى قصيدة له . وقال أبو الزّحف الكُليبى[3] يصف بلداً :

جَأْبُ[4] المُندَّى[5] عن هَوانا أزْوَرُ ... يُنْضِى المَطايا خِمْسُه العَشَنْزَرُ[6]

وهذان البيتان[7] فى أرجوزة له. و « تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ » : تجاوزهم وتتركهم عن شمالها . قال ذو الرمة :

إلى ظعُنٍ يَقرِضْن أقْواز مُشْرِف ... شمالاً وعن أيمانهنّ الفوارسُ[8]

وهذا البيت فى قصيدة له . والفَجْوة : السّعة ، وجمعها : الفِجاء . قال الشاعر :

ألْبَسْت قومَك مَخْزاةً ومَنْقصةً ... حتى أُبيحوا وخلَّوْا فجوةَ الدارِ

« ذٰلِكَ مِنْ آيَاتِ ٱللهِ » أى فى الحجة على مَنْ عَرف ذلك مِنْ أُمورهم من أهل الكتاب ، مِمّن أمرهؤلاء بمسألتك عنهم فى صِدْق نبوّتك بتَحْقيق الخبر عنهم. « مَنْ يَهْدِ ٱللهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا . وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ » .

قال ابن هشام : الوصيد : الباب قال العَبْسى ، واسمه عُبَيْد بنُ وَهْب :

بأرضٍ فلاةٍ لا يُسَدّ وَصِيدُها ... علىّ ومعْروفى بها غــيرُ مُنْــكَرِ

(١) فى لسان العرب (مادة فرنق) : « أذين » .

(٢) الفرانق : الذى يسير بالكتب على رجليه ، والأزور : المائل .

(٣) كذا فى ا واللسان (مادة عشنزر) ، وفى سائر الأصول : « الكلبي » .

(٤) كذا فى الأصول. والجأب : الغليظ الجافى. وفى لسان العرب (مادة عشنزر) : « جلعب » .

(٥) المندى: مرعى الإبل إذا امتنعت عن شرب الماء .

(٦) ينضى: يهزل . وخمسه : هوأن ترد الإبل الماء عن خمسة أيام. والعشنزر: الشديد الخلق.

(٧) هذا على أنهما من مشطور الرجز .

(٨) الظعن : الإبل التى عليها الهوادج . وأقواز : جمع قوز ، وهو المستدير من الرمل . ومشرف : موضع . والفوارس (هنا) : رمال بعينها . ويروى :

* إلى ظعن يقرضن أجواز . . . . الخ *

والأجواز : جمع جوز ، وهو الوسط .

وهذا البيت فى أبيات له   والوصيد (أيضاً) : الفناء ، وجمعه : وصائد ، ووُصُد ، ووصدان ، وأُصُد ، وأصْدان .

« لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً » .

إلى قوله : « قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ » أهل السلطان والملك منهم : « لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً   سَيَقُولُونَ » يعنى أحبار يهود الذين أمروهم بالمسألة عنهم : « ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ » أى لا علم لهم . « وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّى أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِراً » أى لا تكابرهم . « وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَداً » فإنهم لا علم لهم بهم . « وَلَا تَقُولَنَّ لِشَىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذٰلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ[1] اللهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هٰذَا رَشَدًا » أى ولا تقولنّ لشىء سألوك عنه كما قلت فى هذا : إنى مخبركم غداً . واستثن شيئة[2] الله واُذكر ربك إذا نَسيت ، وقل عسى أن يَهْدِين ربّى لخير مما سألتمونى عنه رشداً ، فإنك لا تدرى ما أنا صانع فى ذلك . « وَلَبِثُوا فِى كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ[3] وَازْدَادُوا تِسْعاً » أى سيقولون ذلك . « قُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ

---

(١) فى الكلام حذف وإضمار تقديره : ولا تقولن إنى فاعل ذلك غدا إلا ذاكرا إلا أن يشاء الله، أو ناطقاً بأن يشاء الله .

(٢) كذا فى ا و ر . والشيئة : مصدر شاء يشاء . وفى سائر الأصول : « مشيئة »

(٣) كان القياس أن يقول « سنة » بدلا من : « سنين » . ولكن سنين هنا بدل مما قبله وليست مضافة . وفى العدول عن الإضافة إلى البدل حكمة عظيمة ، لأنه لو قال « سنة » لكان الكلام كأنه جواب لطائفة واحدة من الناس . والناس فيهم طائفتان : طائفة عرفوا طول لبثهم ولم يعلموا مقدار السنين ، فعرفهم أنها ثلاث مئة ، وطائفة لم يعرفوا طول لبثهم ولا شيئاً من خبرهم ، فلما قال ثلاث مئة معرفا للأولين بالمدة التى شكوا فيها ، مبينا للآخرين أن هذه الثلاث مئة سنون وليست أياما ولا شهورا . فانتظم البيان للطائفتين من ذكر العدد ، وجمع المعدود وتبين أنه بدل ، إذ البدل يراد به تبيين ما قبله . (راجع الروض) .

أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً »
أى لم يخف عليه شىء مما سألوك عنه .

ما أنزله الله تعالى فى خبر الرجل الطواف

وقال فيما سألوه عنه من أمر الرجل الطّواف : « وَيَسْئَلُونَكَ عَنْ ذِى الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً . إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً فَأَتْبَعَ سَبَباً » حتى انتهى إلى آخر قصة خبره . ٥

وكان من خبر ذى القرنين أنه أوتى مالم يُؤتَ أحدٌ غيره ، فمدّت له الأسبابُ حتى انتهى من البلاد إلى مشارق الأرض ومغاربها ، لا يطأ أرضاً إلا سُلِّط على أهلها ، حتى انتهى من المشرق والمغرب إلى ما ليس وراءه شىء من الخَلْق .

قال ابن إسحاق : فحدّثنى من يسوق الأحاديث عن الأعاجم فيما توارثوا من علمه . ١٠

أنّ ذا القرنين كان رجلاً من أهل مصر . اسمه مَرْزبان بن مَرْذبة اليونانى ، من ولد يونان بن يافث بن نوح .

قال ابن هشام: واسمه الأسكندر ، وهو الذى بنى الأسكندرية فنسبت إليه .

قال ابن إسحاق : وقد حدّثنى ثَوْر بن يزيد عن خالد بن مَعْدان الكَلاعىّ وكان رجلاً قد أدرك : ١٥

أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم سُئِل عن ذى القَرْنين[1] فقال : مَلِك مَسَح الأرض من تحتها بالأسباب .

وقال خالد :

---

(١) عقد السهيلى عن ذى القرنين والخلاف فى اسمه فصلا طويلا رأينا أن نمسك عنه إذ الخلاف فيه كثير ولا طائل تحته . ٢٠

سمع عمرُ بن الخطّاب رضى الله عنه رجلاً يقول : يا ذا القرنين ؛ فقال عمر اللهم غَفراً ، أمَا رضَيتم أن تَسمّوْا بالأنبياء حتى تَسّميتم بالملائكة[1]

قال ابن إسحاق :

الله أعلم أى ذلك كان ، أقال ذلك رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أم لا ،

٥ [فإن كان قاله][2] ، فالحق[3] ما قال .

ما أنزله الله تعالى فى أمر الروح

وقال تعالى فيما سألوه عنه من أمْر الروح : « وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً » .

---

(١) قال السهيلى : « وكان مذهب عمر رحمه الله كراهية التسمى بأسماء الأنبياء ، فقد أنكر على المغيرة تكنيته بأبى عيسى ، وأنكر على صهيب تكنيته بأبى يحيى ، فأخبره كل واحد ١٠ منهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كناه بذلك فسكت . وكان عمر إنما كره من ذلك الإكثار ، وأن يظن أن للمسلمين شرفا فى الاسم إذا سمى باسم نبى ، أو أنه ينفعه ذلك فى الآخرة ، فكأنه استشعر من رعيته هذا الغرض أو نحوه . وهو أعلم بما كره من ذلك ، وإلا فقد سمى بمحمد طائفة من الصحابة منهم أبو بكر وعلى وطلحة ، وكان لطلحة عشرة من الولد كلهم يسمى باسم نبى، منهم موسى بن طلحة، وعيسى، وإسحاق،ويعقوب،وإبراهيم، ومحمد. ١٥ وكان للزبير عشرة كلهم يسمى باسم شهيد ، فقال له طلحة : أنا أسميهم بأسماء الأنبياء وأنت تسميهم بأسماء الشهداء ؟ فقال له الزبير : فإنى أطمع أن يكون بنى شهداء ولا تطمع أنت أن يكون بنوك أنبياء . وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنه إبراهيم . والآثار فى هذا المعنى كثيرة . وفى السنن لأبى داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : سموا بأسماء الأنبياء ، وهذا محمول على الإباحة لا على الوجوب . وأما التسمى بمحمد، ففى مسند الحارث عن ٢٠ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من كان له ثلاثة من الولد ولم يسم أحدهم بمحمد فقد جهل . وفى المبسوط عن مالك أنه سئل عمن اسمه محمد ويكنى أبا القاسم ، فلم ير به بأسا . فقيل له : أكنيت ابنك أبا القاسم واسمه محمد ؟ فقال : ما كنيته بها ، ولكن أهله يكنونه بها . ولم أسمع فى ذلك نهيا ولا أرى بذلك بأسا ، وهذا يدل على أن مالكا لم يبلغه أولم يصح عنده حديث النهى عن ذلك ، وقد رواه أهل الصحيح ، فالله أعلم . ولعله بلغه حديث عائشة ٢٥ أنه عليه السلام قال : ما الذى أحل اسمى وحرم كنيتى ؟ وهذا هو الناسخ لحديث النهى . والله أعلم . وكان ابن سيرين يكره لكل أحد أن يتكنى بأبى القاسم ، كان اسمه محمدا أو لم يكن . وطائفة إنما يكرهونه لمن اسمه محمد . وفى المبسوط أيضا : أنه سئل عن التسمية بمهدى فكرهه وقال : وما علمه بأنه مهدى . وأباح التسمية بالهادى وقال : لأن الهادى هو الذى يهدى إلى الطريق . وقد قدمنا كراهية مالك بالتسمى بجبريل . وقد ذكر ابن إسحاق ٣٠ كراهية عمر للتسمى بأسماء الملائكة ، وكره مالك التسمى بياسين » .

(٢) زيادة عن ا .

(٣) فى الأصول : « الحق »

سؤال يهود المدينة للرسول صلى الله عليه وسلم عن المراد من قوله تعالى: «وما أوتيتم من العلم إلا قليلا».

قال ابن إسحاق : وحُدِّثت عن ابن عبّاس أنه قال :

لما قدم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم المدينةَ قالت أحبارُ يهود : يا محمد ، أرأيتَ قولَك : « وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً » إيانا تريد أم قومك ؟ قال : كُلاًّ ؛ قالوا : فإنَّك تتلو فيما جاءك : إنَّا قَدْ أُوتِينا التَّوْراة فيها بيَانُ كُلِّ شَيْء . فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : إنها فى عِلْم الله قليل ، وعندكم فى ذلك ما يَكفيكم لو أقمْتموه . قال . فأنزل الله تعالى عليه فيما سألوه عنه من ذلك : « وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » أى أن التوراة فى هذا من علم الله قليل .

ما أنزله الله تعالى بشأن طلبهم تسيير الجبال

قال : وأنزل الله تعالى عليه فيما سأله قومُه لأنفسهم من تَسْيير الجبال ، وتَقْطيع الأرض و بَعْث مَنْ مَضَى من آبائهم من الموتى : « وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلهِ الْأَمْرُ جَمِيعاً » أى لا أصنع من ذلك إلا ما شئت .

ما أنزله الله تعالى رداً على قولهم للرسول صلى الله عليه وسلم : خذ لنفسك

وأنزل عليه فى قولهم : خُذْ لنفسك ، ما سألوه أن يأخذَ لنفسه ، أن يجعل له جِناناً وقُصوراً وكُنوزاً ، ويبعث معه ملَكاً يصدّقه بما يقول ، ويردّ عنه : « وَقَالُوا مَالِ هٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلاَ أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَسْحُورًا انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً تَبَارَكَ الَّذِى إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذٰلِكَ » أى من أنْ تمشى فى الأسواق وتلتمس المَعاش « جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا »

وأنزل عليه فى ذلك من قولهم : « وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ

إِنهمْ لَيأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا » أى جعلت بعضكم لبعض بلاء لتصبروا ، ولو شئتُ أن أجعل الدنيا مع رُسلى فلا يُخالفوا لفعلت .

ماأنزله تعالى رداً على قول ابن أبى أمية

وأنزل الله عليه فيما قال عبدُ الله بن أبى أُمَيّة : « وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً . أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا . أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلاً . أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلاَّ بَشَراً رَسُولاً » .

قال ابن هشام : الينبوع : مانبع من الماء من الأرض وغيرها . وجمعه : ينابيع . قال ابن هَرْمة ، واسمه إبراهيم بن على[1] الفهرى[2]

وإذا هرقتَ بكلّ دارٍ[3] عَبرةً نُزِفَ الشئونُ ودَمْعك اليَنبوعُ[4]

وهذا البيت فى قصيدة له . والكِسَف : القِطَع من العذاب ، وواحدته . كِسْفة ، مثل سِدْرة وسدر . وهى أيضاً : واحدة الكِسْف . والقَبيل : يكون مقابلة ومعاينة ، وهو كقوله تعالى : « أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلاً » أى عَيانا وأنشدنى أبو عُبيدة لأعشى بنى قَيْسِ بن ثعلبة :

أُصالحكم حتّى تَبوءوا بمِثْلها كصَرْخةِ حُبْلى يَسَّرتها قَبِيلُها

(١) كذا فى الروض والأغانى . وفى الأصول : « إبراهيم بن عبد الله » .

(٢) كذا فى الأصول . وابن هرمة خلجى ، قال ابن قتيبة فى الطبقات : «هو من الخلج من قيس عيلان ؛ ويقال إنهم من قريش » . وفى الأغانى : أن نسبه ينتهى إلى قيس ابن الحارث . وقيس هم الخلج ، وكانوا فى عدوان ، ثم انتقلوا إلى بنى نصر بن معاوية بن بكر فلما استخلف عمر أتوه ليفرض لهم فأنكر نسبهم ، فلما تولى عثمان أثبتهم فى بنى الحارث ابن فهر ، وجعل لهم ديوانا فسموا الخلج ، لأنهم اختلجوا عما كانوا عليه من عدوان ، وقيل لأنهم نزلوا بموضع فيه خلج من ماء ونسبوا إليه .

(٣) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « واد » .

(٤) الشئون : مجارى الدمع . ونزف : ذهب .

يعني القابلة ، لأنها تقابلها وتقبل ولدها . وهذا البيت فى قصيدة له . ويقال : القَبيل : جمعه قُبُل ، وهى الجماعات ، وفى كتاب الله تعالى : « وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا » فقُبل : جمع قَبيل ، مثل سُبل جمع سَبيل ، وسُرُر جمع سَرير ، وقُمُص جمع قميص . والقَبيل (أيضاً) : فى مَثَل من الأمثال ، وهو قولهم : ما يعرف قَبيلاً من دَبير . أى لا يعرف ما أقبل مما أدبر قال الكُميت بن زيد :

تفرّقت الأمـــورُ بوَجْهَتَيْهم ... فما عرَفوا الدَّبير من القبيلِ

وهذا البيت فى قصيدة له ، ويقال : إنما أريد بهذا [القَبيل][1] : الفَتل ، فما فُتِل إلى الذراع فهو القَبيل ، وما فُتل إلى أطراف الأصابع فهو الدَّبير ، وهو من الإقبال والإدبار الذى ذكرت . ويقال : فَتْلُ المُغْزَل . فإذا فُتل [المغزل][1] إلى الركبة فهو القَبيل ، وإذا فُتل إلى الورِك فهو الدَّبير . والقَبيل (أيضاً) : قومُ الرجل . والزخرف : الذهب . والمزخرف : المزين بالذهب . قال العجاج :

مِنْ طَلَلٍ أمسى تخال المُصْحَفا ... رُســومَه والمُذْهَب المُزَخرَفا[2]

وهذان البيتان[3] فى أرجوزة له ، ويقال أيضاً لكل مُزَيّن : مُزَخرف .

ما أنزله الله تعالى رداً على قولهم: إنما يعلمك رجل باليمامة

قال ابن إسحاق :

وأنزل عليه فى قولهم : إنّا قد بَلَغنا أنك إنما يُعلّمك رجل باليمامة ، يقال له الرحمن[4] ، ولن نؤمن به أبداً : « كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ » .

---

(1) زيادة عن ا .
(2) هذا على أنه من مشطور الرجز . وإلا فهو بيت واحد .
(3) هذا على أنهما من مشطور الرجز .
(4) كان مسيلمة بن حبيب الحنفى ثم أحد بنى الدول قد تسمى بالرحمن فى الجاهلية ، وكان من المعمرين . ذكر وثيمة بن موسى أن مسيلمة تسمى بالرحمن قبل أن يولد عبد الله أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم . (راجع الروض الأنف) .

ما أنزله تعالى في أبي جهل وما هم به

وأنزل عليه فيما قال أبو جهل بن هشام، وما همّ به: «أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ».

قال ابن هشام: لنسفعاً: لنجذبنّ ولنأخذن. قال الشاعر:

قومٌ إذا سَمِعوا الصُّراخ رأيتَهم ... من بين مُلْجِمِ مُهْرِه أو سافِعِ[1]

والنادى. المجلس الذى يجتمع فيه القومُ ويقضون[2] فيه أمورَهم، وفى كتاب الله تعالى: «وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ» وهو الندىّ. [قال[3] عَبيد بن الأبرص:

أُذهب إليكَ فإنى من بنى أسد ... أهل الندىّ وأهل الجود والنادِى][4]

وفى كتاب الله تعالى: «وَأَحْسَنُ نَدِيًّا». وجمعه: أَنْدية. فليدع أهلَ ناديه. كما قال تعالى: «وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ» يريد أهل القرية. قال سلامة بن جَنْدل، أحدُ بنى سَعْد بن زَيد مناة بن تميم:

يَوْمان يومُ مَقامات وأنديةٍ ... ويومُ سَيْرٍ إلى الأعداء تَأْويبِ[5]

وهذا البيت فى قصيدة له. وقال الكُميت بن زَيْد:

لا مَهاذيرَ فى النَّدىّ مَكاثيـ ... ـر ولا مُصْمِتين بالإفحامِ[6]

---

(1) الصراخ: الاستغاثة. والسافع: الآخذ بالناصية

(2) كذا فى ا. وفى سائر الأصول: «ويفصون» بالصاد المهملة.

(3) زيادة عن ا

(4) ويروى:

* أهل القباب وأهل الجرد والنادى *

(5) التأويب: سير النهار كله.

(6) المهاذير: جمع مهذار، وهو الكثير الكلام من غير فائدة. وأصمت: تستعمل لازمة ومتعدية. والإفحام: انقطاع الرجل عن الكلام، إما عيا وإما غلبة.

وهذا البيت فى قصيدة له . ويقال النادى: الجلساء . والزبانية : الغلاظ الشداد ، وهم فى هذا الموضع : خَزَنة النار . والزبانية (أيضاً) فى الدنيا : أعوانُ الرجل الذين يخدمونه ويُعينونه ، والواحد : زِبْنِية . قال ابن الزِّبَعْرَى فى ذلك :

مَطاعيمُ فى المَقْرَى مَطاعينُ فى الوَغَى زبانيةٌ غُلْبٌ عِظامٌ حُلومُها[1]

يقول : شداد . وهذا البيت فى أبيات له . وقال صَخْر بن عَبْد الله الهُذَلىّ ، وهو صَخْر الغَىّ :

* ومِنْ كَبِير[2] نَفَرٌ زبانِيَهْ[3] *

وهذا البيت فى أبيات له

قال ابن إسحاق :

ماأنزله تعالى فيما عرضوه عليه ، عليه الصلاة والسلام من أموالهم

وأُنزل اللهُ تعالى عليه فيما عَرَضوا [عليه][4] من أموالهم : « قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيد » .

استكبار قريش عن أن يؤمنوا بالرسول صلى الله عليه وسلم

فلما جاءهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بما عَرفوا من الحق ، وعَرفوا صِدْقه فيما حدّث ، ومَوْقع نُبوّته فيما جاءهم به من علم الغُيوب حين سألوه عمّا سألوا عنه، حال الحسدُ منهم له بينهم وبين اتّباعه وتَصْديقه ، فَعتَوْا على الله وتَركوا أمرَه

---

(١) المقرى : من القرى ، وهو الطعام الذى يصنع للضيف . والوغى : الحرب . الغلب : الغلاظ الشداد .

(٢) كذا فى أكثر الأصول والروض وشرح السيرة . وكبير : حى من هذيل ، وهو كبير بن طابخة بن لحيان بن سعد بن هذيل . وفى أسد أيضاً : كبير بن غنم بن دودان بن أسد ، ومن ذريته بنو جحش بن رياب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير . ولعل الراجز أراد هؤلاء فإنهم أشهر . وبنو كبير أيضاً : بطن من بنى غامد ، وهم من الأزد . وفى ا : « كثير » .

(٣) وبعده : لوأن أصحابى بنو معاويه ماتركونى للذئاب العاديه

* ولا لبرذون أغر الناصيه *

(٤) زيادة عن ا .

عيانًا ، ولجّوا فيما هم عليه من الـكُفر ، فقال قائلهم : لا تَسْمعوا لهذا القرآن والغَوْا فيه لعلـكم تَغْلبون ، أى اجعلوه لغوًا و باطلاً ، واتخذوه هُزوًا لعلـكم تَغْلبونه بذلك ، فإنكم إن ناظرتموه أو خاصَمتموه يومًا غَلبكم .

تهكم أبى جهل بالرسول صلى الله عليه وسلم وتنفير الناس عنه

فقال أبو جهل يومًا وهو يهزأ برسول الله صلّى الله عليه وسلّم وما جاء به من الحق : يا معشر قريش ، يزعُم محمدٌ أنما جنودُ الله الذين يعذّبونكم فى النار ويَحْبسونكم فيها تسعةَ عشرَ، وأنتم أكثر الناس عددًا ، وكَثْرةً، أفيعجزُ[1] كلُّ مئة رجلٍ منكم عن رجل منهم ! فأنزل اللهُ تعالى عليه فى ذلك من قوله : « وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلاَئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا » إلى آخر القصة فلما قال ذلك بعضُهم لبعض ، جعلوا إذا جَهر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بالقرآن وهو يصلّى يتفرّقون عنه و يأبون أن يَسْتمعوا له ، فكان الرجلُ منهم إذا أراد أن يَسْتمع من رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم بعضَ ما يتلو من القرآن وهو يُصلّى، استرق[2] السمعَ دونهم فَرَقًا منهم ، فإن رأى أنهم قد عَرفوا أنه يَسْتمع منه ذهب خَشْيَةَ أذاهم فلم يستمع ، و إن خَفَض رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم صوتَه ، فظنّ الذى يستمع أنهم لا يستمعون شيئًا من قراءته ، وسمع هو شيئًا دونهم أصاخ له يَسْتمع منه .

سبب نزول آية : «ولا تجهر ...الخ»

قال ابن اسحاق حدّثنى داود بن الحُصين ، مولى عمرو بن عثمان ، أنّ عِكْرمة مولى ابن عبّاس حدّثهم أن عبد الله بن عبّاس رضى الله عنهما حدّثهم :

إنما أنزلت هذه الآية : « وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذٰلِكَ سَبِيلاً » من أجل أولئك النَّفر . يقول : لا تجهر بصلاتك فيتفرّقوا عنك ، ولا تُخافت بها فلا يَسْمعها مَنْ يُحبّ أن يَسْمعها ممن يَسْترق ذلك دونهم لعلّه يَرْعَوى إلى بعض ما يسمع فينتفع به .

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « فيعجز » .

(٢) فى ا : « أتى سرا واستمع دونهم . . . الخ » .

أول من جهر بالقرآن

عبد الله ابن مسعود وما ناله من قريش في سبيل جهره بالقرآن

قال ابن إسحاق : وحدّثني يحيى بن عُرْوة بن الزّبيرى عن أبيه قال :

كان أوّل مَنْ جَهر بالقرآن بعد رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم بمكة عبدُ الله ابن مَسْعود رضى الله عنه، قال: اجتمع يومًا أصحابُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقالوا : والله ما سمعتْ قريشٌ هذا القرآنَ يُجْهر لها به قطُّ ، فَمَنْ رجُل يُسْمِعهموه؟ فقال عبد الله بن مَسْعود[1] : أنا ؛ قالوا : إنا نَخشَاهم عليك ، إنّما نريد رجلاً له عشيرةٌ يَمْنعونه من القوم إن أرادوه ؛ قال : دَعُونِي فإن الله سَيَمْنعنى . قال : فغدا ابنُ مَسْعود حتى أتى المَقام في الضُّحى ، وقريشٌ في أنْديتها ، حتى قام عند المَقام ثم قرأ[2] : « بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ » رافعاً بها صوته « الرَّحْمٰنُ عَلَّمَ القُرْآنَ » قال ثم استقبلها يقرؤها . قال : فتأمّلوه فجعلوا يقولون : ما ذا قال ابنُ أُمّ عبدٍ ؟ قال ثم قالوا : إنه لَيَتْلو بعضَ ما جاء به محمدٌ فقاموا إليه فجعلوا يَضْرِبون في وجهه ، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء اللهُ أن يبلغ . ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثّروا في وجهه[3] ، فقالوا له : هذا الذى خَشينا عليك ؛ فقال : ما كان أعداء الله أهونَ عليّ منهم الآن ، ولئن شئتم لأغادينّهمْ بمثلها غدًا ؛ قالوا : لا ، حسبُك ، قد أسمعتهم ما يكرهون

---

(١) هو عبد الله بن مسعود بن عمرو بن عمير ، عم جبير بن أبى جبير ، أخو أبى عبيد ابن مسعود الثقفى ، استشهد مع أخيه فى الجسر .

(٢) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « فقال » .

(٣) فى ا : « بوجهه » .

قصة استماع قريش إلى قراءة النبي صلى الله عليه وسلم

أبو سفيان وأبو جهل والأخنس وحديث استماعهم للرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدّثنى محمد بن مُسْلم بن شِهاب الزّهرِىّ أنه حُدّث : أن أبا سفيان بن حَرْب ، وأبا جهل بن هشام ، والأخنس بن شَرِيق ابن عمرو بن وَهْب الثقفىّ ، حليف بنى زُهْرة ، خرجوا ليلةً ليستمعوا من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو يصلّى من الليل فى بيته ، فأخذ كلُّ رجلٍ منهم مجلساً يستمع فيه ، وكلٌّ لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجرُ تفرّقوا . فجمعهم الطريقُ ، فتلاوموا ، وقال بعضُهم لبعض : لا تَعُودوا ، فلو رآكم بعضُ سُفهائكم لأوْقعتم فى نفسه شيئاً ، ثم انصرفوا . حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كلُّ رجل منهم إلى مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجرُ تفرّقوا ، فجمعهم الطريقُ ، فقال بعضُهم لبعض مثلَ ما قالوا أوّلَ مرّة ، ثم انصرفوا. حتى إذا كانت الليلةُ الثالثة أخذ كلُّ رجل منهم مجلسَه ، فباتوا يَسْتمعون له ، حتى إذا طلع الفجرُ تفرّقوا ، فجمعهم الطريقُ ، فقال بعضُهم لبعض : لا نبرحُ حتى نتعاهدَ ألاّ نعود ؛ فتعاهدوا على ذلك ، ثم تفرقوا .

ذهاب الأخنس إلى أبى سفيان يسأله عن معنى ما سمع

فلما أصبح الأخنسُ بن شَرِيق أخذ عصاه ، ثم خرج حتى أتى أبا سفيان فى بيته فقال: أخبرنى يا أبا حَنْظلة عن رَأيك فيما سمعتَ من محمد ؟ فقال: يا أبا ثعلبة، والله لقد سمعتُ أشياء أعْرفها وأعرف ما يُراد بها ، وسمعتُ أشياء ما عرفتُ معناها، ولا ما يُراد بها ؛ قال الأخنسُ : وأنا والذى حلفتَ به [كذلك](1)

ذهاب الأخنس إلى أبى جهل يسأله عن معنى ما سمع

قال : ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جَهْل فدخل عليه بيتَه فقال : يا أبا الحَكم ، ما رأيُك فيما سمعتَ من محمّد ؟ فقال : ماذا سمعتُ ! تنازعْنا نحنُ و بنو عبد مناف الشرفَ ، أطعَموا فأطْعمنا ، وحَملوا فحَمَلْنا ، وأعطَوْا فأعْطَينا ، حتى

(١) زيادة عن ا .

إذا تجاذينا[1] على الرُّكَب ، وكُنَّا كفرسَىْ رِهان ، قالوا : منّا نبيّ يأتيه الوحيُ من السماء ؛ فمتى نُدْرِك مثلَ هذه ! والله لاَ نُؤْمن به أبدًا ولا نصدّقه .
قال : فقامَ عنه الأخنسُ وتركه .

تعنت قريش فى عدم استماعهم للرسول صلى الله عليه وسلم وما أنزله تعالى

قال ابن إسحاق :

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم إذا تلا عليهم القرآنَ ، ودعاهم إلى الله قالوا يهزءون به : قلوبُنا فى أكنّة ، [مما تدعونا إليه][2] لا نفقه ماتقول ، وفى آذاننا وَقْر ، لا نسمع ما تقول ، ومن بيننا و بينك حِجابٌ ، قد حال بيننا و بينك ، فاعمل بما أنت عليه ، إنّنا عاملون بما نحن عليه ، إنّا لا نفقه عنك شيئًا . فأنزل الله تعالى [عليه][2] فى ذلك من قولهم : « وَإِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا[3] » إلى قوله : « وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا » أى كيف فهمُوا توحيدَك ربَّك إن كنتُ جعلتُ على قلوبهم أكِنَّةً وفى آذانهم وقرًا ، و بينك و بينهم حجابًا بزَعْمهم ؛ أى أنى لم أفعل ذلك . « نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَسْحُورًا » : أى ذلكِ ما تواصَوْا به من تركِ ما بعثتُك به إليهم . « انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً » : أى أخطئوا المثل الذى ضَرَبوا [لك][2] ، فلايُصيبون به هُدًى ، ولايَعتدل لهم فيه قول . « وَقَالُوا أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا » : أى قد جِئتَ تُخْبِرنا أنّا سنُبعث بعد موتنا إذا كنّا عِظامًا ورُفاتًا ، وذلك مالا يكون . « قُلْ كُونُوا

---

(1) كذا فى ا . وتجاذى : أقعى . وربما جعلوا الجاذى والجاثى سواء . وفى سائر الأصول : « تحاذينا » . بالحاء المهملة وهو تصحيف .

(2) زيادة عن ا .

(3) مستورا : ساترا .

حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ » : أى الذى خلقكم مما تعرفون ، فليس خَلْقكم من تراب بأعزّ من ذلك عليه .

قال ابن إسحاق حدّثنى عبد الله بن أبى نجيح عن مُجاهد عن ابن عبّاس

٥ رضى الله عنهما قال :

سألته عن قول الله تعالى : « أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ » ما الذى أراد اللهُ به ، فقال : الموت .

ذكر عدوان المشركين على المستضعفين ممن أسلم بالأذى والفتنة

قسوة قريش على من أسلم

١٠ قال ابن إسحاق :

ثم إنهم عَدَوْا على مَنْ أسلم، واتّبع رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم من أصحابه، فوثبتْ كلُّ قبيلةٍ على مَنْ فيها من المُسلمين، فجعلوا يَحْبِسونهم و يعذّبونهم بالضرب والجُوع والعَطَش ، و برَمْضاء مكةَ إذا اشتدّ الحر، مَن استضعفوا منهم ، يَفْتنونهم عن دينِهم ، فمنهم من يُفْتَن من شدّةِ البلاء الذى يُصيبه ، ومنهم من يَصْلَب

١٥ لهم ، و يَعْصمه الله منهم .

ما كان يلقاه بلال بعد إسلامه وما فعله أبو بكر فى تخليصه

وكان بلالُ ، مَوْلى أبى بَكْر رضى الله عنهما ، لبعض بنى جُمَح ، مَوَلَّدا من مولّديهم ، وهو بلالُ بن رباح ، وكان اسمُ أُمّهِ حَمامة ، وكان صادقَ الإسلام ، طاهرَ القَلْب ، وكان أُميّة بن خَلَف بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح يُخرِجه إذا حميت الظَّهيرة ، فَيطْرحه على ظهره فى بَطْحاء مكّة ، ثم يأمر بالصّخرة العظيمة

فتُوضع على صَدْره ، ثم يقول له : [لا والله][1] لا تزال هكذا حتى تموتَ ، أوْ تكفر بمحمّد ، وتعبُد اللاتَ والعزّى ؛ فيقول وهو فى ذلك البلاء : أَحَدٌ أحَد .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى هشام بن عروة عن أبيه قال :

كان وَرَقة بن نَوفل يمرّ به وهو يعذب بذلك ، وهو يقول : أحَد أحد ؛ فيقول : أحَدٌ أحَد والله يا بلال ! ثم يُقْبل على أُمَيَّة بن خَلف ، ومن يَصْنع ذلك به من بنى جُمح ، فيقول : أحلفُ بالله لئن قتلتموه على هذا لأ تخذنّه حَنانا[2] ، حتى مرّ به أبو بَكْر الصدّيق [بن أبى قُحافة][1] رضى الله عنه يومًا ، وهُمْ يَصْنعون ذلك به ، وكانت دارُ أبى بكر فى بنى جُمَح ، فقال لأمية بن خَلف: ألا تتّقى الله فى هذا المِسكين ؟ حتى متى ! قال : أنتَ الذى أفسدته فأنْقِذْه مما ترى ؛ فقال أبو بكر: أفعلُ ، عندى غلام أسودُ أجْلدُ منه وأقوى ، على دِينك ، أُعْطِيكه به ؛ قال : قد قبلتُ ؛ فقال: هو لك . فأعطاه أبو بكر الصديقُ رضى الله عنه غلامَه ذلك ، وأخذه فأعتقه .

من أعتقهم أبو بكر مع بلال

ثم أعتق معه على الإسلام قبلَ أن يهاجر إلى المدينة ستَّ رقاب ، بلالٌ سابعُهم : عامر بن فُهيرة ، شَهِد بدرًا وأُحُدًا ، وقُتِل يوم بئر مَعونة شهيدًا ، وأم عُبيس[3] وزِنّيرة[4] ، وأصيب بصرُها حين أعتقها ، فقالت قريشُ : ما أذهب بصرَها إلا اللاتُ والعزّى ؛ فقالت : كَذَبُوا و بيتِ الله ، ما تضرُّ اللاتُ والعزّى وما تَنفعان ، فردّ اللهُ بصرَها .

---

(1) زيادة عن ا .

(2) أى لأجعلن قبره موضع حنان : أى عطف ورحمة فأتمسح به متبركا ، كما يتمسح بقبور الصالحين والشهداء .

(3) قال الزرقانى : « وهى بعين مهملة مضمومة فنون ، وقيل بموحدة ، فتحتية فسين مهملة » .

(4) هى بزاى مكسورة بعدها نون مكسورة مشددة . وبعضهم يقول فيها : زنبرة ، بفتح الزاى وسكون النون وباء بعدها راء . ولا تعرف زنبرة فى النساء . وأما فى الرجال فزنبرة ابن زبير بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل ، وابنه خالد بن زنبرة . (راجع الروض الأنف) .

وأعتق النَّهدية و بنتَها ، وكانتا لأمرأة من بنى عَبْد الدار ، فمرّ بهما ، وقد بعثتهما سيّدتُهما بطَحين لهــا ، وهى تقول : والله لا أُعتقكما أبدًا ! فقال أبو بكر رضى الله عنه : حِلٌّ[1] يا أمّ فلان ؛ فقالت : حِلٌّ، أنت أفسدتَهما فأَعْتِقهما ؛ قال : فبكم هما ؟ قالت : بكذا وكذا ، قال : قد أخذتُهما

٥ وهما حُرّتان ،أرْجعا إليها طَحِينها ، قالتا : أوَ نَفْرُغ منه يا أبا بكر ثم نردّه إليها ؟ قال : وذلك إن شِئْتما .

ومرّ بجارية بنى مُؤَمّل ، حيّ من بنى عدىّ بن كعب ، وكانت مُسلمةً ، وعمرُ بن الخطّاب يُعذّبها لتترك الإسلام ، وهو يومئذ مشركٌ وهو يضربها ، حتى إذا ملّ قال : إنى أعتذر إليك : إنى لم أتركْك إلا ملالةً ؛ فتقول : كذلك

١٠ فَعل اللهُ بك . فابتاعها أبو بكر ، فأعتقها .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى محمد بن عبد الله بن أبى عَتيق عن عامر[3] ابن عبد الله بن الزُّبير ، عن بعض أهله قال :

لام أبو قحافة ابنه لعتقه من أعتق فرد عليه

قال أبو قُحافة لأبى بكر : يا بنىّ ، إنى أراك تُعْتِق رِقابًا ضِعافًا ، فلو أنك إذ فعلتَ ما فعلت أعتقتَ رجالاً جُلْدًا يمنعونك ويقومونَ دونَك ؟

١٥ قال : فقال أبو بكر رضى الله عنه : يا أبتِ ، إنى إنما أُريد ما أُريد[2] ، لله [عزّ وجلّ][4] . قال فيُتحدث أنه ما نزل هؤلاء الآياتُ إلا فيه ، وفيما قال له أبوه : « فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَأُتَّقَى وصَدَّقَ بِالْحُسْنَى » إلى قوله تعالى : « وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلاَّ أُبْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى » .

---

٢٠ (١) حل : يريد : تحللى من يمينك واستثنى فيها ، وأكثر ماتقوله العرب بالنصب .
(٢) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « ما أريد يعنى لله » . ولا معنى لهذه الزيادة.
(٣) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « أبى عامر » . وهو تحريف : (راجع تهذيب التهذيب) .
(٤) زيادة عن ا

تعذيب قريش لابن ياسر وتصبير رسول الله صلى الله عليه وسلم له

قال ابن إسحاق :

وكانت بنو مَخْزُومٍ يَخرجون بعمّار[1] بن ياسر وبأبيه وأمه[2] ، وكانوا أهلَ بيت إسلام ، إذا حَمِيتْ الظهيرةُ ، يعذّبونهم برَمْضاء[3] مكة ، فيمرّ بهم رسولُ اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم فيقول ، فيما بلغنى : صبرًا آلَ ياسر ، موعدُكم الجنّة . فأمّا أمُّه فقتلوها ، وهى تأبى إلا الإسلام .

ما كان يعذب به أبو جهل من أسلم

وكان أبو جهل الفاسق الذى يُغْرِى بهم فى رجال من قريش ، إذا سَمِع بالرجل قد أسلم ، له شَرَف ومَنَعة ، أنّبه وأخْزاه[4] وقال : تركتَ دينَ أبيك وهو خيرٌ منك ! لَنُسَفِّهَنّ حِلْمَك ، ولنُفَيِّلَنّ[5] رأيَك ، ولنضعنّ شرفَك ؛ وإن كان تاجرًا قال : واللّه لنكسِّدنّ تجارتَك ، ولنُهلكنّ مالَك ؛ وإن كان ضعيفًا ضَربه وأغرى به .

سئل ابن عباس عن عذر من امتنع عن الاسلام لسبب تعذيبه فأجاز

قال ابن إسحاق : وحدّثنى حَكيم بن جُبير عن سَعيد بن جُبير ، قال : قلت لعبد اللّه بن عبّاس : أكان المشركون يَبْلغون منْ أصحاب رسولِ اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم من العذاب ما يُعذَرون به فى تَرْك دينهم ؟ قال : نعم واللّه ،

---

(1) روى أن عمارا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد بلغ منا العذاب كل مبلغ ؛ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : صبرا أبا اليقظان ، ثم قال : اللهم لاتعذب أحدا من آل عمار بالنار . وعمار والحويرث وعبود بنو ياسر . ومن ولد عمار عبد الله بن سعد ، وهو المقتول بالأندلس ، قتله عبد الرحمن بن معاوية .

(2) واسمها سمية : وهى بنت خياط ، كانت مولاة لأبى حذيفة بن المغيرة ، واسمه مهشم ، وهو عم أبى جهل ، وقد غلط ابن قتيبة فيها ، فزعم أن الأزرق مولى الحارث بن كلدة خلف عليها بعد ياسر ، فولدت له سلمة بن الأزرق ، والصحيح أن أم سلمة بن الأزرق سمية أخرى، وهى أم زياد بن أبى سفيان لا أم عمار .

(3) الرمضاء : الرمل الحارة من شدة حرارة الشمس .

(4) فى الأصول : « خذاه » . ويروى : «أخذاه» : أى ذلله .

(5) لنفيلن رأيك : أى لنقبحنه ونخطئنه .

إن كانوا ليَضْربون أحدَهم ويجُيعونه ويُعطّشونه حتى ما يقدر أن يستوىَ[1] جالساً من شدّة الضُرّ الذى نزل به، حتى يُعْطيهم ماسألوه من الفِتْنة، حتى يقولوا له: أللات والعزّى إلهُك من دون الله؟ فيقول: نعم، حتى إنّ الجُعَل ليمرّ بهم، فيقولون له: أهذا الجعل إلهُك من دون الله؟ فيقول: نعم، افتداء منهم ممّا يبلغون من جَهْده.

5

رفض هشام تسليم أخيه لقريش ليقتلوه على إسلامه وشعره فى ذلك

قال ابن إسحاق: وحدّثنى الزبيرُ بن عُكاشة بن عبد الله بن أبى أحمد أنه حُدِّث.

أن رجالاً من بنى مَخزوم مَشَوْا إلى هشام بن الوليد، حين أسْلم أخوه الوليدُ ابن الوليد [بن المُغيرة][2]، وكانوا قد أجْمعوا على أن يأخذوا فتيةً منهم كانوا قد أسلَمُوا، منهم سلمةُ بن هشام، وعيّاش بن أبى رَبيعة. قال: فقالوا له: وخشُوا شرّهم، إنا قد أردنا أن نُعاتب هؤلاء الفِتْية على هذا الدين الذى أحدثوا، فإنّا نأمن بذلك فى غيرهم[3]. قال: هذا، فعليكم به، فعاتبوه وإياكم ونفسَه، وأنشأ يقول:

10

ألا لا يُقتلَنّ أخى عُييس[4] فيبقى بيننا أبدًا تَلاحِى

احذروا على نفسه، فأقسم بالله لئن قتلتموه لأقتلنّ أشرفَكم رجلاً. قال: فقالوا: اللهم العنه، من يُغرّر بهذا الحديث[5]، فوالله لو أصيب فى أيدينا لقُتل أشرفنا رجلاً. [قال][1]، فتركوه ونزَعُوا عنه. قال: وكان ذلك مما دفع الله به عنهم.

15

---

(١) كذا فى ا. وفى سائر الأصول: لا «وأن يستوى» ولامعنى له.

(٢) زيادة عن ا.

(٣) عبارة ر هكذا: فإنا لا نأمن بذلك فى غيره.

20

(٤) كذا فى ا. وفى سائر الأصول: «عبيش».

(٥) كذا فى ا. يريد أى من يلطخ نفسه به ويؤذيها. وفى سائر الأصول: «يغرر بهذا الخبيث».

ذكر الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة

إشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه بالهجرة

قال ابن إسحاق[1] :

فلما رأى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مايُصيب أصحابَه من البلاء ، وما هو فيه من العافية ، بمكانه من الله ومن[2] عمه أبي طالب ، وأنه لا يقدر على أن يَمْنعهم ممّاهم فيه من البلاء ، قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبَشة ، فإنّ بها ٥ مَلِكًا لا يُظلم عنده أحد ، وهى أرض صِدْق ، حتى يجعلَ الله لكم فرجًا ممّا أنتم فيه . فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى أرض الحبشة ، مخافةَ الفتنة ، وفرارًا إلى الله بدينهم ، فكانت أوّلَ هجرة كانت فى الإسلام .

من هاجروا الهجرة الأولى إلى الحبشة

١٠ وكان أولَ من خرج من المسلمين من بنى أُميّةَ بنِ عَبْد شَمْس بن عَبْد مَناف بن قُصَىّ بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لُؤَىّ بن غالب بن فِهْر : عثمانُ ابن عفّان بن أبى العاص بن أُمية ، معه امرأتُه رُقيّة بنتُ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم . ومن بَنى عبد شَمْس بن عبد مناف : أبو حُذَيفة بن عُتْبة بن رَبيعة ابن عَبْد شَمْس ، معه امرأتُه : سَهْلة بنت سُهَيل بن عمرو ، أحد بنى عامر ١٥ ابن لُؤَىّ ، ولدت له بأرض الحبشة محمد بن أبى حُذَيفة . ومن بَنى أَسَد بن عبد العُزّى بن قصىّ : الزُّبير بن العوّام بن خُوَيلد بن أَسَد . ومن بَنى عبد الدار ابن قُصَىّ : مُصْعب بن عُمَير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار . ومن بنى زُهْرة بن كِلاب : عبدُ الرحمن بن عَوف بن عبد عَوْف بنَ عَبْد [بن][3]

---

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : بسم الله الرحمن الرحيم قال حدثنا أبو محمد عبد الملك ابن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن إسحاق المطلبى قال . . . » . ٢٠

(٢) كذا فى . وفى سائر الأصول : « وابن عمه » وهو تحريف .

(٣) زيادة عن ا .

الحارث بن زُهرة . ومن بنى مَخزوم بن يَقَظة بن مُرّة : أبو سَلَمَة بن عبد الأسد ابن[1] هِلال بن عبد الله بن عُمَر بن مَخزُوم ، معه امرأتُه أمُّ سَلَمَة بنت أبى أُمية ابن المُغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مَخزُوم ومن بنى جُمَح بن عمرو[2] بن هُصَيص ابن كعب : عثمان بن مَظْعون بن حَبِيب بن وَهْب بن حُذافة بن جُمح ومن بنى عدىّ بن كعب : عامرُ بن رَبيعة ، حليف آل الخطّاب ، من عَنْز بن وائل ـ [قال ابن هشام ويقال: من عنزة بن أسد بن ربيعة][3] ـ معه امرأته لَيلى بنت أبى حَثْمة [بن حذافة][3] بن غانم [بن عامر][3] بن عبد الله بن عوف بن عبيد ابن عويج بن عدىّ بن كعب . ومن بنى عامر بن لؤَىّ : أبو سَبْرة بن أبى رُهْم ابن عبد العُزّى بن أبى قَيْس بن عبد وُدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر ؛ ويقال : بل أبو حاطب بن عمرو بن عَبْد شَمْس بن عبد وُدّ بن نَصْر بن مالك ابن حِسْل بن عامر [بن لؤىّ][3] ؛ ويقال هو أول من قدمها ومن بنى الحارث بن فِهْر : سُهَيل بن بَيْضَاء ، وهو سُهَيل بن وَهْب بن رَبيعة بن هِلال ابن أُهَيب بن ضَبّة بن الحارث فكان هؤلاء العشرة أولَ من خَرَجَ من المسلمين إلى أرض الحبشة ، فيما بلغنى .

قال ابن هشام : وكان عليهم عثمانُ بن مَظْعون ، فيما ذَكر لى بعضُ أهل العلم

قال ابن إسحاق :

ثم خرج جعفر بنُ أبى طالب رضى الله عنه ، وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة ، فكانوا بها ، منهم مَنْ خرج بأهله معه ، ومنهم مَنْ خرج بنفسه لا أهلَ له معه .

---

(1) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « وابن هلال » . وهو تحريف .
(2) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « عمر » وهو تحريف .
(3) زيادة عن ا .

من خرج إلى أرض الحبشة من بنى هاشم

[و][1] من بنى هاشم بن عبد مناف بن قُصَىّ بن كِلاب بن مرّة بن كعب ابن لُؤَى بن غالب بن فِهْر : جَعفرُ بن أبى طالب بن عَبْد المُطّلب بن هاشم ، معه امرأتُه أسماء بنت عُمَيس بن النُّعمان بن كَعْب بن مالك بن قُحافة بن خَثعم ، ولدت له بأرض الحبشة عبدَ الله بن جَعْفر ، رجل .

من خرج إلى أرض الحبشة من بنى أمية

٥ ومن بنى أُمَية بن عبد شَمْس بن عبد مناف : عثمانُ بن عفّان بن أبى العاص ابن أُمية بن عَبْد شَمْس ، معه امرأته رُقَيَّةُ ابنةُ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ وعمرو بن سعيد بن العاص بن أُمية ، معه امرأته فاطمةُ بنت صَفْوان بن أُمية ابن مُحرّث [بن حُمْل][1] بن شقّ بن رَقَبة بن مُخْدج الكنانى ، وأخوه خالد ابن سَعيد بن العاص بن أمية : معه امرأته أُمينة بنت خلف بن أسْعد بن عامر ابن بياضة بن سبيع بن جُعْثمه[2] بن سَعد بن مُلَيح بن عَمْرو ، من خزاعة . ١٠

قال ابن هشام : ويقال هُمَينة بنت خلف .

قال ابن إسحاق :

ولدت له بأرض الحبشة سَعيدَ بن خالد ، وأَمَةَ بنت خالد ، فتزوج أمةَ بعد ذلك الزبيرُ بن العوّام ، فولدت له عمرو بنَ الزبير ، وخالد بن الزبير .

من هاجر إلى الحبشة من بنى أسد

١٥ ومن حلفائهم ، من بنى أسد بن خزيمة : عبدُ الله بن جَحْش بن رِئاب ابن يَعْمر بن صَبرة بن مُرّة بن كَبِير بن غَنْم بن دُودان بن أَسَد ؛ وأخوه عُبيد الله ابن جَحْش ، معه امرأتُه أم حَبِيبة بنتُ أبى سفيان بن حَرْب بن أمية ؛ وقيسُ ابن عبد الله ، رجل من بنى أسد بن خُزَيمة ، معه امرأتُه بَرَكة بنت يَسار ، مولاة أبى سُفيان بن حَرْب بن أمية ؛ ومُعَيْقِيب بن أبى فاطمة . وهؤلاء آلُ سَعيد بن العاص، سبعة نفر . ٢٠

قال ابن هشام : مُعيقيب من دوس .

(١) زيادة عن ا .
(٢) فى الأصول : « خثعمة » . وقد تقدم الكلام على ذلك .

قال ابن إسحاق :

من رحل إلى الحبشة من بنى عبد شمس

ومن بنى عَبْد شمس بن عَبْد مناف ، أبو حُذيفة بن عُتْبة بن رَبيعة بن عبد شمس ؛ وأبو موسى الأشعرىّ ، واسمُه عبدُ الله بن قَيْس ، حليف آل عتبة ابن ربيعة ، رجلان .

من رحل إلى الحبشة من بنى نوفل

٥ ومن بنى نَوْفل بن عَبْد مناف : عتبةُ بن غَزْوان بن جابر بن وهْب ابن نَسِيب بن مالك بن الحارث بن مازن بن مَنْصور بن عِكْرمة بن خَصَفَة ابن قَيْس بن عَيْلان ، حليف لهم، رجل .

من رحل إلى الحبشة من بنى أسد

ومن بنى أسَد بن عبدِ العُزّى بن قُصَىّ : الزبيرُ بن العوّام بن خُوَيلد ابن أسد ، والأسودُ بن نَوْفل بن خُوَيلد بن أسَد ، ويزيد بن زَمعة بن الأسود
١٠ ابن المُطَّلب بن أسَد . وعمرو بن أمية بن الحارث بن أسَد ، أربعة نفر .

من رحل إلى الحبشة من بنى عبد بن قصى

ومن بنى عَبْد بن قُصَىّ طُلَيب بن عُمير بن وَهْب بن أبى كبير[1] بن عبد [ابن قُصَىّ][2] ، رجل .

من رحل إلى الحبشة من بنى عبد الدار بن قصى

ومن بنى عبد الدار بن قُصىّ : مُصْعب بن عُمَير بن هاشم بن عبد مناف ابن عَبْد الدار ؛ وسُوَيبط[3] بن سَعْد بن حَرْملة بن مالك بن عُميلة بن السبّاق
١٥ ابن عبد الدار ؛ وجَهْم بن قَيْس بن عبد شُرَحْبيل بن هاشم بن عَبْد مناف ابن عبد الدار ، معه امرأته أم حَرْملة بنت عبد الأسود بن جُذيمة بن أقيش ابن عامر بن بَياضة بن سُبيع بن جُعْثمة[4] بن سَعْد بن مُلَيح بن عمرو ، من خزاعة ؛ وأبناه عَمْرو بن جَهْم وخُزيمة[5] بن جَهْم ؛ وأبو الرّوم بن عُمير بن هاشم

---

(١) كذا فى ا وشرح السيرة . وفى سائر الأصول والاستيعاب : « كثير » .
٢٠ (٢) زيادة عن شرح السيرة لأبى ذر .
(٣) كذا فى ا والاستيعاب . وفى سائر الأصول : « سويط بن حريملة » .
(٤) فى الأصول : « خثعمة » وهو تحريف . وقد تقدم الكلام على ذلك .
(٥) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « خزيعة بنت جهه » وهو تحريف .

ابن عبد مناف بن عَبْد الدار ؛ وفِراس بن النَّضر بن الحارث بن كَلَدة بن عَلْقمة ابن عبد مناف بن عبد الدار ، خمسة نفر .

من رحل إلى الحبشة من بنى زهرة

ومن بنى زهرة بن كِلاب : عبدُ الرحمن بن عَوْف بن عبد عوف بن عَبْد ابن الحارث بن زُهْرة ؛ وعامر بن أبى وقّاص ؛ وأبو وقاص ، مالك بن أُهيب ابن عَبْد مناف بن زُهْرة ؛ والمطّلب بن أزهر بن عبد عَوْف بن عَبْد بن الحارث ابن زُهرة ، معه امرأته رَمْلة بنت أبى عَوْف بن ضُبيرة بن سُعيد بن سَعْد بن سَهْم، ولدت له بأرض الحبشة عبد الله بن المطّلب .

من رحل إلى الحبشة من بنى هذيل

ومن حُلفائهم من هُذيل : عبدُ الله بن مَسْعود بن الحارث بن شَمْخ ابن مَخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هُذيل . وأخوه : عتبة بن مَسْعود .

من رحل إلى الحبشة من بهراء

ومن بهراء : المقدادُ بن عَمْرو بن ثَعْلبة بن مالك بن رَبيعة بن ثُمامة ابن مَطرود بن عمرو بن سعد بن زُهير بن لؤىّ[1] بن ثعلبة بن مالك بن الشَّريد ابن أبى أهوز[2] بن أبى فائش بن دُرَيم بن القَيْن بن أهود[3] بن بَهْراء بن عمرو ابن الحاف بن قُضاعة .

قال ابن هشام : ويقال هزل بن فاس[4] بن ذر ، ودَهير[5] بن ثور .

---

(١) فى الأصول : « ثور » والتصويب عن شرح السيرة .

(٢) فى الأصول : « بن هزل بن فائش » . والتصويب عن شرح السيرة . وقد عرض لهذا ابن هشام بعد أسطر .

(٣) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : أهوذ بالذال المعجمة .

(٤) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « قاش » .

(٥) قال أبو ذر : « وروى أيضا : دهير (بالتصغير) . وروى أيضا : دهير (بالياء الوحدة مفتوحة . والصواب فيه : دهير بفتح الدال وكسر الهاء .

قال ابن إسحاق :

وكان يقال له المِقداد بن الأسود بن عَبْد يغوث [بن وهب][1] بن عَبْد مناف بن زُهْرة ، وذلك أنه تبنّاه فى الجاهلية ، وحالفه ستة نفر .

من رحل إلى الحبشة من بنى تيم

ومن بنى تَيْم بن مُرّة : الحارث بن خالد بن صَخْر بن عامر [بن عمرو][1]
٥ ابن كَعْب بن سَعْد بن تَيْم ، معه امرأته رَيْطة بنت الحارث بن جَبَلة[2] بن عامر ابن كَعْب بن سَعْد بن تَيْم ، ولدت له بأرض الحَبَشة مُوسى بن الحارث ، وعائشة بنت الحارث ، وزينب بنت الحارث ، وفاطمة بنت الحارث ؛ وعمرو بن عثمان بن عمرو بن كَعْب بن سَعْد بن تَيْم ، رجلان .

من رحل إلى الحبشة من بنى مخزوم

ومن بنى مَخْزوم بن يَقَظة بن مُرّة : أبو سلمة بن عبد الأسَد بن هِلال
١٠ ابن عبد الله بن عمر بن مَخْزوم ، ومعه امرأته أمّ سَلمة بنت أبى أمية بن المُغيرة ابن عبد الله بن عُمر بن مَخْزوم ، ولدت له بأرض الحبشة زينب بنت أبى سَلَمة ، واسم أبى سَلمة عبدُ الله ، واسم أمّ سلمة : هند ؛ وشمّاس [بن][1] عثمان ابن[3] الشَّريد بن سُويد بن هرْمى بن عامر بن مَخْزوم .

اسم الشماس وشىء عنه

قال ابن هشام : واسم شماس : عثمان ، وإنما سمى شماساً ، لأن شماسا
١٥ من الشمامسة[4] ، قدم مكّة فى الجاهلية ، وكان جميلاً فعجب الناس من جماله ، فقال عتبةُ بنُ ربيعة ، وكان خالَ شمّاس : أنا آتيكم بشمّاس أحسنَ منه ، فجاء بابن أخته عثمانَ بن عثمان ، فسمى شمَّاسا . فيما ذكر ابنُ شهاب وغيرُه .

قال ابن إسحاق :

وهبّار بن سُفيان بن عبد الأسد بن هِلال بن عبد الله بن عمر بن مَخْزوم ؛

---

٢٠ (١) كذا فى أكثر الأصول والاستيعاب . وفى ا : « ... بن عامر بن عمرو ابن كعب ... الخ » .

(٢) كذا فى الاستيعاب . وفى أكثر الأصول : « جبيلة » . وفى ا : « حبيلة » .

(٣) كذا فى ا والاستيعاب . وفى سائر الأصول : « ... بن عبد بن الشريد » .

(٤) الشمامسة : هم الرهبان . لأنهم يشمسون أنفسهم . يريدون تعذيب النفوس بذلك .

وأخوه عبد الله بن سفيان ؛ وهشام بن أبى حُذيفة بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمر ابن مَخزوم ؛ وسَلَمة بن هشام بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مَخْزوم ؛ وعيّاش ابن أبى رَبيعة بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مَخْزوم .

من هاجر إلى الحبشة من حلفاء بنى مخزوم

ومن حلفائهم : مُعتِّب بن عَوْف بن عامر بن الفَضْل بن عَفيف ابن كُليب بن حَبَشية بن سَلول بن كَعْب بن عمرو ، من خُزاعة ، وهو الذى ٥ يُقال له : عَيْهامة ، ثمانية نَفر .

قال ابن هشام : ويقال حُبْشية بن سلول ، وهو الذى يقال له معتِّب بن حمراء .

من هاجر إلى الحبشة من بنى جمح

ومن بنى جُمح بن عَمْرو بن هُصَيص بن كعب : عثمانُ بن مَظعون بن حَبيب ابن وَهْب بن حُذافة بن جُمح ؛ وابنه السائب بن عثمان ؛ وأخواه قُدامة ١٠ ابن مَظْعون ، وعبدُ الله بن مَظْعون ؛ وحاطب بن الحارث بن مَعْمر بن حَبيب ابن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح ، معه امرأتُه فاطمةُ بنت المجلِّل بن عبد الله ابن أبى قَيْس بن عبد وُدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر ؛ وأبناه : محمد ابن حاطب ، والحارث بن حاطب، وهما لبنت المجلّل؛ وأخوه حطّاب بن الحارث، معه امرأتُه فُكيهة بنت يسار ؛ وسفيان بن مَعْمر بن حَبيب بن وهْب بن حُذافة ١٥ ابن جُمح ، معه أبناه جابر بن سُفيان ، وجُنادة بن سفيان ، ومعه امرأته حَسنة ، وهى أُمهما[1] ، وأخوهما من أمهما شُرَحبيل ابن حَسنة ، أحد الغوث .

قال ابن هشام . شرحبيل بن عبد الله أحدُ الغوث بن مُرّ، أخى تميم بن مُرّ.

قال ابن إسحاق :

وعثمان بن ربيعة بن أهبان بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح، أحدَ عشرَ رجلا. ٢٠

من هاجر إلى الحبشة من بنى سهم

ومن بنى سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب ، خُنيس بن حُذافة

(١) كذا فى . وفى سائر الأصول : « أمها » وهو تحريف .

ابن قَيْس بن عدىّ بن سعد[1] بن سَهْم ؛ وعبدُ الله بن الحارث بن قَيْس بن عدىّ ابن سعد[1] بن سهم ؛ وهشام بن العاص بن وائل بن سعد[1] بن سهم

قال ابن هشام : العاص بن وائل بن هاشم بن سعد[1] بن سهم .

قال ابن إسحاق :

وقيس بن حُذافة بن قَيْس بن عدىّ بن سعد[1] بن سهم ؛ وأبو قيس ابن الحارث بن قَيْس[2] بن عدىّ بن سعد[1] بن سهم ؛ وعبد الله بن حُذافة ابن قَيْس بن عدىّ سعد[1] بن سهم ؛ والحارث بن الحارث بن قَيْس بن عدىّ ابن سعد[1] بن سهم ؛ ومَعْمر بن الحارث بن قَيْس بن عدىّ بن سعد[1] ابن سهم ؛ و بِشْر بن الحارث بن قَيْس بن عدىّ بن سعد[1] بن سهم ؛ وأخ له من أمه من بنى تميم ، يقال له : سعيد بن عمرو ؛ وسعيد بن الحارث بن قيس ابن عدىّ بن سعد[1] بن سهم ؛ والسائب بن الحارث بن قيس بن عدىّ ابن سعد[1] بن سهم ؛ وعُمير بن رئاب بن حُذَيفة بن مُهَشّم بن سعد[1] بن سهم . ومَحْمية بن الجزاء[3] ، حليف لهم ، من بنى زُبيد ، أربعة عشر رجلاً .

من هاجر إلى الحبشة من بنى عدى

ومن بنى عدىّ بن كعب : معمر بن عبد الله بن نَضْلة بن عبد العزّى ابن حُرْثان بن عوف بن عُبيد بن عويج بن عدىّ ؛ وعروة بن عبد العزّى ابن حُرثان بن عَوْف بن عُبيد بن عويج بن عدىّ ؛ وعدىّ بن نَضْلة بن عبد العزّى بن حُرثان بن عَوْف بن عُبيد بن عويج بن عدىّ ؛ وابنه النعمانُ

---

(1) فى الأصول : « سعيد » . وهو تحريف . وقد تقدم الكلام على ذلك فى هذا الجزء .

(2) كذا فى ا والاستيعاب . وفى سائر الأصول : بن قيس بن حذافة بن قيس بن عدى ... الخ » والظاهر أن فى النسب اقحاما .

(3) كذا فى أكثر الأصول والاستيعاب ، وأسد الغابة : « الجزء » . وفى ا : « الجزاء » . قال أبو ذر : « ومحمية ابن الجزاء ، ويروى هنا أيضاً : ابن الجز بفتح الجيم وكسرها وبالزاى المشددة والصواب فيه الجز والله أعلم » .

ابن عدىّ ؛ وعامر بن رَبيعة ، حليف لآل الخطّاب ، من عنز بن وائل ، معه أمرأتُه ليلى بنت أبى حَثْمة بن غانم . خمسة نفر .

من هاجر إلى الحبشة من بنى عامر

ومن بنى عامر[1] بن لؤىّ: أبو سَبْرة بن أبى رُهْم بن عبد العزّى بن أبى قَيْس ابن عبد ودّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر ، معهُ امرأتُه أمّ كُلْثوم بنت سُهيل بن عمرو بن عَبْد شمس بن عبد ودّ بن نَصْر بنِ مالك بن حِسْل بن عامر؛ وعبد الله بن مَخْرمة بن عبد العزّى بن أبى قَيْس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك ابن حِسْل بن عامر؛ وعبد الله بن سُهيل بن عمرو بن عبد شَمْس بن عبد ودّ ابن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر ؛ وسَليط بن عَمْرو بن عبد شَمْس بن عبد ودّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر ؛ وأخوه السكران بن عَمْرو ، معه أمرأتُه سَودة بنت زَمعة بن قَيْس بن عبد شَمْس بن عبد ودّ بن نَصْر ابن مالك بن حِسْل بن عامر ؛ ومالك بن زَمعة[2] بن قَيْس بن عبد شَمْس ابن عبد ودّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر ، معه امرأتُه عَمْرة بنت السعدىّ ابن وَقْدان بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نَصْر بنِ مالك بن حِسْل بن عامر ؛ وحاطب[3] بن عمرو بن عبد شَمْس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر ؛ وسعد بن خَولة ، حليف لهم ، ثمانية نفر .

قال ابن هشام : سعد بن خولة من اليمن .

من هاجر إلى الحبشة من بنى الحارث

قال ابن إسحاق :

ومن بنى الحارث بن فهر : أبو عبيدة بن الجرّاح ، وهو عامر بن عبد الله ابن الجرّاح بن هِلال بن أُهيب بن ضَبّة بن الحارث بن فهر[4] ؛ وسُهيل

(١) ذكر المؤلف فى ص ٣٤٥ من هذا الجزء من هاجر من بنى عامر وذكر أبا سبرة هذا .
(٢) كذا فى ا والاستيعاب . وفى سائر الأصول : « ربيعة » . وهو تحريف .
(٣) كذا فى ا والاستيعاب . وفى سائر الأصول هنا ، وفيما تقدم من جميع الأصول : « وأبو حاطب » وهما روايتان فيه . (راجع أسد الغابة) .
(٤) زيادة عن ا .

ابن بَيْضاء ، وهو سُهيل بن وَهْب بن رَبيعة بن هلال بن أُهَيْب بن ضَبَّة ابن الحارث ، ولكن أمه غلبتْ على نَسبه ، فهو ينسب إليها ، وهى دَعْد بنت جَحْدم بن أمية بن ظَرِب بن الحارث بن فهر ، وكانت تدعى بَيضاء ؛ وعمرو ابن أبى سَرْح بن ربيعة بن هِلال بن أُهَيب بن ضَبّة بن الحارث ؛ وعِياض

٥ ابن زُهير بن أبى شدّاد بن ربيعة بن هِلال بن أُهيب بن ضَبّة بن الحارث ، ويقال : بل ربيعةُ ابنُ هلال بن مالك بن ضبة [بن الحارث][1] ؛ وعمرو ابن الحارث بن زُهير بن أبى شدّاد بن رَبيعة بن هِلال بن مالك بن ضبّة ابن الحارث ؛ وعثمان[2] بن عبد غَنْم بن زُهير بن أبى شدّاد بن رَبيعة ابن هلال بن مالك بن ضَبّة بن الحارث ؛ وسعد بن عبد قَيْس بن لَقيط بن عامر

١٠ ابن أمية بن ظَرِب بن الحارث [بن فهر][1] ؛ والحارث بن عبد قيس[3] ابن لَقِيط بن عامر بن أمية بن ظرب بن الحارث بن فهر ، ثمانية نفر .

عدد المهاجرين إلى الحبشة

فكان جميعُ من لحق بأرض الحبشة ، وهاجر إليها من المسلمين ، سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم معهم صغاراً وولدوا بها ، ثلاثة وثمانين رجلاً ، إن كان عمّار بن ياسر فيهم ، وهو يُشك فيه .

شعر عبد الله ابن الحارث فى الهجرة إلى الحبشة

١٥ وكان مما قيل من الشعر فى الحبشة ، أن عبد الله بن الحارث بن قيس ابن عدىّ بن سعد[4] بن سهم ، حين أمنوا بأرض الحبشة ، وحمدوا جِوار

---

(١) زيادة عن ا .

(٢) كذا فى ا والاستيعاب . وفى سائر الأصول : « عمرو » وهو تحريف .

(٣) كذا فى ا والاستيعاب . وفى سائر الأصول : « بن فهر بن لقيط » . وفى

٢٠ النسب إقحام .

(٤) فى الأصول : « سعيد » . (راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٧٤ من هذا الجزء) .

النجاشي ، وعَبدوا الله لا يخافون على ذلك أحداً ، وقد أحسن النجاشي جوارهم حين نزلوا به ، قال :

يا راكبا بلغَنْ عــنّى مغلغلةً[1] مَنْ كان يرجو بلاغَ الله والدينِ
كلّ امرئ من عباد الله مُضْطهدٍ ببطن مكّة مَقْهورٍ وَمَفتون
أنّا وَجَــدْنا بلاد الله واسعةً تُنْجِي من الذّل والمَخْزاة والهُون
فلا تُقيموا على ذلّ الحياة وخِزْ يٍ فى الممات وعَيْب غيرِ مأمون
إنّا تَبِعنا رسولَ الله واطَّرَحوا قولَ النّبي وعالُوا[2] فى المَوازين
فَاجْعل عذابكَ بالقوم[3] الذين بَغَوا وعائذاً[4] بك أنْ يَعْلوا[5] فيُطْغونى

وقال عبد الله بن الحارث أيضاً ، يذكر نَفْى قريش إياهم من بلادهم ، ويعاتب بعضَ قومه فى ذلك :

أبتْ كَبِدى،لاأكْذِبَنْك،قتالَهم علىّ وتَأْباه علىّ أنامــــلِى
وكيف قِتالى معشراً أدَّبوكمُ على الحقّ أنْ لاَ تأشِبوه بباطل[6]
نَفتْهم عبادُ الجنّ من حُرّ أرضهم فأضْحَوا على أمْر شديد البَلابل[7]
فإن تك كانت فى عَدىّ أمانة عدىّ بن سَعْد عن تُقًى أو تَواصل
فقد كنتُ أرجو أنّ ذلك فيكمُ بحَمْد الذى لا يُطَّبَى بالجَعائل[8]
وبُدّلت شِبلاً شبلَ كلّ خبيثة بذى فَجَر مأوى الضّعاف الأرامل[9]

(١) المغلغلة : الرسالة ترسل من بلد إلى بلد .
(٢) عال فى الميزان يعول : خان .
(٣) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « فى القوم » .
(٤) كذا فى ا . ونصب «عائذا» على الفعل المتروك إظهاره. وفى سائر الأصول: «وعائذ»
(٥) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « يغلوا » . (بالغين المعجمة) .
(٦) يأشبه : يخلطه .
(٧) حر أرضهم : أرضهم الكريمة . والبلابل : وساوس الأحزان .
(٨) لايطبى : لايستمال ولا يستدعى . والجعائل : جمع جعالة (بالفتح) وهى الرشوة .
(٩) الفجر : العطاء الكثير .

وقال عبد الله بن الحارث أيضاً :

وتلك قريشٌ تجحد الله حقَّه ... كما جَحَدت عادٌ ومَدينُ والحِجْر[1]

فإن أنا لم أُبرِق فلا يسعَنَّنى ... من الأرض بَرٌّ ذو فضاء ولا بحر[2]

بأرض بها عَبدَ الإلهَ محمدٌ ... أُبيّن ما فى النفس إذ بُلغ النقْر[3]

فسمّى عبد الله بن الحارث ـ يرحمه الله ـ لبيته الذى قال : « المُبْرِق » .

شعر عثمان ابن مظعون فى ذلك

وقال عثمان بن مَظْعون يُعاتب أمية بن خَلَف بن وَهْب بن حُذافة ابن جُمَح ، وهو ابن عمّه ، وكان يُؤذيه فى إسلامه ، وكان أمية شريفاً فى قومه فى زمانه ذلك .

أتيمَ بن عَمْرو لِلّذى جاء بِغِضَةً[4] ... ومِنْ دونه الشّرمان والبَرْكُ أكتعُ[5]

أأخرجتَنى من بطن مكة آمناً ... وأسكنتَنى فى صَرْح بيضاءَ[6] تقذع[7]

---

(١) الحجر : يريد أهل الحجر ، وهم ثمود .

(٢) أبرق : أهدد .

(٣) النقر : البحث عن الشيء ويروى : « النفر » بالفاء .

(٤) أراد عجبا للذى جاء ، والعرب تكتفى بهذه اللام فى التعجب ، كقوله عليه السلام : لهذا العبد الحبشى جاء من أرضه وسمائه إلى الأرض التى خلق منها . قاله فى عبد حبشى دفن فى المدينة . وقال فى جنازة سعد بن معاذ وهو واقف على قبره وتقهقر ، ثم قال : سبحان الله ! لهذا العبد الصالح ضم عليه القبر ، ثم فرج عنه.

(٥) قال أبو ذر : والشرمان (بالفتح) : موضع . ومن رواه الشرمان (بكسر النون) فهو تثنية شرم ، وهو لجة البحر . والبرك : جماعة الإبل الباركة ؛ وقيل هو اسم موضع هنا ، وهو أشبه . وقوله : « والبرك أكتع » هذه رواية غريبة ، لأنه أكد بأكتع دون أن يتقدمه أجمع .

(٦) صرح بيضاء : يريد مدينة الحبشة . وأصل الصرح : القصر ، يريد أنه ساكن عند قصر النجاشى ، ويروى : صرح بيطاء (بفتح الباء وكسرها) . والبيطاء : اسم سفينة .

(٧) تقذع : تكره ، كأنه من أقذعت الشيء : إذا صادفته قذعا ، ويقال أيضا : قذعت الرجل إذ رميته بالفحش ، يريد أن أرض الحبشة مقذوعة. ويروى : « تقدع » بالدال المهملة. وتقدع : تدفع . قال السهيلى ما معناه : وأحسب أن « صرح بيضاء تقذع » محرفة عن : « صرح بيماء تقدع » .

تريش نبالاً لا يُواتيك ريشُها[1] وتَبْرى نبالًا ريشُها لك أجمعُ
وحاربتَ أقوامًا كرامًا أعزةً وأهلكتَ أقوامًا بهم كنتَ تفزَع[2]
ستعلم إنْ نابتك يومًا ملمّةٌ وأسلمك الأوباش ما كنتَ تصْنع[3]

وتيم بن عمرو ، الذي يدعو عثمانُ ، جمحُ ، كان اسمه تيمًا[4] .

إرسال قريش إلى الحبشة فى طلب المهاجرين إليها ٥

قال ابن إسحاق :

رسول قريش إلى النجاشى لاسترداد المهاجرين

فلما رأت قريش أن أصحاب رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم قد أمنوا واطمأنوا بأرض الحبشة ، وأنهم قد أصابوا بها داراً وقراراً ، ائتمروا بينهم أن يبعثوا فيهم منهم رجُلَين من قريش جَلْدين إلى النجاشى ، فيردّهم عليهم ، ليَفتنوهم فى دينهم ، ويُخْرجوهم من دارهم ، التى اطمأنوا بها وأمنوا فيها ؛ فبعثوا عبدَ الله[5] ١٠

---

(١) ريشها : من رواه بفتح الراء ، فهو مصدر راشه يريشه ريشا : إذا نفعه وجبره ، ومن رواه بكسر الراء فهو جمع ريشة .

(٢) تفزع : تغيث وتنصر . ويروى : « تقرع » : أى تضارب .

(٣) الأوباش : الضعفاء الداخلون فى القوم وليسوا منهم .

(٤) كذا فى ا ، ط. وسمى تيم بن عمرو جمح، لأن أخاه سهم بن عمرو، وكان اسمه زيدا ، ١٥ سابقه إلى غاية فجمح عنها تيم ، فسمى جمح ، ووقف عليها زيد فقيل : قد سهم زيد فسمى سهما . وفى سائر الأصول: «وتيم بن عمرو الذى كان يدعى عثمان بن جمح» وهو تحريف.

(٥) وعبد الله بن أبى ربيعة هذا كان اسمه بحيرى ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أسلم عبد الله . وأبوه : أبو ربيعة ذو الرمحين ، وفيه يقول ابن الزبعرى :

بحيرى بن ذى الرمحين قرب مجلسى وراح علينا فضله وهو عاتم ٢٠

واسم أبى ربيعة : عمرو ؛ وقيل : حذيفة . وأم عبد الله بن أبى ربيعة أسماء بنت مخربة التميمية ، وهى : أم أبى جهل بن هشام . وعبد الله بن أبى ربيعة هذا هو والد عمر ابن عبد الله بن أبى ربيعة الشاعر ، ووالد الحارث أمير البصرة المعروف بالقباع ، وكان فى أيام عمر واليا على الجند فى أيام عثمان ، فلما سمع بحصر عثمان جاءه لينصره فسقط عن دابته فمات .

ابن أبى رَبيعة ، وعمرو بن العاص بن وائل ، وجمعوا لهما هدايا للنجاشى ولبطارقته[1] ، ثم بعثوهما إليه[2] فيهم فقال أبو طالب ، حين رأى ذلك من رَأْيهم وما بعثوهما فيه ، أبياتاً للنجاشىّ يحضّه على حُسْن جوارهم والدَّفْع عنهم :

شعر أبى طالب للنجاشى يحضه على الدفع عن المهاجرين

ألا ليت شعرى كيفَ فى النأى[3] جعفرٌ وعمرو وأَعْداء العـــدوّ الأقاربُ

وهل[4] نالت أفعالُ النجاشى جعفرًا وأصحابَه أو عاق ذلك شاغب[5]

تعلّمْ ، أبيتَ اللعن ، أنك ماجدٌ كريمٌ فلا يَشْقى لديك المُجانب[6]

تعلّمْ بأن الله زادك بَسْطةً وأسبابَ خَيرٍ كلّها بك لازب[7]

وأنّك فيضٌ ذو سِجال غزيرةٍ يَنال الأعادى نفعَها والأقارب[8]

حديث أم سلمة عن رسولى قريش مع النجاشى

قال ابن إسحاق : حدّثنى محمد بن مُسلم الزهرى عن أبى بَكْرِ بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المَخْزومى ، عن أمّ سَلَمة بنت أبى أميّة بن المُغيرة زوج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قالت :

---

(١) البطارقة : جمع بطريق ، وهو القائد أو الحاذق بالحرب .

(٢) ويقال إن قريشا بعثت مع ابن أبى ربيعة وعمرو بن العاص ، عمارة بن الوليد ابن المغيرة ، الذى عرضته قريش على أبى طالب ليأخذه ، ويدفع إليهم محمدا ليقتلوه . والظاهر أن إرسالهم إياه مع عمرو كان فى المرة الأخرى ، ويروون فيها : أن عمرا سافر بامرأته ، فلما ركبوا البحر ، وكان عمارة قد هوى امرأة عمرو وهويته، فعزما على دفع عمرو فى البحر ، فدفعاه فسقط فيه ثم سبح، ونادى أصحاب السفينة فأخذوه ورفعوه إلى السفينة، وأضمرها عمرو فى نفسه، ولم يبدها لعمارة . فلما أتيا أرض الحبشة مكر به عمرو ، فى حديث طويل ذكره أبو الفرج الأصفهانى فى كتابه الأغانى .

(٣) النأى : البعد .

(٤) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « فهل نال أفعال » .

(٥) عاق : منع . وشاغب : من الشغب . ويروى : شاعب (بالعين المهملة) . والشاعب : المفرق .

(٦) أبيت اللعن : هى تحية كانوا يحيون بها الملوك فى الجاهلية ، ومعناه : أبيت أن تأتى ما تذم عليه . وقيل معناه : أبيت أن تتم من يقصدك والمجانب: الداخل فى حمى الإنسان المنضوى إلى جانبه.

(٧) لازب : لاصق .

(٨) الفيض : الجواد . والسجال : العطايا ؛ واحدها : سجل ، وأصل السجل : الدلو المملوءة ، ثم يستعار للعطية .

لما نزلنا أرضَ الحبشة جاوَرْنا بها خيرَ جارٍ النجاشيّ ، أمِنّا على ديننا ، وعبدْنا الله تعالى لا نُؤذَى ولا نَسمع شيئاً نكرهه ، فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشيّ فينا رجلَيْن منهم جَلْدَين ، وأن يُهْدوا للنجاشيّ هَدايا مما يُستطرف من مَتاع مكة ، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدَم[1] ، فجمعوا له أدَمًا كثيراً ، ولم يتركوا من بَطارقته بِطْرِيقاً إلا أهْدَوْا له هديّة ، ثم بعثوا بذلك عبدَ الله بن أبى رَبيعة ، وعَمْرو بن العاص ، وأمروهما بأمرهم ، وقالوا لهما : ادفعا إلى كل بطْريق هديّته قبل أن تُكلّما النجاشيّ فيهم ، ثم قدِّما إلى النجاشيّ هدَاياه ، ثم سَلاه أن يُسَلّمهم إليكما قبل أن يُكلّمهم . قالت : فخرجا حتى قدما على النجاشيّ ، ونحن عنده بخير دارٍ ، عند خَيْر جار ، فلم يبقَ من بطارقته بِطْرِيقٌ إلا دَفَعاَ إليه هديّته قبل أن يُكلّما النجاشي ، وقالا لكل بطريق منهم : إنه قد ضَوَى[2] إلى بَلَد الملك منّا غِلْمانٌ سُفهاء ، فارقوا دينَ قَومهم ، ولم يدخلوا فى دينكم ، وجاءوا بدين مُبتدَع ، لا نَعْرفه نحن ولا أنتم ، وقد بَعَثَنا إلى الملك فيهم أشرافُ قومهم ليردّهم إليهم ، فإذا كلّمنا الملكَ فيهم ، فأشِيرُوا عليه بأن يُسْلِمَهم إلينا ولا يكلّمهم ، فإن قومَهم أعْلَى بهم عَيْناً[3] ، وأعلم بما عابوا عليهم ؛ فقالوا لهما : نعم . ثم إنهما قدّما هداياهما إلى النجاشيّ فقبلها منهما ، ثم كلّماه فقالا له : أيها الملك ، إنه قد ضوى إلى بلدك منّا غِلْمان سُفهاء ، فارقوا دينَ قومهم ولم يدخلوا فى دينك ، وجاءوا بدينٍ ابتدعوه لا نَعْرفه نحن ولا أنت ، وقد بَعَثَنا إليك فيهم أشرافُ قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردّهم إليهم ، فهم أعلى بهم عَيناً وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه . قالت : ولم يكن شىء أبغضَ إلى عبد الله بن أبى رَبيعة

(١) الأدم : الجلود ، وهو اسم جمع .
(٢) ضوى : لجأ ولصق وأتى ليلا .
(٣) أعلى بهم عينا : أبصر بهم . أى عينهم وأبصارهم فوق عين غيرهم .

وعمرُو بن العاص من أن يسمع كلامَهم النجاشى . قالت : فقالت بطارقته حوله : صَدَقا أيها الملك ، قومهم أعلى بهم عَيْناً ، وأعلم بما عابوا عليهم ، فأسْلِمْهم إليهما فليردّاهم إلى بلادهم وقومهم . قالت : فغضب النجاشى ، ثم قال : لاها الله ، إذًا لا أُسلِمهم إليهما ، ولا يُكاد قومٌ جاورونى ، ونزلوا بلادى ، واُختارونى على مَنْ سواى ، حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان فى أمرهم ، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ، ورددتُهم إلى قومهم ، و إن كانوا على غير ذلك مَنعتُهم منهما ، وأحسنتُ جِوارهم ما جاورونى .

احضار النجاشى للمهاجرين وسؤاله لهم عن دينهم وجوابهم عن ذلك

قالت : ثم أرسل إلى أصحاب رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم فدعاهم ، فلما جاءهم رسولُه اُجتمعوا ، ثم قال بعضُهم لبعض : ما تقولون للرجل إذا جِئْتموه ؟ قالوا : نقول والله ما عَلِمْنا ، وما أمَرنا به نبيُّنا صلّى الله عليه وسلّم كائناً فى ذلك ما هو كائن . فلما جاءوا ، وقد دعا النجاشى أساقفتَه(1) ، فنشروا مَصاحفَهم حولَه ، سألهم فقال لهم : ما هذا الدينُ الذى قد فارقتم فيه قومَكم ، ولم تدخلوا [به](2) فى دينى ، ولا فى دين أحد من هذه الملل ؟ قالت : فكان الذى كلّمه جعفرُ ابن أبى طالب [رضوان الله عليه](2) ، فقال له : أيها الملك ، كنّا قومًا أهلَ جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسىء الجِوار ، و يأكل القوىُّ منّا الضعيفَ ؛ فكنّا على ذلك ، حتى بعث الله إلينا رسولاً منّا، نعرف نسبَه وصِدْقه وأمانَتَه وعفافَه ، فدعانا إلى الله لنوحّده ونعبدَه ، ونخلَع ما كنّا نعبُد نحنُ وآباؤنا من دونه من الحِجارة والأوثان ، وأمَرَنا بصِدْق الحَديث ، وأداء الأمانة ، وصِلة الرّحم ، وحُسْن الجِوار ، والكَفّ عن المَحارم والدّماء ، ونهانا عن الفَواحش ، وقولِ الزّور ، وأكل

(1) الأساقفة : علماء النصارى الذين يقيمون لهم دينهم ، واحدهم أسقف ، وقد يقال بتشديد الفاء .

(2) زيادة عن ا .

مال اليتيم ، وقَذْف المُحْصنات ؛ وأمَرَنا أن نعبد الله وحدَه لا نُشرك به شيئاً ، وأمرَنا بالصلاة والزكاة والصيام — قالت : فعدّد عليه أمورَ الإسلام — فصدّقناه وآمنّا به ، واتبعناه على ماجاء به من الله ، فعبدنا الله وَحدَه فلم نشرك به شيئاً ، وحرّمنا ما حرّم علينا . وأحْللنا ما أحلّ لنا ، فعدا علينا قومُنا ، فعذّبونا وفَتنونا عن دِيننا ، ليردّونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى ، وأن نستحلّ ما كنّا نستحلّ من الخَبائث ، فلمّا قهرونا وظَلموا وضيّقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين دِيننا ، خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على مَنْ سواك ؛ ورَغِبْنا فى جوارك ، ورَجوْنا أن لا نُظلَم عندك أيها الملك . قالت : فقال له النجاشى : هل معك مما جاء به عن الله من شىء ؟ قالت : فقال له جعفر : نعم ؛ فقال له النجاشى : فاقرأه علىّ ؛ قالت : فقرأ عليه صدراً من : « كهيعص » . قالت : فبكى والله النجاشىُّ حتى اخضلّت[1] لحيتُه ، وبكت أساقفتُه حتى أخْضلوا مَصاحفهم ، حين سمعوا ما تلا عليهم ؛ ثم قال [لهم][2] النجاشى : إن هذا والذى جاء به عيسى[3] ليخرجُ من مِشكاةٍ[4] واحدة ، انطلقا ، فلا والله لا أُسْلمهم إليكما ، ولا يُكادون[5] .

مقالة المهاجرين فى عيسى عليه السلام عند النجاشى

قالت : فلما خرجَا من عنده ، قال عمرو بن العاص : والله لآتينّه غداً عنهم بما أستأصل به خَضْرَاءهم[6] . قالت : فقال له عبد الله بن أبى ربيعة ،

(١) كذا فى أكثر الأصول . واخضلت لحيته : ابتلت . وفى ا : « حتى أخضل لحيته » : أى بلها .

(٢) زيادة عن ا .

(٣) فى ا : « موسى » .

(٤) المشكاة : قال فى لسان العرب : « وفى حديث النجاشى : إنما يخرج من مشكاة واحدة . المشكاة : الكوة غير النافذة ؛ وقيل هى الحديدة التى يعلق عليها القنديل » أراد أن القرآن والانجيل كلام الله تعالى ، وأنهما من شىء واحد .

(٥) فى ا : « أكاد » .

(٦) خضراءهم : شجرتهم التى منها تفرعوا .

وكان أَتْـقَى[1] الرَّجلَين فينا : لا نفعل ، فإن لهم أرحامًا ، وإنْ كانوا قد خالفونا ؛ قال : والله لأُخبرنّه أنهم يزعمون ان عيسى بنَ مريم عَبْدٌ . قالت : ثم غدا عليه [من][2] الغد : فقال [له][2] : أيها الملك ، إنهم يقولون فى عيسى بن مَرْيم قولاً عظيمًا ، فأرسِل إليهم فسَلْهم عمّا يقولون فيه . قالت :

٥ فأرسل إليهم ليسألهم عنه . قالت : ولم ينزل بنا مثلُها قطُّ . فاجتمع القومُ ، ثم قال بعضُهم لبعض : ما ذا تقولون فى عيسى بن مريم إذا سألكم عنه ؟ قالوا : نقول والله ما قال اللهُ ، وما جاءنا به نبيّنا ، كائناً فى ذلك ما هو كائن . قالت : فلمّا دخلوا عليه قال لهم ما ذا تقولون فى عيسى بن مريم ؟ قالت : فقال جعفر بن أبى طالب : نقول فيه الذى جاءنا به نبينا صلّى الله عليه

١٠ وسلّم ، [يقول][2] : هو عبدُ الله ورسولُه ورُوحُه وكَلِمتُه ألقاها إلى مَرْيم العذراء البَتول . قالت : فضرب النجاشىُّ بيده إلى الأرض ، فأخذ منها عوداً ، ثم قال : والله ما عدا عيسى بنَ مريم ما قلتَ هذا العودَ[3] قالت : فتناخرت بطارقتُه حوله حين قال ماقال ؛ فقال : وإن نخرتم والله ، اذهبُوا فأنتم شُيوم بأرضى — والشيوم[4] : الآمنون — من سبَّكم غَرِم ، ثم قال من سبكم غَرِم ، ثم

١٥ قال : من سبكم غَرِم[5] : ما أحبّ أن لى دَبراً من ذهب ، وأنى آذيت رجلا منكم — قال ابن هشام : ويقال دِبراً من ذهب ، ويقال : فأنتم سيوم والدبر :

---

(١) فى ا : « أبق » .

(٢) زيادة عن ا .

(٣) كذا فى ا . وهذا العود : منصوب على الظرفية : أى مقدار هـذا العود . يريد

٢٠ أن قولك لم يعد عيسى بن مريم بمقدار هذا العود . وفى سائر الأصول : « ماعدا عيسى ابن مريم مما قلت » .

(٤) قال السهيلى : « يحتمل أن تكون لفظة حبشية غير مشتقة ، ويحتمل أن يكون لها أصل فى العربية ، وأن تكون من شمت السيف ، أى أغمدته ، لأن الآمن مغمد عنه السيف ، أو لأنه مصون فى حرز كالسيف فى غمده .

٢٥ (٥) كذا فى أكثر الأصول . وقد وردت هذه العبارة فى ا مكررة مرتين فقط .

(بلسان الحبشة) : الجبل ـ ردوا عليهما هَدَاياهما فلا حاجة لى بها ، فوالله ما أخذ اللهُ منّى الرشوةَ حين ردّ علىّ مُلكى ، فآخذَ الرشوة فيه ، وما أطاع الناس فىّ فأطيعهم فيه . قالت فخرجا من عنده مَقبُوحَيْن مردوداً عليهما ما جاءا به ، وأقمنا عنده بخير دارٍ مع خير جارٍ .

فرح المهاجرين بنصرة النجاشى على عدوه

قالت : فوالله إنّا لعلَى ذلك إذ نزل به رجلٌ من الحبشة ينازعه ٥ فى مُلكه . قالت : فوالله ما علمتُنا حَزِنّا حزناً قطُّ كان أشدَّ [علينا][1] من حُزنٍ حَزِنّاه عند ذلك ، تخوّفاً أن يَظْهر ذلك الرجلُ على النجاشىّ ، فيأتى رجلٌ لا يعرف مِنْ حَقّنا ما كان النجاشىُّ يَعْرِف منه . قالت : وسار إليه النجاشىُّ ، وبينهما عرضَ النيل قالت : فقال أصحاب رسول الله ، صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم : مَنْ رجلٌ يخرج حتى يحضُر وَقيعةَ القوم ثم يأتينا بالخبر ؟ قالت : فقال ١٠ الزبير بن العوام : أنا ؛ قالوا : فأنت . وكان مِن أحدث القوم سنًّا . قالت : فنفخوا له قِرْبةً فجعلها فى صَدْره ، ثم سَبَح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التى بها مُلْتقي القوم ، ثم انطلق حتى حَضَرهم . قالت : فدعونا اللهَ تعالى للنجاشىّ بالظهور على عدوّه ، والتَّمكين له فى بلاده قالت : فوالله إنّا لعَلى ذلك مُتوقّعون لما هو كائن ، إذ طلع الزُّبير وهو يسعى ، فلمع[2] بثَوْبه وهو يقول : ألا أبْشروا ، ١٥ فقد ظفر[3] النجاشىّ ، وأهْلك اللهُ عدوّه ، ومكّن له فى بلاده قالت فوالله ما علمتُنا فَرِحْنا فرحةً قط مثلَها . قالت : ورجع النجاشىُّ ، وقد أهلك الله عدوّه ، ومكّن له فى بلاده ، واستوسق[4] عليه أمرُ الحبشة ، فكُنّا عنده فى خير مَنْزل ، حتى قدِمْنا على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم وهو بمكة .

---

٢٠ (١) زيادة عن ا .
(٢) لمع بثوبه وألمع به : إذا رفعه وحركه ليراه غيره فيجىء إليه .
(٣) فى ا : « ظهر » .
(٤) كذا فى ا د ط . واستوسق: تتابع واستقر واجتمع . وفى سائر الأصول : « استوثق » .

قصة تملك النجاشى على الحبشة

قتل أبى النجاشى وتولية عمه

قال ابن إسحاق : قال الزهرىّ : فحدّثتُ عُروة بن الزبير حديثَ أبى بكر ابن عبد الرحمن عن أم سلمة زوج النبى صلّى الله عليه وسلّم ، فقال :

هل تدرى ما قولُه : ما أخذ الله منّى الرّشوة حين ردّ على ملكى فآخذ الرّشوةَ فيه ، وما أطاع الناس فىّ[1] فأطيع الناسَ فيه ؟ قال قلت: لا؛ قال : فإن عائشة أم المؤمنين حدّثتنى أنّ أباه كان ملكَ قومه ، ولم يكن له ولدٌ إلا النجاشى ، وكان للنجاشى عمٌّ ، له من صلبه اثنا عشرَ رجلاً ، وكانوا أهلَ بيت مملكة الحبشة ، فقالت الحبشة بينها : لو أنّا قتلنا أبا النجاشى وملّكنا أخاه فإنه لا وَلَدَ له غير هذا الغلام ، و إنّ لأخيه من صُلبه اثنى عَشرَ رجلاً ، فتوارثوا مُلْكه من بعده ، بقيت الحبشة بعده دهرًا ؛ فغَدَوا على أبى النجاشى فقتلوه وملّكوا أخاه، فمكثوا على ذلك حيناً .

غلبة النجاشى عمه على أمره وسعى الأحباش لإبعاده

ونشأ النجاشىُّ مع عمّه ، وكان لبيباً حازمًا من الرجال ، فغلب على أمْر عمّه ، ونزل منه بكلّ منزلة ، فلما رأت الحبشةُ مكانَه [منه][2] قالت بينها : والله لقد غَلَب هذا الفتى على أمر عمّه ، و إنّا لنتخوّف أن يملّكه علينا ، و إن ملّكه علينا ليقتلنا أجمعين ، لقد عَرَف أنّا نحن قتلنا أباه . فمَشَوْا إلى عمّه فقالوا : إمّا أنْ تقتل هذا الفتى و إما أن تُخرجه من بين أظهرنا ، فإنا قد خِفْناه على أنفسنا ؛ قال : ويلكم ! قتلتُ أباه بالأمس ، وأقتله اليومَ ! بل أُخرجه من بلادكم قالت: فخرجوا به إلى السوق، فباعوه من رجل من التجّار بست مئة درهم : فقذفه فى سفينة فانطلق به ، حتى إذا كان العشىّ من ذلك اليوم ، هاجت سَحابةٌ من

---

(1) كذا فى ا . وفى سائر الأصول هنا : «فيه» .

(2) زيادة عن ا .

سحائب الخريف ، فخرج عمُّه يستمطر تحتها ، فأصابته صاعقةٌ فقتلته . قالت : ففزعت الحبشةُ إلى وَلَده ، فإذا هو مُحمّق ليس فى ولده خيرٌ ، فمرج[1] على الحبشة أمرُهم[2] .

تولية الملك برضا الحبشة

فلما ضاق عليهم ما هُمْ فيه من ذلك ، قال بعضهم لبعض : تعلَموا والله أن مَلِكَكم الذى لا يُقيم أمرَكم غيرُه لَلَّذى بِعتم غدوةً ، فإن كان لكم بأمر الحبشة حاجة فأدركوه [الآن][3] . قالت : فخرجوا فى طلبه ، وطَلَبِ الرجل الذى باعوه منه حتى أدركوه فأخذوه منه ، ثم جاءوا به ، فعقدوا عليه التاجَ ، وأقعدوه على سرير المُلْك ، فملّكوه .

حديث التاجر الذى ابتاع النجاشى

فجاءهم التاجرُ الذى كانوا باعوه منه فقال : إمّا أن تُعطونى مالِى ، وإمّا أن أكلّمه فى ذلك ؟ قالوا : لا نُعْطيك شيئاً ؛ قال : إذاً والله أكلّمه ؛ قالوا : فدونك وإياه . قالت : فجاءه فجلس بين يديه ، فقال : أيها الملك ، أبتعتُ غلامًا من قوم بالسوق بست مئة درهم ، فأسْلَموا إلىّ غلامى وأخذوا دَراهمى ، حتى إذا سِرْت بغُلامى أدْرَكونى، فأخذوا غلامى ، ومنعونى دَراهمى . قالت ؛ فقال لهم النجاشى: لتُعْطُنّه دراهمَه، أوليضعنّ غلامُه يده فى يده، فليذهبن به حيث شاء ؛ قالوا : بل نُعطيه دراهمَه . قالت : فلذلك يقول : ما أخذ الله منّى رشوةً حين ردّ علىّ مُلْكى ، فآخذ الرّشوة فيه ، وما أطاع الناس فىّ فأُطيع الناس فيه . قالت : وكان ذلك أول ما خُبِر من صَلابته فى دينه ، وعَدْله فى حكمه .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى يزيد بن رُومان عن عُروة بن الزّبير عن عائشة ، قالت :

لما مات النجاشىّ كان يُتحدّث أنه لايزال يُرى على قبره نورٌ .

---

(1) مرج : قلق واختلط .

(2) هذا يدل على طول المدة فى مغيب النجاشى عنهم . (راجع الروض الأنف) .

(3) زيادة عن ا .

خروج الحبشة على النجاشي

قال ابن إسحاق : وحدّثني جَعْفر بن محمد عن أبيه قال :

اجتمعت الحبشة ، فقالوا للنجاشي : إنك قد فارقتَ ديننَا ، وخرجوا عليه . فأرسل إلى جعفر وأصحابه ، فهيّأ لهم سُفناً ، وقال : اركبوا فيها وكُونُوا كما أنتم ، فإن هزمتُ فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم ، وإن ظفرتُ فاثبتُوا . ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه : هو يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبدُه ورسولُه ، ويشهد أن عيسى بن مريم عبدُه ورسوله وروحه ، وكلمته ألقاها إلى مريم ؛ ثم جعله في قَبائه عند المنكب الأيمن ، وخرج إلى الحبشة ، وصفّوا له ، فقال : يا معشر الحبشة ، ألستُ أحقَّ الناس بكم ؟ قالوا : بلى ؛ قال : فكيف رأيتم سيرتي فيكم ؟ قالوا : خير سيرة ؛ قال : فما بالكم[1] ؟ قالوا : فارقت ديننا ، وزعمتَ أنّ عيسَى عبدٌ ؛ قال : فما تقولون أنتم في عيسى ؟ قالوا : نقول هو ابنُ الله ؛ فقال النجاشي ، ووضع يده على صدره على قبائه : هو يشهد أن عيسى بنَ مريم ، لم يَزِد على هذا شيئاً ، وإنما يعني[2] ما كَتب ، فرضُوا وانصرفوا . [عنه][3] . فبلغ ذلك النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم ، فلما مات النجاشيُّ صلى عليه ، واستغفر له[4] .

---

(١) كذا في أ ، وفي سائر الأصول : « فما لكم » .

(٢) قال السهيلي في التعليق على هذا الكتاب : « وفيه من الفقه أنه لا ينبغي للمؤمن أن يكذب كذبا صراحا ولا أن يعطي بلسانه الكفر وإن أكره ، ما أمكنته الحيلة ، وفي المعاريض مندوحة عن الكذب ، وكذلك قال أهل العلم في قول النبي عليه السلام : ليس بالكاذب من أصلح بين اثنين فقال خيرا . روته أم كلثوم بنت عقبة ، قالوا : معناه أن يعرض ولا يفصح بالكذب ، مثل أن يقول : سمعته يستغفر لك ويدعو لك ، وهو يعني أنه سمعه يستغفر للمسلمين ويدعولهم ، لأن الآخر من جملة المسلمين ، ويحتال في التعريض ما استطاع ، ولا يختلق الكذب اختلاقا ، وكذلك في خدعة الحرب ، يوري ويكني ولا يختلق الكذب يستحله بما جاء من اباحة الكذب في خدع الحرب . هذا كله ما وجد إلى الكناية سبيلا .

(٣) زيادة عن ا .

(٤) وكان موت النجاشي في رجب من سنة تسع ، ونعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم =

إسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه

اعتزاز المسلمين بإسلام عمر

قال ابن إسحاق :

ولما قدم عمرو بن العاص . وعبد الله بن أبى ربيعة على قريش ، ولم يُدركوا ما طلبوا من أصحاب رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وردّهما النجاشىُّ بما يكرهون ، وأسلم عمرُ بن الخطّاب ، وكان رجلاً ذا شَكيمة لا يُرام ما وراء ظهره ، امتنع به أصحابُ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم و بحَمْزة حتى عازُّوا[1] قريشاً ، وكان عبدُ الله بن مسعود يقول : ما كنّا نقدر على أن نصلّى عند الكعبة، حتى أسلم عمر [بن الخطاب][2] ، فلما أسلم قاتل قريشاً حتى صلّى عند الكعبة ، وصلّينا معه ، وكان إسلام عمر بعد خروج مَنْ خَرج من أصحاب رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى الحبشة .

قال البكائى[3] قال حدّثنى مسعر بن كِدَام ، عن سَعْد بن إبراهيم قال قال عبد الله بن مسعود :

= إلى الناس فى اليوم الذى مات فيه ، وصلى عليه بالبقيع ، رفع إليه سريره بأرض الحبشة حتى رآه وهو بالمدينة فصلى عليه ، وتكلم المنافقون، فقالوا: أيصلى على هذا العلج ؟ فأنزل الله تعالى : « وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم » .

ويقال إن أبا نيزر ، مولى على بن أبى طالب ، كان ابنا للنجاشى نفسه ، وإن عليا وجده عند تاجر بمكة فاشتراه منه وأعتقه، مكافأة لما صنع أبوه مع المسلمين . ويقال إن الحبشة مرج عليها أمرها بعد النجاشى ، وإنهم أرسلوا وفدا منهم إلى أبى نيزر وهو مع على ليملكوه ويتوجوه ، ولم يختلفوا عليه ، فأبى وقال : ما كنت لأطلب الملك بعد أن منّ الله علىّ بالاسلام ، وكان أبو نيزر من أطول الناس قامة وأحسنهم وجها ، ولم يكن لونه كألوان الحبشة ، ولكن إذا رأيته قلت : هذا رجل من العرب . (راجع الروض الأنف).

(١) عازوا قريشا : غلبوهم .

(٢) زيادة عن ا .

(٣) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « قال ابن هشام . . . الخ » .

إن إسلام عمر كان فتحاً ، وإنّ هجرته كانت نصرًا ، وإن إمارته كانت رحمة ، ولقد كنّا ما نصلّى عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم قاتل قريشاً حتى صلّى عند الكعبة وصلّينا معه .

حديث أم عبد الله عن إسلام عمر

قال ابن إسحاق : حدّثنى عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عيّاش ٥ ابن أبى رَبيعة عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أُمه أم عبد الله بنت أبى حَثْمة، قالت :

والله إنّا لنترحّل إلى أرض الحبشة ، وقد ذهب عامرٌ فى بعض حاجاتنا ، إذا أقبل عمر بن الخطاب حتى وقف علىّ وهو على شركه ـ قالت : وكنّا نلقى منه البلاء أذًى لنا وشدّة علينا ـ قالت : فقال : إنه للانطلاق يا أمّ عبد الله .

١٠ قالت : فقلت : نعم والله ، لنخرجنّ فى أرض الله ، آذيتمونا وَقَهرتمونا ، حتى يجعل الله مخرجًا[1] . قالت : فقال : صَحِبكم الله ، ورأيت له رِقّة لم أكن أراها ، ثم انصرف ، وقد أَحْزنه ـ فيما أرى ـ خروجُنا قالت : فجاء عامر بحاجته تلك ، فقلت له : يا أبا عبد الله ، لو رأيت عمرَ آنفاً ورقّته وحُزْنه علينا . قال : أطمعتِ فى إسلامه ؟ قالت قلت : نعم ؛ قال : فلا يُسلم الذى رأيتِ حتى يُسلم حمار ١٥ الخطّاب ؛ قالت : يأساً منه ، لما كان يُرى من غِلْظته وقَسْوته عن الإسلام .

حديث آخر عن إسلام عمر

قال ابن إسحاق :

وكان إسلامُ عمرَ فيما بلغنى أنّ أُختَه فاطمَة بنت الخطّاب ، وكانت عند سَعيد بن زيد بن عَمْرو بن نُفيل ، وكانت قد أسلمتْ وأسلم بعلها سعيدُ بن زيد ، وهما مُستخفيان بإسلامهما من عُمر ، وكان نُعيم بن عبد الله النحّام[2] ، رجل من ٢٠ قومه ، من بنى عدىّ بن كَعْب قد أسلم ، وكان أيضاً يستخفى بإسلامه فَرَقًا

(١) فى ا : « فرجا » .

(٢) كذا فى ا . وفى أكثر الأصول : « . . . النحام من مكة . . . الخ » .

من قومه ، وكان خبّاب بن الأرتّ[1] يختلف إلى فاطمة بنت الخطّاب يُقرئها القرآن، فخرج عمرُ يومًا متوشّحا سيفَه يريد رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ورهطًا من أصحابه قد ذُكروا له أنهم قد اجتمعوا فى بيتٍ عند الصّفا ، وهم قريبٌ من أربعين ما بين رجال ونساء ، ومع رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم عمُّه حمزةُ ابن عبد المطّلب ، وأبو بكر بن أبى قُحافة الصّديق ، وعلىّ بن أبى طالب ، فى رجال من المسلمين رضى الله عنهم ، ممن كان أقام مع رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم بمكة ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة ، فلقيه نُعيم بن عبد الله ، فقال له : أين تريد يا عمرُ ؟ فقال : أريد محمدًا هذا الصابئ، الذى فرّق أمرَ قُريش، وسفّه أحلامَها ، وعاب دِينَها ، وسبّ آلهتها ، فأقتُله ؛ فقال له نعيم : والله لقد غرّتك نفسُك مِنْ نفسِك يا عمر . أترى بَنى عبد مناف تارِكيك تمشى على الأرض ، وقد قتلت محمدًا ! أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتُقيم أمرَهم ؟ قال : وأىّ أهل بيتى ؟ قال : خَتَنُك وابن عمّك سَعيد بن زيد بن عمرو ، وأختك فاطمةُ بنت الخطّاب ، فقد والله أسلَما وتابعا محمدًا على دينه ، فعليك بهما ؛ قال : فرجع عمرُ عامدًا إلى أخته وخَتنه ، وعندهما خبّاب بن الأرت معه صحيفةٌ . فيها : « طه » يقرئهما إياها ، فلما سمعوا حسّ عمر، تغيّب خبّاب فى مخدع[2] لهم، أو فى

---

(1) وكان خباب تميميا بالنسب كما كان خزاعيا بالولاء لأم أنمار بنت سباع الخزاعى ، وكان قد وقع عليه سباء ، فاشترته وأعتقته ، فولاؤه لها . وكان أبوها حليفا لعوف ابن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة ، فهو زهرى بالحلف . وهو ابن الأرت ابن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، كان قينا يعمل السيوف فى الجاهلية ، وقد قيل إن أمه كانت أم سباع الخزاعية ، ولم يلحقه سباء ، ولكنه انتمى إلى حلفاء أمه بنى زهرة ؛ ويكنى أبا عبد الله ، وقيل أبا يحيى ، وقيل أبا محمد . مات بالكوفة سنة تسع وثلاثين بعد ماشهد صفين مع على والنهروان . وقيل مات سنة سبع وثلاثين . ذكر أن عمر بن الخطاب سأله عما لقى فى ذات الله فكشف ظهره . فقال عمر : مارأيت كاليوم! فقال : يا أمير المؤمنين، لقد أوقدت لى نار فما أطفأها إلا شحمى .

(2) المخدع ، البيت الصغير الذى يكون داخل البيت الكبير ، وتضم ميمه وتفتح : (راجع النهاية لابن الأثير) .

بعض البيت ، وأخذت فاطمةُ بنت الخطّاب الصحيفةَ فجعلتها تحت فَخذها ، وقد سَمِع عمرُ حين دنا إلى البيت قراءة خبّاب عليهما ، فلما دخل قال : ما هذه الهَيْنمة[١] التى سمعتُ ؟ قالا له : ما سمعتَ شيئاً ؛ قال: بلى والله ، لقد أُخبرت أنكما تابعتما محمدًا على دينه ، و بطش بخَتنه سعيد بن زيد ؛ فقامت
إليه أختُه فاطمة بنت الخطّاب لتكفّه عن زوجها ، فضربها فشجّها ، فلما فعل ذلك قالت له أخته وخَتنه : نعم ، قد أسلمنا وآمنّا بالله ورسوله ، فاصنع ما بدا لك . فلما رأى عمر ما بأخته من الدم نَدِم على ما صنع ، فارعوى[٢] ، وقال لأخته : أعطينى هذه الصحيفة التى سَمِعْتُكم تقرءون آنفاً أنظر ماهذا الذى جاء به محمد ، وكان عمر كاتباً ، فلما قال ذلك ، قالت له أخته إنّا نَخْشاك عليها ؛ قال :
لاتخافى ، وحلف لها بآلهته ليردّنها إذا قرأها إليها ؛ فلما قال ذلك طمعتْ فى إسلامه ، فقالت له : يا أخى ، إنك نَجِس ، على شِرْكك ، و إنه لا يمسّها إلا الطاهر[٣] ،

---

(١) الهينمة : صوت كلام لايفهم .

(٢) ارعوى : رجع .

(٣) قال السهيلى عند الكلام على تطهير عمر ليمس القرآن : « وقول أخته له لا يمسه إلا المطهرون » : والمطهرون فى هذه الآية هم الملائكة ، وهو قول مالك فى الموطأ ، واحتج بالآية الأخرى التى فى سورة عبس ، ولكنهم وإن كانوا الملائكة فى وصفهم بالطهارة مقرونا بذكر المس ما يقتضى ألا يمسه إلا طاهر اقتداء بالملائكة المطهرين ، فقد تعلق الحكم بصفة التطهير ، ولكنه حكم مندوب إليه ، وليس محمولا على الفرض ، وإن كان الفرض فيه أبين منه فى الآية، لأنه جاء بلفظ النهى عن مسه على غير طهارة ، ولكن فى كتابه إلى هرقل بهذه الآية : « يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة » دليل على ماقلناه . وقد ذهب داود وأبو ثور وطائفة ممن سلف ، منهم : الحكم بن عتيبة وحماد بن أبى سليمان ، إلى إباحة مس المصحف على غير طهارة ، واحتجوا بما ذكرنا من كتابه إلى هرقل ، وقالوا : حديث عمرو بن حزم مرسل ، فلم يروه حجة ، والدارقطنى قد أسنده من طرق حسان ، أقواها رواية أبى داود الطيالسى عن الزهرى عن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده.. ومما يقوى أن المطهرين فى الآية هم الملائكة ، أنه لم يقل : «المتطهرون» وإنما قال : « المطهرون » . وفرق ما بين المتطهر والمطهر ، أن المتطهر من فعل الطهور ، وأدخل نفسه فيه ، كالمتفقه من يدخل نفسه فى الفقه ، وكذلك (المتفعل) فى أكثر الكلام . وأنشد سيبويه :

* وقيس عيلان ومن تقيسا *
=

قام عمرُ فاغتسل ، فأعطته الصحيفةَ ، وفيها : « طه »[1] . فقرأها ؛ فلما قرأ منها صدرًا قال : ما أحسن هـذا الكلامَ وأكرمَه ! فلما سمع ذلك خبّاب خرج إليه ، فقال له : يا عمر ، والله إنى لأرجو أن يكون الله قد خصّك بدَعْوة نبيّه ، فإنى سَمِعته أمس وهو يقول : اللهم أيّد الإسلام بأبى الحَكَم بن هشام ، أو بعُمر بن الخطّاب، فاللهَ اللهَ يا عمر . فقال له عند ذلك عمر : فدلّنى يا خبّاب على محمد حتى آتيه فأسْلم ؛ فقال له خبّاب : هو فى بيت عند الصّفا ، معه فيه نفَر من أصحابه. فأخذ عمرُ سيفَه فتوشّحه ، ثم عمد إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه فضرب عليهم البابَ ؛ فلما سمعوا صوتَه ، قام رجلٌ من أصحاب رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم فنظر من خَلل الباب ، فرآه متوشّحاً السيفَ ، فرجع إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو فزِع ، فقال : يا رسول الله ، هذا عمرُ بنُ الخطّاب متوشّحاً السيفَ ؛ فقال حمزةُ بن عبد المطّلب : فَأْذَن له ، فإنْ كان جاء يريد خَيْراً بذَلْناه له ، و إن كان [جاء][2] يريد شرًّا قتلناه بسيفه ؛ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : أئذن له . فأذِن له الرجلُ ، ونهض إليه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حتى لَقِيه فى الحجرة ، فأخذ حُجْزته[2] ، أو بمَجمع ردائه ، ثم جَبَذه [به][3] جبذةً شديدةً ، وقال : ما جاء بك يا بن الخطّاب ؟ فوالله ما أرى أن

= فالآدميون متطهرون إذا تطهروا ، والملائكة مطهرون خلقة ، والآدميات إذا تطهرن متطهرات . وفى التنزيل : « فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله » . والحور العين : مطهرات . وفى التنزيل : « لهم فيها أزواج مطهرة » . وهذا فرق بين ، وقوة لتأويل مالك رحمه الله ، والقول عندى فى الرسول عليه السلام أنه متطهر ومطهر ، أما متطهر ، فلأنه بشر آدمى يغتسل من الجنابة ويتوضأ من الحدث ؛ وأما مطهر فلأنه قد غسل باطنه وشق عن قلبه وملئ حكمة وإيمانا ، فهو مطهر ومتطهر » .

(1) وفى رواية : أن عمر حين قرأ فى الصحيفة سورة « طه » انتهى منها إلى قوله : « لتجزى كل نفس بما تسعى » . فقال : ما أطيب هذا الكلام وأحسنه ! وقيل إن الصحيفة كان فيها مع سورة طه : « إذا الشمس كورت » وإن عمر انتهى فى قراءتها إلى قوله : « علمت نفس ما أحضرت » .

(2) الحجزة : موضع شد الإزار .

(3) زيادة عن ا .

تنتهى حتى يُنزل الله بك قارعةً[1] ؛ فقال عمرُ : يا رسولَ الله ، جِئْتك لأُومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله ؛ قال . فكبّر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم تكبيرةً عرَف أهلُ البيت من أصحاب رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم أن عمرَ قد أسلم .

٥ فتفرّق أصحابُ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم من مكانهم وقد عَزّوا[2] فى أنفسهم حين أسلم عمرُ مع إسلام حمزة ، وعرفوا أنهما[3] سَيمْنعان رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم ، ويَنْتصفون بهما من عدوّهم . فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن إسلام عمرَ بن الخطّاب حين أسلم .

رواية عطاء ومجاهد عن إسلام عمر

قال ابن إسحاق : وحدّثنى عبدُ الله بن أبى نَجيح المكىّ عن أصحابه : ١٠ عَطاء ، ومجاهد ، أو عمّن روى ذلك .

أنّ إسلام عمر فيما تحدّثوا به عنه ، أنه كان يقول : كنت للإسلام مُباعدًا : وكنت صاحبَ خَمْر فى الجاهلية ، أحبّها وأُسَرّ بها ، وكان لنا مجلسٌ يَجتمع فيه رجال من قُريش بالحَزْوَرة[4] ، عند دُور آل عمرَ بن عَبْد بن عِمْران المخزومى ، قال : فخرجت ليلةً أُريد جُلسائى أولئك فى مَجْلسهم ذلك ، قال : فجئتهم فلم أجدْ ١٥ فيه منهم أحدًا[5] . قال ؛ فقلت : لو أنى جئتُ فلانًا الخمّار ، وكان بمكة يبيع الخمر ، لعلّى أجدُ عنده خمرًا فأشرب منها . قال : فخرجتُ فجئْته فلم أجدْه . قال :

---

(١) القارعة : الداهية .

(٢) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « وقد عز مافى أنفسهم » .

(٣) كذا فى ا وفى سائر الأصول : « أنهم » ولا يستقيم بها الكلام .

٢٠ (٤) الحزورة (بالفتح ثم السكون وفتح الواو وراء وهاء ، والمحدثون يفتحون الراء ويشددون الواو ، وهو تصحيف) : كانت سوق مكة ، وقد دخلت فى المسجد لما زيد فيه . وفى الحديث : وقف النبي صلى الله عليه وسلم بالحزورة فقال : يا بطحاء مكة ، ما أطيبك من بلدة وأحبك إلى ! ولولا أن قومى أخرجونى منك ماسكنت غيرك .

(٥) كذا فى ا ، ط : وفى سائر الأصول : « أحد » وهو تحريف .

فقلت : فلو أنى جئتُ الكعبةَ فطفْتُ بها سبعاً أو سبعين . قال : فجئتُ المسجدَ أُريد أن أطوفَ بالكعبة ، فإذا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قائمٌ يصلّى ، وكان إذا صلّى أستقبل الشامَ ، وجعل الكعبة بينه و بين الشام ، وكان مُصلاّه بين الرُّكنين : الركن الأسود ، والركن اليمانى . قال ؛ فقلت : حين رأيتُه ، والله لو أنى أستمعتُ لمحمدٍ الليلةَ حتى أسمعَ ما يقول ! [قال][1] فقلت : لئن دنوتُ منه ٥
أستمع منه لأروّعنّه ؛ فجئت من قِبَل الحِجْر ، فدخلت تحت ثيابها ، فجعلتُ أمشى رويداً ، ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قائمٌ يصلّى يقرأ القرآن ، حتى قمتُ فى قبلته مُسْتقبلَه ، مابينى و بينه إلا ثيابُ الكعبة . قال : فلما سمعتُ القرآنَ رقّ له قلبى ، فبكيتُ ودخلنى الإسلامُ ، فلم أزلْ قائماً فى مكانى ذلك ، حتى قضى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم صلاتَه ، ثم انصرف ، وكان إذا انصرف خرج على ١٠
دار ابن أبى حُسَين ، وكانت طريقَه ، حتى يَجْزع[2] المَسْعى ، ثم يَسْلُك بين دار عبّاس بن المطّلب ، و بين دار ابن أزْهر بن عبد عَوْف الزهرى ، ثم على دار الأخْنس بن شَريق ، حتى يدخل بيتَه . وكان مسكنُه صلّى الله عليه وسلّم فى الدار الرَّقْطاء[3] ، التى كانت بيدَىْ مُعاويةَ بنِ أبى سفيان . قال عمر رضى الله عنه : فتبعتُه حتى إذا دخل بين دار عبّاس ، ودار ابن أزْهر ، أدركتُه ، فلما سمع ١٥
رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حسّى عرَفنى ، فظنّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أنّى إنما تَبِعته لأُوذيه فنَهمنى[4] ، ثم قال : ماجاء بك يابن الخطّاب هذه الساعةَ ؟ قال: قلت : [جئت][1] لأُومن بالله و برسوله ، و بما جاء من عندالله؛ قال : فحَمِد اللهَ

---

(١) زيادة عن ا .

(٢) كذا فى ا . ويجزع المسعى : يقطعه ، يقال جزعت الوادى : إذا قطعته . وفى سائر الأصول : «حتى يجيز على المسعى » . ٢٠

(٣) الرقطاء : التى فيها ألوان :

(٤) نهمنى : زجرنى .

رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، ثم قال : قد هَداكَ الله يا عمر ، ثم مَسح صَدْرى ، ودعا لى بالثّبات ، ثم انصرفتُ عن رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، ودخل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بيتَه .

قال ابن إسحاق : والله أعلم أى ذلك كان .

ذكر قوة عمر فى الإسلام وجلده

٥ قال ابن إسحاق : وحدّثنى نافع مولى عبد الله بن عمر عن ابن عمر قال : لمـا أسلم أبى عمرُ قال : أىّ قريش أنْقلُ للحديث ؟ فقيل[٢] له : جَميل ابنَ معْمر[٣] الجُمحى . قال : فغدا عليه . قال عبد الله بن عُمر : فغدوت أتبع

---

(١) وذكر ابن سنجر زيادة فى إسلام عمر قال : حدثنا أبو المغيرة قال : حدثنا صفوان ابن عمرو قال : حدثنى شريح بن عبيد قال : قال عمر بن الخطاب : خرجت أتعرض رسول الله ١٠ صلى الله عليه وسلم قبل أن أسلم فوجدته قد سبقنى إلى المسجد ، فقمت خلفه ، فاستفتح سورة « الحاقة » فجعلت أتعجب من تأليف القرآن. قال : قلت : هذا والله شاعر كما قالت قريش ، فقرأ : « انه لقول رسول كريم ، وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون » . قال : قلت : كاهن علم مافى نفسى . فقال : « ولا بقول كاهن قليلا ماتذكرون » . إلى آخر السورة . قال : فوقع الإسلام فى قلبى كل موقع ، ويذكرون أن عمر قال حين أسلم :

١٥
الحمد لله ذى المن ا ى وجبت ... له علينا أياد مالها غـير
وقد بدأنا فكذبنا فقال لنا ... صدق الحديث نبى عنده الخبر
وقد ظلمت ابنة الخطاب ثم هدى ... ربى عشية قالوا قد صبا عمر
وقد ندمت على ما كان من زلل ... بظلمها حين تتلى عندها السور
لمـا دعت ربها ذا العرش جاهدة ... والدمع من عينها عجلان يبتدر
٢٠ أيقنت أن الذى تدعوه خالقها ... فكاد تسبقنى من عبرة درر
فقلت أشهد أن الله خالقنا ... وأن أحمد فينا اليوم مشتهر
نبى صدق أتى بالحق من ثقة ... وافى الأمانة ما فى عوده خور

(راجع الروض الأنف) .

(٢) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « قال قيل » .

٢٥ (٣) وجميل هذا هو الذى كان يقال له : ذو القلبين ، وفيه نزلت ، فى أحد الأقوال : « ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه » . وفيه قيل :

وكيف ثوائى بالمدينة بعد ما ... قضى وطرا منها جميل بن معمر

وهو البيت الذى تغنى به عبد الرحمن بن عوف فى منزله ، واستأذن عمر فسمعه وهو يتغنى وينشد بالركبانية : (وهو غناء يحدى به الركاب) . فلمـا دخل عمر قال له عبد الرحمن : ٣٠ إنا إذا خلونا قلنا مايقول الناس فى بيوتهم ، وقد قلب المبرد هذا الحديث ، وجعل المنشد عمر ، والمستأذن عبد الرحمن ، وفيما ذهب اليه المبرد بعد عن الصواب . (راجع الروض الأنف) .

أعلمتَ يا جميلُ أنّى قد أسلمتُ ودخلت فى دين محمد ؟ قال : فوالله ما راجعه حتى قام يجرّ رداءه وأتبعه عمر ، وأتبعتُ أبى ، حتى إذا قام على باب المسجد صَرَخ بأعلى صوته : يا معشر قريش ، وهم فى أنديتهم حول الكعبة[(1)] ، ألاَ إنّ عمر ابن الخطاب قد صَبا . قال : [و][(2)] يقول عمرُ من خلفه: كَذَب ، ولكنّى قد أسلمتُ ، وشهدتُ أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبدُه ورسوله . وثاروا إليه فما برح يُقاتلهم ويُقاتلونه ، حتى قامت الشمس على رءوسهم . قال : وطَلِح[(3)] ، فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول : افعلوا ما بدا لكم، فأحلف بالله أن لو قد كنّا ثلاثمئة رجلٍ [لقد][(2)] تركناها لكم ، أوتركتموها لنا؛قال فبينما هم على ذلك إذ أقبل شيخٌ من قريش ، عليه حُلّة حِبْرة[(4)] ، وقميصٌ مُوَشًّى ، حتى وقف عليهم فقال : ما شأنُكم ؟ قالوا : صَبأ عمر ؛ فقال : فَمه ، رجلٌ اختار لنفسه أمراً فماذا تريدون ؟ أترون بنى عدىّ بن كعب يُسلمون لكم صاحبَهم هكذا ! خلُّوا عن الرجل . قال : فوالله لكأنما كانوا ثوبًا كُشِط عنه . قال : فقلت لأبى بعد أن هاجر إلى المدينة : يا أبت ، من الرجلُ الذى زجر القومَ عنك بمكة يوم أسلمت ، وهم يُقاتلونك ؟ فقال : ذاك ، أى بُنىّ ، العاصُ بن وائل السهمى .

قال ابن هشام : وحدّثنى بعضُ أهل العلم أنه قال :

يا أبتِ ، من الرجلُ الذى زجر القومَ عنك [بمكة][(2)] يوم أسلمتَ ، وهم يقاتلونك، جزاه الله خيراً . قال : يابنى ، ذاك العاصُ بن وائل، لاجزاه الله خيراً .

---

(1) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « حول باب الكعبة » .

(2) زيادة عن ا .

(3) طلح : أعيا .

(4) الحبرة : ضرب من برود اليمن .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى عبدُ الرحمن بن الحارث عن بعض آلِ عُمر ، أو بعض أهله ، قال :

قال عمر لما أسلمتُ تلك الليلةَ تذكّرت أىّ أهلِ مكة أشد لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم عداوةً حتى آتيه فأُخبره أنى قد أسلمتُ ؛ قال . قلت : أبو جهل ـ وكان عُمر لحَنْتَمة بنت هشام بن المُغيرة ـ قال : فأقبلت حين أصبحتُ حتى ضربتُ عليه بابَه . قال : فخرج إلىّ أبو جهل ، فقال : مرحباً وأهلاً بابن أختى ، ماجاء بك ؟ قال[1] : جئتُ لأخبرك أنى قد آمنتُ بالله و برسوله محمد ، وصدّقت بما جاء به ؛ قال : فضرب البابَ فى وَجهى وقال : قبّحك الله ، وقبّح ما جئتَ به .

خـــبر الصحيفة

تحالف الكفار ضد الرسول

قال ابن إسحاق :

فلما رأت قريشٌ أنّ أصحاب رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم قد نزلوا بلداً أصابوا به أمناً وقرارًا ، وأنّ النجاشىّ قد منع مَنْ لجأ إليه منهم ، وأنّ عمر قد أسلم ، فكان هو وحَمزة بن عبد المطّلب مع رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه، وجعل الإسلامُ يَفْشو فى القبائل ، اُجتمعوا وأْتمروا [بينهم][2] أن يكتبوا كتابًا يتعاقدون فيه على بنى هاشم ، وبنى المطّلب ، على أن لا يُنْـكحوا إليهم ولا يُنـكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئاً ، ولا يبتاعوا منهم ، فلما اُجتمعوا لذلك كتبوه[3] فى صَحيفة ، ثم تعاهدوا وتَواثقوا على ذلك ، ثم علّقوا الصحيفةَ فى

---

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « قال قلت . . . الخ » .

(٢) زيادة عن ا .

(٣) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « كتبوا » .

جَوْف الكعبة توكيداً على أنفسهم ، وكان كاتبَ الصحيفة منصورُ بن عِكرمة ابن عامر بن هاشم بن عَبْد مناف بن عَبْد الدار بن قُصَيّ ـ قال ابن هشام : ويقال : النضر بن الحارث ـ فدعا عليه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فشُلّ بعضُ أصابعه .

قال ابن إسحاق :

فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطّلب إلى أبى طالب ابن عبد المطّلب فدخلوا معه فى شِعْبه وأُجتمعوا إليه ، وخرج من بنى هاشم أبو لَهَب ، عبد العزّى بن عبد المطّلب ، إلى قريش فظاهرهم .

تهكم أبى لهب بالرسول صلى الله عليه وسلم وما أنزل الله فيه

قال ابن إسحاق وحدّثنى حُسين بن عبد الله :

أنّ أبا لهب لقى هِنْد بنت عُتْبة بن رَبيعة ، حين فارق قومَه ، وظاهر عليهم قريشاً ، فقال : يا بنت عتبة ؛ هل نصرتِ اللاتَ والعزّى ، وفارقتِ مَنْ فارقهما وظاهر عليهما[1] ؟ قالت : نعم ، فجزاك الله خيرًا يا أبا عُتْبة .

قال ابن إسحاق : وحُدّثت أنه كان يقول فى بعض ما يقول :

يَعدنى محمدٌ أشياء لا أراها ، يزعم أنها كائنةٌ بعد الموت ، فماذا وضع فى يدىّ بعد ذلك ، ثم ينفخ فى يدَيْه ويقول : تبالكما ، ما أرى فيكما شيئاً مما يقول محمد . فأنزل الله تعالى فيه : « تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ[2] » .

---

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : «عليها» وهو تحريف .

(٢) قال السهيلى : «هذا الذى ذكره ابن إسحاق يشبه أن يكون سبباً لذكر الله سبحانه «يديه» حيث يقول : تبت يدا أبى لهب » . وأما قوله: « وتب » . فتفسيره ماجاء فى الصحيح من رواية مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لما أنزل الله تعالى : « وأنذر عشيرتك الأقربين » . خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى الصفا ، فصعد عليه فهتف: ياصباحاه . فلما اجتمعوا إليه قال : أرأيتم : لوأخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل ، أكنتم مصدقى ؟ قالوا : ماجربنا عليك كذبا ؛ قال : « فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد » . فقال أبو لهب : تبا لك ألهذا جمعتنا ؟ فأنزل الله تعالى : « تبت يدا أبى لهب » . وقدتب ، هكذا قرأ مجاهد والأعمش وهى ـ والله أعلم ـ قراءة مأخوذة عن ابن مسعود ، =

قال ابن هشام : تبت : خسرت . والتباب : الخسران . قال حَبيب ابن خُدْرة[1] الخارجي : أحدُ بنى هِلال بن عامر بن صَعْصعة :

يا طيب إنّا فى مَعْشرٍ ذهبتْ مَسْعاتُهم فى التَّبارِ والتَّببِ[2]

وهذا البيت فى قصيدة له .

٥ قال ابن إسحاق :

شعر أبى طالب فى قريش حين تظاهروا على الرسول صلى الله عليه وسلم

فلما اجتمعت على ذلك قريش ، وصنعوا فيه الذى صنعوا قال أبو طالب :

ألا أبلغَا عنّى على ذَاتِ[3] بَيْننا[4] لُؤَيًّا وخُصًّا من لؤىٍّ بنى كَعْبِ

ألم تَعْلموا أنّا وجَــدنا محمداً نبيًّا كموسى خُطّ فى أول الكُتُبِ

= لأن فى قراءة ابن مسعود ألفاظا كثيرة تعين على التفسير . قال مجاهد : لو كنت قرأت قراءة

١٠ ابن مسعود قبل أن أسأل ابن عباس ما احتجت أن أسأله عن كثير مما سألته ، وكذلك زيادة « قد » فى هذه الآية فسرت أنه خبر من الله تعالى . وأن الكلام ليس على جهة الدعاء كما قال تعالى : « قاتلهم الله أنى يؤفكون » . أى أنهم أهل أن يقال لهم هذا . فتبت يدا أبى لهب : ليس من باب « قاتلهم الله » ، ولكنه خبر محض بأن قد خسر أهله وماله ، واليدان آلة الكسب وأهله وماله مما كسب ، فقوله : « تبت يدا أبى لهب » . يفسره قوله : « ما أغنى عنه ماله

١٥ وما كسب » . وولد الرجل من كسبه كما جاء فى الحديث : أى خسرت يداه هذا الذى كسبت . وقوله : « وتب » . تفسير : « سيصلى نارا ذات لهب » ، أى قد خسر نفسه بدخوله النار . وقول أبى لهب : تبا لكما ، ما أرى فيكما شيئاً ، يعنى يديه ، سبب لنزول « تبت يدا » كما تقدم .

(١) كذا فى أكثر الأصول ، بخاء معجمة مضمومة ودال ساكنة . وفى ا : « جدرة »

٢٠ بالجيم والدال المفتوحتين . ويروى أيضاً : « جدره » . بجيم مكسورة ودال ساكنة . وهذه كلها روايات فيه .

(٢) التبار : الهلاك . والتبب كالتباب والتتبيب ، وهى الهلاك .

(٣) كذا فى أكثر الأصول ، وفى م : « ذات وبيننا » وهو تحريف .

(٤) ذات بيننا ، وذات يده ، وما كان نحوه : صفة لمحذوف مؤنث ، كأنه يريد الحال

٢٥ التى هى ذات بينهم ، كما قال الله سبحانه : « وأصلحوا ذات بينكم » . فكذلك إذا قلت ذات يده ، تريد أمواله أومكتسباته . وكذلك إذا قلت : لقيته ذات يوم : أى لقاءة ، أو مرة ذات يوم . فلما حذف الموصوف وبقيت الصفة صارت كالحال .

وأنّ عليـــــه فى العِباد مَحبةً ... ولا خيرَ ممن خصّه الله بالحُبّ[1]

وأن الذى ألصقتمُ من كِتابكم ... لَـكُم كائن نحساً كَراغية السَّقْبِ[2]

أَفِيقُوا أَفِيقوا قبل أن يُحفر الثَّرى ... ويُصبحَ مَن لم يَجْنِ ذنباً كَذِى الذَّنْب

ولا تَتْبعوا أمرَ الوُشاة وتَقْطَعوا ... أَواصرَنا بعد المودّة والقُرْبِ[3]

وتَسْتجلبوا حَرْبًا عَوانًا وربّما[4] ... أمرّ على من ذاقه جَلبُ الحَرْب 5

فلسنا وربِّ البيت نُسْـــلِم أحمداً ... لعزَّاء[5] من عض الزّمان ولا كَرْب[6]

ولما تَبِنْ منّا ومنكم سَوالف[7] ... وأيدٍ أُترّت بالقُساسيَّة الشُّهْب[8]

---

(١) قال السهيلى فى التعليق على الشطر الأخـير من هذا البيت : « وهو مشكل جداً ، لأن : «لا» . فى باب التبرئة لاتنصب مثل هذا إلا منونا ، تقول : لاخيراً من زيد فى الدار، ولا شراً من فلان ، وإنمـا تنصب بغير تنوين إذا كان الاسم غير موصول بمـابعده ، كقوله 10 تعالى : « لا تثريب عليكم اليوم » . لأن « عليكم » ليس من صـلة التثريب ، لأنه فى موضع الخـبر . وأشبه ما يقال فى بيت أبى طالب أن « خـيراً » مخفف من خير (كهين وميت) . وفى التنزيل : « خيرات حسان » . وهو مخفف من خيرات . وقوله : « ممن » . من متعلقه بمحذوف ، كأنه قال : لاخير أخير ممن خصه الله . وخير وأخير : لفظان من جنس واحد ، فحسن الحذف استثقالا لتكرار اللفظ . وفيه وجه آخر ، وهو أن يكون حذف التنوين 15 مراعاة لأصل الكلمة : لأن « خيراً من زيد ، إنمـا معناه أخير من زيد » . وكذلك : « شر من فلان » . إنمـا أصله أشر، على وزن أفعل ، وحذفت الهمزة تخفيفاً . وأفعل لاينصرف ، فإذا انحذفت الهمزة انصرف ونون ، فإذا توهمتها غير ساقطة التفاتا إلى أصل الكلمة لم يبعد حذف التنوين على هذا الوجه مع مايقويه من ضرورة الشعر » .

(٢) كراغية السقب : هو من الرغاء ، وهو أصوات الإبل . والسقْب : ولد الناقة ، 20 وأراد به هنا ولد ناقة صالح عليه السلام .

(٣) الأواصر: أسباب القرابة والمودة .

(٤) الحرب العوان : التى قوتل فيها مرارا .

(٥) العزاء : الشدة .

(٦) كذا فى أ كثر الأصول . وعض الزمان : شدته . وفى ا : « عظ الزمان » . 25 والعظ : الشدة .

(٧) السوالف : صفحات الأعناق .

(٨) أترت : قطعت . والقساسية سيوف تنسب إلى قساس ، وهو جبل لبنى أسد فيه معدن الحديد .

بمُعْترك ضَيْق ترى كِسَر القَنا ... به والنسورَ الطُّخم يَعْكفن كالشَّرْبِ[1]
كأنّ مُجال[2] الخيل فى حَجَراته[3] ... ومَعْمَعة الأبطال مَعْركة الحَرْب
أليس أبونا هاشمٌ شَـــدَّ أزْرَه ... وأوصَى بَنيه بالطِّعان وبالضَّرْب
ولسنا نَمَلّ الحربَ حـــتى تَمَلَّنا ... ولا نَشْتكى ماقد يَنوب من النكْب
٥ ولـكنّنا أهلُ الحَفائظ والنُّهى ... إذا طار أرواحُ الـكُماة من الرُّعْب[4]

فأقاموا على ذلك سَنَتين أو ثلاثا ، حتى جُهِدوا لا يصل إليهم شىء إلا سرًّا مستخفياً [به][5] مَنْ أراد صِلَتهم من قريش .

تعرض أبى جهل لحكيم ابن حزام وتوسط أبى البخترى

وقد كان أبو جهل بن هشام ــ فيما يذكرون ــ لقى حَكيم بن حِزام ابن خُويلد بن أسَد ، معه غلام يَحْمل قمحاً يُريد به عمّته خَديجة بنت خُويلد ، ١٠ وهى عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ومعه فى الشِّعب ، فتعلّق به وقال : أتذهب بالطعام إلى بنى هاشم ؟ والله لاتبرح أنت وطعامُك حتى أفْضحك بمكّة . فجاءه أبو البَخْتِرى بن هاشم[6] بن الحارث بن أسَد فقال : مالك وله ؟ فقال : يحمل الطعامَ إلى بنى هاشم ؛ فقال [له][5] أبو البخترى : طعامٌ كان لعمّته عنده بعثت إليه [فيه][5] ، أفتمنعه أن يأتيها بطَعامها ! خلّ سبيلَ الرجل ؛ فأبى ١٥ أبو جهل حتى نال أحدُهما من صاحبه ، فأخذ [له][5] أبو البَخترى لَحْى بَعير فضربه به فشجّه ، ووطئه وِطْأً شديداً ، وحمزةُ بن عبد المطلب قريبٌ يرى ذلك ، وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابَه ،

---

(١) الطخم : السود الرءوس . ويعكفن : يقمن ويلازمن . والشرب : الجماعة من القوم يشربون .

٢٠ (٢) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : «مخال» ولا معنى لها .

(٣) الحجرات : النواحى .

(٤) الرعب (بالفتح) : الوعيد .

(٥) زيادة عن ا .

(٦) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : هشام .

فيشمتوا بهم ، ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على ذلك يدعو قومَه ليلاً ونهاراً ، وسرًّا وجِهاراً ، مبادياً[1] بأمْر الله لا يتّقى فيه أحداً من الناس .

ذكر ما لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه من الأذى

ما أنزله الله تعالى فى أبى لهب

فجعلت قريش حين منعه الله منها ، وقام عمّه وقومُه من بنى هاشم ، و بنى المطّلب دونه ، وحالوا بينهم[2] و بين ما أرادوا من البَطْش به ، يَهْمِزونه و يستهزئون به و يُخاصمونه ، وجعل القرآن ينزل فى قُريش بأحداثهم ، وفيمن نصب لعداوته منهم ، فمنهم من سمّى لنا ، ومنهم من نزل فيه القرآن فى عامّة مَنْ ذكر الله من الكفّار ، فكان ممن سُمّى لنا من قُريش ممن نزل فيه القرآن : عمه أبو لهب بن عبد المطّلب ، وامرأته أم جَميل[3] بنتَ حَرْب بن أُمية ، حمّالة الحطب ، و إنما سمّاها الله تعالى حمّالة الحطب ، لأنها كانت ـ فيما بلغنى ـ تَحمل الشوكَ فتطرحه على طريق رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم حيث يمرّ ، فأنزل الله تعالى فيهما : « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ[4] »

قال ابن هشام : الجيد : العنق . قال أعشى بَنى قَيْس بن ثعلبة :

---

(1) كذا فى ا ، وفى سائر الأصول : « مناديا » .

(2) كذا فى ا ، وفى سائر الأصول : « بينه » .

(3) وهى عمة معاوية .

(4) لما كنى الله تعالى عن ذلك الشوك بالحطب ، والحطب لا يكون إلا فى حبل ، من ثم جعل الحبل فى عنقها ليقابل الجزاء الفعل .

يوم تبدى لنا قُتَيْلة عن جِيـد أسـيل[1] تَزِينُه الأطواقُ[2]

وهذا البيتُ فى قصيدة له . وجمعه : أجياد . والمَسد : شجرٌ يدقّ كما يدق الكتّان فتفتل منه حِبال . قال النابغة الذبيانى ، واسمه زِياد بن عَمْرو بن معاوية :

مقذوفةٍ بدَخيس النّحض بازِلُها له صريف صَريفَ القَعْو بالمَسَدِ[3]

٥ وهذا البيت فى قصيدة له . وواحدته : مسدة .

أم جميل ورد الله كيدها عن الرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : فذُكر لى :

أنّ أم جميل : حمّالة الحطب ، حين سمعت ما نزل فيها ، وفى زوجها من القرآن ، أتت رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وهو جالس فى المَسْجد عند الكعبة ومعه أبو بكر الصدّيق ، وفي يدها فِهْر[4] من حِجارة ، فلما وقفتْ عليهما أخذَ

١٠ الله ببصَرها عن رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فلا ترى إلا أبا بكر ، فقالت : يا أبا بكر : أين صاحبُك ، فقد بلغنى أنه يهجونى ، والله لو وجدته لضربْتُ بهذا الفهر فاه ، أما والله إنى لشاعرة ، ثم قالت[5] :

---

(١) جيد أسيل : فيه طول . والأطواق : جمع طوق ، وهى القلادة .

(٢) قال السهيلى فى التعليق على هذا البيت : « وقوله : تزينه : أى تزينه حسنا ، وهذا

١٥ من القصد فى الكلام ، وقد أبى المولدون إلا الغلو فى هـذا المعنى وأن يقلبوه . فقال فى الحماسة حسين بن مطير :

مبتلة الأطراف زانت عقودها بأحسن مما زينتها عقودها

وقال خالد القسرى لعمر بن عبد العزيز : ومن تكن الخلافة زينته فأنت زينتها ، ومن تكن شرفته فأنت شرفتها ، وأنت كما قال :

٢٠ وتزيدين أطيب الطيب طيبا أن تمسـيه أين مثلك أين

وإذا الدر زان حسن وجوه كان للدر حسن وجهك زينا

فقال عمر : إن صاحبكم أعطى مقولا ، ولم يعط معقولا » . ثم ساق السهيلى أبياتا كثيرة فى هذا المعنى اجتزأنا منها بذلك .

(٣) الدخيس : اللحم الكثير. والنحض : اللحم ، وبازلها : نابها .والصريف : الصوت .

٢٥ والقعو : الذى تدور فيه البكرة ، إذا كان من خشب ، فإن كان من حديد فهو الخطاف .

(٤) الفهر : حجر على مقدار ملء الكف . والمعروف فى الفهر التأنيث إلا أنه وقع هنا مذكرا .

(٥) كذا فى ا ، وفى سائر الأصول : « فقالت » .

مُـــذَمَّمًا عَصَينَا وأمْرَه أَبَيْـــنَا

* ودينـــــه قَلَيْنا[1] *

ثم انصرفت ، فقال أبو بكر يا رسول الله أما تُراها رأتك ؟ فقال ما رأتنى ، لقد أخذ الله ببصرها عنّى .

قال ابن هشام : قولها « ودينه قلينا » عن غير ابن إسحاق . ٥

قال ابن إسحاق :

وكانت قريش إنما تسمّى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم مُذَمَّمًا ، ثم يسبّونه ، فكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يقول : ألا تعجبون لما يصرف[2] الله عنّى من أذى قريش ، يسبّون ويهجون مذمّمًا ، وأنا محمد .

ذكر ما كان يؤذى به أمية ابن خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأميّة بن خلف بن وهب بن حذافة بن جُمَح . كان إذا رأى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم هَمَزه ولَمزه ، فأنزل الله تعالى فيه « وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ الَّذِى جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِى الْحُطَمَةِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ فِى عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ » . ١٠

قال ابن هشام : الهمزة . الذى يشتم الرجلَ عَلانية ، ويَكْسِر عينيه عليه ، ويَغْمز به . قال حسّان بن ثابت : ١٥

هَمَزتُكَ فاخْتَضَعْتُ لذلّ نفسٍ بقافيـــةٍ تَأَجَّجُ كالشُّواظِ[3]

وهذا البيت فى قصيدة له . وجمعه : هُمَزات واللمزة ، الذى يَعيب الناسَ سرًّا ويُؤْذيهم . قال رؤبة بن العجاج :

* فى ظل عَصْرى باطلى ولمزى * ٢٠

---

(١) قلينا : أبغضنا .

(٢) كذا فى ا ، وفى سائر الأصول : « صرف » .

(٣) اختضعت : تذللت . وتأجج : تتوقد . والشواظ : لهب النار .

وهذا البيت فى أرجوزة له ، وجمعه : لمزة .

ما كان يؤذى به العاص رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نزل فيه

قال ابن إسحاق :

والعاص بن وائل السهمى ، كان خبّاب بن الأرت ، صاحبُ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، قَيْناً بمكة يعمل السيوفَ ، وكان قد باع من العاص ابن وائل سيوفاً عملها له ، حتى كان له عليه مالٌ ، فجاءه يتقاضاه ، فقال له : يا خبّاب ، أليس يزعُم محمد صاحبُـكم هذا الذى أنت على دينه أن فى الجنة ما ابتغَى أهلُها من ذهب ، أو فضة ، أو ثياب ، أو خدم ! قال خبّاب : بلى . قال : فأنظرنى إلى يوم القيامة يا خبّاب حتى أرْجع إلى تلك الدار فأقضيك هنالك حقك ، فوالله لاتـكون أنت وصاحبك[1] ياخبّاب آثرَ عند الله منّى ، ولا أعظم حظّاً فى ذلك . فأنزل الله تعالى فيه : « أفَرَأيْتَ الَّذِى كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأوتيَنّ مَالاً وَوَلَداً أطَّلَعَ الْغَيْبَ » . إلى قوله تعالى : « وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينا فَرْداً » .

ما كان يؤذى به أبو جهل رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نزل فيه

ولقى أبو جهل بن هشام رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ـ فيما بلغنى ـ فقال له : والله يا محمد ، لتتركنّ سبّ آلهتنا ، أو لنسبنّ إلٰهك الذى تعبد . فأنزل الله تعالى فيه : « وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ » . فذُكر لى أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كفّ عن سبّ آلهتهم ، وجعل يدعوهم إلى الله .

ما كان يؤذى به النضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نزل فيه

والنضر بن الحارث بن عَلْقمة[2] بن كلدة بن عَبْد مناف بن عَبْد الدار ابن قصى ، كان إذا جلس رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم مجاساً فدعا فيه إلى الله تعالى وتلا فيه القرآنَ وحذّر [فيه][3] قريشاً ما أصاب الأممَ الخالية ،

(١) كذا فى ا ، وفى سائر الأصول : « وأصحابك » .

(٢) فى الأصول : « ابن كلدة ابن علقمة » وهو تحريف .

(٣) زيادة عن ا .

خلفه فى مجلسه إذا قام ، فحدّثهم عن رُستم السنديد[1] ، وعن اسفنديار ، وملوك فارس ، ثم يقول : والله ما محمد بأحسن حديثاً منّى ، وما حديثه إلا أساطير الأولين ، أكتتبها كما أكتتبتها . فأنزل الله فيه : « وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً » ونزل فيه : « إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ » . ونزل فيه : « وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يَسْمَعُ آيَاتِ اللهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ » .

قال ابن هشام : الأفاك : الكذاب . وفى كتاب الله تعالى : « أَلاَ إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ » وقال رؤبة [بن العجاج][2] :

* ما لِامرئٍ أفَكَ قولاً أفكا *

وهذا البيت فى أرجوزة له .

قال ابن إسحاق :

وجلس رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يومًا ـ فيما بلغنى ـ مع الوليد بن المُغيرة فى المسجد ، فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم فى المجلس ، وفى المجلس غيرُ واحدٍ من رجال قريش ، فتكلّم رسولُ صلّى الله عليه وسلّم فعرض له النضر ابن الحارث ، فكلمه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حتى أفحمه ، ثم تلا عليه وعليهم : « إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ لَوْ كَانَ هٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لاَ يَسْمَعُونَ » .

---

(١) كذا فى شرح السيرة لأبى ذر . والسنديد (بلغة فارس) : طلوع الشمس. وهم ينسبون إليه كل جيل . وفى الأصول : « الشديد » .

(٢) زيادة عن ا .

قال ابن هشام : حصب جهنم : كل ما أوقدت به . قال أبو ذؤيب الهذلى ، واسمهُ خُويلد بن خالد :

فأطْفِئْ ولا تُوقد ولا تَكُ مُحْصِباً لنار[1] العُداة أن تَطير شَكاتُها[2]

وهذا البيت فى أبيات له . ويروى « ولا تك مِحْضاً[3] » . قال الشاعر :

٥ حَضأتُ له نارى فأبصرَ[4] ضوءها وما كان لولا حَضْأةُ النار يَهْتدِى

مقالة ابن الزبعرى وما أنزل الله فيه

قال ابن إسحاق :

ثم قام رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وأقبل عبد الله بن الزِّبَعْرى السَّهْمى حتى جلس ، فقال الوليد بن المُغيرة لعبد الله بن الزّبعرى : والله ما قام النضرُ ابن الحارث لابن عبد المطلب آنفاً وما قعد ، وقد زعم محمد أنّا وما نعبد من

١٠ آلهتنا هذه حَصَب جهنم ؛ فقال عبد الله بن الزّبعرى أما والله لو وجدته لخَصَمْته ، فسلوا محمداً : أكلّ ما يُعبد من دون الله فى جهنم مع مَنْ عبده ؟ فنحن نعبُد الملائكة ، واليهودُ تعبد عُزيرا ، والنصارى تعبد عيسى بن مريم [عليهما السلام][5] ؛ فعجب الوليد ، ومن كان معه فى المجلس من قول عبد الله بن الزّبعرى ، ورأوا أنه قد احتجّ وخاصم . فذُكر ذلك لرسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم من قول

١٥ ابن الزبعرى ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم [إنّ][5] كلّ من أحبّ أن يُعبد من دون الله فهو مع مَنْ عبده ، إنهم إنما يعبدون الشياطين ، ومن أمرتْهم بعبادته . فأنزل الله تعالى عليه فى ذلك : « إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولٰئِكَ عَنهاَ مُبْعَدُونَ لاَ يَسْمَعُونَ حَسِيسَهاَ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ » أى عيسى بن مريم ، وعُزَيرا ، ومن عبدوا من الأحبار والرهبان

---

٢٠ (١) كذا فى ا ، ط . وفى سائر الأصول : « لنا العداة » ، وهو تحريف .

(٢) الشكاة : الشدة .

(٣) المحضأ : العود الذى تحرك به النار وتلتهب .

(٤) كذا فى ا ، ط . وفى سائر الأصول : « فأبصرت » ولا يستقيم بها الكلام

(٥) زيادة عن ا ، ط .

الذين مضوا على طاعة الله ، فاتّخذهم من يعبدُهم من أهل الضلالة أربابًا من دون الله .

ونزّل فيما يذكرون ، أنهم يعبدون الملائكة ، وأنها بنات الله : « وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ . لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ » إلى قوله : « وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلٰهٌ مِنْ دُونِهِ فَذٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ » . ٥

ونزّل فيما ذكر من أمر عيسى بن مريم أنه يُعبد من دون الله ، وعَجَب الوليد ومن حَضَره من حُجّته وخصومته : « وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ » أى يصدون عن أمرك بذلك من قولهم[1]

ثم ذكر عيسى بنَ مريم فقال : « إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ » . أى ما وَضَعْتُ على يديه من الآيات من إحياء الموتى ، وإبراء الأسقام ، فكفى به دليلًا على علم الساعة ، يقول : « فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ » . ١٠

الأخنس بن شريق وما أنزل الله فيه

[قال ابن إسحاق][2] : ١٥

والأخنسُ بن شَريق بن عمرو بن وَهْب الثقفى ، حليف بنى زُهرة ، وكان من أشراف القوم وممن يُستمع منه ، فكان يُصيب من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ويردّ عليه ، فأنزل الله تعالى فيه : « وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ » إلى قوله تعالى : « زَنِيمٍ » ولم يقل : « زَنِيمٍ » لعيب فى نسبه ، لأن الله لا يَعيب أحدًا بنسب ، ولكنه حقّق بذلك نعتَه ليُعرف . ٢٠
والزنيم : العَديد[3] للقوم . وقد قال الخَطِيم التميمىّ فى الجاهلية :

---

(١) كذا فى ا وفى سائر الأصول : « قوله » .
(٢) زيادة عن ا .
(٣) العديد : من يعد فى القوم ، وهو الدعىّ .

زَنِيمٌ تَدَاعَاه الرجالُ زِيادةً كما زِيد فى عَرْض الأديم الأكارِعُ[1]

الوليد بن المغيرة وما أنزل الله تعالى فيه

والوليد بن المغيرة ، قال : أيُنزَّل على محمد وأُترك وأنا كبير قريش وسيدها ! ويترك أبو مسعود عمرو بن عُمير الثقفى سيّد ثقيف ، ونحن عظيما القريتين ! فأنزل الله تعالى فيه ، فيما بلغنى « وَقَالُوا لَوْلاَ نُزِّلَ هٰذَا القُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ القَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ » إلى قوله تعالى : « مِمَّا يَجْمَعُونَ » .

أبى بن خلف وعقبة بن أبى معيط وما أنزل الله فيهما

وأُبَىّ بن خَلف بن وَهْب بن حُذافة بن جُمح ، وعُقبة بن أبى مُعيط ، وكانا مُتصافيين ، حَسَناً ما بينهما . فكان عُقْبة قد جلس إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وسمع منه ، فبلغ ذلك أبيًّا فأتى عُقبة فقال [له][2] : أَلَمْ يبْلغنِى أنك جالستَ محمداً وسمعتَ منه ! [3] وَجْهى من وجهك حَرام أن أُكلّمك — واستغلظ من اليمين — إن أنتَ جلستَ إليه أو سمعتَ منه ، أو لم تأته فتَتْفل فى وجهه . ففعل ذلك عدو الله عُقبة بن أبى مُعَيط لعنه الله . فأنزل الله تعالى فيهما : « وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِى اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً » . إلى قوله تعالى : « لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً » .

ومشى أُبىّ بن خلف إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعَظم بالٍ قد أرْفتَ[4] فقال : يا محمد ، أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعد ما أَرمّ[5] ، ثم فتّه فى يده[6] ، ثم نفخه فى الريح نحوَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : نعم ، أنا أقول ذلك ، يبعثه الله وإياك بعد ما تكونان هكذا ، ثم يُدخلك الله النّار . فأنزل الله تعالى فيه : « وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً

---

(1) الأكارع : جمع كراع . والكراع من الإنسان : مادون الركبة إلى الكعب ، ومن الدواب : مادون الكعب .

(2) زيادة عن ا .

(3) فى الأصول : « . . . قال : وجهى . . . الخ » .

(4) ارفت : تحطم وتكسر .

(5) أرم : بلى .

(6) كذا فى ا ، ط . وفى سائر الأصول : « بيده » .

وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ » .

سبب نزول سورة « قل يأيها الكافرون»

واعترض رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وهو يطوف بالكعبة فيما بلغنى ، الأسودُ بن المطّلب بن أسد بن عبد العزّى ، والوليدُ بن المُغيرة ، وأُميةُ بن خَلَف، والعاصُ بن وائل السهمى ، وكانوا ذوى أسنان فى قومهم ، فقالوا : يا محمد ، هَلُمّ فلنعبدْ ما تعبد ، وتعبدُ ما نعبد ، فنشترك نحن وانت فى الأمر ، فإن كان الذى تعبدُ خيراً مما نعبد ، كنّا قد أخذنا بحظّنا منه ، وإن كان ما نعبد خيراً مما تعبد ، كنت قد أخذت بحظّك منه . فأنزل الله تعالى فيهم : « قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ » . أى إن كنتم لاتعبدون إلا الله إلا أن أعبد ماتعبدون ، فلا حاجة لى بذلك منكم ، لكم دينكم جميعاً ، ولى دينى .

أبوجهل وما أنزل الله فيه

وأبوجهل بن هشام ، لما ذكرالله عز وجل شجرةَ الزقوم تخويفاً بها لهم ، قال: يا معشر قريش ، هل تدرون ما شجرة الزقوم التى يخوّفكم بها محمد ؟ قالوا : لا ؛ قال : عجوة[1] يثرب بالزّبد ، والله لئن استمكنّامنها لنتزقّمنّها[2] تزقّماً . فأنزل الله تعالى فيه : « إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ » أى ليس كما يقول .

قال ابن هشام : المهل : كل شىء أذبته من نحاس أو رصاص أو ما أشبه ذلك ، فيما أخبرنى أبو عُبيدة .

كيف فسر ابن مسعود المهل

وبلغنا عن الحسن بن أبى الحسن [البصْرى][3] أنه قال :

---

(١) العجوة : ضرب من التمر .

(٢) تزقم : ابتلع .

(٣) زيادة عن ا ، ط .

كان عبد الله بن مسعود والياً لعمرَ بن الخطّاب على بيت مال الكوفة ، وأنه أمر يومًا بفضّة فأُذيبت فجعلتْ تلوّنُ ألوانا ، فقال : هل بالباب من أحد ؟ قالوا : نعم ؛ قال : فأدخلوهم ، فأُدخلوا ؛ فقال : إن أدنى ما أنتم راءون شبهاً بالمهل ، لهذا[1] . وقال الشاعر :

٥ يَسْقيه ربّى حميمَ المُهْل يجرّعه ۞ يَشْوى الوجوهَ فهُو فى بَطْنه صَهِرُ[2]

ويقال إن المهل : صديد الجسد .

استشهاد فى تفسير المهل بكلام لأبى بكر

بلغنا أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه لما حُضِر أمَرَ بثوْبين لَبِيسين يُغْسلان فيكفّن فيهما ، فقالت له عائشة : قد أغناك الله يا أبتِ عنهما ، فاشترِ كفناً ؛ فقال : إنما هى ساعة حتى يَصير إلى المُهل . قال الشاعر :

١٠ شاب بالماء منه مُهلاً كَريهاً ۞ ثم علّ المُتون بعـــد النّهال[3]

قال ابن إسحاق :

فأنزل الله تعالى فيه : « وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيراً » .

ابن أم مكتوم ونزول سورة «عبس»

ووقف الوليد بن المُغيرة مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ورسولُ الله صلّى
١٥ الله عليه وسلّم يكلّمه ، وقد طمع فى إسلامه ، فبينا هو فى ذلك إذ مرّ به ابنُ أم مَكتوم الأعمى ، فكلّم رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وجعل يَستقرئه القرآن ، فشقّ ذلك منه على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم حتى أضجره ، وذلك أنه

---

(١) كذا فى أ كثر الأصول . وفى ا : « إن أدنى ما رأيتم رأون شبها بالمهل لهذا » .

(٢) صهر : ذائب . وقد زادت « م » بعد هذا البيت :

٢٠ وقال عبد الله بن الزبعرى الأسدى :

فمن عاش منهم عاش عبداً وإن يمت ۞ ففى النار يسـقى مهلها وصديدها

وهذا البيت فى قصيدة له .

(٣) العلل : الشرب بعد الشرب . والمتون : الظهور . والنهال : جمع نهل ، وهو الشرب الأول .

شغله عمّا كان فيه من أمر الوليد ، وما طمع فيه من إسلامه . فلما ا كثر عليه أنصرف عنه عابساً وتركه . فأنزل الله تعالى فيه : « عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمٰى » إلى قوله تعالى : « فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ » . أى إنما بعثتك بشيراً ونذيراً ، لم أخصّ بك أحداً دون أحد ، فلا تمنعه ممن ابتغاه ، ولا تتصدّينّ به لمن لا يريده . ٥

قال ابن هشام : ابن أم مكتوم ، أحد بنى عامر بن لؤىّ ، واسمه عبد الله ، ويقال : عمرو

انتهى الجزء الأول ويليه الجزء الثانى

وأوله

ذكر من عاد من أرض الحبشة لما بلغهم إسلام أهل مكة

فهرس

الجزء الأول

من

السيرة النبوية

لابن هشام



فهـــرس رجال السند

(١) كذا ورد هذا الاسم فى الأصول . ويفهم من سياق الحديث أن المحدث هو « عبد الله بن عامر » .

فهـــرس الأعلام

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ظ)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(ى)

فهـــرس الشعراء

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ص)

(ض)

فهرس الأمم والقبائل والأرهاط والعشائر ونحوها

(ا)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ص)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

فهـــرس أسماء الأماكن

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(ه)

(و)

فهـــرس الغزوات والوقائع والأيام

فهـــرس أسماء الكتب

فهـــرس القوافى

(م)

(ن)

فهـــرس أنصاف الأبيات

فهـــرس الموضوعات

وفاة عبد المطلب ومارثى به من الشعر

كفالة أبى طالب لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم

قصة بحيرى

حرب الفجار

حديث تزويج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خديجة رضى الله عنها

حديث بنيان الكعبة وحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بين قريش فى وضع الحجر

إسلام أبى بكر الصديق رضى الله عنه وشأنه

ذكر من أسلم من الصحابة بدعوة أبى بكر رضى الله عنه

مباداة رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه وما كان منهم

تحير الوليد بن المغيرة فيما يصف به القرآن

إصـــلاح خطأ

وقع أثناء الطبع بعض أغلاط مطبعية نذكرها هنا ليستدركها القراء:

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٩	٣	أدّد	أُدَد
٤٢	٢٠	الأسود والعنسى	الأسود العنسى
٤٩	٣	للتبيت	للنبيت
٦٧	١	بالملكينَ	بالملكينِ
٧٢	هامش	سلام	إسلام
٧٤	٢٥	أزدشير	أردشير
١٣٣	١٠	كوِزْدَ	كوِزْدِ
١٥٣	١٧و٢٣	جافل	حافل
١٥٨	١٧	سم	ثم
٢٥١	١٨	عبيد الله بن عمر	عبد الله بن عمر
٢٥٥	١٨	فاطمة بنت الحسن	فاطمة بنت الحسين
٢٦٧	١٢	قتلة بنت عبد العزى	قيلة بنت عبد العزى
٢٧١	١٠	عاتكة بنت بن عمرو	عاتكة بنت زيدبن عمرو
٢٧١	٢٢	أم أغار	أم أعار
٢٧٣	٧	بكر بن عبد مناف	بكر بن عبد مناة
٢٧٧	٨	جعثمة	جُعْشمة
٣٠١	٩	الأخنس ابن شريق	الأخنس بن شريق
٣٠٦	١٠	فزازة	فزارة
٣١٩	١٣	والحجر والأسود	والحجر الأسود
٣٤٧	١٨	وأبناه	وابناه
٥٣٦	٢١	أسماء بنت محرية	أسماء بنت مخَربة

استدراكات خاصة بهذا الجزء

ورد فى بعض صفحات هذا الجزء : « إلياس بن مضر » بقطع الهمزة الأولى ، وهو خطأ . راجع الحاشية رقم ١ ص ١٠٧ من هذا الجزء .

ورد فى بعض صفحات هذا الجزء : « الكُلاَع » بضم الكاف . والصواب بالفتح .

وردت هذه العبارة فى ص ٥٢ س ١ مرقمة هكذا : « بعث إليه ، حُناطةَ يعمَر بنُ نفاثة . . . . الخ » . والصواب فى ترقيمها : « بعث إليه حُناطةَ ، يعمَرُ ابنُ نفاثة . الخ » .

ورد فى ص ١١٠ س ٩ : « أسعد وسعيد ابنى سهم » كما فى جميع أصول السيرة ، وهو خطأ . والصواب : « سعد وسعيد ابنى سهم » . راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٨٤ من هذا الجزء

ورد فى ص ٢٦٥ س ١٨ : « يعنى بيزيد : كعباً » وهو خطأ . والصواب : « يعنى بيزيد : يزيد بن كعب » .

ورد فى ص ٣٤٧ س ١١ : « طليب بن عمير بن وهب بن أبى كبير بن عبد ابن قصى » . وهو خطأ . والصواب : « طليب بن عمير بن وهب بن عبد ابن قصى » إذ ليس وهب هذا ابناً لأبى كبير ، بل هو أخوه ، وهما ويحيى أخوهما بنو عبد بن قصى . (راجع شرح السيرة لأبى ذر وأسد الغابة) .

ورد فى ص ٣٥١ س ١٣ : « ومحمية بن الجزاء » والصواب : « ومحمية ابن الجزء » . وقد ذكر فى التعليق عليه س ٢١ : « . . . . والاستيعاب ، وأسد الغابة : « الجزء » . وفى ا . : . الخ » والصواب : « . . . . والاستيعاب وأسد الغابة . وفى ا . . : . الخ »